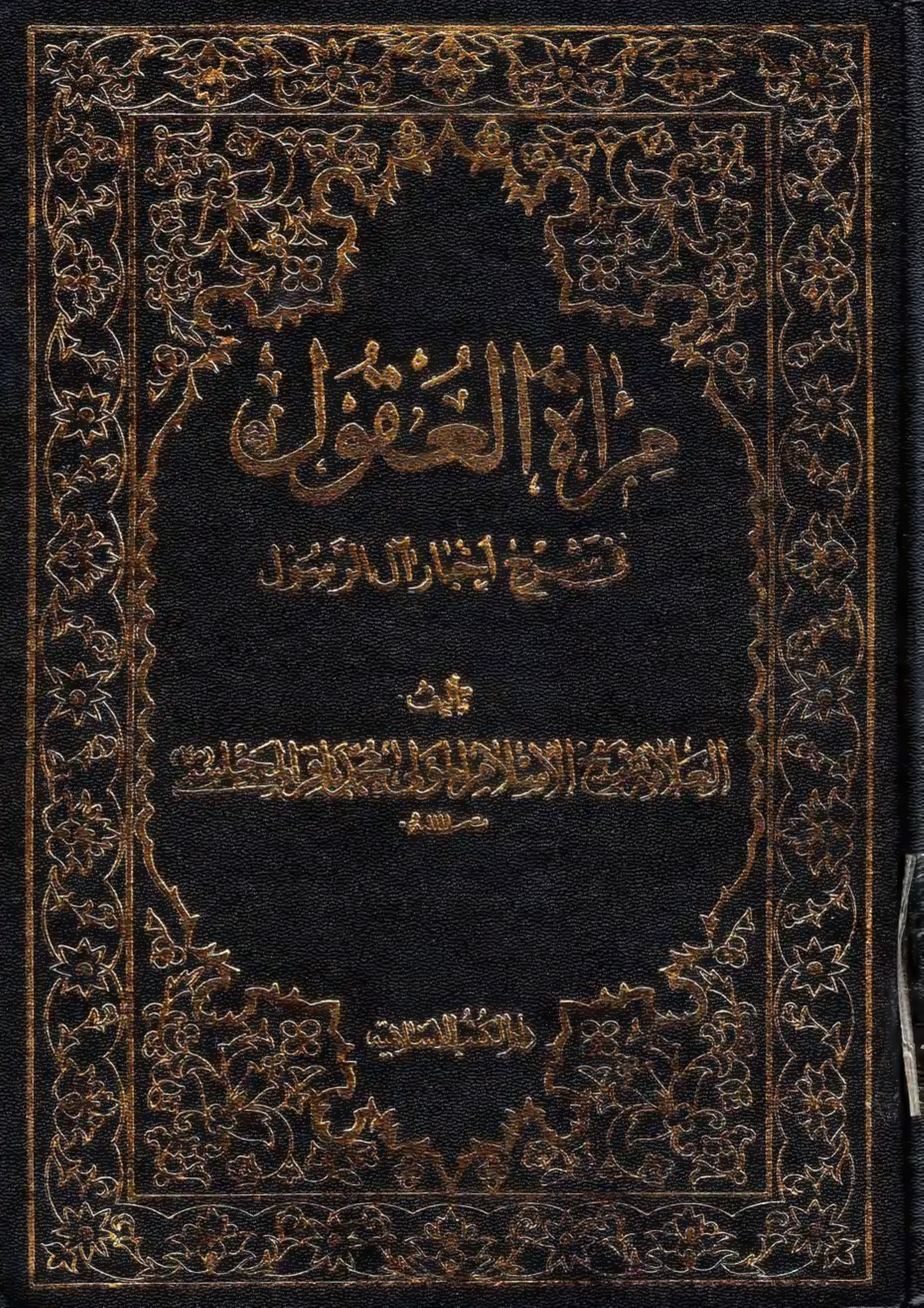

مرآة العقول
في شرح أخبار آل الرسول
تأليف
العلامة شيخ الإسلام المولى محمد باقر المجلسي
دار الكتب الإسلامية



في شرح أخبار آل الرسول

تأليف

العلامة شيخ الإسلام المولى محمد باقر المجلسي (ره)

ت ١١١١هـ

شرح كتاب الكافي لثقة الإسلام الكليني (ره) المتوفى سنة ٣٢٨-٩هـ

الجزء الحادي عشر

الطبعة الثانية
١٤٠٤ هق
١٣٦٣ ش

* نام کتاب : مرآة العقول جلد ١١
* تألیف : علامه مجلسی
* ناشر : دارالکتب الاسلامیه
* تیراژ : ١٠٠٠ نسخه
* نوبت چاپ : سوم
* چاپ از : خورشید
* تاریخ انتشار : ١٣٦٩

آدرس ناشر : تهران ــ بازار سلطانی ــ دارالکتب الاسلامیه
تلفن : ٥٢٠٤١٠ و ٥٢٧٤٤٩

مرآة العقول

إخراج ومقابلة وتصحيح

السيد هاشم الرسولي

الناشر

دار الكتب الإسلامية

لصاحبها الشيخ محمد الآخوندي

تهران - بازار سلطاني

تلفن ٥٢٠٤١٠

حمداً خالداً لو لیّ النعم حیث أسعدنی بالقیام بنشر
هذا السفر القیم في الملأ الثقافي الدیني بهذه الصورة الرائعة .
ولرواد الفضیلة الذین وازرونا في انجاز هذا المشروع المقدّس
شکر متواصل .

الشيخ محمد الاخوندى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ باب ﴾

(الرواية على المؤمن)

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن مفضّل ابن عمر قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام : من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه

باب الرواية على المؤمن

اى ينقل منه شيئاً للاضرار عليه

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« من روى على مؤمن » بأن ينقل عنه كلاماً يدلّ على ضعف عقله وسخافة رأيه على ما ذكره الأكثر ، ويحتمل شموله لرواية الفعل أيضاً « يريد بها شينه » أى عيبه ، في القاموس: شانه يشينه ضدّ زانه يزينه ، وقال الجوهرى : المروءة الانسانية ولك أن تشدّد ، قال أبوزيد : مرء الرجّل صار ذا مروءة انتهى .

وقيل : هي آداب نفسانيّة تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف على محاسن الأخلاق وجميل العادات ، وقد يتحقّق بمجانبة مايؤذن بخسّة النفس من المباحات كالأكل في الأسواق ، حيث يمتهن فاعله ، قال الشهيد رحمه الله : المروّة تنزيه النفس عن الدناءة التى لايليق بأمثاله كالسخريّة وكشف العورة التي يتأكّد استحباب سترها في الصّلوة ، و الاكل في الاسواق غالباً ، ولبس الفقيه لباس الجندىّ بحيث يسخر منه .

و هدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان .

« أخرجه الله من ولايته » في النهاية وغيره : الولاية بالفتح المحبّة والنصرة ، وبالكسر التولية والسلطان ، فقيل : المراد هنا المحبّة ، وإنّما لايقبله الشيطان لعدم الاعتناء به ، لأنّ الشيطان إنّما يحبّ من كان فسقه في العبادات ، ويصيّره وسيلة لاضلال الناس ، و قيل : السرّ في عدم قبول الشيطان له أنّ فعله أقبح من فعل الشيطان لأنّ سبب خروج الشيطان من ولاية الله هو مخالفة أمره مستنداً بأنّ أصله أشرف من أصل آدم عليه السلام ولم يذكر من فعل آدم ما يسوئه ويسقطه عن انظار الملائكة ، وسبب خروج هذا الرّجل من ولايته تعالى هو مخالفة أمره عزّ وجلّ من غير أن يسندها الى شبهة إذ الأصل واحد ، وذكره من فعل المؤمن مايؤذيه ويحقّره وادّعاء الكمال لنفسه ضمناً ، وهذا إدلال وتفاخر وتكبّر ، فلذا لايقبله الشيطان لكونه أقبح فعالاً منه ، على أنّ الشيطان لايعتمد على ولايته له ، لأنّ شأنه نقض الولاية لاعن شيء فلذلك لايقبله ، انتهى .

ولايخفى ما في هذه الوجوه لاسيّما في الأخيرين على من له أدنى مسكة ، بل المراد إمّا المحبّة والنصرة ، فيقطع الله عنه محبّته ونصرته ويكله إلى الشيطان الذى اختار تسويله ، وخالف أمر ربّه ، وعدم قبول الشيطان له لأنّه ليس غرضه من اضلال بني آدم كثرة الاتباع والمحبّين ، فيودّهم وينصرهم إذا تابعوه ، بل مقصوده إهلاكهم وجعلهم مستوجبين للعذاب للعداوة القديمة بينه وبين أبيهم ، فاذا حصل غرضه منهم يتركهم ويشمت بهم ولا يعينهم في شيء ، لا في الدنيا كما قال سبحانه : « كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريء منك » [١] وكما هو المشهور من قصّة برصيصا وغيره ، ولا في الآخرة لقوله : « فلاتلوموني ولوموا أنفسكم » [٢]

(١) سورة الحشر : ١٦ .
(٢) سورة ابراهيم : ٢٢ .

٢ ـ عنه ، عن أحمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبدالله بن سنان قال : قلت له : عورة المؤمن على المؤمن حرام ؟ قال : نعم ، قلت : تعني سفليه؟ قال : ليس حيث تذهب ، إنّما هي إذاعة سرّه .

٣ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن الحسين بن مختار ، عن زيد ، عن أبي عبدالله عليه السلام فيما جاء في الحديث « عورة المؤمن على المؤمن حرام » قال : ما هو أن ينكشف فترى منه شيئاً ، إنّما هو أن تروي عليه أو تعيبه .

والمراد التولّي والسلطنة ، أي يخرجه الله من حزبه وعداد أوليائه ويعدّه من أحزاب الشيطان ، وهو لا يقبله لأنّه يتبرّأ منه كما عرفت .

ويحتمل أن يكون عدم قبول الشيطان كناية عن عدم الرضا بذلك منه ، بل يريد أن يكفره ويجعله مستوجباً للخلود في النار .

الحديث الثاني : صحيح .

والضمير في له للصّادق عليه السلام ، وفي النهاية العورة كلّ ما يستحيى منه إذا ظهر ، انتهى .

وغرضه عليه السلام أنّ المراد بهذا الخبر إفشاء السرّ لأنّ النظر إلى عورته ليس بحرام ، والمراد بحرمة العورة حرمة ذكرها وإفشائها والسّفلين العورتين ، وكنّى عنها لقبح التصريح بهما .

الحديث الثالث : موثق .

« ماهو » ما نافية ، والضمير للحرام أو للعورة بتأويل العضو أو النظر المقدّر منه «شيئاً» اى من عورتيه «أن تروى عليه» أى قولاً يتضرّر به «أو تعيبه» بالعين المهملة أى تذكر عيبه ، وربما يقرء بالغين المعجمة من الغيبة .

﴿ باب الشماتة ﴾

١ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن الحسين بن عليّ بن فضّال ، عن إبراهيم بن محمّد الأشعري ، عن أبان بن عبدالملك ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام أنّه قال : لا تبدي الشماتة لأخيك فيرحمه الله و يصيّرها بك ، و قال : من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدّنيا حتّى يُفتتن .

﴿ باب السباب ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن أبي‌عبدالله

باب الشماتة

الحديث الاول : حسن موثق :

وقال الجوهري : الشماتة الفرح ببلية العدوّ يقال : شمت به بالكسر يشمت شماتة ، وقال : كلّ شيء أبديته وبديته أظهرته ، وقال : افتتن الرّجل وفتن فهو مفتون ، إذا أصابته فتنة فيذهب ماله أوعقله ، وكذلك إذا اختبر ، وانّما نهى عليه السلام عن الابداء لأنّه قد يوجد ذلك في قلب العدوّ بغير اختياره ، وتكليف عامّة الخلق به حرج ينافي الشريعة السّمحة .

والابداء يكون بالفعل كاظهار السّرور و البشاشة والضحك عند المصاب وفي غيبته ، وبالقول مثل الهزؤ والسخّرية به ، وعقوبته في الدنيا أنّ الله تعالى يبتليه بمثله غيرة للمؤمن ، وانتصاراً له ، وأيضاً هونوع بغى وعقوبة البغى عاجلة سريعة .

باب السباب

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

و السباب إمّا بكسر السّين وتخفيف الباء مصدر أو بفتح السين وتشديد الباء

عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة .

٢ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيّوب ، عن عبدالله بن بكير ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

صيغة مبالغة ، وعلى الاول كأنّ في المشرف مضاف أي كفعل المشرف ، وربّما يقرء المشرف بفتح الراء مصدراً ميميّاً ، وفي بعض النسخ كالشرف ، والسبّ الشتم وهو بحسب اللّغة يشمل القذف أيضاً ولا يبعد شمول أكثر هذه الأخبار أيضاً له .

وفي اصطلاح الفقهاء هو السبّ الذي لم يكن قذفاً بالزناء ونحوه كقولك : يا شارب الخمر أو يا آكل الرّبا ، أو يا ملعون ، أو ياخائن ، أو ياحمار ، أو ياكلب ، أو يا خنزير ، أو يافاسق ، أو يا فاجر ، وأمثال ذلك ممّا يتضمّن استخفافاً أو إهانة ، وفي المصباح : سبّه سبّاً فهو سبّاب ، ومنه يقال للاصبع التي تلي الابهام سبّابة لأنّه يشاربها عند السبّ ، و السبّة العار و سابّه مسابة وسباباً أي بالكسر ، واسم الفاعل منه سبّ .

وقال : الهلكة مثال القصبة الهلاك ، ولعلّ المراد بها هنا الكفر والخروج من الدين ، وبالمشرف عليها من قرب وقوعه فيها بفعل الكبائر العظيمة ، والسابّ شبيه بالمشرف وقريب منه ، ويحتمل أن تكون الكاف زائدة .

الحديث الثاني : موثق كالصحيح .

والسباب هنا بالكسر مصدر باب المفاعلة وإمّا بمعنى السبّ أو المبالغة في السبّ أو على بابه من الطرفين والاضافة الى المفعول أو الفاعل ، والأوّل أظهر ، فيدلّ على أنّه لا بأس بسبّ غير المؤمن إذا لم يكن قذفاً بل يمكن أن يكون المراد بالمؤمن من لا يتظاهر بارتكاب الكبائر ولا يكون مبتدعاً مستحقّاً للاستخفاف ، قال المحقّق في الشرايع : كلّ تعريض بما يكرهه المواجه ولم يوضع للقذف لغة ولا عرفاً يثبت به التعزير ، إلى قوله : ولو كان المقول له مستحقّاً للاستخفاف فلا حدّ ولا تعزير ، وكذا كلّ ما يوجب أذى كقوله : يا أجذم أو يا أبرص .

وقال الشهيد الثّاني في شرحه : لمّا كان أذى المسلم الغير المستحق للاستخفاف محرّماً فكلّ كلمة يقال له ويحصل له بها الاذى ولم تكن موضوعة للقذف بالزنا وماني حكمه لغة ولاعرفاً يجب بها التعزير بفعل المحرّم كغيره من المحرّمات ، ومنه التعيير بالأمراض .

وفي صحيحة عبدالرّحمان بن أبي عبدالله قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن رجل سبّ رجلا بغيرقذف يعرض به هل يجلّد ؟ قال : عليه التعزير .

والمراد بكون المقول له مستحقّاً للاستخفاف أن يكون فاسقاً متظاهراً بفسقه فانّه لاحرمة له حينئذ . لماروى عن الصادق عليه السلام : إذا جاهر الفاسق بفسقه فلاحرمة له ولاغيبة ، وفي بعض الاخبار عن تمام العبادة الوقيعة في أهل الريب ، وفي الصحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم لئلاّ يطمعوا في الفساد في الاسلام ، ويحذرهم الناس ولايتعلّمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ، ويرفع لكم به الدّرجات في الآخرة .

والفسق في اللغة الخروج عن الطاعة مطلقا لكن يطلق غالباً في الكتاب والسنة على الكفر أو إرتكاب الكبائر العظيمة ، قال في المصباح : فسق فسوقاً من باب قعد : خرج عن الطاعة والاسم الفسق ، و يفسق بالكسر لغة ، ويقال : اصله خروج الشيء على وجه الفساد ، ومنه فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها ، وقال الراغب : فسق فلان خرج عن حدّ الشرع وهو أعمّ من الكفر والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ، لكنّ تعورف فيما كان كثيراً وأكثر مايقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به ،ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أوببعضه ، قال عزّوجلّ : « ففسق عن أمر ربّه »[1]

(١) سورة الكهف : ٥٠ .

ماله كحرمة دمه .

« ففسقوا فيها فحقّ عليها القول » [١] « وأكثرهم الفاسقون » [٢] « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » [٣] فقابل بها الايمان « ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » [٤] « وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النار » [٥] « والذين كذّبوا بآياتنا يمسّهم العذاب بماكانوا يفسقون » [٦] « والله لايهدى القوم الفاسقين » [٧] « وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين فسقوا أنّهم لايؤمنون » [٨] انتهى .

فالفسق هنا ماقارب الكفر لأنّه ترقىعنه إلىالكفر ، ويظهرمنه أنّالسباب أعظم من الغيبة مع أنّ الايذاء فيه أشدّ إلاّ أن يكون الغيبة بالسباب فهى داخلةفيه .

« وقتاله كفر » المراد به الكفر الذى يطلق على أرباب الكبائر أو إذا قاتله مستحلا أولايمانه ، وقيل : كأنّ القتال لمّاكان من أسباب الكفر أطلق الكفر عليه مجازاً أو أريد بالكفر كفر نعمة التألّف ، فانّ الله ألّف بين المؤمنين أو إنكار حقّ الاخوّة فانّمن حقّهاعدم المقاتلة « وأكللحمه » المرادبه الغيبة كماقال عزوجل : « ولايغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » [٩] شبّه صاحب الغيبة بآكل لحم أخيه الميت زيادة في التنفير والزجر عنها ، وقيل : المراد بالمعصية الكبيرة .

« وحرمة ماله كحرمة دمه » جمع بين المال والدم في الاحترام ولاشكّ في أنّ إهراق دمه كبيرة مهلكة ، فكذا آكل ماله ، ومثل هذا الحديث مرويّ من طرق العامّة ، وقال فيالنهاية : قيل هذا محمول على من سبّ أوقاتل مسلماًمن غيرتأويل،

(١) سورة الاسراء : ١٦ .
(٢) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٣) سورة السجدة : ١٨ .
(٤) سورة النور : ٥٥ .
(٥) سورة السجدة : ٢٠ .
(٦) سورة الانعام : ٤٠ .
(٧) سورة المائدة : ١٠٨ .
(٨) سورة يونس : ٣٣ .
(٩) سورة الحجرات : ١٢ .

٣ ـ عنه ، عن الحسن بن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنَّ رجلاً من بني تميم أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله فقال : أوصني ، فكان فيما أوصاه أن قال : لا تسبّوا النّاس فتكتسبوا العداوة بينهم .

٤ ـ ابن محبوب ، عن عبدالرَّحمن بن الحجّاج ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في رجلين يتسابّان قال : البادي منهما أظلم ، و وزره و وزر صاحبه عليه ، مالم يعتذر إلى المظلوم .

٥ ـ أبو عليّ الأشعري ، عن محمّد بن سالم ، عن أحمد بن النضر ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما شهد رجلٌ على رجل بكفر قطّ إلاّ

وقيل : إنّما قال على جهة التغليظ لأنّه يخرجه إلى الفسق والكفر ، وقال الكرماني في شرح البخاري : هو بكسر مهملة وخفّة موحّدة أي شتمه أو تشاتمهما و « قتاله » أي مقاتلته « كفر » فكيف يحكم بتصويب المرجئة في أنّ مرتكب الكبيرة غير فاسق.

الحديث الثالث : صحيح .

و كسب العداوة بالسبّ معلوم ، وهذه من مفاسده الدنيويّة .

الحديث الرابع : صحيح .

وقدمرّ في باب السّفه باختلاف في صدر السّند ، وكان فيه مالم يتعدّ المظلوم ، وقدمرّ الكلام فيه ، وماهنا يدلّ على أنّه إذا اعتذر إلى صاحبه وعفى عنه سقط عنه الوزر بالأصالة وبالسببيّة ، والتعزير أوالحدّ أيضاً ولا اعتراض للحاكم ، لأنّه حقّ آدمي تتوقّف إقامته على مطالبته ، ويسقط بعفوه .

الحديث الخامس : ضعيف .

« ماشهد رجل » بأن شهد به عند الحاكم أو أتى بصيغة الخبر نحو أنت كافر ، أو بصيغة النداء نحو : ياكافر ، وقال الجوهري : قال الأخفش « وباءوا بغضب من الله »[1] اي رجعوا به أي صار عليهم ، انتهى .

---

(١) سورة البقرة : ٦١ .

بء به أحدهما ، إن كان شهد [به] على كافر صدق و إن كان مؤمناً رجع الكفر عليه ، فإيّاكم و الطعن على المؤمنين .

وفي قوله : فإيّاكم ، إشارة إلى أنّ مطلق الطّعن حكمه حكم الكفر في الرجوع إلى أحدهما ، وقوله : إن كان ، استيناف بيانيّ .

و كفر الساب مع أنّ محض السبّ وإن كان كبيرة لايوجب الكفر ، يحتمل وجوهاً أشرنا إلى بعضها مراراً : « الأوّل » أن يكون المراد به الكفر الذي يطلق على مرتكبي الكبائر في مصطلح الآيات والاخبار .

الثاني : أن يعود الضمير إلى الذنب أو الخطاء المفهوم من السيّاق لاإلى الكفر .

الثالث : عود الضمير إلى التكفير لاإلى الكفر ، يعني تكفيره لأخيه تكفير لنفسه ، لأنّه لمّا كفر مؤمناً فكأنّه كفّر نفسه ، وأورد عليه أنّ التكفير حينئذ غيرمختصّ بأحدهما لتعلّقه بهما جميعاً ، ولايخفى مافيه وفي الثاني من التكلّف .

الرابع : ماقيل : أنّ الضمير يعود إلى الكفر الحقيقيّ لأنّ القاتل اعتقدأنّ ما عليه المقول له من الايمان كفر «فقد كفر» لقوله تعالى : « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله » (١) ويرد عليه أن القائل بكفر أخيه لم يجعل الايمان كفراً بل أثبت له بدل الايمان كفراً توبيخاً وتغيّراً له بترك الايمان ، وأخذ الكفر بدلامنه ، وبينهما بون بعيد ، نعم يُمكن تخصيصه بما إذا كان سبب التكفير اعتقاده بشيء من أصول الدّين ، الذي يصير إنكاره سبباً للكفر باعتقاد القائل كما إذا كفّر عالم قائل بالاختيار عالماً آخر قائلا بالجبر ، أو كفّر قائل بالحدوث قائلاً بالقدم ، أو قائل بالمعاد الجسمانيّ منكراً له ، وأمثال ذلك ، وهذا وجه وجيه وإن كان في التخصيص بعد .

---

(١) سورة المائدة : ٥٠ .

• • • • • • • • • •

وقال الجزرى في النهاية : فيه : من قال لأخيه ياكافر فقد باء به أحدهما ، لانه إمّا أن يصدق عليه أو يكذب ، فان صدق فهو كافر وإن كذب عاد الكفر إليه بتكفيره أخاه المسلم ، والكفر صنفان أحدهما الكفر بأصل الايمان وهو ضدّه ، والآخر الكفر بفرع من فروع الاسلام فلا يخرج به عن أصل الايمان ، وقيل : الكفر على أربعة أنحاء : كفر إنكار بأن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به ، و كفر جحود ككفر ابليس يعرف الله بقلبه ولا يقرّ بلسانه ، و كفر عناد وهو أن يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به حسداً وبغياً ككفر أبى جهل وأضرابه ، و كفر نفاق وهو أن يقرّ بلسانه ولا يعتقد بقلبه .

قال الهروى : سئل الازهرى عمّن يقول بخلق القرآن أتسمّيه كافراً ؟ فقال : الذى يقوله كفر ، فأعيد عليه السؤال ثلاثاً ويقول مثل ما قال ، ثمّ قال في الآخر : قد يقول المسلم كفراً ، وعنه حديث ابن عبّاس قيل له : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » [1] قال : هم كفرة ، وليسوا كمن كفر بالله واليوم الآخر ، ومنه الحديث الآخر: انّ الاوس والخزرج ذكروا ماكان منهم في الجاهليّة فثار بعضهم إلى بعض السيوف ، فأنزل الله تعالى : « و كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله » [2] ولم يكن ذلك على الكفر بالله ، ولكن على تغطيتهم ماكانوا عليه من الالفة والمودّة .

ومنه حديث ابن مسعود : إذا قال الرجل للرّجل أنت لى عدوّ فقد كفر أحدهما بالاسلام ، أراد كفر نعمته لأنّ الله ألّف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخواناً ، فمن لم يعرفها فقد كفرها .

و كذلك الحديث : من أتى حايضاً فقد كفر، وحديث الأنواء إنّ الله ينزل الغيث فيصبح به قوم كافرين ، يقولون مطرنا بنوء كذا و كذا أى كافرين بذلك دون

(١) سورة المائدة : ٤٢ . (٢) سورة آل عمران : ١٠١ .

٦ ـ الحسن بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الحسن بن عليّ الوشّاء ، عن عليّ ابن أبي حمزة ، عن أحدهما عليهما السلام قال : سمعته يقول : إنّ اللّعنة إذا خرجت من في صاحبها تردّدت فإن وجدت مساغاً و إلّا رجعت على صاحبها .

٧ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن عليّ ، عن عليّ

غيره حيث ينسبون المطر إلى النوء دون الله ، ومنه الحديث: فرأيت أكثر أهلها النساء لكفرهنّ قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : لاولكن يكفرن الاحسان ، ويكفرن العشير ، أي يجحدن احسان أزواجهن ، والحديث الآخر : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ، والأحاديث من هذا النوع كثيرة وأصل الكفر تغطية الشيء تستهلكه .

الحديث السادس : ضعيف على المشهور .

وقال في النهاية : في حديث أبي أيّوب إذا شئت فاركب ، ثمّ سغ في الأرض ماوجدت مساغاً، أي أدخل فيها ما وجدت مدخلاً وروى في المصابيح عن رسول الله أنّه قال: إنّ العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السّماء ، فتغلق أبواب السّماء دونها ، ثمّ تهبط إلى الارض فتغلق أبوابها دونها ، ثمّ تأخذ يميناً وشمالا فاذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن ، فان كان لذلك أهلا وإلّا رجعت إلى قائلها .

وفي النهاية : اللّعن الطّرد والابعاد من الله تعالى ، ومن الخلق السبّ والدّعاء .

وأقول :كأنّ هذا محمول على الغالب ، وقد يمكن أن يكون اللاعن والملعون كلاهما من أهل الجنّة كما إذا ثبت عند اللاّعن كفر الملعون واستحقاقه اللّعن ، وإن لم يكن كذلك ، فانّه لا تقصير للاّعن في اللّعن ، وقد يمكن أن يجرى أكثر من اللّعن بسبب ذلك كالحدّ والقتل والقطع بشهادة الزور ، ويحتمل أن يكون المراد بالمساغ محلّ الجواز والغدر في اللّعن ،أو يكون المساغ بالمعنى المتقدّم كناية عن ذلك ، فانّ اللاّعن إذا كان معذوراً كان مثاباً عليه فيصعد لعنه إلى السّماء ويثاب عليه .

الحديث السابع : موثق كالصحيح .

ابن عقبة ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي حمزة الثمالي قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ اللّعنة إذا خرجت من في صاحبها تردّدت بينهما فإن وجدت مساغاً و إلاّ رجعت على صاحبها .

٨ ـ أبوعليّ الأشعري ، عن محمّد بن حسّان ، عن محمّد بن عليّ ، عن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إذا قال الرّجل لأخيه المؤمن : اُفّ خرج من ولايته و إذا قال : أنت عدوّي كفر أحدهما ، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً و هو مضمر على أخيه المؤمن سوءاً .

ويمكن إجراء بعض التأويلات السّابقة فيه بل كلها وإن كان أبعد .

الحديث الثامن : ضعيف على المشهور .

ولعلّ في السند تصحيفاً أو تقديماً وتأخيراً فانّ محمّد بن سنان ليس هنا موضعه وتقديم محمّد بن على عليه أظهر « خرج عن ولايته » أى محبّته ونصرته الواجبتين عليه ، ويحتمل أن يكون كناية عن الخروج عن الايمان لقوله تعالى : «إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض» ثمّ قال : «و الذين كفروا بعضهم أولياء بعض »[1] و قال سبحانه « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»[2] «وإذا قال : أنت عدوّى كفر أحدهما» لما مرّ من أنه إن كان صادقاً كفر المخاطب ، وإن كان كاذباً كفر القائل ، وقدمرّ معنى الكفر .

« وهو مضمر على أخيه المؤمن سوءاً » أي يريد به شرّاً أو يظنّ به ما هو بريء عنه ، أو لم يثبت عنده وليس المراد به الخطرات الّتي تخطر في القلب لأنّ دفعه غيرمقدور ، بل الحكم به وإن لم يتكلّم ، وأمّامجرّد الظنّ فيشكل التكليف بعدمه مع حصول بواعثه ، وأمّا الظنّ الذي حصل من جهة شرعيّته فالظاهر أنّه خارج عن ذلك لترتّب كثيرمن الأحكام الشرعيّة عليه كمامرّ ، ولا ينا في ماورد أنّ الحزم

---

(١) سورة الانفال : ٧٢ . (٢) سورة التوبة : ٧١ .

٩ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن سنان، عن حمّاد بن عثمان ، عن ربعي ، عن الفضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : مامن إنسان يطعن في عين مؤمن إلاّ مات بشرّ ميتة و كان قمناً أن لا يرجع إلى خير .

﴿باب﴾

﴿التهمة و سوء الظن﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الايمان من قلبه

مساءة الظنّ لانّ المراد به التحفّظ والاحتياط في المعاملات دون الظنّ بالسّوء .

الحديث التاسع : ضعيف على المشهور .

« يطعن في عين مؤمن » أي يواجهه بالطّعن والعيب و يذكره بمحضره ، قال في المصباح : طعنت عليه من باب قتل ومن باب نفع لغة : قدحت وعبت ، طعناً وطعاناً فهوطاعن وطعان في الأعراض، وفي القاموس عيّن فلاناً أخبره بمساويه في وجهه ، انتهى .

والظاهر أنّه أعمّ من أن يكون متّصفاً بها أم لا ، والميتة بالكسر للهيئة والحالة ، قال الجوهري : الميتة بالكسر كالجلسة والركبة يقال : مات فلان ميتة حسنة ، والمراد بشرّ الميتة إمّا بحسب الدنيا كالغرق والحرق والهدم وأكل السّبع وساير ميتات السّوء ، أو بحسب الآخرة كالموت على الكفر أو على المعاصي بلاتوبة وفي الصّحاح أنت قمن أن تفعل كذا ، بالتحريك أي خليق وجدير ، لا يثنّى ولا يجمع ولا يؤنّث ، فان كسرت الميم أو قلت قمين ثنيت وجمعت .

« إلى خير » أي إلى التوبة وصالح الأعمال أو إلى الايمان .

باب التهمة وسوء الظن

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

في القاموس : الوهم من خطرات القلب و هو مرجوح طرفي المتردّد فيه ، ووهم في الشيء كوعد ذهب وهمه إليه ، وتوهّم ظنّ واتّهمه كافتعله وأوهمه أدخل

كما ينماث الملح في الماء .

٢ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسين بن حازم ، عن حسين بن عمر بن يزيد ، عن أبيه قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من اتّهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما و من عامل أخاه بمثل ما عامل به

عليه التُّهَمة كهمزة أي ما يتّهم عليه ، فاتّهم هو فهو متّهم و تهيم ، وفي المصباح : اتّهمت بكذاظننته به فهو تهيم ، واتّهمته في قوله شككت في صدقه ، والاسم التهمة وزان رطبة والسكون لغة حكاها الفارابي ، وأصل التاء واو ، وقال : ماث الشيء موثاً من باب قال ويميث ميثاً من باب باع لغة : ذاب في الماء ، وماثه غيره من باب قال ، يتعدّى ولايتعدّى ، وماثت الارض لانت وسهلت ، وفي القاموس: ماث موثاً وموثاناً محرّكة خلطه ودافه فانماث إنميائاً ، انتهى .

وكأنّ المراد هنا بالتهمة أن يقول فيه ماليس فيه ممّا يوجب شينه ، ويحتمل أن يشمل سوء الظنّ أيضاً ، ومن في قوله « من قلبه » إمّا بمعنى في كما في قوله تعالى: « إذا نودى للصّلوة من يوم الجمعة »(١) أو ضمّن فيه معنى الذهاب أو الزوال ونحوه ، ويحتمل التعليل لأنّ ذلك بسبب فساد قلبه ، وقيل : إنّماقال كذلك للتنبيه على فساد قلبه حتّى أنّه ينما في الايمان ويوجب فساده .

الحديث الثاني : مرسل مجهول .

وقوله : في دينه ، يحتمل تعلّقه بالأُخوة أو بالتهمة والأوّل أظهر كما مرّ ، وعلى الثاني التهمة بترك شيء من الفرائض أو إرتكاب شيء من المحارم ، لأنّ الاتيان بالفرائض والاجتناب عن المحارم من الدين كما أنّ القول الحقّ والتصديق به من الدين « فلا حرمة بينهما » أي حرمة الايمان ، كناية عن سلبه ، والحاصل أنّه انقطعت علاقة الاخوّة وزالت الرابطة الدينيّة بينهما ، في القاموس : الحرمة بالضمّ وبضمّتين و كهمزة ما لا يحلّ انتهاكه ، والذمّة والمهابة والنصيب « ومن يعظّم

---

(١) سورة الجمعة : ٩ .

الناس فهو بريء ممّا ينتحل .

٣ ـ عنه ، عن أبيه ، عمّن حدّثه ، عن الحسين بن المختار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً و أنت تجد لها في

حرمات الله » أي ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه .

« بمثل ما عامل به الناس » أي المخالفين أوالأعمّ منهم ومن فسّاق الشيعة ، وممّن لا صداقة وأخوّة بينهما « والتسوية في المعاملة » بأن يربح عليهما على حدّ سواء ، ولا يخصّ أخاه بالرعاية والمسامحة و ترك الربح أوتقليله ، وشدّة النصيحة وحفظ حرمته في الحضور والغيبة والمواساة معه، وأمثال ذلك ممّا هومقتضى الاخوّة كما فصّل في الأخبار الكثيرة .

« فهو بريء ممّن ينتحل » أي من يجعل هو أو أخوه ولايتهم نحلة ومذهباً وهم الربّ سبحانه ورسوله والائمة عليهم السلام ، والظاهر أنّ المستتر في ينتحل راجع إلى العامل لا إلى الأخ تعريضاً بأنّه خارج من الدين فانّ الانتحال ادّعاء ما ليس له ولم يتّصف به ، في القاموس : انتحله وتنحّله ادّعاه لنفسه وهو لغيره ، وفي أكثر النسخ ممّا ينتحل وهو أظهر ، فالمراد بما ينتحل التشيّع أو الأخوّة .

الحديث الثالث : مرسل .

« ضع أمر أخيك » أي احمل ما صدر من أخيك من قول أو فعل على أحسن محتملاته وإن كان مرجوحاً من غير تجسّس حتى يأتيك منه أمر لا يمكنك تأويله فانّ الظنّ قد يخطي والتجسّس منهيّ عنه كما قال تعالى : « إنّ بعض الظنّ إثم »(١) وقال : « ولا تجسّسوا » (٢) .

وقوله : وما يغلبك ، في بعض النسخ بالغين فقوله منه متعلّق بيأتيك ، أي حتّى يأتيك من قبله ما يعجزك ولم يمكنك التأويل ، وفي بعض النسخ بالقاف من باب

(١و٢) سورة الحجرات : ١٢ .

الخير محملاً .

ضرب كالسّابق ، أو من باب الافعال فالظّرف متعلّق بيقلبك والضمير للاحسن ، وقوله عليه السّلام : ولاتظنّن ، تأكيد لبعض أفراد الكلام أو السّابق محمول على الفعل .

وهذه الجملة مرويّة في نهج البلاغة وفيه : من أحد، ومحتملا ، والحاصل أنّه إذا صدرت منه كلمة ذات وجهين وجب عليك أن تحملها على الوجه الخير وإن كان معنى مجازيّاً بدون قرينة أو كناية أو تورية أو نحوها ، لا سيّما إذا إدّعاه القائل ومن هذا القبيل ماسمّاه علماء العربيّة أسلوب الحكيم ، كما قال الحجّاج للقبعثرى متوعّداً له بالقيد : لأحملنّك على الأدهم ! فقال القبعثرى : مثل الأمير يحمل على الأشهب والأدهم فأبرز وعيده في معرض الوعد ، ثمّ قال الحجاج للتصريح بمقصوده أنّه حديد ، فقال القبعثرى : لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً .

و قال الشّهيد الثاني روّح الله روحه و غيره ممن سبقه : إعلم أنّه كما يحرم على الانسان سوء القول في المؤمن وأن يحدّث غيره بلسانه بمساوي الغير ، كذلك يحرم عليه سوء الظنّ وأن يحدّث نفسه بذلك ، والمراد من سوء الظنّ المحرّم عقد القلب وحكمه عليه بالسوء من غير يقين ، فامّا الخواطر وحديث النفس فهو معفوّ عنه كما أنّ الشكّ أيضاً معفوّ عنه ، قال الله تعالى : « اجتنبوا كثيراً من الظنّ إنّ بعض الظنّ إثم » فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءاً إلاّ إذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل ، ومالم تعلمه ثمّ وقع في قلبك فالشيطان يلقيه ، فينبغي أن تكذّبه فانّه أفسق الفسّاق ، وقد قال الله تعالى : « يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة »[1] فلايجوز تصديق ابليس ، ومن هنا جاء في الشرع أنّ من علمت في فيه رائحة الخمر لايجوز أن تحكم عليه بشربها ولا يحدّ عليه لامكان

---

(١) سورة الحجرات : ٦ .

أن يكون تمضمض به ومجّه ، أوحمل عليه قهراً وذلك أمرممكن ، فلا يجوز إساءة الظنّ بالمسلم ، وقد قال ﷺ : انّ الله تعالى حرّم من المسلم دمه و ماله و أن يظنّ به ظنّ السوء ، فلا يستباح ظنّ السوء إلاّ بما يستباح به الدّم أو المال ، وهو بعين مشاهدة أو ببيّنة عادلة ، فأمّا إذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظنّ فينبغي أن تدفعه عن نفسك وتقرّر عليها أنّ حاله عندك مستور كما كان ، فانّ ما رأيته فيه يحتمل الخير والشرّ .

فان قلت : فبما ذا يعرف عقد سوء الظنّ والشكوك تختلج والنفس تحدّث ؟

فأقول : إمارة عقد سوء الظنّ أن تتغيّر القلب معه عمّا كان فينفر عنه نفوراً لم يعهده ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقّده واكرامه والاهتمام بسببه ، فهذه إمارات عقد الظنّ وتحقيقه ، وقد قال ﷺ : ثلاث في المؤمن لا يستحسن وله منهنّ مخرج فمخرجه من سوء الظن أن لا يحقّقه أي لا يحقّق في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح ، أمّا في القلب فبتغيّره إلى النفرة والكراهة ، وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرّر على القلب بأدنى مخيلة مساءة الناس ، ويلقي إليه أنّ هذا من فطنتك و سرعة تنبّهك و ذكائك ، و أنّ المؤمن ينظر بنور الله و هو على التحقيق ناظر بغرور الشيطان وظلمته .

فأمّا إذا أخبرك به عدل فمال ظنّك إلى تصديقه كنت معذوراً لأنّك لو كذّبته لكنت جافياً على هذا العدل إذ ظننت به الكذب ، وذلك أيضاً من سوء الظنّ ، فلا ينبغي أن تحسن الظنّ بالواحد وتسيء بالآخر ، نعم ينبغي أن تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة ومقت فيتطرّق التهمة بسببه ؟ وقد ردّ الشرع شهادة العدوّ على عدوّه للتهمة ، فلك عند ذلك أن تتوقّف في إخباره وإن كان عدلا ولا تصدّقه ولا تكذّبه ولكن تقول المستور حاله كان في ستر الله عنّي ، وكان أمره محجوباً وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من أمره .

. . . .

وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا محاسدة بينه و بين المذكور ، ولكن يكون من عادته التعرّض للناس و ذكر مساويهم ، فهذا قد يظنّ انّه عدل وليس بعدل ، فانّ المغتاب فاسق وإذا كان ذلك من عادته ردّت شهادته إلاّ أنّ الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا في أمر الغيبة ولم يكترثوا بتناول أعراض الخلق ، ومهما خطر ذلك خاطر سوء على مسلم فينبغي أن تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير ، فانّ ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك ، فلا يلقي إليك الخاطر السّوء خيفة من اشتغالك بالدّعاء والمراعاة .

ومهما عرفت هفوة مسلم بحجّة فانصحه في السّر ولا يخدعنّك الشيطان فيدعوك إلى إغتيابه ، وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطّلاعك على نقصه لينظر إليك بعين التعظيم وتنظر إليه بعين الاستصغار ، وترتفع عليه بدلالة الوعظ وليكن قصدك تخليصه من الاثم وأنت حزين كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان ، وينبغي أن يكون تركه ذلك من غير نصيحتك أحبّ إليك من تركه بالنصيحة ، وإذا أنت فعلت ذلك لكنت جمعت بين أجر الواعظ وأجر الغمّ بمصيبته وأجر الاعانة له على دينه .

ومن ثمرات سوء الظنّ التجسّس فانّ القلب لا يقنع بالظنّ ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسّس وهو أيضاً منهيّ عنه ، قال الله : « ولا تجسّسوا » فالغيبة وسوء الظنّ و التجسس منهيّ عنها في آية واحدة ، ومعنى التجسّس أنّه لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصّل إلى الاطلاع وهتك السّتر حتّى ينكشف لك ما لو كان مستوراً عنك لكان أسلم لقلبك ودينك ، انتهى .

﴿ باب ﴾

(من لم يناصح اخاه المؤمن)

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسن بن عليّ بن النعمان ، عن أبي حفص الأعشى ، عن أبيعبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله : من سعى في حاجة لأخيه فلم ينصحه فقد خان الله و رسوله .

٢ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : أيّما مؤمن مشى في حاجة أخيه فلم يناصحه فقد خان الله و رسوله .

٣ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ؛ و أبوعليّ الأشعري، عن محمّد بن حسّان ، جميعاً ، عن إدريس بن الحسن ، عن مصبّح بن هلقام قال : أخبرنا أبوبصير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : أيّما رجل من أصحابنا استعان به رجلٌ من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكلّ جهد فقد خان الله و رسوله و المؤمنين ،

باب من لم يناصح اخاه المؤمن

الحديث الاول : مجهول .

« فلم يناصحه » وفي بعض النسخ فلم ينصحه أي لم يبذل الجهد في قضاء حاجته ولم يهتمّ بذلك ولم يكن غرضه حصول ذلك المطلوب ، قال الراغب : النصح تحرّي قول أو فعل فيه صلاح صاحبه ، انتهى .

وأصله الخلوص وهو خلاف الغشّ وقد مرّ تحقيقه مراراً ، ويدلّ على أنّ خيانة المؤمن خيانة لله والرّسول .

الحديث الثاني : موثق .

الحديث الثالث : مجهول .

وفي القاموس : الجهد الطاقة ، ويضمّ والمشقّة، وأجهد جهدك أي أبلغ غايتك

قال أبوبصير : قلت : لأبي عبدالله عليه السلام : ماتعني بقولك : والمؤمنين ؟ قال : من لدن أمير المؤمنين إلى آخرهم .

٤ ـ عنهما جميعاً ، عن محمد بن علي ، عن أبي جميلة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من مشى في حاجة أخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه .

٥ ـ عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابه ، عن حسين ابن حازم ، عن حسين بن عمر بن يزيد ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من استشار

وجهد كمنع جد كاجتهد ، قوله : من لدن أمير المؤمنين ، يحتمل أن يكون المراد بهم الائمة عليهم السلام كما مر في الأخبار الكثيرة تفسير المؤمنين في الآيات بهم عليهم السلام فانهم المؤمنون حقاً الذين يؤمنون على الله فيجيز أمانهم ، وأن يكون المراد مايشمل ساير المؤمنين ، وأما خيانة الله فلأنه خالف أمره و ادعى الايمان ولم يعمل بمقتضاه وخيانة الرسول والأئمة عليهم السلام لأنه لم يعمل بقولهم ، وخيانة ساير المؤمنين لأنهم كنفس واحدة ولأنه إذا لم يكن الايمان سبباً لنصحه فقد خان الايمان واستحقره ولم يراعه وهو مشترك بين الجميع فكأنه خانهم جميعاً .

الحديث الرابع : ضعيف .

« وكأن الله خصمه » أي يخاصمه من قبل المؤمن في الآخرة أو في الدنيا أيضاً فينتقم له فيهما .

الحديث الخامس : مجهول .

وفي المصباح شرت العسل أشوره شوراً من باب قال جنيته ، و شرت الدابة شوراً عرضته للبيع ، وشاورته في كذا واستشرته راجعته لأرى فيه رأيه ، فأشار علي بكذا أراني ما عنده فيه من المصلحة ، فكانت إشارته حسنة والاسم المشورة ، وفيه لغتان سكون الشين وفتح الواو ، والثانية ضم الشين وسكون الواو وزان معونة ، ويقال هي من شار إذا عرضه في المشوار ، ويقال : من أشرت العسل ، فشبه حسن النصيحة

أخاه فلم يمحضه محض الرّأي سلبه الله عزّ وجلّ رأيه .

٦ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى بن عبيد ، عن يونس ، عن سماعة قال: سمعت أباعبدالله عليه‌السلام يقول : أيّما مؤمن مشى مع أخيه المؤمن في حاجة فلم يناصحه فقد خان الله ورسوله .

﴿ باب خلف الوعد ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : سمعت أباعبدالله عليه‌السلام يقول : عدة المؤمن أخاه نذرٌ لا كفّارة له ، فمن أخلف فبخلف

بشري العسل ، وتشاور القوم و اشتوروا و الشورى إسم منه .

« فلم يمحضه » من باب منع أو من باب الافعال ، في القاموس : المحض اللبن الخالص ، ومحضه كمنعه سقاه المحض كأمحضه ، وأمحضه الودّ أخلصه كمحّضه والحديث صدّقه والاُمحوضة النصيحة الخالصة ، وقوله : محض الرأي ، إمّا مفعول مطلق أومفعول به ، وفي المصباح الرأي العقل والتدبير ، ورجل ذورأي أي بصيرة .

الحديث السادس : موثّق وقدمرّ باختلاف في أوّل السّند .

باب خلف الوعد

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

قال الراغب : الوعد يكون في الخير والشرّ ، يقال : وعدته بنفع وضرّ وعداً وموعداً وميعاداً ، والوعيد في الشرّ خاصّة يقال منه : أوعدته ، ويقال واعدته وتواعدنا وقال : النذر أن توجب على نفسك ماليس بواجب يقال : نذرت لله نذراً ، وقال الجوهري : الوعد يستعمل في الخير والشرّ قال الفراء : يقال وعدته خيراً ووعدته شرّاً ، فاذا اسقطوا الخير والشرّ قالوا في الخير الوعد والعدة ، و في الشرّ الايعاد والوعيد ، قال الشاعر :

الله بدأ ولمقته تعرّض وذلك قوله : « يا أيّها الّذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون * كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لاتفعلون »[1] .

وإنّي وإن أوعدته أووعدته لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

فان أدخلوا الباء في الشرّ جاؤا بالألف ، يقال : أوعدنى بالسّجن ، والعدة الوعد والهاء عوض عن الواو ، ويجمع على عدات ، ولايجمع الوعد ، انتهى .

فقوله عليه السلام : نذر أى كالنذر في جعله على نفسه أو في لزوم الوفاء به وهو أظهر ، وعدم الكفّارة الظاهر أنّه للتغليظ كاليمين الغموس أو للتخفيف وهو بعيد .

« فيخلف الله بدءاً » لأنّ الله أخذ على العباد العهد بأن يعملوا بأوامره وينتهوا عمّا نهى عنه ، ولمّا أمر بالوفاء بالعهد ونهى عن الخلف عنه فمن أراد خلف العهد خالف الله فيما عاهده عليه ، و إن كان معفوّاً مع عدم الفعل « ولمقته » أى غضبه سبحانه « تعرّض » .

وأمّا الآية فقال الطبرسى (ره) : قيل انّ الخطاب للمنافقين وهو تقريع لهم بأنّهم يظهرون الايمان ولايبطنونه ، وقيل : انّ الخطاب للمؤمنين وتعيير لهم أن يقولوا شيئاً ولايفعلونه ، قال الجبائىّ : هذا على ضربين: أحدهما أن يقول سأفعله ومن عزمه أن لايفعل وهو قبيح مذموم ، والآخر أن يقول سأفعل ومن عزمه أن يفعله والمعلوم أن لايفعله فهذا قبيح لأنّه لايدرى أيفعله أم لا ، وينبغى في مثل هذا أن يقرن بلفظ إنشاء الله « كبر مقتاً عندالله » . اى كبر هذا القول وعظم مقتاً عندالله وهو أن تقولوا مالاتفعلونه وقيل : معناه كبر أن تقولوا مالاتفعلونه وتعدوا من أنفسكم مالاتفون به مقتاً عندالله .

وقال البيضاوى: روى أنّ المسلمين قالوا لو علمنا أحبّ الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا ، فأنزل « انّ الله يحبّ الذّين يقاتلون في سبيله »[2] فولّوا يوم أحد فنزلت : « كبر مقتاً » المقت أشدّ الغضب ونصبه على التميز للدلالة على أنّ قولهم

(١و٢) سورة الصف : ٢-٤ .

هذا مقت خالص كبير عند من يحقر عنده كلّ عظيم ، مبالغة في المنع عنه .

و قال الرازى : منهم من قال هذه الآية في حقّ جماعة من المؤمنين وهم الّذين أحبّوا أن يعملوا بأحبّ الأعمال إلى الله تعالى ، فأنزل الله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة تنجيكم»[١] الآية ، « و انّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله » فأحبّوا الجهاد و تولّوا يوم احد ، فأنزل الله تعالى : « لم تقولون ما لا تفعلون » و قيل : في حقّ من يقول قاتلت ولم يقاتل ، و طعنت ولم يطعن ، و فعلت ولم يفعل ، و قيل : انّها في حقّ أهل النفاق في القتال لأنّهم تمنّوا القتال ، فلمّا أمر الله تعالى به « قالوا لم كتبت علينا القتال » و قيل : انّها في حقّ كلّ مؤمن لأنّهم قد اعتقدوا الوفاء بما وعدهم الله من الطاعة و الاستسلام والخضوع والخشوع، فاذا لم يوجد الوفاء بما وعدهم الله خيف عليهم ، انتهى .

و أقول : الآية تحتمل وجوهاً بحسب ظاهر اللّفظ :

الاوّل : ما يظهر من هذا الخبر من أنّها في التعيير على خلف الوعد من الناس، و يؤيّده ما روى في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : و الخلف يوجب المقت عند الله و الناس ، قال الله سبحانه : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون» فيكون على سبيل القلب ، و يكون المعنى لم لا تفعلون ما تقولون ، أو يقال: النهى المفهوم من الآية يتوجّه إلى القيد ، و هو عدم الفعل كما إذا قال : لا تأتني راكباً فانّ النهى يتوجّه إلى الركوب ، أو يكون محمولا على وعد لا يكون صاحبه عند الوعد عازماً على الفعل ، فيكون مشتملا على نوع من التدليس والكذب ، و الأوّل أظهر و هذا النوع من الكلام شايع .

الثانى : أن يكون المراد بها ذمّ مخالفة عهود الله و مواثيقه ، كما هو ظاهر

(١) سورة الصف : ١٠ .

٢ ـ عليٌّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن شعيب العقرقوفي ، عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد .

بعض ماتقدّم من قول المفسّرين، ويحتمل ايضاً الوجهين السّابقين بأن يكون الذمّ على عدم الفعل أو على القول مع عدم إرادة الفعل ، ويؤيّده ما ذكر عليّ بن ابراهيم (ره) حيث قال : مخاطبة لأصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله الذين وعدوه أن ينصروه ولا يخالفوا أمره ، ولا ينقضوا عهده في أميرالمؤمنين عليه‌السلام ، فعلم الله أنهم لا يفون بما يقولون ، فقال : «لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عندالله » الآية ، فقد سمّاهم الله مؤمنين باقرارهم و إن لم يصدقوا .

الثالث : أن يكون المراد أعمّ من عهود الله و عهود الخلق فلا ينافي هذا الخبر ، و به يجمع بين الأخبار ، و خصوص أخبار النزول لا ينافي عموم الحكم .

الرّابع : أن يكون المعنى لم تقولون للناس و تأمرونهم بما لا تعملون به فيكون نظير قوله سبحانه : « أتأمرون الناس بالبرّ و تنسون أنفسكم »[1] و هذا المعنى ليس ببعيد من الآية ، و إن لم يذكره المفسّرون و هو أيضاً يرجع إلى ذمّ عدم الفعل لا القول ، فانّ بذل العلم واجب و العمل به أيضاً واجب ، فمن تركهما ترك واجبين ، و من أتى بأحدهما فقد فعل واجباً ، لكن ترك العمل مع القول أقبح و أشنع وقد مرّ بعض القول فيه .

الحديث الثاني : حسن كالصحيح .

« من كان يؤمن بالله » يحتمل أن يكون على وفق ساير الأوامر و النواهي المتوجّهة إلى المؤمنين لكونهم المنتفعين بها ، ويمكن أن يكون إشارة إلى أنّ ذلك مقتضى الايمان و من لوازمه ، فمن لم يفعل ذلك فليس بمؤمن ، و قيل : أنّ إدخال كان على المضارع لافادة استمراره في الماضي ، فيدلّ على أنّ خلف الوعد يوجب

(١) سورة البقرة : ٤٤ .

• • • • • • • • • •

إبطال الايمان و كماله فيما سبق .

ثمّ اعلم أنّ هذين الحديثين مع قوّة سندهما يدلاّن على وجوب الوفاء بالوعد ، و الخبر الأوّل فيه تهديد شديد ، و يدلّ على نزول الآية في خلف الوعد وهي مشتملة على تأكيدات و مبالغات ، فالآية بتوسّط الخبر المعتبر تدلّ أيضاً على وجوب الوفاء به .

فان قيل : الآية لمّا كانت محتملة لوجوه شتّى فالاستدلال بالآية مع قطع النظر عن الخبر مشكل لا سيّما وقد ورد في الأخبار الخاصيّة و العاميّة أنّها في المنافقين و المخالفين ، فالاستدلال إنّما هو بالخبر ؟

قلت : لا يبعد إدّعاء ظهور الآية باطلاقها أو بعمومها لاسيّما مع كون «ما» موصوفة فيما يشمل خلف الوعد أيضاً ، وقد عرفت أنّ خصوص سبب النزول لايصير سبباً لخصوص الحكم ، فظهر أنّه يمكن الاستدلال بالآية مع قطع النظر عن الخبر أيضاً ، و ظاهر أكثر أصحابنا إستحباب الوفاء به إن لم يكن في ضمن عقد لازم ، و يدلّ على الوجوب أيضاً ما مرّ في كثير من الأخبار أنّه من صفات الايمان ، و انّ خلفه من صفات النفاق .

وقد مرّ في باب أصول الكفر أنّه سئل الصّادق عليه السلام : رجل على هذا الأمر إن حدّث كذب و إن وعد أخلف وإن ائتمن خان ما منزلته ؟ قال : هي أدنى المنازل من الكفر و ليس بكافر ، و في الباب المذكور عنه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً و إن صام و صلّى و زعم انّه مسلم ، من إذا ائتمن خان ، و إذا حدّث كذب ، و إذا وعد أخلف ، وقد روى أيضاً في الموثّق و غيره عن أبي- عبدالله عليه السلام قال : من عامل الناس فلم يظلمهم و حدّثهم فلم يكذبهم ، و وعدهم فلم يخلفهم ، كان ممّن حرمت غيبته و كملت مروّته ، و ظهر عدله و وجبت اخوّته .

فيدلّ على أنّ من أخلف الوعد تجوز غيبته ، و معلوم أنّه ليس تجويز

. . . .

الغيبة هنا إلاّ من جهة الفسق .

فان قيل : المترتّب على هذه الصفات أربعة امور مفهومه انّ مع عدم كلّ من تلك الخصال لا تجتمع تلك الأربعة ، فلعلّ ذلك بانتفاء أمر آخر سوى حرمة الغيبة .

قلت : الظاهر من العطف استقلال كلّ في الحكم ، كما إذا قلت جاء زيد و عمرو ، كان بمنزلة قولك جاء زيد و جاء عمرو ، و كون الواو بمعنى مع نادر .

ثمّ اعلم أنّه لابدّ من تقييد الخبر بما إذا لم يرتكب ساير الكبائر ، بل المقصود في الخبر إفادة المفهوم لا المنطوق فافهم ، و الأخبار في ذلك كثيرة و يستفاد من عموم كثير من الآيات أيضاً ذلك نحو قوله سبحانه : « و أوفوا بالعهد إنّ العهد كان مسئولا »[1] و يشمل بعمومه أو إطلاقه عهود الخلق أيضاً ، و العهد و الوعد متقاربان ، و قوله : « و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا »[2].

وروى الصّدوق في الخصال باسناده عن عنبسة بن مصعب قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ثلاثة لم يجعل الله تعالى لأحد فيه رخصة : برّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين ، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر ، وأداء الامانة للبرّ والفاجر .

ويؤيّدها أيضاً أخبار كثيرة كما روى الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا قال الرّجل للرّجل هلمّ أحسن بيعك يحرم عليه الربح ، وقد ورد في أخبار صحيحة وغير صحيحة : المسلمون عند شروطهم إلاّ ما خالف كتاب الله ، وليس فيها التقييد بكونها في ضمن العقد ، و كذا ماروى الشيخ في التهذيب باسناده عن اسحاق بن عمار عن أبي جعفر عن أبيه عليهما السلام أنّ علياً عليه السلام كان يقول : من شرط لامرأته شرطاً فليف به ، فانّ المسلمين عند شروطهم إلاّ شرطاً حرّم حلالا ، أو أحلّ حراماً .

(١) سورة الاسراء : ٣٤ .
(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

. . . .

وقد يستدلّ على الجواز بما رواه الكليني (ره) باسناده عن الحسين بن المنذر قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : يجيئني الرّجل فيطلب العينة فأشترى له المتاع مرابحة ثمّ أبيعه إيّاه ثمّ اشتريه منه مكاني ؟ قال : إذا كان بالخيار إن شاء باع وإن شاء لم يبع ، و كنت أنت بالخيار إن شئت اشتريت و إن شئت لم تشتر فلا بأس .

وباسناده عن خالد بن الحجاج قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : الرجل يجيء فيقول: إشتر هذا الثوب وأربحك كذا و كذا ، قال : أليس إن شاء تركوان شاءأخذ ؟ قلت : بلى قال : لا بأس به ، إنّما يحلّ الكلام ويحرّم الكلام .

وباسناده أيضاً عن معاوية بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام : يجيئني الرجل فيطلب منّي بيع الحرير و ليس عندي منه شيء فيقاولني عليه و أقاوله في الربح والاجل حتّى نجتمع على شيء ، ثمّ اذهب فاشترى له الحرير فأدعوه إليه ؟ فقال : أرأيت إن وجد بيعاً هو أحبّ إليه ممّا عندك أيستطيع أن ينصرف إليه ويدعك أو وجدت أنت ذلك أتستطيع أن تنصرف إليه وتدعه ؟ قلت : نعم قال : لا بأس .

وروى مثله باختلاف يسير بأسانيد كثيرة .

ووجه الاستدلال بها أنّها تدلّ على أنّ محض المواعدة بينهما لا يوجب الوفاء من الجانبين ما لم يكن بيعه وكالة عنه .

والجواب أنّه يحتمل أن يكون المعنى أنّها ليست مواعدة حتميّة بل يقول اشتر لنفسك إن شئت اشتريته منك وإلاّ فلا ، لكنّه بعيد .

وأقول : يمكن أن يستدلّ بماورد في الايمان والنذور من أنّه مع عدم التلّفظ بالصيغة بشرائطها لا يلزمه الوفاء بها ، وظاهرها شمولها لما إذا وقعت المواعدة بينهما و يمكن أن يستدلّ عليه بما رواه الكليني (ره) عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن

. . . .

إسماعيل بن مرار عن يونس في المدبّر والمدبرة يباعان يبيعهما صاحبهما في حياته فاذا مات فقد عتقا ، لأنّ التدبير عدة وليس بشيء واجب ، فاذا مات كان المدبّر من ثلثه الذي يتركه ، وفرجها حلال لمولاها الذي دبّرها ، وللمشترى الذى اشتراها حلال بشرائه قبل موته ، فانّ الظاهر أنّه فرع كون عدم الوجوب على كونه عدة فيدلّ على أنّه لا يجب الوفاء بها .

ويردعليه وجوه من الايراد : الأوّل : انّ الخبر مجهول بابن مرار فلايمكن اثبات نفي الوجوب به .

الثاني : أنّه موقوف لم يسنده إلى إمام ويشبه أن يكون من اجتهادات يونس وتلفيقاته كماهودأبه في أكثر المواضع ، ولذا كان المحدّثون يقدحون فيه مع جلالته بالاجتهاد و الرأى ، وتشويش الكلام يدلّ عليه أيضاً .

الثالث : انّ ماتضمّنه من حكم التدبير خلاف المشهور بين الاصحاب لاسيّما المتأخّرين .

الرابع : أنّ قوله : عدة معلوم أنّه ليس بمحمول على الحقيقة ، بل هو على التشبيه والمجاز ، فانّ التدبير إمّا عتق بشرط أو وصيّة بالعتق باتّفاق الخاصّة والعامّة وليس شيء منهما وعداً ، بل الوعد مايعده الرجل أن يفعله بنفسه ، فيمكن أن يكون التشبيه من جهة أنّه لايترتّب عليه حكمه الآن ، بل يتوقّف على حلول الأجل.

الخامس : سلّمنا أنّ الحمل على الحقيقة لا نسلّم كون عدم الوجوب تفريعاً بل يمكن أن يكون تقييداً له .

السادس : أنّه لو سلّمنا أنّه تفريع فالتفريع من جهة أنّه لا يترتّب عليه حكم العتق قبل الأجل وإلّا لكان الكلام متناقضاً ، ونحن لا نقول في الوعد أنّه يجب الوفاء به قبل محلّه بل نرجع ونستدلّ به على وجوب الوفاء بالوعد لانّه فرع وجوب التدبير ولزومه بعد الموت ، على كونه عدة فالوفاء بالوعد بعد حلول الاجل واجب ،

. . . .

فظهر انّ مفاد كلامه انّ التدبير ليس عتقاً منجّزاً لا يمكن التصرّف في المدبّر، قبل حلول الاجل الذى هو الموت، بل هو عدة أي معلّق على شرط وليس بشيء واجب أي لازم منجّز يترتب عليه حكمه عند ايقاعه، بل يتوقّف على حصول شرطه فلا دلالة له على عدم وجوب الوفاء بالوعد، بل دلالته على الوجوب أقرب، وبقي في زوايا المقام خبايا أحلناها على فهم المتأمّل.

وقد يستدلّ على عدم الجواز بأنّه كذب وهو قبيح وحرام، وعندي فيه نظر لا لما قيل أن الكذب لا يكون إلاّ في الماضي أو الحال ولا يكون في المستقبل، فانّه سخيف فانّ المنكر للمعاد لا ريب أنّه كاذب، والمنجّم إذا أخبر بوقوع أمر في المستقبل ولم يقع يقال: أنّه كاذب، ويصدق عليه تعريف الكذب، بل لأنّ الوعد ليس من هذا القبيل بل هو معاملة تجرى بين المتواعدين، فانّ المولى إذا قال لعبده إذا فعلت الفعل الفلاني أعطيتك درهماً وإذا فعلت الفعل الفلاني ضربتك سوطاً ليس المراد به الاخبار من وقوع أحد الأمرين بل هو إلزام أمر عليه أو على نفسه، وإن علم أنّه لا يوقعه كالبيع والشّراء والبيعة، فانّها إنشاء أمر يوجب عليه متابعة من بايعه لا محض الاخبار عن ذلك، فانّا نجد الفرق بين أن يعد زيد عمرواً أن يعطيه درهماً أو بأن يخبر بأن سيعطيه درهماً لكن ليس من إنشاء إلاّ ويلزمه خبر يجرى فيه الصّدق والكذب، فما ورد من نسبة الصدق إلى الوعد من هذا القبيل، كقوله تعالى: « إنّه كان صادق الوعد »[1] فاذا خالف الوعد فليس هذا من الكذب المصطلح في شيء، نعم إذا وعده وكان عازماً على عدم الوفاء كان كذبه في لازم الانشاء، فانّ الوعد يدلّ ضمناً على أنّه عازم على الوفاء، كما أنّ أضرب يدلّ على انّه يريد ايقاع الضرب وليس مدلول الوعد الاخبار عن أنّه عازم على أن يفعل ذلك، وحرمة هذا الكذب الضمني في محلّ المنع، وكذا شمول الآيات والأخبار الدالة على حرمة الكذب له ممنوع.

---

(١) سورة مريم: ٥٣.

• • • • • • • • • •

ولو سلّم فلا يدلّ على حرمة الخلف مطلقاً قال الراغب : الصدق والكذب أصلهما في القول ماضياً كان أو مستقبلا ، وعداً كان أو غيره ، ولا يكونان بالقصد الأوّل إلاّ في القول ، ولا يكون من القول إلاّ في الخبر دون غيره من أصناف الكلام ، ولذلك قال : « ومن أصدق من الله قيلا »[١] « و من أصدق من الله حديثاً »[٢] « واذكر في الكتاب اسماعيل انّه كان صادق الوعد »[٣] وقد يكونان بالعرض في غيره من أنواع الكلام الاستفهام والأمر والدّعا وذلك ، نحو قول القائل : أزيد في الدار ؟ فانّ في ضمّنه اخباراً بكونه جاهلا بحال زيد ، وكذا إذا قال. واسنى ، في ضمنه أنّه محتاج إلى المواساة ، وإذا قال : لا تؤذني ففي ضمنه أنّه يؤذيه ، وقد يستعمل الصدق والكذب في كلّ ما يحقّ ويحصل في الاعتقاد ، نحو صدق ظنّي و كذب ، ويستعملان في أعمال الجوارح فيقال : صدق في القتال إذا وفي حقّه ، وفعل على ما يجب و كما يجب ، و كذب في القتال إذا كان على خلاف ذلك ، قال الله تعالى : «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه »[٤] أي حققّوا العهد بما أظهروه من أفعالهم ، انتهى .

فقد تبيّن انّ للصدّق والكذب معانى غير المعنى المصطلح ، فنسبة الصدق والكذب إلى الوعد محمول على بعض تلك المعانى المجازيّة ، فظهر أنّ حسن الوفاء بالوعد أو وجوبه ليس من جهة أنّ مخالفته تستلزم الكذب حتّى يقال: أنّ ذلك يجرى في الوعيد أيضاً ، ويجاب بأنّ الكذب في المصلحة حسن، بل من جهة أنّ العقل يحكم بحسن الوفاء بالعهد أو بقبح خلفه ، ويحكم في الوعيد بخلاف ذلك ، و كذلك

(١و٢) سورة النساء : ١٢٢ ، ٧٨ .

(٣) سورة مريم : ٥٤ .

(٤) سورة الاحزاب : ٢٣ .

• • • • • • • • • •

الكلام في وعده سبحانه ووعيده ، لكن مخالفة الوعد فيه تعالى محال لاخباره بأنّه لا يخلف الميعاد ، بخلاف الوعيد فانّه لم يقل أنّه لا يخلف الوعيد بل وعد عباده بالعفو والصّفح والمغفرة ، وليس ذلك من الكذب في شيء ، هذا ما تبيّن لي في هذا المقام لكن ظاهر المحقّقين من أصحابنا والمخالفين أنّ الوعد من نوع الخبر وهو محتمل للصدق والكذب وكذا الوعيد ، مع أنّ ظاهر أكثر أصحابنا أنّ الوفاء بالوعد مستحبّ كما قالوا في كثير من الشروط إذا لم يكن في ضمن العقد اللاّزم هو وعد يستحبّ الوفاء به ، ولنذكر بعض كلماتهم :

قال السّيد الشريف في حاشية شرح التخليص : الخبر إذا قيد حكمه بزمان أو قيد آخر كان صدقه بتحقّق حكمه في ذلك الزمان أو مع ذلك القيد ، وكذبه بعدمه فيه أو معه ، وإذا لم يقيّد فصدقه بتحقّقه في الجملة ، وكذبه بمقابله ، فاذا قلت أضرب زيداً وأردت الاستقبال فان تحقّق ضربك إيّاه في وقت من الأوقات المستقبلة كان صادقاً وإلاّ فكاذباً ، وكذلك إذا قلت أضربه يوم الجمعة أو قائماً فلا بدّ في صدقه من تحقّق ضربك إيّاه وتحقّق ذلك القيد معه ، فان لم يضربه أو ضربه في غير حالة القيام كان كاذباً ، وكذلك إذا كان القيد ممتنعاً كقولك أضربه في زمان لا يكون ماضياً ولا حالا ولا مستقبلا ، فالخبر يكون كاذباً .

وبالجملة انتفاء القيد سواء كان ممتنعاً أو غير ممتنع يوجب انتفاء المقيّد من حيث هو مقيّد فيكذب الخبر الذي يدلّ عليه ، وكيف لا وقولك أضربه يوم الجمعة أو قائماً مشتمل على وقوع الضرب منك عليه ، وعلى كون ذلك الضرب واقعاً يوم الجمعة أو مقارناً للقيام ، فلو فرض انتفاء القيام مثلا لم يكن الضرب المقارن له موجوداً فينتفي مدلول الخبر ، فيكون كاذباً سواء وجد منك ضرب في حال غير القيام أو لم يوجد ، انتهى .

. . . .

وهذا لا دلالة فيه على كون الوعد خبراً بل إنّما يدلّ على أنّه يمكن تعلّق الخبر بالمستقبل ولا ريب فيه ، وإن زعم بعضهم اختصاصه بالماضي والحال كما عرفت والخبر عن الآتي لا ينحصر في الوعيد والوعد ، بل يمكن أن يكون الغرض فيه محض الاخبار .

وإنّما أوردت ذلك لئلاّ يتوهّم متوهّم أنّه يمكن الاستدلال به وإن كان لا حجّة في قوله ، ولتستعين به على فهم بعض ما سيأتي من الوجوه في بعض الآيات .

وقال في شرح المقاصد : تمسّك القائلون بجواز العفو عقلا وإمتناعه سمعاً بالنصوص الواردة في وعيدالفسّاق وأصحاب الكبائر ،فلو تحقّق العفو وترك العقوبة بالنار لزم الخلف في الوعيد والكذب في الاخبار ، و اللازم باطل فكذا الملزوم ، وأجيب : بأنّهم داخلون في عمومات الوعد بالثواب و دخول الجنّة على مامرّ ، والخلف في الوعد لوم لا يليق بالكريم وفاقاً ، بخلاف الخلف في الوعيد فانّه ربّما يعدّ كرماً .

ثمّ ساق الكلام إلى أن قال : نعم لزوم الكذب باخبار الله تعالى مع الاجماع على بطلانه ولزوم تبديل القول مع النصّ الدالّ على انتفائه مشكل ، فالجواب الحقّ أنّ من تحقّق العفو في حقّه يكون خارجاً عن عموم اللفظ بمنزلة التائبين .

فان قيل : صيغة العموم المعرية عن دليل الخصوص يدلّ على إرادة كلّ فرد ممّا يتناوله التنصيص عليه باسم الخاص ، فاخراج البعض بدليل متراخ يكون نسخاً وهو لا يجري في الخبر للزوم الكذب ، وإنّما التخصيص هو الدلالة على أنّ المخصوص غير داخل في العموم ولا يكون ذلك إلاّ بدليل متّصل ؟

قلنا : ممنوع بل إرادة الخصوص من العامّ والتقييد من المطلق شايع من غير دليل متّصل ، ثمّ دليل التخصيص والتقييد بعد ذلك و إن كان متراخياً بيان لا نسخ

. . . .

وهذا هو المذهب عند الفقهاء الشافعية والقدماء من الحنفية ، وكانوا ينسبون القول بخلاف ذلك إلى المعتزلة ، إلاّ أنّ المتأخّرين منهم تعدّون ذلك نسخاً ويخصّون التخصيص بما يكون دليله متّصلا ويجوّزون الخلف في الوعيد ، ويقولون الكذب يكون في الماضي دون المستقبل ، وهذا ظاهر الفساد فانّ الاخبار بالشيء على خلاف ماهو كذب،سواء كان في الماضي أو في المستقبل ، قال الله تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروامن أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً »[1] ثمّ قال : « والله يشهد إنّهم لكاذبون ، لئن أخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم» على أنّ المذهب عندنا أنّ اخبارالله تعالى أزليّ لا يتعلّق بالزمان ولا يتغيّر المخبر به،على ما سبق في بحث الكلام .

ثمّ قال : وللامام الرازي هنا جواب إلزاميّ وهو أنّ صدق كلامه لمّا كان عندنا أزليّاً امتنع كذبه ، لأنّ ماثبت قدمه امتنع عدمه ، وأمّاعندكم فانّما امتنع كذبه لكونه قبيحاً ،ولم قلتم أنّ هذا الكذب قبيح وقد توقّف عليه العفو الذيهو غاية الكرم ، وهذا كمن أخبر أنّه يقتل زيداً غداً ظلماً ، ففي الغد إمّا أن يكون الحسن قتله وهو باطل ، وأمّا ترك قتله وهو الحقّ لكنّه لا يوجد إلاّ عند وجود الكذب ، وما لا يوجد الحسن إلاّ عند وجوده حسن قطعاً فهذا الكذب حسن قطعاً .

ويمكن دفعه بأنّ الكذب في إخبار الله تعالى قبيح وإن تضمّن وجوهاً من المصلحة ، وتوقّف عليه أنواع من الحسن لما فيه من مفاسد لا تحصى ، ومطاعن في الاسلام لا تخفى ، منها مقال الفلاسفة في المعاد ، ومجال الملاحدة في العناد ، ومنها بطلان ما وقع عليه الاجماع من القطع بوجود الكفّار في النار ، فانّ غايه الأمر شهاده النصوص القاطعة بذلك وإذا جاز الخلف لم يبق القطع إلاّ عندشر ذمة لا

---

(١) سورة الحشر : ١١ .

. . . .

يجوّزون العفو عنهم في الحكمة ، على مايشعر به قوله تعالى : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون »[1] وغير ذلك من الآيات .

ووجه التفرقة أنّ المعاصي قلّما تخلو عن خوف عقاب ورجاء رحمة وغيرذلك من خيرات تقابل ما ارتكب من المعصية اتّباعاً للهوى ، بخلاف الكافر ، وأيضاً الكفر مذهب والمذهب يعتقد للأبد وحرمته لا تحتمل الارتفاع أصلا ، فكذلك عقوبته بخلاف المعصية فانّها لوقت الهوى والشهوة ، وأمّا من جوّز العفو عقلا والكذب في الوعيد إمّا قولا بجواز الكذب المتضمّن لفعل الحسن ، أو بأنّه لا كذب بالنسبة إلى المستقبل ، فمع صريح إخبار الله تعالى بأنّه لا يعفو عن الكافر ، ويخلده في النار ، فجواز الخلف وعدم وقوع مضمون هذا الخبر محتمل ، ولمّا كان هذا باطلا علم أنّ القول بجواز الكذب في إخبار الله تعالى باطل قطعاً .

وقال المحقّق الدواني في شرح العقائد: لايجب الثواب عليه تعالى في الطاعة ولا العقاب على المعصية ، خلافاً للمعتزلة والخوارج، فانّهم أوجبوا عقاب صاحب الكبيرة إذامات بلاتوبة على الله تعالى ، وحرّموا عليه العفو ، واستدلّوا عليه بأنّ الله تعالى أوعد مرتكب الكبيرة بالعقاب ، فلولم يعاقب لزم الخلف في وعيده والكذب في خبره ، وهما محالان على الله تعالى .

وأجيب عنه: بأنّ غايته عدم وقوعه ولايلزم منه الوجوب على الله تعالى ، واعترض عليه الشريف العلاّمة بأنّه حينئذ يلزم جوازهما وهو محال ، لانّ إمكان المحال محال ، وأجاب عنه بانّ استحالتهما ممنوعة كيف وهما من الممكنات يشملهما قدرة الله تعالى عليهما .

قلت : الكذب نقص والنقص عليه تعالى محال ، فلايكون من الممكنات ولا يشملهما القدرة كساير وجوه النقص عليه كالجهل والعجز ونفي صفة الكلام وغيرها

(١) سورة القلم : ٣٥ .

. . . .

من صفات الكمال ، بل الوجه في الجواب ما أشرنا إليه سابقاً من أنّ الوعد والوعيد مشروطتان بقيود وشروط معلومة من النصوص فيجوز التخلّف بسبب انتفاء بعض تلك الشروط ، وأنّ الغرض منهما إنشاء الترغيب والترهيب .

على أنّه بعد التسليم إنّما يدلّ على أنّ استحالة وقوع التخلّف لا على الوجوب عليه ، إذ فرق بين استحالة الوقوع وبين الوجوب عليه كما انّ ايجاد المحال محال على الله تعالى ، ولا يقال : أنّه حرام عليه بل الوجوب والحرمة ونحوهما فرع القدرة على الواجب والحرام .

واعلم أنّ بعض العلماء ذهب إلى أنّ الخلف في الوعيد جايز على الله تعالى ، وممّن صرّح به الواحدي في تفسير الوسيط في قوله تعالى في سورة النساء : « ومن يقتل مؤمناً متعمّداً فجزاؤه جهنّم خالداً فيها » [1] حيث قال : والأصل في هذا أنّ الله تعالى يجوز أن يخلف الوعيد وإن كان لا يجوز أن يخلف الوعد وبهذا وردت السنّة ، ثمّ ذكر في ذلك أخباراً .

ثم قال : وقيل : إنّ المحقّقين على خلافه كيف وهو تبديل للقول وقد قال الله تعالى : « ما يبدّل القول لديّ » [2] قلت : انّ حمل آيات الوعيد على إنشاء التهديد ، فلا خلف لأنّه حينئذ ليس خبراً بحسب المعنى وإن حمل على الاخبار كما هو الظاهر ، فيمكن أن يقال بتخصيص المذنب المغفور عن عمومات الوعيد بالدلائل المفصّلة ولا خلف على هذا التقدير أيضاً فلا يلزم تبدّل القول ، وأمّا إذا لم نقل بأحد هذين الوجهين فيشكل التفصّي عن لزوم التبدّل والكذب ، إلاّ أن تحمل آيات الوعيد على استحقاق ما أوعد به لا على وقوعه بالفعل ، وفي الآية المذكورة إشارة إلى ذلك حيث قيل « فجزاؤه جهنم خالداً فيها » انتهى .

---

(١) سورة النساء :٩٣ .

(٢) سورة ق : ٢٩ .

• • • • • • • • • •

وقال الرازي في تفسير قوله تعالى : « بلى من كسب سيّئة وأحاطت به خطيئته »[١] اختلف أهل القبلة في وعيد أصحاب الكبائر فمن الناس من قطع بوعيدهم وهم فريقان ، منهم من أثبت الوعيد المؤبّد وهو قول جمهور المعتزلة والخوارج ، ومنهم من أثبت وعيداً منقطعاً ، ومن الناس من قطع بأنّه لاوعيد لهم وهو قول شاذّ ، والقول الثالث إنّا نقطع بأنّه سبحانه يعفو عن بعض العصاة وعن بعض المعاصي ، لكنّا نتوقّف في حقّ كلّ أحد على التعيين أنّه هل يعفو عنه أم لا ، ونقطع بأنّه إذا عذّب أحداً منهم فانّه لايعذّبه أبداً بل يقطع عذابه وهو قول أكثر الصّحابة والتابعين وأهل السنّة والجماعة وأكثر الاماميّة ، وبسط الكلام في ذلك بما لامزيد عليه ولا يناسب ذكرها في هذا المقام ، ويرجع حاصل أجوبته عن دلائل الخصم إلى أنّ آيات العفو مخصّصة ومقيّدة لآيات العقاب .

وقال في قوله تعالى : « إنّ الله لايخلف الميعاد »[٢] كلاماً طويلا في ذلك ثمّ قال في آخر كلامه : فأمّا قولك إنّه لولم يفعل لصار كاذباً أومكذّباً نفسه ، فجوابه أنّ هذا إنّما يلزم لوكان الوعيد ثابتاً جزماً من غير شرط ، وعندي جميع الوعيدات مشروط بعدم العفو ، فلايلزم من تركه دخول الكذب في كلام الله ، انتهى .

وممّا يدلّ على أنّهم يعدّونه خبراً أنّهم يحكمون بوجوب الاستثناء فيما يعده الانسان أويخبر بايقاعه ، إمّا بالقول أوبالضمير ، قال السيد المرتضى رضي الله عنه عند تأويل قوله تعالى : « ولقد فتنّا سليمان »[٣] الآية ، فأمّا قول بعضهم أنّ ذنبه من حيث لم يستشهد بمشيّة الله لمّا قال: تلد كلّ واحدة منهنّ غلاماً فهذا غلط ، لأنّه عليه السلام وإن لم يستثن ذلك فقد استثناه ضميراً واعتقاداً ، إذ لوكان قاطعاً مطلقا للقول

---

(١) سورة البقرة : ٨١ .

(٢) سورة آل عمران : ٩ .

(٣) سورة ص : ٣٤ .

. . . .

لكان كاذباً ، أومطلقا لمالايأمن أن يكون كذباً ، وذلك لايجوز عندمن جوّز الصغائر على الأنبياء .

ونحوهقال الشيخ الطبرسي قدّس سرّه في تأويل تلك الآية ، وهذا الكلام وإن كان فيماظاهره الخبر لكن سيأتي منهما رضي الله عنهما مايدلّ على أنّهم لايفرّقون في ذلك بين الوعد والخبر .

وأقول : كلام كثير من أصحابنا جار هذا المجرى ، وسلّموا كون الوعد أوالوعيد خبراً فعلى هذا يشكل القول بجواز مخالفة الوعد من غير عذر ومصلحة ، وأمّا الوعيد فتكون مخالفته من قبيل الكذب المجوّز للمصلحة إذ لاخلاف في أنّ خلف الوعيد ليس بحرام بل هو حسن ، فيكون جوازه مشروطاً بمصلحة مجوّزة للكذب ، والقول بهذا أيضاً مشكل فانّ العبد إذا استحقّ من المولى تأديباً وأوعده ذلك من غيرمصلحة في ذلك الوعيد ، ثمّ عفى عنه يكون كذباً بغير مصلحة وحراماً ، ولاأظنّ أحداً قال بذلك إلاّ أن يقال العفومن الصفات الحسنة والأفعال الجميلة ، فاذا صادف الكذب يصير به حسناً ، وفيه بعد .

وأيضاً لوكان قبح خلف الوعد من جهة الكذب لزم إذا قال رجل أركب غداً مخبراً بذلك من غير أن يعد أحداً ثمّ بداله ولم يركب أن يكون عاصياً ، ولعلّه ممّالم يقل بهأحد ، فالأولى جعلهما من قبيل الانشاء لاالخبر ، فلايوصفان بالصدق والكذب ، وإطلاقهما عليهما على التوسّع والمجاز .

وممّا ينبّه على ذلك أنّ الصدق والكذب إنّما يطلقان على مايتّصف بهما حين القول ، لامايكون تصديقه وتكذيبه باختيار القائل ، وليس هذا دليلا ولكنّه منبّه ويمكن المناقشة فيه .

فان قيل : لِمَ لم يعدّ أهل العربيّة الوعد من أقسام الانشاء؟ قلت: مدارهم على ذكر الاطلاقات اللغويّة ومصطلحاتهم ، ولذا لم يعدّوا بعت واشتريت وأنكحت

• • • • • • • • • •

وآجرت وأمثالها من أنواع الانشاء ، لانّها من الحقايق الشرعيّة لامن الحقايق اللغويّة .

قال الشهيد قدّس سرّه: الانشاء أقسام القسم والأمر والنهي والترجّي والعرض والنداء قيل : وهذه تبتني على كونها إنشاء في الاسلام والجاهليّة ، وأمّا صيغ العقود فالصحيح أنّها إنشاء ، وقال بعض العامّة : هي إخبار على الوضع اللغويّ والشرع قدّم مدلولاتها قبل النطق بها لضرورة تصديق المتكلّم بها والاضمار أولى من النقل، وهو تكلّف .

ثمّ اعلم أنه على تقدير القول بالوجوب، فالظّاهر أنّه يستثنى منه أمور: الاول : الاستثناء بالمشيّة ، وقول إن شاءالله فانّه يحلّ النذور والأيمان المؤكّدة كما صرّح به في الأخبار ويدلّ عليه قوله تعالى : « ولاتقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله »[1] .

قال الطبرسي قدّس سرّه قد ذكر في معناه وجوه : أحدها أنّه نهي من الله لنبيّه عليه وآله السّلام أن يقول أفعل شيئاً في الغد إلاّ أن يقيّد ذلك بمشيّة الله تعالى ، فيقول: إن شاءالله، قال الاخفش: وفيه إضمار القول ، فتقديره إلاّ أن تقول إن شاءالله، فلمّا حذف تقول نقل إن شاءالله إلى لفظ الاستقبال، فيكون هذا تأديباً من الله لعباده وتعليماً لهم أن يعلّقوا مايخبرون به بهذه اللفظة حتّى يخرج عن حدّ القطع ، فلا يلزمهم كذب أوحنث إذالم يفعلوا ذلك لمانع ، وهذا معنى قول ابن عبّاس .

وثانيها : أنّ قوله أن يشاءالله بمعني المصدر وتعلّق بماتعلّق به على ظاهره، وتقديره ولاتقولنّ إنّي فاعل شيئاً غداً إلاّ بمشيّةالله ، عن الفرّاء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ، ولايحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ، ومعناه لاتقل إنّي

(١) سورة الكهف : ٢٤ .

. . . .

أفعل إلاّ مايشاءالله ويريده ، وإذا كان الله تعالى لايشاء إلاّ الطاعات فكأنّه قال لاتقل إنّي أفعل إلاّ الطاعات ، ولايطعن على هذا بجواز الاخبار عمّا يفعل من المباحات التي لايشاءها الله تعالى ، لأنّ هذا النهي نهي تنزيه لانهي تحريم ، بدلالة أنّه لولم يقل ذلك لم يأثم بلاخلاف .

وثالثها: أنّه نهى عن أن يقول الانسان سأفعل غداً وهو يجوز الاخترام قبل أن يفعل ما أخبر به فلايوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب ، ولايأمن أيضاً أن لايوجد مخبره بحدوث شيء من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز ، أوبأن يبدوله هو في ذلك فلايسلم خبره من الكذب إلاّ بالاستثناء الّذي ذكره الله تعالى ، فاذا قال انّي صائر غداً إلى المسجد إن شاء الله أمن من أن يكون خبره هذا كذباً لأنّ الله إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غداً حصل المصير إليه منه لامحالة ، فلايكون خبره هذا كذباً وإن لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنّه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيّة الله تعالى عن الجبائي ، وقدذكرنا فيما قبل ماجاء في الرواية أنّ النبي صلى الله عليه وآله سئل عن قصّة أصحاب الكهف وذي القرنين فقال : أخبركم عنه غداً ولم يستثن فاحتبس عنه الوحي أيّاماً حتّى شقّ عليه ، فأنزل الله هذه الآية يأمره بالاستثناء بمشيّة الله .

وقوله : « واذكر ربّك إذا نسيت »[١] فيه وجهان أحدهما أنّه كلام متّصل بماقبله ثمّ اختلف في ذلك فقيل : معناه واذكر ربّك إذا نسيت الاستثناء ثمّ تذكّرت فقل إن شاء الله ، وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة عن ابن عبّاس ، وقد روى ذلك عن أئمّتنا عليهم السلام ، ويمكن أن يكون الوجه فيه أنّه إذا استثنى بعد النسيان فانّه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثّر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام ،

(١) سورة الكهف : ٢٤ .

• • • • • • • • • •

وفي إبطال الحنث وسقوط الكفّارة في اليمين وهو الأشبه بمراد ابن عبّاس في قوله ، وقيل : فاذكر الاستثناء مالم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد ، وقيل : فاذكر الاستثناء إذا تذكّرت مالم ينقطع الكلام وهو الأوجه ، وقيل : معناه واذكر ربّك إذا نسيت الاستثناء بأن تندم على مافطعت عليه من الخبر عن الأصمّ ، والآخر انّه كلام مستأنف .

ثم قال (ره) : قال السيّد الأجلّ المرتضى قدّس الله روحه : إعلم انّ للاستثناء الداخل على الكلام وجوهاً مختلفة فقد يدخل في الايمان والطلاق والعتاق وساير العقود ومايجرى مجراها من الاخبار ، فاذا دخل في ذلك اقتضى التوقّف عن إمضاء الكلام والمنع من لزوم مايلزم به ، ولذلك يصير مايتكلّم به كأنّه لاحكم له ، وكذلك يصحّ على هذا الوجه أن يستثنى الانسان في الماضى فيقول : قد دخلت الدار إن شاءالله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً أويلزم به حكماً ، وإنّما لم يصحّ دخوله في المعاصى على هذا الوجه ، لأنّ فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى والمعاصى لايصحّ ذلك فيها .

وهذا الوجه أحدما يحتمله تأويل الآية ، وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختصّ بالطّاعات ، ولهذا جرى في قول القائل لأقضينّ غداً ماعلىّ من الدين أولاُصلينّ غداً إنشاءالله مجري أن يقول إنّى فاعل إن لطف الله فيه وسهّله ، ومتى قصد الحالف هذا الوجه لم يحنث إذا لم يقع منه الفعل أن يكون حانثاً أو كاذباً لأنّه إذا لم يقع منه الفعل علمنا أنّه لم يلطف فيه لأنّه لالطف له .

وهذا الوجه لايصحّ أن يقال في الآية لانّه يختصّ الطّاعات والآية تتناول كلّما لم يكن قبيحاً بدلالة إجماع المسلمين على حسن ماتضمّنته في كلّ فعل لم يكن قبيحاً .

• • • • • • • • • • •

وقد تدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ماهو عليه من الأحوال ، وهذا هو المراد إذا دخل في المباحات .

وهذا الوجه يمكن في الآية ، وقد يدخل إستثناء المشيّة في الكلام وإن لم يرد به شيء من المتقدّم ذكره ، بل يكون الغرض الانقطاع إلى الله من غير أن يقصد به إلى شيء من هذه الوجوه ؛ ويكون هذا الاستثناء أيضاً غير معتدّ به في كونه كاذباً أو صادقاً لانّه في الحكم كأنّه قال:لافعلن ّكذا إن وصلت إلى مرادى مع إنقطاعى إلى الله وإظهارى الحاجة إليه .

وهذا الوجه أيضاً يمكن في الآية ومتى تؤمّل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسئلة التى يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل من قولهم : لو كان الله تعالى إنّما يريد الطاعات من الأعمال دون المعاصى لوجب إذا قال الذى عليه الدّين وطالبه به:والله لأعطينّك حقّك غداً إن شاءالله ،أن يكون كاذباً أو حانثاً إذا لم يفعل لأنّ الله قد شاء ذلك منه عندكم وإن كان لم يقع ، ولكان يجب أن تلزمه به الكفّارة وأن لايؤثّر هذا الاستثناء في يمينه ، ولايخرجه من كونه حانثاً كما أنّه لوقال : والله لأعطينّك حقّك إن قام زيد فقام ولم يعطه فيكون حانثاً ، وفي إلتزام هذا الحنث خروج عن الاجماع « انتهى » وسيأتى تمام الكلام فيه في الاستثناء بالمشيّة انشاء الله .

وأقول : قد أطبق الأصحاب على أنّه يجوز للحالف الاستثناء في يمينه بمشيّة الله ، والمشهور أنّه يقتضى عدم إنعقاد اليمين ، وفصّل العلاّمة في القواعد فحكم بانعقاد اليمين مع الاستثناء إن كان المحلوف عليه واجباً أو مندوباً وإلاّ فلا ، ومستند المشهور وإن كان ضعيفاً لكنّه منجبر بالشهرة بين الامّة ، وأيضاً ظاهرا لأكثر عدم الفرق بين قصد التعليق والتبرّك ، وربّما يقصر الحكم على التعليق ، وأيضاً المشهور أنّ الاستثناء إنّما يكون باللفظ واستوجه في المختلف الاكتفاء بالنيّة وفيه نظر ،

• • • • • • • • • •

وورد في الأخبار جواز الاستثناء إلى أربعين يوماً ، ولعلّه في العمل بالسنّة لا التأثير في اليمين كما ذكره الطبرسي وسيأتي الكلام في جميع ذلك انشاء الله .

ولايبعد جريان جميع تلك الأحكام هنا بتقريب مامرّ وكما يظهر من كلام السيّد رضي الله عنه ، وكما يؤمي اليه الخبر : الاول : من تشبيهه بالنذر ، الثاني : ما اذا كان الأمر الموعود حراماً ، فانّه لاريب في عدم جواز الوفاء به ووجوب الخلف . الثالث : اذا كان الأمر الموعود مرجوحاً ديناً أودنياً فانّه لايبعد جواز الخلف فيه ، فانّ اليمين والنذر والعهد مع كونها عدة مؤكّدة مع الله وعهداً موثّقاً مقروناً باسمه سبحانه يجوز مخالفته فهذا يجوز الخلف فيه بطريق أولى ، وأيضاً يشمل تلك الاخبار مايتضمّن عدة لمؤمن أومؤمنة ، وقد ورد في أخبار كثيرة إذا رأيت خيراً من يمينك فدعها ، وفي بعضها اذا حلف الرّجل على شيء والذى حلف عليه اتيانه خير من تركه فليأت الّذى هوخير ولا كفّارة عليه ، وفي خبر آخر من حلف على يمين فرآى غيرها خيراً منها فأتى ذلك فهو كفّارة يمينه و له حسنة ، فعلى هذا لو وعده فيما فعله مكروه أو خلافه مستحبّ يجوز له الخلف ، و أمّا إذا كان خلافه راجحاً بحسب الدّنيا، فان تضمّن ضرراًبدنيّاً بالنسبة إلى الواعد أوغيره من المؤمنين أوهتك عرض له بيّناً بالنسبة إلى الواعد فيجوز الخلف فيه ، بل يجب في بعض الصور و إن تضمّن ضرراً ماليّاً قليلا لا يضرّ بحال الواعد ، فالظاهر عدم جواز الخلف على تقدير الوجوب و إلاّ يلزم أن لا يجب الوفاء في الوعد بالمال أصلا .

نعم إذا تضمّن تفويت مال بغير جهة شرعيّة كالسّرقة والغصب و فوت الغريم و نحو ذلك ، فلايبعد القول بالجواز كما جوّزوا قطع الصّلاة الواجبة له ، بل جوّز بعض الأصحاب ترك الحجّ أيضاً لذلك ، و جوّزوا لذلك التيمّم و ترك طلب الماء للطهارة .

الرابع : ماكان فعله راجحاً ديناً بحيث لايصل إلى حدّ الوجوب ومرجوحاً دنياً هل يجوز الخلف فيه ؟ ظاهر الأصحاب عدم جواز الخلف في اليمين ، و يظهر من كثير من الأخبار الجواز كقول أبي عبدالله عليه السلام في صحيحة زرارة : كلّما كان لك منفعة في أمر دين أو دنياً فلا حنث عليك ، و قول أبي جعفر عليه السلام في موثّقة زرارة : كلّ يمين حلفت عليها لك فيها منفعة في أمر دين أو دنيا فلا شيء عليك فيها ، و إنّما تقع عليك الكفّارة فيما حلفت عليه فيماالله فيه معصية أن لا تفعله ثمّ تفعله ، و في الحسن كالصحيح عن زرارة قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أيّ شيء لا نذر في معصية ؟ قال : فقال : كلّ ما كان لك فيه منفعة في دين أو دنيا فلا حنث عليك فيه ، فاذا كان في اليمين والنذر كذلك ففي الوعد كذلك ، بتقريب ما مرّ مع ما ورد في الخبر من تشبيهه بالنذر .

الخامس : ما كان مباحاً متساوي الطرفين فالمشهور في اليمين الانعقاد ، و في النذر عدمه ، و ظاهر كثير من الأخبار أنّ اليمين أيضاً لا ينعقد كما روى عن زرارة أنّه سأل أباعبدالله عليه السلام : أيّ شيء الذي فيه الكفّارة من الايمان ؟ فقال : ما حلفت عليه ممّا فيه البرّ فعليك الكفّارة إذا لم تف به ، وما حلفت عليه ممّا فيه المعصية فليس عليك فيه الكفّارة اذا لم تف به ، و ما حلفت عليه ممّا فيه المعصية فليس عليك فيه الكفّارة إذا رجعت عنه ، وما كان سوى ذلك ممّا ليس فيه برّ ولا معصية فليس بشيء ، وقد ورد مثله بأسانيد جمّة فالظاهر بتقريب مامرّ عدم الوجوب في الوعد ، و يدلّ عليه أيضاً تسميته نذراً في الخبر الاوّل ، إذ قوله عليه السلام: نذر ، الظاهر أنّ المراد به النذر الشرعيّ لااللغويّ لقوله : لا كفّارة ، فلمّالم يكن نذراً شرعيّاً فالغرض التشبيه به في الاشتراك في الاحكام ، و قوله : لا كفّارة له ، بمنزلة الاستثناء اذ هو بقوّة إلاّ أنّه لا كفّارة له، كما هو الظاهر من السياق ، و الاستثناء دليل العموم ، فالكلام في قوّة أنّه بحكم النذر ، و مشترك معه في الأحكام إلاّ في

• • • • • • • • • •

الكفارة ، فيجري فيه أحكام النذر .

السّادس : أنّه لا حكم له مع عدم القصد كالنذر و اليمين .

السّابع : أنّه لاحكم له مع الجبر و الاكراه والتقيّة ، وحفظ عرض مؤمن أو ماله أو دمه ، و كلّما يجوز فيه اليمين ، و ينحلّ به النذر كلّ ذلك بتقريب مامرّ ، و وجوه أخرى لا تخفى .

الثامن : أنّ النيّة فيه على قصد الحقّ و العبرة به كاليمين .

التّاسع : وعد الأهل كما مرّ في باب الكذب عن عيسى بن حسّان عن أبي عبدالله عليه السلام حيث قال : كلّ كذب مسئول عنه صاحبه يوماً إلاّ كذباً في ثلاثة، إلى أن قال : أو رجل وعد أهله شيئاً و هو لايريد أن يتمّ لهم ، و يمكن أن يستدلّ به على السادس والثامن ، وقد مرّ الكلام في تسميته كذباً ، وان حمل على الحقيقة، و قيل :بأنّ قبحه لكذب فأخبار جواز الكذب للمصلحة كثيرة ، وقد سبق بعضها، و الخبر يؤمي إلى جواز الخلف لقليل من المصالح الدنيويّة ، فكيف الدينيّة .

ثمّ اعلم أنّ كلّما ذكرنا فانّما هو في الوعد، وأمّا الوعيد فلا ريب في حسن الخلف فيه عقلا و نقلا كما مرّ بعض الكلام فيه في وعيدالله سبحانه ، و الأخبار الدالّة على الوجوب أو الرجحان إنّما هي في الوعد لا الوعيد ، و الخبر الاوّل أيضاً ورد بلفظ العدة وقد مرّ في كلام الجوهري أنّها في الوعد بالخير ، و الخبر الثاني ظاهر و الأخبار الواردة بحسن العفو عن الوعيد قولا و فعلا عن أئمّة الهدى عليهم السلام أكثر من أن تحصى .

واعلم ايضاً أنّ الوعد على تقدير القول بوجوب الوفاء به الظاهر أنّه لايوجب شغل ذمّة للواعد ولا حقّاً لازماً للموعود له يمكنه الاستعداء به والأخذ منه قهراً، بل الأظهر عندي في اليمين أيضاً كذلك ، بل حقّ لله عليه يلزمه الوفاء به ، و بهذا يظهر الفرق بين ما إذا كان في ضمن عقد لازم أو لم يكن ، و يمكن حمل كلام بعض

﴿باب﴾

✿ (من حجب اخاه المؤمن) ✿

١ ـ أبوعليّ الأشعري ، عن محمّد بن حسّان ، وعدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد ابن محمّد بن خالد، جميعاً ، عن محمّد بن عليّ ، عن محمّدبن سنان ، عن المفضّل بن عمر قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : أيّما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله عزّوجلّ

الأصحاب حيث حكموا بالفرق على هذا الوجه أيضاً و إن كان بعيداً ، والله تعالى يعلم حقايق الأحكام و حججه الكرام عليهم الصّلاة و السّلام .

وقد أطنبنا الكلام فيهذا المقام لأنّه ممّا يعمّ بهالبلوى، ولمأرمنالأصحاب من تصدّى لتحقيقه ، و في بالي إن وفّقنيالله تعالى أنأكتب فيه رسالة مفردة والله الموفّق .

باب من حجب اخاه المؤمن

الحديث الاول : ضعيف .

« كان بينه و بين مؤمن حجاب » أي مانع منالدخول عليه إمّا باغلاق الباب دونه أو إقامة بوّاب علىبابه يمنعه منالدخول عليه ، وقال الراغب : الضرب ايقاع شيء على شيء ، و لتصوّر اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها كضرب الشيء باليد والعصا ونحوهما، و ضرب الأرض بالمطر، وضربالدّراهم إعتباراً بضربه بالمطرقة، وقيل له الطبع اعتباراً بتأثير السكّة فيه ، وضرب الخيمة لضرب اوتادها بالمطرقة و تشبيهاً بضرب الخيمة قال : « ضربت عليهم الذلّة »[١] اى التحفتهم الذلّة إلتحاف الخيمة لمن ضربت عليه و منه استعير : « فضربنا على آذانهم في الكهف »[٢] و قال : « فضرب بينهم بسور »[٣] إلى آخر ما قال في ذلك .

---

(١) سورة آل عمران : ١١٢ .
(٢) سورة الكهف : ١١ .
(٣) سورة الحديد : ١٣ .

بينه و بين الجنّة سبعين ألف سور مابين السّور إلى السّور مسيرة ألف عام .

٢ ـ عليّ بن محمّد ، عن محمّد بن جمهور ، عن أحمد بن الحسين ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن محمّد ، عن محمّدبن سنان قال : كنت عندالرّضا صلوات‌الله عليه فقال لي : يامحمّد إنّه كان في زمن بني إسرائيل أربعة نفرمن المؤمنين فأتى واحدٌ منهم الثلاثة وهم مجتمعون في منزل أحدهم في مناظرة بينهم،فقرع‌الباب فخرج إليه الغلام فقال : أين مولاك ؟ فقال : ليس هو في‌البيت فرجع الرّجل ودخل‌الغلام إلى مولاه فقال‌له : من كان الّذي قرع‌الباب؟قال : كان فلان‌فقلت له : لست في‌المنزل ، فسكت ولم‌يكترث

« مسيرة ألف عام » أى من أعوام الدنيا ، و يحتمل عام الآخرة ، ثمّ الظاهر منه إرادة هذا العدد حقيقة ، و يمكن حمله على المجاز و المبالغة في بعده عن الرحمة و الجنّة ، أو على‌أنّه لا يدخلها إلاّ بعد زمان طويل تقطع فيه تلك‌المسافة البعيدة، و على التقادير لعلّه محمول على ما إذا كان الاحتجاب للتكبّر و الاستهانة بالمؤمن و تحقيره ، و عدم الاعتناء بشأنه لانّه معلوم أنّه لابدّ للمرء من ساعات في اليوم و اللّيلة يشتغل فيها الانسان باصلاح أمور نفسه و معاشه و معاده ، لا سيّما العلماء لاضطرارهم إلى المطالعة و التفكّر في المسائل الدينيّة و جمعها و تأليفها و تنقيحها، و جمع الأخبار و شرحها و تصحيحها وغير ذلك من‌الامور الّتى لابدّ لهم من‌الخوض فيها و الاعتزال عن الناس و التخلّي في مكان لا يشغله عنها أحد ، و الأدلّة في مدح العزلة والمعاشرة متعارضة وسيأتى تحقيقها إنشاءالله ، وقد يقال المراد بالجنّة جنّة معيّنة يدخل فيها من لم يحجب المؤمن . .

الحديث الثاني : ضعيف .

« كان فلان » قيل : كان تامّة أو فلان كناية عن إسم غير منصرف كأحد ، وأقول : يحتمل تقدير الخبر اى كان‌فلان‌قارع الباب ، وفي القاموس : ما اكترث له ما أبالي به .

ولم يلم غلامه ولا اغتمّ أحدٌ منهم لرجوعه عن الباب وأقبلوا في حديثهم، فلمّا كان من الغد بكّر إليهم الرَّجل فأصابهم وقد خرجوا يريدون ضيعة لبعضهم فسلّم عليهم وقال: أنا معكم ؟ فقالوا له : نعم ولم يعتذروا إليه وكان الرَّجل محتاجاً ضعيف الحال ، فلمّا كانوا في بعض الطريق إذا غمامة قد أظلّتهم فظنّوا أنّه مطر ، فبادروا فلمّا استوت الغمامة على رؤوسهم إذاً مناد ينادي من جوف الغمامة أيّتها النار خذيهم وأنا جبرئيل رسول الله ، فإذا نارٌ من جوف الغمامة قد اختطفت الثلاثة النفر وبقي الرَّجل مرعوباً يعجب ممّا نزل بالقوم ولا يدري ما السبب ؟ فرجع إلى المدينة فلقي يوشع بن نون عليه السلام فأخبره الخبر وما رأى وما سمع ، فقال يوشع بن نون عليه السلام : أما علمت أنَّ الله سخط عليهم بعد أن كان عنهم راضياً وذلك بفعلهم بك ، فقال : وما فعلهم بي ؟ فحدَّثه يوشع فقال الرَّجل : فأنا أجعلهم في حلّ وأعفو عنهم ، قال : لو كان هذا قبل لنفعهم

« فلمّا كان من الغد » قيل :كان تامّة و المستتر راجع إلى أمر الدَّهر ومن بمعنى في ، و في القاموس: بكر عليه و إليه و فيه بكوراً و بكّر و ابتكر و ابكر و باكره أتاه بكرة ، و كلّ من بادر إلى شيء فقد أبكر إليه في أيّ وقت كان ، و قال : الضيعة العقار و الأرض المغلّة .

« ولم يعتذروا إليه » ربما يفهم منه أنّه عرف أنّهم كانوا في البيت ولم يأذنوا له ، و فيه نظر بل الظاهر من آخر الخبر خلافه ، ويدلّ على أنّه لو صدر عن أحد مثل هذه البادرة كان عليه أن يبادر إلى الاعتذار وأنّه مع رضاه يسقط عنهم الوزر .

« ضعيف الحال » أي قليل المال « قد أظلّتهم » أي قربت منهم ، أو الشمس لمّا كانت في جانب المشرق وقعت ظلّها عليهم قبل أن تحاذي رؤوسهم «فظنّوا أنّه» أي سبب حدوث الغمامة «مطر، فبادروا» ليصلوا إلى الضيعة قبل نزول المطر ، والنفر لمّا كان في معنى الجمع جعل تميزاً للثلاثة «و أمّا السّاعة فلا »أي لا ينفعهم ليردّوا إلى الدنيا « و عسى أن ينفعهم » أي في البرزخ و القيامة .

فأمّا الساعة فلا، وعسى أن ينفعهم من بعد .

٣ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن بكر بن صالح ، عن محمّد بن سنان عن مفضّل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أيّما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجابٌ ضرب الله بينه وبين الجنّة سبعين ألف سور ، غلظ كلّ سور مسيرة ألف عام [ما بين السور إلى السور مسيرة ألف عام] .

٤ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبدالله بن جبلة عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ماتقول في مسلم أتى مسلماً زائراً [أوطالب حاجة] وهو في منزله ، فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج إليه ؟ قال : يا أباحمزة أيّما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله فاستأذن له ولم يخرج إليه لم يزل في لعنة الله حتّى يلتقيا فقلت : جعلت فداك في لعنة الله حتّى يلتقيا ؟ قال : نعم يا أباحمزة .

الحديث الثالث : ضعيف ، وقد مرّ مثله إلاّ أنّه لم يكن فيه «غلظ السور» .

الحديث الرابع : مجهول .

« أيّما مسلم » قيل : أيّ مبتدء و ما زائدة بين المضاف و المضاف إليه ، و أتى مسلماً خبره ، و الجملة شرطيّة وجملة لم يزل جزائيّة ، و الضمير راجع إلى المسلم الثاني ، ولو كان اتى صفة ولم يزل خبراً لم يكن للمبتداء عائداً ، ولعلّ المراد بالالتقاء الاعتذار أو معه و هو محمول على مامرّ من عدم العذر أو الاستخفاف .

﴿باب﴾

﴿ (من استعان به اخوه فلم يعنه) ﴾

١ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، وأبو عليٍّ الاشعريّ ، عن محمّد بن حسّان ، عن محمّد بن عليٍّ ، عن سعدان ، عن حسين بن أمين ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته [إلاّ] ابتلي بمعونة من يأثم عليه ولا يوجر .

٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أيّما رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه

باب من استعان به اخوه فلم يعنه

الحديث الاول : ضعيف .

و قوله : و القيام إمّا عطف تفسير للمعونة ، أو المراد بالمعونة ماكان من عند نفسه ، و بالقيام ما كان من غيره «إلاّ ابتلى» كذا في أكثر النسخ ، فكلمة إلاّ إمّا زائدة أو المستثنى منه مقدّر أي ما فعل ذلك إلاّ ابتلى ، و قيل : من للاستفهام الانكاري ، و في بعض النسخ ابتلى بدون كلمة إلاّ موافقاً لما في المحاسن و ثواب الأعمال و هو أظهر ، و ضمير عليه راجع إلى من بتقدير مضاف أي على معونته ، و فاعل يأثم راجع إلى من بخل ، و يحتمل أن يكون راجعاً إلى من في من يأثم ، و ضمير عليه للباخل ، و التعدية بعلى لتضمين معنى القهر ، أو على بمعنى في أي بمعونة ظالم يأخذ منه قهراً و ظلماً ، و يعاقب على ذلك الظلم و قوله : ولا يوجر أي الباخل على ذلك الظلم لأنّه عقوبة ، و على الأوّل قوله : ولا يوجر إمّا تأكيد أو لدفع توهّم أن يكون آثماً من جهة و مأجوراً من أخرى .

الحديث الثاني : صحيح .

فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر إلّا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج غيره من أعدائنا ، يعذّبه الله عليها يوم القيامة .

٣ ـ أبوعليّ الأشعريّ ، عن محمّد بن حسّان ، عن محمّد بن أسلم ، عن الخطّاب ابن مصعب ، عن سدير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لم يدع رجل معونة أخيه المسلم حتّى يسعى فيها ويواسيه إلّا ابتلي بمعونة من يأثم ولا يوجر .

٤ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن أحمد بن محمّد بن عبدالله ، عن عليّ ابن جعفر عن [أخيه] أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عزّوجلّ .

والاستثناء يحتمل الوجوه الثلاثة المتقدّمة ، وقوله : يعذّبه الله صفة حوائج وضمير عليها راجع إلى الحوائج ، والمضاف محذوف ، أي على قضائها ، ويدلّ على تحريم قضاء حوائج المخالفين ، ويمكن حمله على النواصب أو على غير المستضعفين جمعاً بين الأخبار وحمله على الاعانة في المحرّم بأن يكون يعذّبه الله قيداً إحترازيّاً بعيد .

الحديث الثالث : ضعيف .

« حتى يسعى » متعلّق بالمعونة فهو من تتمّة مفعول يدع ، والضمير في يأثم راجع إلى الرجل ، والعائد إلى من محذوف ، أي على معونته .

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور .

« مستجيراً به » أي لدفع ظلم أولقضاء حاجة ضروريّة « فقد قطع ولاية الله » أي محبّته لله أو محبّة الله له أو نصرة الله له أو نصرته لله ، أو كناية عن سلب ايمانه فانّ الله وليّ الذين آمنوا ، والحاصل أنّه لا يتولّى الله أموره ولا يهديه بالهدايات الخاصّة ولا يعينه ولا ينصره .

﴿ باب ﴾

✿(من منع مؤمناً شيئاً من عنده أو من عند غيره)✿

١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ؛ وأبو عليّ الأشعري عن محمّد بن حسّان ، جميعاً ، عن محمّد بن عليّ ، عن محمّد بن سنان ، عن فرات بن أحنف ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أيّما مؤمن منع مؤمناً شيئاً ممّا يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أومن عند غيره أقامه الله يوم القيامة مسوّداً وجهه مزرقة عيناه مغلولة يداه

باب من منع مؤمناً شيئاًمن عنده أو من عند غيره

الحديث الاول : ضعيف .

« مزرقة عيناه » بضمّ الميم وسكون الزاى وتشديد القاف من باب الافعال من الزرقة ، وكأنّه إشارة إلى قوله تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً »[1] وقال البيضاوى : أى زرق العيون وصفوا بذلك لأنّ الزرقة أسوء ألوان العين و أبغضها إلى العرب ، لانّ الروم كانوا أعدى أعدائهم وهم زرق ، ولذلك قالوا في صفة العدوّ أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين أوعميا ، فانّ حدقة الأعمى تزرق، انتهى .

و قال في غريب القرآن : « يومئذ زرقاً » لانّ أعينهم تزرق من شدّة العطش ، وقال الطيبّي فيه : أسودان أزرقان ، أراد سوء منظرهما و زرقه أعينهما والزرقة أبغض الألوان إلى العرب ، لأنّها لون أعدائهم الرّوم ، ويحتمل إرادة قبح المنظر وفظاعة الصّورة ، انتهى .

وقيل : لشدّة الدهشة والخوف تنقلب عينه ولا يرى شيئاً ، و إلى في قوله إلى عنقه بمعنى مع ، أوضمّن معنى الانضمام ، ويدلّ على وجوب قضاء حاجة المؤمن

---

(١) سورة طه : ١٠٢ .

إلى عنقه فيقال : هذا الخائن الّذي خان الله ورسوله ثمّ يؤمر به إلى النار .

٢ ـ ابن سنان ، عن يونس بن ظبيان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : يا يونس من حبس حقّ المؤمن أقامه الله عزّوجلّ يوم القيامة خمسمائة عام على رجليه حتّى يسيل عرقه أودية وينادي مناد من عند الله : هذا الظالم الّذي حبس عن الله حقّه قال: فيوبّخ أربعين يوماً ثمّ يؤمر به إلى النّار .

٣ ـ محمّد بن سنان ، عن مفضّل بن عمر قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من كانت له دار فاحتاج مؤمن إلى سكناها فمنعه إيّاها قال الله عزّوجلّ : يا ملائكتي أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدار الدّنيا ، وعزّتي وجلالي لا يسكن جناني أبداً .

مع القدرة ، وربما يحمل على ما إذا منعه لايمانه أو استخفافاً به وكأنّ المراد بالمؤمن المؤمن الكامل .

الحديث الثاني : كالاول .

والمراد بحقّ المؤمن الديون والحقوق اللازمة أو الأعمّ منها وممّا يلزمه أداؤه من جهة الايمان على سياق ساير الأخبار « خمسمائة عام » أي مقدارها من أعوام الدنيا « أودية » في بعض النسخ أودمه فالترديد من الراوي ، وقيل أو للتقسيم أي إن كان ظلمه قليلا يسيل عرقه وإن كان كثيراً يسيل دمه والموبّخ المؤمنون أو الملائكة أو الأنبياء والأوصياء عليهم السلام أو الأعمّ ، وفيه دلالة على أنّ حقّ المؤمن حقّ الله عزّوجل لكمال قربه منه أو لأمره تعالى به .

الحديث الثالث : كالسابق .

وظاهر هذه الأخبار وجوب إعانة المؤمنين بكلّ ما يقدر عليه وإسكانهم وغير ذلك ممّا لم يقل بوجوبه أحد من الأصحاب ، بل ظاهرها كون تركها من الكبائر وهو حرج عظيم ينا في الشريعة السمحة ، وقد يأوّل بكون المنع من أجل الايمان فيكون كافراً ، أو على ما إذا وصل إضطرار المؤمن حدّاً خيف عليه التلف

٤ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن أحمدبن محمّد بن عبدالله ، عن علي ّ ابن جعفر قال : سمعت أباالحسن عليه السلام يقول : من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فانّما هي رحمةٌ من الله عزّوجلّ ساقها إليه ، فإن قبل ذلك فقدوصله بولايتنا وهوموصولٌ بولاية الله عزّوجلّ وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلّطالله عليه شجاعاً من ناريَنهشه في قبره إلى يوم القيامة ، مغفورٌله أومعذّب ، فإن عذره الطّالب كان أسوء حالاً قال : وسمعته يقول : من قصدإليه رجلٌ من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره بعدأن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله تبارك وتعالى .

أو الضرر العظيم الذى تجب إعانته عنده ، أويراد بالجنان جنّات معيّنة لا يدخلها إلاّ المقرّبون .

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور .

وقد مرّ سنداً ومتناً في باب قضاء حاجة المؤمن إلىقوله: كانأسوء حالا إلاّ أنّ فيه : مغفوراً له أو معذّباً ، ومضى ما بعده في الباب السابق ، نقول زائداً علىما مضى أنّ قوله : فقد وصله بولايتنا ، يحتمل أن يكون المراد انّه وصل ذلك الفعل بولايتنا ، أي جعله سبباً لولايتنا وحبّنا له ، وهو أي الفعل أو الولاية بتأويلسبب لولاية الله ، ويمكنأن يكون ضميرالفاعل في وصل راجعاً إلى الفعل، والمفعول إلى الرجل أي وصلذلك الفعلالرجلالفاعلله بولايتنا «كان أسوء حالا» أي المطلوب أو الطالب كما مرّوالأوّل أظهر ، فالمرادبقوله عذره، قبلعذره الذى اعتذربه ، ولا أصل له .

وكون حال المطلوب حينئذ أسوء ظاهر ، لأنّه صدّقه فيما ادّعى كذباً ولم يقابله بتكذيب وانكار يستخفّ وزره ، وأمّا على الثاني فقيل كونه أسوء لتصديق الكاذب ولتركه النهي عن المنكر ، والأولى أن يحمل على ما إذا فعل ذلك للطمع وذلّة النفس لا للقربة وفضل العفو .

﴿باب﴾

﴿ من أخاف مؤمناً ﴾

١ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن عيسى ، عن الأنصاري عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عزَّوجلَّ يوم لاظلَّ إلاَّ ظلّه .

٢ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبي إسحاق الخفّاف ، عن بعض الكوفيّين عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من روَّع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النّار ومن روَّع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل

باب من اخاف مؤمناً

الحديث الاول : مجهول ، ولو كان عبد الغفار بن القاسم الثقة فالحديث صحيح .

« يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه » أي إلاّ ظلّ عرشه والمراد بالظلّ الكنف أي لا ملجأ ولا مفزع إلاّ إليه ، قال الراغب : الظلّ ضدّ الضحّ وهو أعمّ من الفيء ، ويعبّر بالظلّ عن العزّة والمناعة وعن الرفاهة ، قال تعالى : « إنّ المتّقين في ظلال وعيون » [1] أي في عزّة ومناعة ، وأظلّني فلان أي حرسني ، وجعلني في ظلّه أي في عزّه ومناعته « وندخلهم ظلاً ظليلاً » [2] كناية عن غضارة العيش .

الحديث الثاني : مجهول .

« ليصيبه منه » أي من السّلطان « مكروه » أي ضرر يكرهه « فلم يصبه » « فهوفي النار » أي يستحقّها اى لم يعف عنه، والروع : الفزع ، والترويع : التخويف

---

(١) سورة المرسلات : ۴١ .

(٢) سورة النساء : ٥٧ .

فرعون في النّار .

٣ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عزّ وجلّ يوم القيامة مكتوبٌ بين عينيه : آيسٌ من رحمتي .

﴿ باب النميمة ﴾

١ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبدالله ابن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا أنبّئكم بشرار كم؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : المشّاؤون بالنميمة ، المفرّقون بين الأحبّة ، الباغون

« في النار » قيل أي في نار البرزخ ، حيث قال : « النار يعرضون عليها غدوّاً وعشيّاً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب » [1] .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح .

وقال في النهاية : الشطر النصف ، ومنه الحديث: من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة ، قيل هو أن يقول: اُق في أقتل، كما قال صلى الله عليه وآله: كفى بالسّيف شا ، يريد شاهداً وفي القاموس: الشطر نصف الشيء وجزؤه، وأقول : يحتمل أن يكون كناية عن قلّة الكلام أو كأن يقول نعم مثلا في جواب من قال أقتل زيداً ؟ و كأنّ بين العينين كناية عن الجبهة .

باب النميمة

الحديث الاول : صحيح .

« المشّاؤون بالنميمة » إشارة إلى قوله تعالى : « ولا تطع كلّ حلاّف مهين ، همّاز مشّاء بنميم ، منّاع للخير معتد أثيم ، عتلّ بعد ذلك زنيم » [2] قال البيضاوي :

---

(١) سورة غافر : ٤٦ .

(٢) سورة القلم : ١٠ـ١٣ .

للبراء المعايب .

٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن أحمد ، عن محمّد بن عيسى ، عن يوسف بن عقيل عن محمّد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : محرّمة الجنّة على القتّاتين المشّائين بالنميمة .

همّاز أي عيّاب، مشّاء بنميم أي نقّال للحديث على وجه السّعاية ، عتلّ : جاف غليظ بعد ذلك أي بعد ماعدّ من مثاليه ، زنيم دعيّ ، وفي المصباح نمّ الرجل الحديث نمّاً من بابي قتل وضرب سعى به ليوقع فتنة أو وحشة ، والرجل نمّ تسمية بالمصدر ومبالغة والاسم النميمة والنميم أيضاً ، وفي النهاية النميمة نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الافساد والشرّ .

« المفرّقون بين الأحبّة » بالنميمة وغيرها ، والبغي الطلب والبراء ككرام وكفقهاء جمع البريء ، وهنا يحتملهما ، وأكثر النسخ على الأوّل، ويقال أنا براء منه بالفتح لا يثنّى ولا يجمع ولا يؤنّث أي بريء ، كلّ ذلك ذكره الفيروز آبادي والأخير هنا بعيد ، والظاهر أنّ المراد به من يثبت لمن لا عيب له عيباً ليسقطه من أعين الناس ، ويحتمل شموله لمن لا يتجسّس عيوب المستورين ليفشيها عند الناس وإن كانت فيهم فالمراد البراء عند الناس .

الحديث الثاني : صحيح .

وفي القاموس : القتّ نمّ الحديث والكذب واتباعك الرّجل سرّاً لتعلم ما يريد ، وفي النهاية فيه لا يدخل الجنّة قتّات وهو النمّام ، يقال : قتّ الحديث يقتّه إذا زوّره وهيّأه وسوّاه ، وقيل : النمّام الذي يكون مع القوم يتحدّثون فينمّ عليهم ، والقتّات الذي يتسمّع مع القوم وهم لا يعلمون ثمّ ينمّ ، والقسّاس الّذي يسأل عن الأخبار ثمّ ينمّها ، انتهى .

وربما يأوّل الحديث بالحمل على المستحلّ أو على أنّ الجنّة محرّمة عليه

٣ ـ علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي الحسن الاصبهاني عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : شراركم المشاؤون بالنميمة ، المفرّقون بين الأحبّة ، المبتغون للبراء المعايب .

إبتداءاً ولا يدخلها إلاّ بعد انقضاء مدّة العقوبة ، أوعلى انّ المراد بالجنّة جنّة معيّنة لا يدخلها القتّات أبداً [1] .

الحديث الثالث : مجهول .

وقال الشهيد الثاني قدّس الله روحه في رسالة الغيبة : في عدّ ما يلحق بالغيبة أحدها النميمة ، وهي نقل قول الغير إلى المقول فيه ، كما تقول فلان تكلّم فيك بكذا وكذا ، سواء نقل ذلك بالقول أم بالكتابة أم بالاشارة والرّمز ، فان تضمّن ذلك نقصاً أو عيباً في المحكيّ عنه كان ذلك راجعاً إلى الغيبة أيضاً ، فجمع بين معصية الغيبة والنميمة ، والنميمة إحدى المعاصي الكبائر ، قال الله تعالى : « همّاز مشّاء بنميم » [2] ثمّ قال: « عتلّ بعد ذلك زنيم » .

قال بعض العلماء: دلّت هذه الآية على أنّ من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولدزنا ، لانّ الزنيم هو الدعيّ ، وقال تعالى : « ويل لكلّ همزة لمزة » [3] قيل : الهمزة النمّام وقال تعالى عن امرأة نوح وامرءة لوط «فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين » [4] قيل : كانت امرءة لوط تخبر بالضيفان،

---

(١) ونظير هذه التأويلات قد مر في باب البذاء أيضاً في حديث « إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء . . . ١٠ ه » ونقل هنا عن الشيخ البهائي روح الله روحه انه قال : لعله (ع) اراد انها محرمة عليهم زماناً طويلا لا محرمة تحريماً مؤبداً أو المراد جنة خاصة معدة لغير الفحاش ، والا فظاهره مشكل فان العصاة من هذه الامة مآلهم الى الجنة وان طال مكثهم في النار .

(٢) سورة القلم : ١١ .

(٣) سورة الهمزة : ١ .

(٤) سورة التحريم : ١٠ .

• • • • • • • • • •

وامرأة نوح تخبر بأنّه مجنون .

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لايدخل الجنّة نمّام، وفي حديث آخر: لايدخل الجنّة قتّات ، والقتّات هو النمّام ، وروى انّ موسى استسقى لبني اسرائيل حين أصابهم قحط فأوحى الله تعالى إليه :أنّي لاأستجيب لك ولالمن معك وفيكم نمّام قدأصرّ على النميمة ، فقال موسى عليه السلام : يارب ّ من هو حتّى نخرجه من بيننا ؟ فقال : ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نمّاماً ! فتابوا بأجمعهم فسقوا .

أقول : وذكر رفع الله درجته أخباراً كثيرة من طريق الخاصّة والعامّة ، ثمّ قال : واعلم أنّ النميمة تطلق في الأكثر على من ينمّ قول الغير إلى المقول فيه كما يقال فلان كان يتكلّم فيك بكذا وكذا ، وليست مخصوصة بذلك بل يطلق على ماهو أعمّ من القول كمامرّ في الغيبة ، وحدّها بالمعنى الأعمّ كشف مايكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه ، أم كرهه ثالث ، وسواء كان الكشف بالقول أم بالكتابة أم الرمز أم الايماء ، وسواء كان المنقول من الأعمال أم من الأقوال، وسواء كان ذلك عيباً ونقصاناً على المنقول عنه أم لم يكن ، بل حقيقة النميمة إفشاء السرّ وهتك الستر عمّا يكره كشفه ، بل كلّ مارآه الانسان عن أحوال الناس ، فينبغي أن يسكت عنه إلاّ مافي حكايته فائدة لمسلم أودفع لمعصية كما إذا رآى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحقّ المشهود عليه ، فأمّا إذا رآه يخفي مالاً لنفسه فذكره نميمة وإفشاء للسرّ ، فان كان ماينمّ به نقصاناً أوعيباً في المحكيّ عنه كان جمع بين الغيبة والنميمة .

والسبب الباعث على النميمة إمّا إرادة السّوء بالمحكيّ عنه أو إظهار الحبّ للمحكيّ له أوالتفرّج بالحديث أوالخوض في المفضول .

وكلّ من حملت اليه النميمة ، وقيل له : انّ فلاناً قال فيك كذا وكذا

. . . .

وفعل فيك كذا و كذا وهو يدبّر فيها فساد أمرك أوفي ممالاة عدوّك أوتقبيح حالك أومايجرى مجراه ، فعليه ستّة أمور :

الأوّل : أن لايصدّقه لأنّ النمّام فاسق وهو مردود الشهادة ، قال الله تعالى : « إن جائكم فاسق بنبأ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة » [1] .

الثاني : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله ، قال الله تعالى : « وأمر بالمعروف وانه عن المنكر » [2] .

الثالث : أن يبغضه في الله تعالى ، فانّه بغيض عندالله ويجب بغض من يبغضه الله.

الرّابع : أن لا تظنّ بأخيك السوء بمجرّد قوله ، لقوله تعالى : « اجتنبوا كثيراً من الظنّ » [3] بل تثبت حتّى تتحقّق الحال .

الخامس : أن لايحملك ما حكى لك على التجسّس والبحث لتحقّق ، لقوله تعالى : « ولاتجسّسوا » [4] .

السّادس: أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمّام عنه فلاتحكى نميمته فتقول : فلان قدحكى لى كذا و كذا ، فتكون به نمّاماً ومغتاباً فتكون قدأتيت بما نهيت عنه ، وقدروى عن علىّ عليه السلام : أنّ رجلا أتاه يسعى إليه برجل ، فقال : ياهذا نحن نسئل عمّاقلت فان كنت صادقاً مقتناك و إن كنت كاذباً عاقبناك ، و إن شئت أن نقيلك أقلناك ، قال : أقلنى يا أمير المؤمنين ، وقال الحسن : من نمّ إليك نمّ عليك ، وهذه إشارة إلى أنّ النمّام ينبغى أن يبغض ولايوثق بصداقته ، و كيف لايبغض وهولا ينفكّ من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغلّ والحسدوالنفاق والافساد بين الناس

(١) سورة الحجرات : ٦ .

(٢) سورة لقمان : ١٧ .

(٣) (٤) سورة الحجرات : ١٢ .

﴿ باب الاذاعة ﴾

١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن محمّد بن عجلان قال : سمعت أباعبدالله يقول : إنّ الله عزّ وجلّ عيّر أقواماً بالاذاعة في قوله عزّ وجلّ : « وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أوالخوف أذاعوا به »[1] فإيّاكم

والخديعة ، وهو ممّن سعى في قطع ما أمرالله تعالى به أن يوصل ، قال الله تعالى : « ويقطعون ماأمرالله تعالى به أن يوصل ويفسدون في الأرض »[2] وقال تعالى : « إنّما السّبيل على الّذين يظلمون النّاس ويبغون في الأرض بغير الحقّ »[3] والنمّام منهم.

وبالجملة فشرّ النمّام عظيم ينبغي أن يتوقّى ، قيل : باع بعضهم عبداً للمشتري مافيه عيب إلّا النميمة ، قال : رضيت به فاشتراه فمكث الغلام أيّاماً ثمّ قال لزوجة مولاه : انّ زوجك لايحبّك وهو يريد أن يتسرّى عليك ، فخذي الموسى[4] واحلقي من قفاه شعيرات حتّى أسحر عليها فيحبّك ، ثمّ قال للزوج : انّ امرأتك اتّخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتّى تعرف ، فتناوم فجائت المرئة بالموسى فظنّ أنّها تقتله ، فقام وقتلها ، فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج ، فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر .

باب الاذاعة

الحديث الاول : مجهول .

ويقال: ذاع الخبر يذيع ذيعاً أي انتشر، وأذاعه غيره أي أفشاه « وإذا جائهم أمر من الأمن أوالخوف » قال البيضاوي : أي ممّا يوجب الأمن أوالخوف «أذاعوا به»

---

(١) سورة النساء: ٨٢ .

(٢) سورة الرعد : ٢٥ .

(٣) سورة الشورى : ٤٢ .

(٤) الموسى . آلة الحلق .

والاذاعة .

٢ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن محمّد الخزّاز ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا حقّنا .

اى أفشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوأخبرهم الرّسول بما أوحي إليه من وعد بالظفر أو تخويف من الكفرة أذاعوا لعدم حزمهم ، وكانت إذاعتهم مفسدة ، والباء مزيدة ، أو لتضمّن الاذاعة معنى التحدّث « ولوردّوه » أي ردّوا ذلك الخبر « إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم » أي إلى رأيه ورأى كبار الصّحابة البصراء بالأمور أو الأمراء « لعلمه » أي لعلمه على أيّ وجه يذكر « الذين يستنبطونه منهم » أي يستخرجون تدبيره بتجاربهم وأنظارهم.

وقيل : كانوا يسمعون أراجيف المنافقين فيذيعونها فيعود وبالاً على المسلمين، ولوردّوه إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم حتّى سمعوه منهم ويعرفوا أنّه هل يذاع لعلم ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرّسول وأولي الامر أي يستخرجون علمه من جهتهم ، انتهى .

وفي الأخبار انّ أولي الأمر الائمّة عليهم السلام ، وعلى أيّ حال تدلّ الآية على ذمّ إذاعة ما في إفشائه مفسدة ، والغرض التحذير عن إفشاء أسرار الائمّة عليهم السلام عند المخالفين ، فيصير مفسدة وضرراً على الائمّة وعلى المؤمنين ، ويمكن شموله لافشاء بعض غوامض العلوم التي لا تدركها عقول عامّة الخلق كما مرّ في باب الكتمان .

الحديث الثاني : مجهول .

ويدلّ على أنّ المذيع والجاحد متشاركون في عدم الايمان ، وبراءة الامام منهم ، وفعل مايوجب لحوق الضرر بل ضرر الاذاعة أقوى ، لأنّ ضرر الجحد يعود الى الجاحد وضرر الاذاعة يعود إلى المذيع وإلى المعصوم وإلى المؤمنين ، ولعلّ

قال : وقال لمعلّى بن خنيس : المذيع حديثنا كالجاحد له .

٣ ـ يونس ، عن ابن مسكان ، عن ابن أبي يعفور قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان .

٤ ـ يونس بن يعقوب ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ماقتلنا من أذاع حديثنا قتل خطاء ولكن قتلنا قتل عمد .

٥ ـ يونس ، عن العلاء ، عن محمّد بن مسلم قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : يحشر العبد يوم القيامة وماندى دماً فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك فيقال له :

مخاطبة المعلّى بذلك لأنّه كان قليل التحمّل لأسرارهم ، وصار ذلك سبباً لقتله ، وروى الكشي باسناده عن المفضّل قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام يوم قتل فيه المعلّي بن خنيس فقلت له : يابن رسول الله ألا ترى إلى هذا الخطب الجليل الذي نزل بالشيعة في هذا اليوم؟ قال : وما هو ! قلت : قتل المعلّى بن خنيس ! قال : رحم الله المعلّى قد كنت أتوقّع ذلك أنّه أذاع سرّنا ، وليس الناصب لناحرباً بأعظم مؤنة علينا من المذيع علينا سرّنا ، فمن أذاع سرّنا إلى غير أهله لم يفارق الدّنيا حتى يعضّه السلاح أو يموت بخيل .

الحديث الثالث : صحيح .

« سلبه الله الايمان » أي يمنع منه لطفه فلايبقى على الايمان .

الحديث الرابع : مرسل .

وكأنّ المعنى انّه مثل قتل العمد في الوزر ، كماسيأتي خبر آخر كمن قتلنا لأنّ حكمه حكم العمد في القصاص وغيره .

الحديث الخامس : ضعيف .

« وما ندى دماً » في بعض النسخ مكتوب بالياء ، وفي بعضها بالألف وكأنّ الثاني تصحيف ، ولعلّه ندى بكسر الدال مخفّفاً ، ودماً إمّا تميز أو منصوب بنزع

هذا سهمك من دم فلان ، فيقول : يارب ّ إنّك لتعلم أنّك قبضتني وما سفكت دماً فيقول : بلى سمعت من فلان رواية كذا و كذا ، فرويتها عليه فنقلت حتّى صارت إلى فلان الجبّار فقتله عليها وهذا سهمك من دمه .

٦ ـ يونس ، عن ابن سنان ؛ عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام وتلا هذه الآية : « ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلونَ النبيّين بغير الحقّ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون »[1] قال : والله ماقتلوهم بأيديهم ولاضربوهم بأسيافهم

الخافض أى ماابتل بدم وهومجاز شايع بين العرب والعجم . قال في النهاية : فيه من لقي الله ولم يتندّ من الدم الحرام بشيء دخل الجنة ، أى لم يصب منه شيئاً ولم ينله منه شيء ، كأنّه نالته نداوة الدمّ وبلله ، يقال : ماندينى من فلان شيء أكرهه ، ولانديت كفى له بشيء ، وقال الجوهري : المنديات المخزيات فقال : ماانديت بشيء نكرهه ، وقال الراغب : ماانديت بشيء من فلان ،أى مانلت منه ندى ، ومنديات الكلم المخزيات التى تعرّف .

وأقول : يمكن أن يقرء على بناء التفعيل فيكون دماً منصوباً بنزع الخافض، أى مابلّ أحداً بدم أخرجه منه ، ويحتمل إسناد التندية إلى الدم على المجاز ، وما ذكرنا أو لا أظهر ، وقرء بعض الفضلاء بدابالباء الموحّدة أى ماأظهر دماً وأخرجه وهو تصحيف .

الحديث السادس : ضعيف على المشهور .

قوله : وتلا ، الواو للاستيناف أو حال عن فاعل قال المذكور بعدها ، أو عن فاعل روى المقدّر ، أو للعطف على جملة أخرى تركها الراوى «ذلك» إشارة إلى ماسبق من ضرب الذلّة والمسكنة، و البوء بالغضب « بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله اى بالمعجزات اوبآيات الكتب المنزلة «ويقتلون النبيّين» كشعيباً ويحيى وزكريّا وغيرهم .

« ذلك بماعصوا » قيل أى جرّهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه إلى الكفر

---

(١) سورة البقرة: ٦١ .

ولكنّهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقُتلوا فصار قتلاً واعتداءاً ومعصية .

٧ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « ويقتلون الأنبياء بغير حقّ »[1] فقال : أما والله ما قتلوهم بأسيافهم ولكن أذاعوا سرّهم وأفشوا عليهم فقُتلوا .

بالآيات و قتل النبيّين ، فانّ صغار المعاصي سبب يؤدّي إلى إرتكاب كبارها .

قال : والله ما قتلوهم ، هذا يحتمل وجوهاً : الأوّل : أنّ قتل الأنبياء لم يصدر من اليهود بل من غيرهم من الفراعنة ، ولكن اليهود لما تسبّبوا إلى ذلك بافشاء أسرارهم نسب ذلك إليهم .

الثاني : أنّه تعالى نسب إلى جميع اليهود أو آباء المخاطبين القتل ولم يصدر ذلك من جميعهم ، و إنّما صدر من بعضهم ، و إنّما نسب إلى الجميع لذلك ، فقوله: ماقتلوهم ، أي جميعاً .

الثالث: أن يكون المراد في هذه الآية غير القاتلين ، وعلى التقادير يمكن أن يكون المراد بغير الحقّ أي بسبب أمر غير حقّ ، و هو ذكرهم الأحاديث في غير موضعها ، فالباء للآلة ، وقوله تعالى : « ذلك بما عصوا » يمكن أن يراد بهأنّ ذلك القتل أونسبته إليهم بسبب أنّهم عصوا واعتدوا في ترك التقيّة كما قال عليه السلام ، فصار أي الاذاعة قتلا واعتداءاً ومعصية ، وهذا التفسير أشدّ انطباقاً على الآية من تفسير ساير المفسّرين .

الحديث السابع : موثق .

ومضمونه موافق للخبر السّابق وهذه الآية في آل عمران ، والسّابقة في البقرة.

---

(١) سورة آل عمران : ١١٢ .

٨ ـ عنه ، عن عثمان بن عيسى ، عن محمّد بن عجلان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ عيّر قوماً بالإذاعة ، فقال : «وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به»[1] فإيّاكم والإذاعة .

٩ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حسين بن عثمان ، عمّن أخبره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أذاع علينا شيئاً من أمرنا فهو كمن قتلنا عمداً ولم يقتلنا خطاءً .

١٠ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن أحمد بن محمّد ، عن نصر بن صاعد مولى أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : مذيع السرّ شاكّ ؛ وقائله عند غير أهله كافرٌ ومن تمسّك بالعروة الوثقى فهو ناج ، قلت : ماهو ؟

الحديث الثامن : مجهول .

وقد مضى بعينه متناً وسنداً في أوّل الباب ، وكأنّه من النسّاخ .

الحديث التاسع مرسل .

وقوله : ولم يقتلنا خطاء ، امّا تأكيد أو لاخراج شبه العمد ، فانّه عمد من جهة ، وخطاء من اخرى .

الحديث العاشر : ضعيف على المشهور .

« مذيع السرّ شاكّ » كأنّ المعنى مذيع السرّ عند من لايعتمد عليه من الشّيعة شاكّ ، أي غير موقن فانّ صاحب اليقين لايخالف الامام في شيء ويحتاط في عدم ايصال الضرّر إليه ، أو أنّه إنّما يذكره له غالباً لتزلزله فيه و عدم التسليم التامّ ، ويمكن حمله على الأسرار الّتي لاتقبلها عقول عامّة الخلق ، وماسيأتي على ما يخالف أقوال المخالفين ، وقيل : الأوّل لمذيع السرّ عند مجهول الحال ، والثاني عند من يعلم أنّه مخالف .

« قلت ماهو » أي ما المراد بالتمسّك بالعروة الوثقى ؟ قال : التسليم للامام

---

(١) سورة النساء : ٨٢ .

قال : التسليم .

١١ ـ عليُّ بن محمّد ، عن صالح بن أبي حمّاد ، عن رجل من الكوفيّين ، عن أبي خالد الكابلي ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : إنّ الله عزّ وجلّ جعل الدّين دولتين دولة آدم ـ وهي دولة الله ـ ودولة إبليس ، فإذا أراد الله أن يُعبد علانية كانت دولة آدم و إذا أراد الله أن يُعبد في السرّ كانت دولة إبليس ، والمذيع لما أراد الله ستره مارقٌ من الدّين .

عليه السلام في كلّ مايصدر عنه ممّا تقبله ظواهر العقول أولا تقبله ، وممّا كان موافقاً للعامّة أومخالفاً لهم ، وإطاعتهم في التقيّة وحفظ الأسرار وغيرها .

الحديث الحاديعشر : ضعيف .

« جعل الدين دولتين » قيل : المراد بالدين العبادة ودولتين منصوب بنيابة ظرف الزمان ، والظرف مفعول ثان لجعل ، والدّولة نوبة ظهور حكومة حاكم عادلا كان أو جائراً ، والمراد بدولة آدم دولة الحقّ الظاهر الغالب ، كما كان لآدم عليه السلام في زمانه ، فانّه غلب على الشيطان وأظهر الحقّ علانية ، فكلّ دولة حقّ غالب ظاهر فهو دولة آدم ، وهي دولة الحكومة الّتي رضي الله لعباده .

« وكانت » في الموضعين تامّة ، فاذا علم الله صلاح العباد في أن يعبدوه ظاهراً سبّب أسباب ظهور دولة الحقّ فكانت كدولة آدم عليه السلام ، وإذا علم صلاحهم في أن يعبدوه سرّاً وتقيّة وكّلهم إلى أنفسهم فاختاروا الدنيا و غلب الباطل على الحقّ ، فمن أظهر الحقّ وترك التقيّة في دولة الباطل لم يرض بقضاء الله ، وخالف أمر الله ، وضيّع مصلحة الله الّتي إختارها لعباده .

« فهو مارق » أي خارج عن الدين غير عامل بمقتضاه ، أو خارج عن العبادة غير عامل بها ، قال في القاموس : مرق السّهم من الرّمية مروقاً خرج من الجانب الآخر ، والخوارج مارقة لخروجهم من الدين .

١٢ ـ أبوعليّ الأشعري ، عن محمّدبن عبدالجبّار ، عن صفوان ، عن عبدالرَّحمن ابن الحجّاج عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من استفتح نهاره بإذاعة سرّنا سلّط الله عليه حرّ الحديد وضيق المحابس .

الحديث الثاني عشر : صحيح .

وكأنّ إستفتاح النهار على المثال أو لكونه أشدّ أو كناية عن كون هذا منه على العمد و القصد لاعلى الغفلة و السهو ، و يحتمل أن يكون الاستفتاح بمعني الاستنصار وطلب النصرة ، كماقال تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا » [١] وقال : « إن تستفتحوا فقد جائكم الفتح » [٢] أى يظهر الفتح ، ويهدّد المخالفين بذكر الأسرار التى ذكرها الأئمّة عليهم السلام تسلية للشيعة كانقراض دولة بني اميّة أو بني العبّاس في وقت كذا ، فقوله : نهاره ، أي في جميع نهاره لبيان المداومة عليه « حرّ الحديد » أى ألمه وشدّته من سيف أوشبهه ، والعرب تعبّر عن الراحة بالبرد وعن الشدّة والالم بالحرّ ، قال في النهاية : في حديث عليّ عليه السلام انّه قال لفاطمة : لوأتيت النبيّ صلى الله عليه وآله فسألته خادماً يقيك حرّ ما أنت فيه من العمل ، وفي رواية : حارّ ما أنت فيه ، يعني التعب والمشقّة من خدمة البيت ، لأنّ الحرارة مقرونة بهما كما أنّ البرد مقرون بالراحة والسّكون ، والحارّ الشاقّ المتعب ، ومنه حديث عيينة بن حصن: حتّى أذيق نساءه من الحرّ مثل ما أذاق نسائي ، يريد حرقة القلب من الوجع والغيظ والمشقّة ، وضيق المحابس اى السجون ، وفي بعض النسخ المجالس والمعنى واحد .

(١) سورة البقرة : ٨٩ .

(٢) سورة الانفال : ١٩ .

﴿ باب ﴾

﴿ من اطاع المخلوق في معصيه الخالق ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من طلب رضا النّاس بسخط الله جعل الله حامده من النّاس ذامّاً .

٢ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة ، عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من طلب مرضاة النّاس بما يسخط الله كان حامده من النّاس ذامّاً ومن آثر طاعة الله بغضب النّاس كفاه الله عداوة كلّ عدوّ ، وحسد كلّ حاسد ، وبغي

باب من اطاع المخلوق في معصية الخالق

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« من طلب رضا الناس بسخط الله » هذا النوع في الخلق كثير بل أكثرهم كذلك ، كالذين تركوا متابعة أئمّة الحقّ لرضاء أئمّة الجور وطلب ما عندهم ، وكأعوان السّلاطين الجائرين وعمّالهم والمتقرّبين إليهم بالباطل ، والمادحين لهم على قبايح أعمالهم ، وكالذين يتعصّبون للاهل والعشاير بالباطل ، وكشاهد الزور والحاكم بالجور بين المتخاصمين طلباً لرضاء أهل العزّة والغلبة ، والّذين يساعدون المغتابين ولايزجرونهم عنها طلباً لرضاهم ، ولئلاّ يتنفّروا من صحبته وأمثال ذلك كثيرة « وجعل حامده من الناس ذامّاً » اى بعد ذلك الحمد أو يحمدونه بحضرته ويذمّونه في غيبته ، أويكون المراد بالحامد من يتوقّع منهم المدح .

الحديث الثاني : ضعيف .

و المرضاة مصدر ميميّ « و من آثر طاعة الله » اى في غير موضع التقيّة فانّها

كل باغ وكان الله عزّ وجلّ له ناصراً وظهيراً .

٣ ـ عنه ، عن شريف بن سابق ، عن الفضل بن أبي قرّة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كتب رجل إلى الحسين صلوات الله عليه : عظني بحرفين ، فكتب إليه : من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيء مايحذر .

٤ ـ أبو عليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن صفوان ، عن العلاء ، عن محمّد بن مسلم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لادين لمن دان بطاعة من عصى الله ، ولادين لمن دان بفرية باطل على الله ، ولادين لمن دان بجحود شيء من آيات الله .

٥ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفليّ ، عن السكونيّ ، عن أبي عبدالله عن أبيه عليهما السلام ، عن جابر بن عبدالله [الأنصاري] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من

طاعة الله في هذا الموضع ، و الظهير المعين .

الحديث الثالث : ضعيف .

« بحرفين » اى بجملتين وما ذكره عليه السلام مع العطف في حكم جملتين ، ويحتمل أن يكون الحرفان كناية عن الاختصار في الكلام « من حاول » أى رام و قصد ، و اللام في قوله « لما يرجو » و « لمجيء » للتعدية .

الحديث الرابع : صحيح .

« لا دين » اى لا ايمان أو لا عبادة «لمن دان» أى عبدالله «بطاعة من عصى الله» أى غير المعصوم، فانّه لايجوز طاعة غير المعصوم في جميع الامور ، وقيل : من عصى الله من يكون حكمه معصية ولم يكن أهلا للفتوى « لمن دان » أى اعتقد أى عبدالله « بافتراء الباطل على الله » اى جعل هذا الافتراء عبادة أو جعل عبادته مبنيّة على الافتراء «بجحود شيء من آيات الله» اى أنكر شيئاً من محكمات القرآن، ويحتمل أن يكون المراد بالآيات الائمّة عليهم السلام كما مرّ في الاخبار .

الحديث الخامس : ضعيف على المشهور .

أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله .

﴿باب﴾

﴿ في عقوبات المعاصي العاجلة ﴾

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ وعدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد جميعاً عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن أبان ، عن رجل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خمس إن أدركتموهنَّ فتعوَّذوا بالله منهنَّ : لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتّى يعلنوها إلاّ ظهر فيهم الطّاعون والأوجاع الّتي لم تكن في أسلافهم الّذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ اُخذوا بالسنين وشدَّة المؤونة

و يمكن حمله على من أرضى خلفاء الجور بانكار أئمّة الحقّ أو شيء من ضروريّات ، وقد مرّ تأويل مثله مراراً .

باب في عقوبات المعاصي العاجلة

و في بعض النسخ المناكير التى تظهر في عقوبات ، الخ .

الحديث الاول : مرسل .

و خمس مبتدء مع تنكيره مثل: كوكب انقض السّاعة ، و الجملة الشرطيّة خبره ، أوخمس فاعل فعل محذوف أى تكون خمس، والفاحشة الزنا ، و في القاموس السنة الجدب و القحط ، و الأرض المجدبة و الجمع سنون ، و في النهاية : السنة الجدب يقال : أخذتهم السنة إذا أجدبوا وأقحطوا و المؤونة القوت، و شدّة المؤونة ضيقها و عسر تحصيلها .

و قيل : يترتّب على كلّ واحد منها عقوبة تناسبه ، فانّ الأوّل لمّا كان فيه

وجور السلطان ، ولم يمنعوا الزكاة إلاّ منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهدالله وعهد رسوله إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم وأخذوا بعض ما في أيديهم ، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله [عزّ وجلّ] إلاّ جعل الله عزّ وجلّ بأسهم بينهم .

تضييع آلة النسل ناسبه الطاعون الموجب لانقطاعه ، و الثاني لمّا كان القصد فيه زيادة المعيشة ناسبه القحط وشدّة المؤونة و جور السلطان بأخذ المال وغيره ، والثالث لمّا كان فيه منع ما أعطاه الله بتوسّط الماء ناسبه منع نزول المطر من السّماء ، والرّابع لمّا كان فيه ترك العدل و الحاكم العادل ناسبه تسلّط العدوّ و أخذ الأموال ، و الخامس لمّا كان فيه رفض الشريعة و ترك القوانين العدليّة ناسبه وقوع الظلم بينهم و غلبة بعضهم على بعض .

و أقول : يمكن أن يقال لمّا كان في الأوّل مظنّة تكثير النسل عاملهم الله بخلافه ، و في الثالث لمّا كان غرضهم توفير المال منع الله القطر ليضيّق عليهم ، وأشار بقوله : و لولا البهائم لم يمطروا ، إلى أنّ البهائم لعدم صدور المعصية منهم و عدم تكليفهم ، إستحقاقهم للرحمة أكثر من الكفرة و أرباب الذنوب و المعاصي ، كما دلّت عليه قصّة النملة و استسقائها ، و قولها : اللّهم لا تؤاخذنا بذنوب بني آدم ، و يؤمي إليه قوله تعالى . « بل هم أضلّ سبيلا »[1] و المراد بنقض عهد الله و عهد رسوله نقض الأمان و الذمّة الّتي أمر الله برعايتها و الوفاء بها كما سيأتي في باب تفسير الذنوب : و إذا خفرت الذمّة أديل لاهل الشرك من أهل الاسلام ، و هو الظاهر من الخبر الآتي أيضاً ، و قيل : هو نقض العهد بنصرة الامام الحقّ واتّباعه في جميع الامور ، و الاوّل أظهر .

و لمّا كان هذا الغدر للغلبة على الخصم بالحيلة و المكر ، يعاملهم بما يخالف

---

(١) سورة الفرقان : ٤٤ .

٢ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ وعدّة من أصحابنا ؛ عن أحمد بن محمّد ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطيّة ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا ظهر الزّنا من بعدي كثر موت الفجاءة و إذا طفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين والنقص ، و إذا منعوا الزّكاة منعت الأرض

غرضهم فيجعل بأسهم بينهم ، في القاموس : البأس العذاب و الشدّة في الحرب ، أي جعل عذابهم و حربهم بينهم بتسلّط بعضهم على بعض ، و يتغالبون و يتحاربون ولا ينتصف بعضهم من بعض ، و ترتّب هذا على الجور في الحكم ظاهر ، و يحتمل أن يكون السّبب أنّهم إذا جاروا في الحكم و حكموا للظالم على المظلوم يسلّط الله على الظالم ظالماً آخر يغلبه الله ، فيصير بأسهم وحربهم بينهم و هذا أيضاً مجرّب .

الحديث الثالث : صحيح .

« في كتاب رسول الله » سيأتي صدر هذا الحديث في كتاب النكاح ، و فيه في كتاب عليّ عليه السلام و هو أظهر ، ولا تنافي بينهما لأنّ مملي الكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و الكاتب عليّ عليه السلام فيجوز نسبته إلى كلّ منهما ، و على تقدير المغايرة يمكن وجدانه فيهما ، و في المصباح فجأت الرجل أفجاؤه مهموز من باب تعب ، و في لغة بفتحتين جئته بغتة ، و الاسم الفجائة بالضمّ و المدّ ، و في لغة وزان تمرة و فجأه الأمر مهموز من بابي تعب و نفع أيضاً و فاجأه مفاجائة أي عاجله ، وقال: الطفيف مثل القليل و زناً و معنى ، و منه قيل : تطفيف المكيال و الميزان ، وقد طفّفه فهو مطفّف إذا كال أو وزن ولم يوف، انتهى .

وأقول : قال تعالى: «ويل للمطفّفين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »[1] قال البيضاوي : التطفيف البخس في الكيل و الوزن ، لأنّ ما يبخس طفيف أي حقير .

---

(١) سورة المطففين : ١ .

بر كتها من الزّرع والثمار والمعادن كلّها ، و إذا جاروا في الأحكام تعاونوا على الظّلم

و في الحديث : خمس بخمس ، ما نقض العهد قوم إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم، و ما حكموا بغير ما أنزل الله إلاّ فشا فيهم الفقر ، و ما ظهر فيهم الفاحشة إلاّ فشا فيهم الموت ، ولا طفّفوا الكيل إلاّ منعوا النبات و أخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكوة إلاّ حبس عنهم القطر .

و قال « على الناس » أي منهم «يستوفون» أي يأخذون حقوقهم وافية «و إذا كالوهم أو وزنوهم » أي كالوا للناس و وزنوا لهم ، والمراد بالنقص نقص ريع الأرض من الثمرات والحبوب ، كما قال سبحانه : « و لقد أخذنا آل فرعون بالسّنين ونقص من الثمرات لعلّهم يذكّرون » [1] .

« منعت الأرض» على بناء المعلوم ، فيكون المفعول الأوّل محذوفاً أي منعت الأرض الناس « بركتها » أو المجهول فيكون الفاعل هو الله تعالى ، و الجور نقيض العدل .

و هذه الفقرة تحتمل وجهين : الأوّل أنّ الجور في الحكم و ترك العدل هو معاونة للظالم على المظلوم ، فلا يكون على سياق ساير الفقرات ، و كأنّ النكتة فيه أنّ سوء أثره و هو الاختلال في نظام العالم لمّا كان ظاهراً اكتفى بتوضيح أصل الفعل و إظهار قبحه .

الثاني : أن يكون المراد أنّه تعالى بسبب هذا الفعل يمنع اللطف عنهم ، فيتعاونون على الظلم و العدوان حتّى يصل ضرره إلى الحاكم و الظالم أيضاً كما قال عليه السلام في الخبر السّابق: جعل الله بأسهم بينهم ، و الظّاهر أنّ المراد بالعهد المعاهدة مع الكفّار كما عرفت .

و يحتمل التعميم ، و كون قطع الأرحام سبباً لجعل الأموال في أيدي الأشرار مجرّب ، و له أسباب باطنة و ظاهرة ، فعمدة الباطنة قطع لطف الله تعالى

---

(١) سورة الاعراف : ١٣٠ .

والعدوان . و إذا نقضوا العهد سلّطالله عليهم عدوّهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار ، و إذالم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم فيدعوا خيارهم فلايستجاب لهم .

عنهم، ومن الظاهرة أنّهم لايتعاونون في دفع الظلم فيتسلّط عليهم الأشرار ويأخذون الأموال منهم ، و منها أنّهم يدلّون بأموالهم إلى الحكّام الجابرين لغلبة بعضهم على بعض ، فينتقل أموالهم إليهم .

« و إذا لم يأمروا بالمعروف » قيل : يحتمل ترتّب التسليط على ترك كلّ واحد منهما أو تركهما معاً ، و أقول : الثاني أظهر مع أنّ كلّاً منهما يستلزم الآخر فانّ ترك كلّ معروف منكر و ترك كلّ منكر معروف ، و المراد بالخيار الفاعلون للمعروف الآمرون به ، و التاركون للمنكر الناهون عنه ، وعدم استجابة دعائهم لاستحكام الغضب و بلوغه حدّ الحتم و الابرام ، ألا يرى أنّه لم يقبل شفاعة خليل الرّحمان عليه السلام لقوم لوط ، و يحتمل أن يكون المراد بالخيار الذين لم يتركوا المعروف ولم يرتكبوا المنكر ، لكنّهم لم يأمروا ولم ينهوا ، فعدم استجابة دعائهم لذلك كأصحاب السبت ، فانّ العذاب نزل على المعتدين والذين لم ينهوا معاً و عدم استجابة دعاء المؤمنين لظهور القائم عليه السلام يحتمل الوجهين .

و اعلم أنّ عمدة ترك النهي عن المنكر في هذه الامّة ما صدر عنهم بعد الرّسول صلى الله عليه وآله في مداهنة خلفاء الجور ، و عدم اتّباع أئمّة الحقّ عليهم ، فتسلّط عليهم خلفاء الجور من التيميّ والعدويّ و بني اميّة و بني العباس ، و ساير الملوك الجائرين فكانوا يدعون و يتضرّعون فلا يستجاب لهم ، و ربّما يخصّ الخبر بذلك لقوله ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتي ، و التعميم أولى .

﴿باب﴾

﴿مجالسة أهل المعاصي﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي زياد النهدي ، عن عبدالله بن صالح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولايقدر على تغييره .

٢ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن بكر بن محمّد ، عن الجعفري قال :

باب مجالسة اهل المعاصي

الحديث الاول : مجهول .

و المراد بمعصية الله ترك أوامره و فعل نواهيه كبيرة كانت أو صغيرة ، حقّ الله كان أو حقّ الناس ، ومن ذلك اغتياب المؤمن ، فان فعل أحد شيئاً من ذلك وقدرت على تغييره ومنعه منه فغيّره أشدّ تغيير حتّى يسكت عنه وينزجر منه ، ولك ثواب المجاهدين ، و إن خفت منه فاقطعه وانقله بالحكمة ممّا هو مرتكبه إلى أمر آخر جايز ، و لابدّ من أن يكون الانكار بالقلب و اللسان وحده ، و القلب مايل إليه ، فانّ ذلك نفاق و فاحشة أخرى ، و إن لم تقدر عليه فقم ولا تجلس معه ، فان لم تقدر على القيام أيضاً فانكره بقلبك و امقته في نفسك و كن كأنّك على الرّضف ، فانّ الله تعالى مطّلع على سرائر القلوب وأنت عنده من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وإن تنكر ولم تقم مع القدرة على الانكار والقيام فقد رضيت بالمعصية فأنت وهو حينئذ سواء في الاثم ، وقد مرّ الكلام في ذلك في باب الغيبة .

الحديث الثاني : صحيح .

والجعفري هو أبوهاشم داود بن القاسم الجعفري وهو من أجلّة أصحابنا ، ويقال انّه لقى الرضا إلى آخر الائمّة عليهم السلام ، وأبوالحسن يحتمل الرّضا والهادي عليهما السلام

سمعت أباالحسن عليه السلام يقول : مالي رأيتك عند عبدالرحمن بن يعقوب ؟ فقال : إنّه خالي ؟ فقال : إنّه يقول في الله قولاً عظيماً ، يصف الله ولايوصف ، فإمّا جلست معه وتركتنا و إمّا جلست معنا وتركته ؟ فقلت : هو يقول ماشاء أيّ شيء عليّ منه إذا لم أقل مايقول ؟ فقال أبوالحسن عليه السلام : أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً أما علمت بالّذي كان من أصحاب موسى عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون فلمّا لحقت خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى فمضى أبوه وهو

ويحتمل أن يكون سليمان بن جعفر الجعفري كما صرّح به في مجالس المفيد .

« يقول » أي الرجل « فقال » أي ذلك الرّجل ، وكونه كلام بكر والضمير للجعفري بعيد ، وفي المجالس بقول لأبي وهوأظهر ، ويؤيّدالأوّل «فقال إنّه خالي» الظاهر تخفيف اللاّم ، وتشديده من الخلّة كأنّه تصحيف ، « يصف الله » أي بصفات الأجسام كالقول بالجسم والصورة أو بالصفات الزائدة كالأشاعرة ، وفي المجالس : يصف الله تعالى ويحدّه وهويؤيّد الأوّل، والواو في قوله عليه السلام: ولا يوصف للحال ، أي والحال أنّه لا يجوز وصفه بالمعنيين « فامّا جلست معه » أي لا يمكن الجمع بين الجلوس معه والجلوس معنا ، فان جالسته كنت فاسقاً ونحن لا نجالس الفسّاق ، مع أنّ الجمع بينهما ممّا يوهم تصويب قوله ، وظاهره مرجوحيّة الجلوس مع من يجالس أهل العقايد الفاسدة ، وتحريم الجلوس معهم .

«فيلحقه بموسى» أي يدخله في دينه أويلحقه بعسكره ومآلهما واحد « فمضى أبوه » أي في الطريق الباطل الذى اختاره أى استمرّ على الكفر ولم يقبل الرجوع أو مضى في البحر « وهو يراغمه » أى يبالغ في ذكر ما يبطل مذهبه ، ويذكر ما يغضبه ، في القاموس : المراغمة الهجران والتباعد والمغاضبة وراغمهم نابذهم وهجرهم وعاداهم ، وترغم تغضّب ، وفي المجالس تخلّف عنه ليعظه وأدركه موسى وأبوه يراغمه «حتّى بلغا طرفاً من البحر» أى أحد طرفى البحر، وهوالطرف الذى يخرج منه قوم

يراغمه حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً فأُتي موسى عليه السلام الخبر ، فقال : هو في رحمة الله ولكنّ النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع .

٣ ـ أبوعليّ الاشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن عبدالرّحمن بن أبي نجران عن عمر بن يزيد ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : لاتصحبوا أهل البدع ولاتجالسوهم فتصيروا عند النّاس كواحد منهم . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المرء على دين خليله وقرينه .

٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن الحسين ، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر ، عن داود ابن سرحان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا رأيتم أهل الرّيب

موسى من البحر .

وأقول : كأنّ المعنى هنا قريباً من طرف البحر ، وفي المجالس طرف البحر فغرقا جميعاً فأتى موسى الخبر ، فسأل جبرئيل عن حاله فقال له : غرق رحمه الله ولم يكن على رأى أبيه ، ولكن النقمة « الخ ».

الحديث الثالث : صحيح .

« فتصيروا عند الناس كواحد منهم » يدلّ على وجوب الاحتراز عن مواضع التهمة ، وانّ فعل ما يوجب حسن ظنّ الناس مطلوب إذا لم يكن للرياء والسمعة وقد يمكن أن ينفعه ذلك في الآخرة لما ورد أنّ الله يقبل شهادة المؤمنين وإن علم خلافه « المرء على دين خليله » أي عند الناس فيكون استشهاداً لما ذكره عليه السلام أو يصيروا واقعاً كذلك فيكون بياناً لمفسدة اخرى كما ورد أنّ صاحب الشرّ يعدى وقرين السوء يغوى ، وهذا أظهر .

الحديث الرابع : صحيح .

وكأنّ المراد بأهل الريب الذين يشكّون في الدين ويشكّكون الناس فيه بالقاء الشبهات ، وقيل : المراد بهم الذين بناء دينهم على الظنّون والأوهام الفاسدة

. . . .

كعلماء أهل الخلاف، ويحتمل أن يراد بهم الفسّاق والمتظاهرين بالفسوق ، فانّ ذلك ممّا يريب الناس في دينهم ، وهو علامة ضعف يقينهم ، في القاموس : الرّيب صرف الدهر والحاجة والمظنّة والتهمة ، وفي النهاية : الرّيب الشكّ ، وقيل : هو الشكّ مع التهمة ، والبدعة إسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ، ثمّ غلب استعمالها فيما هو نقص في الدّين أو زيادة ، كذا ذكره في المصباح .

وأقول : البدعة في عرف الشرع ماحدث بعدالرسول صلى الله عليه وآله ولم يرد فيه نص على الخصوص ، ولا يكون داخلا في بعض العمومات ، أو ورد نهي عنه خصوصاً أو عموماً، فلا تشمل البدعة مادخل في العمومات مثل بناء المدارس وأمثالها الداخلة في عمومات ايواء المؤمنين وإسكانهم وإعانتهم ، وكانشاء بعض الكتب العلميّة والتصانيف الّتي لها مدخل في المعلومات الشرعيّة ، وكالألبسة الّتي لم تكن في عهد الرّسول صلى الله عليه وآله والأطعمة المحدثة فانّها داخلة في عمومات الحليّة ولم يرد فيها نهي ، ومايفعل منها على وجه العموم إذا قصد كونها مطلوبة على الخصوص كان بدعة ، كما أنّ الصلاة خير موضوع ويستحبّ فعلها في كلّ وقت ، ولمّا عيّن عمر ركعات مخصوصة على وجه مخصوص في وقت معيّن صارت بدعة ، وكما إذا عيّن أحد سبعين تهليلة في وقت مخصوص على أنّها مطلوبة للشارع في خصوص هذا الوقت بلا نصّ ورد فيها كانت بدعة ، وبالجملة إحداث أمر في الشريعة لم يرد فيها نصّ بدعة ، سواء كانت أصلها مبتدعاً أوخصوصيّتها مبتدعة، فماذكره المخالفون أنّ البدعة منقسمة بانقسام الأحكام الخمسة تصحيحاً لقول عمر في التراويح : نعمت البدعة ، باطل ، إذ لا تطلق البدعة إلاّ على ما كان محرّماً كماقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ بدعة ضلالة و كلّ ضلالة سبيلها إلى النار ، وما فعله عمر كان من البدعة المحرّمة ، لنهي النبيّ صلى الله عليه وآله عن الجماعة في النافلة فلم ينفعهم هذا التقسيم « ولن يصلح العطّار ما أفسد

• • • • • • • • • •

الدهر ¹ .

وقد أشبعنا القول في ذلك في كتاب الفتن في باب مطاعن عمر .

قال الشهيد قدّس الله روحه في قواعده : محدثات الأمور بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تنقسم أقساماً لا تطلق إسم البدعة عندنا إلاّ على ما هو محرّم منها :

أوّلها : الواجب كتدوين الكتاب والسنّة إذا خيف عليهما التفلّت من الصدور فإنّ التبليغ للقرون الآتية واجب إجماعاً وللآية ، ولا يتمّ إلاّ بالحفظ وهذا في زمان الغيبة واجب. أمّا في زمن ظهور الامام فلا لأنّه الحافظ لهما حفظاً لا يتطرّق إليه خلل .

وثانيها: المحرّم وهو بدعة تناولتها قواعد التحريم وأدلّته من الشريعة كتقديم غير الأئمّة المعصومين عليهم، وأخذهم مناصبهم واستيثار ولاة الجور بالاموال، ومنعها مستحقّها ، وقتال أهل الحقّ وتشريدهم وابعادهم ، والقتل على الظنّة والالزام ببيعة الفسّاق والمقام عليها وتحريم مخالفتها ، والغسل في المسح ، والمسح على غير القدم وشرب كثير من الأشربة ، والجماعة في النوافل والأذان الثاني يوم الجمعة ، وتحريم المتعتين ، والبغي على الامام وتوريث الأباعد ومنع الاقارب ، ومنع الخمس أهله والافطار في غير وقته ، إلى غير ذلك من المحدثات المشهورات ، ومنها بالاجماع من الفريقين المكس وتولية المناصب غير الصّالح لها ببذل أو إرث أو غير ذلك .

وثالثها : المستحبّ وهو ما تناولته أدلّة الندب كبناء المدارس والربط ، وليس منه اتّخاذ الملوك الاهبّة ليعظموا في النفوس ، اللّهم إلاّ أن يكون مرهباً للعدوّ .

ورابعها : المكروه وهو ما شملته أدلّة الكراهة كالزيادة في تسبيح الزهراء سلام الله عليها وساير الموظّفات ، أو النقيصة منها ، والتنعّم في الملابس والمآكل

والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلايطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم النّاس ولايتعلّمون من بدعهم

بحيث لا يبلغ الاسراف بالنسبة إلى الفاعل ، وربّما أدّى إلى التحريم إذا استضرّ به وعياله .

وخامسها : المباح وهو الداخل تحت أدلّة الاباحة كنخل الدقيق فقد ورد: أوّل شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إتخاذ المناخل ، لأنّ العيش والرفاهيّة من المباحات فوسيلته مباحة ، انتهى .

وقال في النهاية : البدعة بدعتان ، بدعة هدى وبدعة ضلال ، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله فهو في حيّز الذمّ والانكار ، وماكان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه ، وحضّ عليه أو رسوله فهو في حيّز المدح ، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسّخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ، ولا يجوز أن يكون ذلك على خلاف ما ورد به الشرع ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد جعل له في ذلك ثواباً ، فقال : من سنّ سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ، وقال في ضدّه : من سنّ سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ، وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ثمّ قال : وأكثر ما يستعمل به المبتدع في الذمّ ، انتهى .

والمراد بسبّهم الاتيان بكلام يوجب الاستخفاف بهم ، قال الشهيد الثاني رفع الله درجته : يصح مواجهتهم بما يكون نسبته إليهم حقّاً لا بالكذب ، وهل يشترط جعله على طريق النهي فيشترط شروطه أم يجوز الاستخفاف بهم مطلقا ؟ ظاهر النصّ والفتاوى الثاني ، والأوّل أحوط ، ودلّ على جواز مواجهتهم بذلك وعلى رجحانها رواية البرقي عن أبي عبدالله عليه السلام إذا ظاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة ، ومرفوعة محمّد بن بزيع : من تمام العبادة الوقيعة في أهل الريب ، انتهى .

« والقول فيهم » أي قول الشرّ والذمّ فيهم ، وفي القاموس : الوقيعة القتال

يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدّرجات في الآخرة .

٥ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن محمد بن يوسف ، عن ميسّر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاينبغي للمسلم أن يواخي الفاجر ولا الأحمق ولا الكذّاب .

وغيبة الناس ، وفي الصحّاح الوقيعة في الناس الغيبة ، والظاهر أنّ المراد بالمباهتة إلزامهم بالحجج القاطعة وجعلهم متحيّرين لايحيرون جواباً كما في قوله تعالى : «فبهت الذى كفر»[1] ويحتمل أن يكون من البهتان للمصلحة فان كثيراً من المساوي يعدّها أكثر الناس محاسن خصوصاً العقائد الباطلة ، والاوّل أظهر ، قال الجوهري : بهته بهتاً أخذه بغتة ، وبهت الرجل بالكسر إذا دهش وتحيّر ، وفي المصباح بُهت وبهت من بابي قرب وتعب دهش وتحيّر ، ويعدّى بالحرف وبغيره ، فيقال : بهته يبهته بفتحتين ، فبهت بالبناء للمفعول «ولا يتعلّموا» في أكثر النسخ ولا يتعلّمون وهو تصحيف .

الحديث الخامس : مجهول .

لكن الظاهر أنّ ميسّراً هو ابن عبدالعزيز الثقة فهو موثّق ، والمواخاة المصاحبة والصداقة بحيث يلازمه ويراعي حقوقه ، ويكون محلّ أسراره ويواسيه بماله وجاهه والفجور التوسّع في الشرّ ، قال الراغب : الفجر شقّ الشيء شقّاً واسعاً قال تعالى : «وفجّرنا الأرض عيوناً»[2] والفجور شقّ ستر الديانة يقال : فجر فجوراً فهو فاجر وجمعه فجار وفجرة ، انتهى .

و تخصيص الكذّاب مع أنّه داخل في الفاجر لأنّه أشدّ ضرراً من ساير الفجّار .

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨ .

(٢) سورة القمر : ١٢ .

٦ ـ عنه ، عن عمرو بن عثمان ، عن محمد بن سالم الكندي ، عمّن حدّثه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه إذا صعد المنبر قال : ينبغي للمسلم أن يجتنب مواخاة ثلاثة : الماجن والأحمق والكذّاب ، فأمّا الماجن فيزيّن لك فعله ويحبّ أن تكون مثله ولا يعينك على أمر دينك ومعادك ومقارنته جفاء وقسوة ، ومدخله ومخرجه عليك عار ، وأمّا الأحمق فإنّه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه وربّما أراد منفعتك فضرّك ، فموته خير من حياته وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه ، وأمّا الكذّاب فإنّه لا يهنّئك معه عيش

الحديث السادس : ضعيف .

وفي القاموس : مجن مجوناً صلب وغلظ، ومنه الماجن لمن لا يبالي قولا و فعلا كأنّه صلب الوجه ، وقال الجوهري : المجون أن لا يبالي الانسان ماصنع و كأنّ المراد بالجفاء البعد عن الآداب الحسنة ، ويطلق في الأخبار على هذا المعنى كثيراً وهو الأنسب هنا ، ويمكن أن يكون المراد به أنّه يوجب غلظ الطبع ، وترك الصلة والبرّ . ومنه الحديث : من بدا جفا أي من سكن البادية غلظ طبعه لقلّة مخالطة الناس ، والجفاء غلظ الطبع .

«وقسوة» أي توجب القسوة ، والمدخل مصدر ميمي وكذا المخرج ، ويحتملان الاضافة إلى الفاعل وإلى المفعول أي دخولك عليه أو دخوله عليك ، و كذا المخرج « فانّه لا يشير عليك بخير » أي إذا شاورته « ولا يرجى لصرف السوء عنك » أي إذا ابتليت ببليّة « ولو أجهد » أي أتعب نفسه فانّ كل ذلك فرع العقل .

« وربّما أراد منفعتك فضرّك » لحمقه من حيث لا يشعر « فموته خير » لك « من حياته » في كلّ حال « وسكوته » عند المشورة وغيرها « خير » لك « من نطقه» «وبعده» عنك أو بعدك عنه «خير لك من قربه» فانّ احتمال الضرر أكثر من النفع « لا يهنّئك » بالهمز والقلب أيضاً ، في المصباح هنؤ الشيء بالضمّ مع الهمز هناءة

ينقل حديثك وينقل إليك الحديث ، كلّما أفنى أحدوثة مطّها بأخرى حتّى أنّه

بالفتح والمدّ تيسّر من غير مشقّة ولا عناء فهو هنيء ، ويجوز الابدال والادغام ، وهنأفي الولد يهنؤني مهموز من بابي نفع وضرب ، أي سرّني ويقول العرب في الدعاء ليهنئك الولد بهمزة ساكنة وبابدالها ياءاً وحذفها عاميّ ، ومعناه سرّني فهو هانيء وهنأني الطعام يهنأني ساغ .

« ينقل حديثك وينقل إليك الحديث » أي يكذب عليك عند النّاس ويكذب على الناس عندك ، فيفسد بينك وبينهم ، فقوله : كلّما أفنى بيان مفسدة أخرى ، وهي عدم الاعتماد على كلامه ويحتمل أن يكون الجميع لبيان مفسدة واحدة وهو أنّ العمدة في منفعة الصديق أن يأتيك بكلام غيرك أو فعله وأن يبلغ رسالتك إلى غيره ، ولمّا كانت عادته الكذب لا تعتمد أنت على كلامه ولا غيرك فتنتفي الفائدتان هذا إذا لم يأت بمايوجب الافساد والاغراء ، وإلاّ فمفسدته أشدّ فيكون قوله ويغرى تأسيساً لا تأكيداً .

وفي القاموس : الحديث الخبر ، والجمع أحاديث شاذّ ، والاحدوثة مايتحدث به . وفي الصحاح الحديث الخبر يأتي على القليل والكثير ، ويجمع على أحاديث على غير قياس ، قال الفراء : نرى أن واحد الاحاديث أحدوثة ، ثمّ جعلوه جمعاً للحديث والأحدوثة ما يتحدّث به ، وقال : مطّه يمطّه أي مدّه . وفي القاموس مطّه مدّه والدلو جذبه، وحاجبيه وخدّه تكبّر ، وأصابعه مدّها مخاطباً بها ، وتمطّط تمدّد ، وفي الكلام لوّن فيه ، انتهى .

وسيأتي هذا الخبر بعينه في كتاب العشرة ، وفيه مطرها وفي القاموس : مطر بي ومامطر منه خيراً وبخير أي ما أصابه منه خير ، وتمطّرت الطير أسرعت في هويّتها كمطرت ، وعلى الاوّل الباء في قوله بأخرى للآلة ، وعلى الثاني للتعدية إلى المفعول الثاني « فما يصدّق » على بناء المجهول من التفعيل ، وربما يقرء على بناء المعلوم

يحدث بالصدق فما يصدّق ويغري بين النّاس بالعداوة فينبت السخائم في الصّدور فاتّقوا الله وانظروا لأنفسكم .

٧ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عمرو بن عثمان ، عن محمّد بن عذافر ، عن بعض أصحابه ، عن محمّد بن مسلم أو أبي حمزة ، عن أبي عبدالله ، عن أبيه عليهما السلام قال : قال لي عليُّ بن الحسين صلوات الله عليهما : يا بنيّ انظر خمسة فلا تصاحبهم

كينصر أى أصل الحديث صادق ، فيمطّها بكذب من عنده فلا يكون صادقاً لذلك والأوّل أظهر ، وفي القاموس : أغرى بينهم العداوة ألقاها كأنّه ألزقها بهم وقال الجوهري : أغريت الكلب بالصّيد وأغريت بينهم .

وأقول : كأنّ المعنى هنا يغرى بينهم المخاصمات بسبب العداوة ، أو الباء زائدة وقد قال تعالى : «فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء»[1] ويظهر من بعضهم كالجوهرى أنّ الاغراء بمعنى الافساد ، فلا يحتاج إلى مفعول ، وفي بعض النسخ فيما سيأتى ويفرّق بين الناس بالعداوة ، فلا يحتاج إلى مفعول ، وفى بعض النسخ فيما سيأتى و يفرّق بين الناس بالعداوة فلايحتاج الى تكلّف ، و قال : السخيمة و السخمة بالضمّ الحقد .

«وانظروا لأنفسكم» أى اختاروا للمواخاة والمصاحبة غير هؤلاء حيث عرفتم ضرر مصاحبتهم ، أو لما نبّهتكم على ضرر مصاحبة صاحب السّوء فاتّقوا عواقب السّوء واختاروا للاخوة من لم تتضرّروا بمصاحبتهم في الدّين والدّنيا وإن كان غير هؤلاء كماسيأتى أفراداُخر ، وقيل : المعنى فانظروا لأنفسكم ولاتقبلوا قول الكذّاب ولا تعادوا النّاس بقولهم ، وقد قال تعالى : «إن جائكم فاسق بنبأ فتبيّنوا»[2] ولا يخلو من بعد .

الحديث السابع : ضعيف .

---

(١) سورة المائدة : ١٤ .

(٢) سورة الحجرات : ٦ .

ولاتحادثهم ولا ترا فقهم في طريق فقلت : ياأبه من هم ؟ قال : إيّاك ومصاحبة الكذّاب فإنّه بمنزلة السّراب يقرّب لك البعيد ويباعد لك القريب، وإيّاك ومصاحبة الفاسق فإنّه بائعك بأكلة أو أقلّ من ذلك، وإيّاك ومصاحبة البخيل فأنّه يخذلك في ماله أحوج ماتكون إليه، وإيّاك ومصاحبة الأحمق فانّه يريد أن ينفعك فيضرّك .

« فانّه » أي الكذّاب « بمنزلة السّراب » قال الراغب : السّراب اللامع في المفازة كالماء ، وذلك لانسرابه في رأى العين ، ويستعمل السّراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة ، قال تعالى :« كسراب بقيعة يحسبه الظّمآن ماءاً » [1] وقال تعالى : « وسيّرت الجبال فكانت سراباً » [2] انتهى .

وقد يقال : المراد بالكذّاب هنا من يكذب على الله ورسوله بالفتاوى الباطلة ويمكن أن يكون إشارة إلى قوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة » الخ .

وقوله عليه السلام : يقرّب، إستيناف لبيان وجه الشبه، والمستتر فيه راجع إلى الكذّاب والمعنى أنّه بكذبه يقرّب إليك البعيد عن الحقّ والواقع أو عن العقل ، وكذا العكس .

« فانّه بايعك » على صيغة إسم الفاعل اوفعل ماض من المبايعة بمعني البيعة ، والاوّل أظهر ، والأكلة إمّا بالفتح أي بأكلة واحدة أو بالضمّ أي لقمة ، قال الجوهري: أكلت الطّعام أكلا ومأكلاً ، والأكلة المرّة الواحدة حتّى تشبع ، والأكلة بالضمّ اللقمة ، تقول : أكلت اكلة واحدة ، أي لقمة ، وهي القرصة أيضاً ، وهذا الشيء اكلة لك أي طعمة ، انتهى .

وقد يقرء بأكله بالاضافة إلى الضمير الراجع إلى الفاسق ، كناية عن مال الدنيا،

---

(١) سورة النور : ٣٩ .

(٢) سورة النبأ : ٢٠ .

وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه فانّي وجدته ملعوناً في كتاب الله عزّ وجلّ في ثلاث مواضع : قال الله عزّ وجلّ : « فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض

فقوله: وأقلّ من ذلك، الصيت والذكر عند الناس وهو بعيد ، والأوّل أصوب كما روى في النهج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لابنه الحسن : يا بنيّ إيّاك ومصادقة الاحمق فانّه يريد ان ينفعك فيضرك ، وإيّاك ومصادقة البخيل فانّه يقعد عنك احوج ما تكون اليه و ايّاك مصادقة الفاجر فانّه يبيعك بالتافه ، و إيّاك و مصادقة الكذّاب فانّه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عنك القريب ، والتافه : اليسير الحقير ، وذلك لأنّه لا يخاف الله ويسهل عليه خلاف الدّيانة فلا يحفظ حقّ المصادقة «فانّه يخذلك في ماله » أى يترك نصرتك بسبب ماله «أحوج ما تكون إليه» قيل : أحوج منصوب بنيابة ظرف الزمان لاضافته إلى المصدر، لكون مامصدرية، وكما أنّ المصدر يكون نائباً لظرف الزمان مثل رأيته قدوم الحاجّ كذلك يكون المضاف إليه أيضاً نائباً وتكون تامّة، ونسبة الحاجة إلى المصدر مجاز ، والمقصود نسبته إلى الفاعل، واليه متعلّق بالأحوج والضمير راجع إلى البخيل أو إلى ماله وقيل : أحوج منصوب على الحال من الكاف .

« في ثلاث مواضع » كذا في أكثر النسخ وكأنّ تأنيثه بتأويل المواضع بالآيات، وفي بعضها في ثلاثة وهو أظهر « فهل عسيتم إن تولّيتم » قال البيضاوى : أى تولّيتم أمور الناس وتأمّرتم عليهم ، أو أعرضتم وتولّيتم عن الاسلام « أن تفسدوا في الارض وتقطّعوا أرحامكم » تناجزاً عن الولاية وتجاذباً لها أورجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهليّة من التغاور والمقاتلة مع الأقارب ، والمعنى أنّهم لضعفهم في الدّين وحرصهم على الدّنيا أحقّاء بأن يتوقّع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم : هل عسيتم « أولئك المذكورون الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فأصمّهم عن استماع الحقّ وقبوله وأعمى أبصارهم فلا يهتدون إلى سبيله .

وتقطّعوا أرحامكم* اولئك الّذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم»[1] وقال : «الّذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ماأمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض

« الذين ينقضون » في الرعد « والذين » وحذف العاطف سهل ، لكن ليس في بعض النسخ « ويفسدون في الارض » وكأنّه من النسّاخ لوجوده في أكثر النسخ .

وفي كتاب الاختصاص وغيره « عهدالله » قيل : لله تعالى عهود، عهد أخذه بالعقل على عباده بارائة آياته في الآفاق والانفس ، وبما ذكر من إقامة الحجّة على وجود الصّانع وقدرته وعلمه وحكمته وتوحيده ، وعهد أخذه عليهم بأن يقرّوا بربوبيّته فأقرّوا ، وقالوا بلى حين قال: ألست بربّكم ، وعهد أخذه على أهل الكتاب في الكتب المنزلة على أنبيائهم بتصديق محمّد صلى الله عليه وآله ، وعهد أخذه على الامم أن يصدّقوا نبيّاً بعث إليهم بالمعجزات ويتبّعوه ولايخالفوا حكمه ، وعهد أخذه عليهم بالولاية للاوصياء، وعهد أخذه على العلماء بأن يعلّموا الجهّال ويبيّنوا مافي الكتاب ولايكتموه ، وعهد أخذه على النبيّين بأن يبلّغوا الرسالة ويقيموا الدين ولايتفرّقوا فيه ، وقد وقع النقض في جميع ذلك إلاّ في الأخير .

والضمير في ميثاقه للعهد، وقال المفسّرون : هو إسم لما تقع به الوثاقة وهي الاستحكام والمراد به ماوثق الله به عهده من الآيات والكتب، أو ماوثّقوه به من الالتزام والقبول وأن يوصل في محلّ الخفض على أنّه بدل الاشتمال من ضمير به ، وفي تفسير الامام عليه السلام في تفسير آية البقرة « الذين ينقضون عهدالله » المأخوذ عليهم لله بالرّبوبية ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ، ولعليّ بالامامة ولشيعتهما بالمحبّة والكرامة « من بعد ميثاقه » أي إحكامه وتغليظه « ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل » من الأرحام والقرابات ان يتعاهد هم وأفضل رحم و أوجبهم حقّاً رحم محمّد فانّ حقّهم بمحمّد كما انّ قرابات الانسان بأبيه وأمّه ، ومحمّد أعظم حقّاً من أبويه ، كذلك حقّ رحمه أعظم وقطيعته أفظع وأفضح ؟ .

« ويفسدون في الأرض » بالبراءة فمن فرض الله إمامته ، واعتقاد إمامة من قد

(١) سورة محمد : ٢٣ .

أُولئك لهم اللّعنة ولهم سوء الدّار»[1] وقال في البقرة : « الّذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمرالله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون »[2] .

فرض الله مخالفته « اولئك » أهل هذه الصفة « هم الخاسرون » خسروا أنفسهم لما صاروا إليه من النيران ، وحرّموا الجنان ، فيالها من خسارة ألزمتهم عذاب الأبد ، وحرّمتهم نعيم الأبد .

وقيل في «يقطعون ما أُمرالله به ان يوصل » : يدخل فيه التفريق بين الأنبياء والكتب في التصديق وترك موالاة المؤمنين ، و ترك الجمعة والجماعات المفروضة ، وساير مافيه رفض خير اوتعاطى شرّ فانّه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد الّتى هى المقصودة بالذات من كلّ وصل وفصل ، وقوله عليه السلام : وجدته ملعوناً في ثلاثة مواضع اللعن في الآية الاولى والثانية ظاهر ،وامّا الثالثة فلاستلزام الخسران لاسيّما على ما فسّره الامام عليه السلام اللّعن والبعد من رحمةالله ، والله سبحانه في أكثر القرآن وصف الكفّار بالخسران ، فقد قال تعالى : « اولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون »[3] وقال : « فلايأمن مكرالله إلاّ القوم الخاسرون »[4] وقال بعدذكر الكفّار : « لاجرم أنّهم في الآخرة هم الخاسرون »[5] وقال : « فيركمه جميعاً فيجعله في جهنّم أولئك هم الخاسرون »[6] وقال: « ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون»[7] وقال : « والّذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون »[8] وقال : «ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون »[9] وقال : « قل إنّ الذين خسروا أنفسهم وأهليهم

(١) سورة الرعد : ٢٤ .
(٢) سورة البقرة : ٢٧ .
(٣) سورة التوبة : ٦٩ .
(٤) سورة الاعراف : ٩٩
(٥) سورة النحل : ١٠٩ .
(٦) سورة الانفال : ٣٧ .
(٧) سورة الاعراف : ١٧٨ .
(٨) سورة العنكبوت : ٥٩.
(٩) سورة البقرة :١٢١.

٨ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن شعيب العقرقوفي قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « وقد نزّل عليكم في الكتاب

يوم القيامة ألاذلك هو الخسران المبين » [1] وقال : « ولاتكوننّ من الذين كذّبوا بآيات الله فتكونَ من الخاسرين » [2] و قال : « و الذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون » [3] وقال : « لئن اشركت ليحبطنّ عملك و لتكوننّ من الخاسرين » [4] وقال « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » [5] وقال : « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين » [6] .

الحديث الثامن : صحيح .

« وقد نزّل عليكم في الكتاب » يعني في القرآن و كأنّه إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام : « واذا رأيت الّذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره و إمّا ينسينّك الشيطان فلاتقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » [7] فانّ الانعام مكيّة ، وهذه الآية في سورة النساء وهي مدنيّة و كأنّه عليه السلام لذلك اختار هذه الآية لاشارتها إلى الآية الاخرى أيضاً، وتتمّة الآية « فلاتقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيره إنّكم إذاً مثلهم إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ، أن إذا سمعتم» قيل : «ان» مفسّرة ، وقال البيضاوي : محففّة ، والمعنى أنّه إذا سمعتم آيات الله ، وقد ورد في الأخبار الكثيرة أنّ آيات الله الأئمّة عليهم السلام أو الآيات النازلة فيهم وقال عليّ بن ابراهيم هنا : آيات الله هم الأئمّة عليهم السلام .

---

(١) سورة الزمر : ١٥ .

(٢) سورة يونس : ٩٥ .

(٣ و ٤) سورة الزمر ٦٣ ، ٦٥ .

(٥) سورة آل عمران : ٨٥ .

(٦) سورة المائدة : ٥ . (٧) الاية ٦٨ .

أنْ إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزء بها . . إلى آخر الآية »[١] فقال: إنّما عنى بهذا : [إذا سمعتم] الرّجل [الذي] يجحد الحقّ ويكذّب به ويقع في الأئمّة فقم من عنده ولاتقاعده ، كائناً من كان .

٩ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عليّ بن أسباط ، عن سيف بن عميرة ، عن عبدالأعلى بن أعين ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايجلس مجلساً ينتقص فيه إمام أويعاب فيه مؤمن .

يكفر بها ويستهزء بها » قال البيضاوي : حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله : « فلاتقعدوا » الخ ، الذي هو جزاء الشرط بما إذا كان من يجالسه هازئاً معانداً غير مرجوّ ، ويؤيّده الغاية ، والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله : يكفر بها ويستهزء بها « إنّكم إذاً مثلهم » في الاثم لأنّكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم أو الكفر إن رضيتم بذلك أولأنّ الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الأخبار كانوا منافقين، ويدلّ عليه «إنّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنّم جميعاً » يعني القاعدين والمقعود معهم ، انتهى .

وفي الآية ايماء الى أنّ من يجالسهم ولاينهاهم هومن المنافقين كائناً من كان ، أي سواء كان من أقاربك أم من الاجانب ، وسواء كان ظاهراً من أهل ملّتك أم لا ، وسواء كان معدوداً ظاهراً من أهل العلم أم لا ، وسواء كان من الحكّام أوغيرهم إذالم تخف ضرراً .

الحديث التاسع : مجهول بعبد الأعلى ، وقد يعدّ حسناً لمدح فيه رواه نفسه .

« فلايجلس » بالجزم أو الرفع ، وكأنّه إشارة إلى قوله تعالى : «لاتجدقوماً يؤمنون بالله ورسوله يوادّون من حادّ الله ورسوله »[٢] وفيه زجر عظيم عن

---

(١) سورة النساء : ١٣٧ .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ .

١٠ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن جعفر بن محمّد الاشعري ، عن ابن القدّاح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايقوم مكان ريبة .

استماع غيبة المؤمن حيث عادله بانتقاص الامام ، يقال : فلان ينتقص فلاناً أي يقع فيه ويذمّه .

الحديث العاشر : ضعيف .

«مكان ريبة» اي مقام تهمة وشكّ ، وكأنّ المراد النهي عن حضور موضع يوجب التهمة بالفسق أو الكفر أو بذمائم الأخلاق أعمّ من أن يكون بالقيام أو المشي أو القعود أو غيرها ، فانّه يتّهم بتلك الصفات ظاهراً عند الناس وقد يتلوّث به باطناً أيضاً كمامرّ ، قال في المغرب : رابه ريباً شكّكه ، والريبة الشكّ والتهمة ، ومنها الحديث دع مايريبك الى مالايريبك ، فانّ الكذب ريبة ، وانّ الصّدق طمأنينة أي مايشكّ ويحصل فيك الريبة ، وهي في الأصل قلق النفس واضطرابها ، ألاترى كيف قابلها بالطمأنينة وهي السّكون ، وذلك أنّ النفس لاتستقرّ متى شكّت في أمر ، واذا أيقنته سكنت وأطمأنّت ، انتهى .

ويحتمل أن يكون المراد به المنع عن مجالسة أرباب الشكوك والشبهات الذين يوقعون الشبه في الدّين ، ويعدّونها كياسة ودقّة فيضلّون الناس عن مسالك أصحاب اليقين كأكثر الفلاسفة والمتكلّمين ، فمن جالسهم وفاوضهم لايؤمن بشيء بل يحصل في قلبه مرض الشكّ والنفاق ، ولايمكنه تحصيل اليقين في شيء من امور الدّين ، بل يعرضه إلحاد عقليّ لايتمسّك عقله بشيء ، ولايطمئنّ في شيء ، كما انّ الملحد الدينيّ لايؤمن بملّة ، فهم كما قال تعالى : «في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » [1] وأكثر أهل زماننا سلكوا هذه الطريقة ، وقلّما يوجد مؤمن على الحقيقة أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين من ذلك ، وحفظنا عن جميع المهالك .

---

(١) سورة البقرة : ١٠ .

١١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّد ، عن عليّ بن الحكم ، عن سيف بن عميرة عن عبدالأعلى قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايقعدنّ في مجلس يعاب فيه إمام أوينتقص فيه مؤمن .

١٢ ـ الحسين بن محمّد ، عن عليّ بن محمّدبن سعد ، عن محمّد بن مسلم ، عن اسحاق ابن موسى قال : حدّثني أخي وعمّي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ثلاثة مجالس

الحديث الحاديعشر : مجهول أو حسن وقد تقدّم مثله بتغيير مافي المتن والسّند .

الحديث الثانيعشر : مجهول .

و كأنّ المراد بالأخ الرّضا عليه السلام ، لأنّ الشيخ عدّ اسحاق من أصحابه عليه السلام وبالعمّ عليّ بن جعفر ، و كأنّه كان عن أبى عبدالله عليه السلام فظنّ الرواة أنّه زائد فأسقطوه و إن أمكن رواية عليّ بن جعفر عن أبيه ، والرّضا عليه السلام لايحتاج إلى الواسطة في الرّواية ، والمرادبالنقمة إمّاالعقوبة الدنيويّة أواللعنة والحكم باستحقاق العقوبة الاُخرويّة ، وقوله:ولاتجالسوهم إمّا تأكيد لقوله فلاتقاعدوهم ، أو المراد بالمقاعدة مطلق القعود مع المرء وبالمجالسة الجلوس معه على وجه الموادّة والمصاحبة والمؤانسة كما يقال فلان أنيسه وجليسه ، فيكون ترقيّاً من الأدون إلى الأعلى كماهوعادة العرب ، وعليه جرى قوله تعالى : « ولاأصغر من ذلك ولاأكبر »[1] وقوله سبحانه : « لاتأخذه سنة ولانوم » [2] .

ويحتمل العكس أيضاً بأن يكون المراد بالمقاعدة من يلازم القعود كقوله تعالى : « عن اليمين والشمال قعيد » [3] أو يكون المراد بأحدهما حقيقة المقاعدة وبالاُخرى مطلق المصاحبة .

---

(١) سورة يونس : ٦١ . (٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) سورة ق : ١٧ .

يمقتها الله ويرسل نقمته على أهلها فلاتقاعدوهم ولاتجالسوهم : مجلساً فيه من يصف لسانه كذباً في فتياه ؛ ومجلساً ذكر أعدائنا فيه جديدٌ وذكرنا فيه رثٌّ ؛ ومجلساً فيه من يصدّ عنّا وأنت تعلم؛ قال : ثمّ تلا أبوعبدالله عليه السلام ثلاث آيات من كتاب الله كأنّما كنّ في فيه ـ أوقال [في] كفّه ـ : « ولاتسبّوا الّذين يدعون من دون الله

وقد ذكروا وجوهاً من الفرق بين القعود والجلوس لكن مناسبته لهذا المقام محلّ تأمّل ، وإن أمكن تحصيلها بتكلّف ، قال في المصباح : الجلوس غير القعود ، فالجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو والقعود هو الانتقال من علوّ إلى سفل ، فعلى الأوّل يقال لمن هو نائم أو ساجد إجلس ، وعلى الثاني لمن هو قائم أقعد وقد يكون جلس بمعنى قعد متربّعاً ، وقد يفارقه ، ومنه جلس بين شعبها أي حصل وتمكّن ، إذ لايسمى هذا قعوداً فانّ الرّجل حينئذ يكون معتمداً على أعضائه الاربع ، ويقال : جلس متّكئاً ولايقال قعد متّكئاً بمعنى الاعتماد على أحد الجانبين .

و قال الفارابي و جماعة : الجلوس نقيض القيام فهو أعمّ من القعود ، وقد يستعملان بمعنى الكون والحصول فيكونان بمعنى واحد، ومنه يقال: جلس متربّعاً، وقعد متربّعاً ،و الجليس من يجالسك ،فعيل بمعنى فاعل .

« في فتياه » قيل : في للتّعليل، نحو قوله : «فذلكنّ الذي لمتنّني فيه»[1] وقال الجوهري : الرثّ الشيء البالي، وقال : صدّ عنه صدوداً أعرض ، و صدّه عن الأمر صدّاً منعه و صرفه عنه ، و المراد بمن يصدّ عنهم أعمّ من ذلك المجلس و غيره ، لقوله : و أنت تعلم ، أي وأنت تعلم أنّه ممّن يصدّ عنّا ، فان لم تعلم فلاحرج عليك في مجالسته .

« قال ثمّ تلا » الضمير في قال هنا و فيما سيأتي راجع إلى كلّ من الاخ و العمّ ، و لذلك تكلّف بعضهم و قال : الأخ و العمّ واحد ، والمراد الاخ الرضاعيّ ولا يخفى بعده ، « أو قال كفّه » الترديد من الراوي أي أو قال مكان في فيه في كفّه،

---

(١) سورة يوسف : ٣٢ .

. . . .

و على التقديرين الغرض التعجّب من سرعة الاستشهاد بالآيات بلا تفكّر و تأمّل .

و ترتيب الآيات على خلاف ترتيب المطالب، فالآية الثالثة للكذب في الفتيا، و الاولى للثاني ، إذ قد ورد في الأخبار أنّ المراد بسبّ الله سبّ أولياء الله ، و إذا جلس مجلساً يذكر فيه أعداء الله فامّا أن يسكت فيكون مداهناً أو يتعرّض لهم فيدخل تحت الآية ،وسيأتي في الروضة في حديث طويل عن الصادق عليه السلام : وجاملوا الناس ولا تحملوهم على رقابكم تجمعوا مع ذلك طاعة ربّكم ، و إيّاكم و سبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم ، وقد ينبغي لكم أن تعلموا حدّ سبّهم لله ، كيف هو أنه من سبّ أولياء الله فقد انتهك سبّ الله ، و من أظلم عندالله ممّن استسبّ لله و لأوليائه، فمهلاً مهلاً فاتبعوا امرالله ولاحول ولاقوّة الاّ بالله .

و روى العيّاشي عنه عليه السلام انّه سئل عن هذه الآية ؟ فقال : أرأيت أحداً يسبّ الله ؟ فقال : لا و كيف ؟ قال :من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله ؟

و في الاعتقادات عنه عليه السلام أنّه قيل له : إنّا نرى في المسجد رجلا يعلن بسبّ أعدائكم و يسبّهم ؟ فقال : ماله لعنه الله ، تعرّض بنا ، قال الله : « ولا تسبّوا الّذين يدعون » الآية ، قال : و قال الصّادق عليه السلام في تفسير هذه الآية : لا تسبّوهم فانّهم يسبّوا عليكم ، وقال : من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله ، قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: من سبّك فقد سبّني . و من سبّني فقد سبّ الله ، و من سبّ الله فقد كبّه الله على منخريه في النار .

والآية الثانية للمطلب الثّالث إذ قد ورد في الأخبار أنّ المراد بالآيات الائمّة عليهم السلام ، و روى عليّ بن ابراهيم عن النبي صلى الله عليه وآله ، قال : من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلايجلس في مجلس يسبّ فيه إمام أو يغتاب فيه مسلم ، إنّ الله تعالى يقول

فيسبّوا الله عدواً بغير علم»[1]. «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره»[2]. «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب»[3].

في كتابه: «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا» الآية، وقيل: الاولى للثالث، والثانية للثاني، وقال: الخوض في شيء الطعن فيه كما قال تعالى: «وكنّا نخوض مع الخائضين»[4] ولنرجع الى تفسير الآيات على قول المفسّرين: «ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله» قالوا أي لا تذكروا آلهتهم الّتي يعبدونها فيها من القبائح «فيسبّوا الله عدواً» أي تجاوزاً عن الحقّ إلى الباطل «بغير علم» أي على جهالة بالله وما يجب أن يذكر به.

و أقول: على تأويلهم عليهم السلام يحتمل أن يكون المعنى بغير علم أنّ سبّ أولياء الله سبّ لله «وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا قالوا» أي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها «فأعرض عنهم» اى فلا تجالسهم وقم عنهم «حتّى يخوضوا في حديث غيره» قيل: أعاد الضمير على معنى الآيات لأنّها القرآن، وقيل في قوله «في آياتنا» حذف مضاف، أى حديث آياتنا بقرينة قوله في حديث غيره، وقال بعد ذلك: «وإمّا ينسينّك الشيطان» بأن يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى «فلا تقعد بعد الذكرى» أى بعد أن تذكره «مع القوم الظالمين» أى معهم بوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أنّهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

«ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم» قيل: اللاّم للتعليل ومتعلّق بالنهى عنه في لا تقولوا، وما مصدريّة، قال البيضاوى: انتصاب الكذب بلا تقولوا و «هذا حلال وهذا حرام» بدل منه أو متعلّق بتصف على ارادة القول أى لا تقولوا الكذب لما تصف

(۱و۲) سورة الانعام: ۱۰۸، ۶۸.
(۳) سورة النحل: ۱۱۶. (۴) سورة المدثر: ۴۵.

١٣ ـ وبهذا الإسناد ، عن محمّد بن مسلم ، عن داود بن فرقد قال : حدَّثني محمّد بن سعيد الجمحي قال: حدَّثني هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا ابتليت بأهل النصب ومجالستهم فكن كأ نّك على الرضف حتّى تقوم فانّ الله يمقتهم ويلعنهم فاذا رأيتهم يخوضون في ذكر إمام من الأئمّة فقم فانّ سخط الله ينزل هناك عليهم .

١٤ ـ أبو عليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن صفوان ، عن عبد

ألسنتكم فتقولوا هذا حلال و هذا حرام ، أو مفعول لا تقولوا ، أو الكذب منتصب بتصف و ما مصدريّة أي لا تقولوا هذا حلال و هذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرّموا و لا تحلّوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل .

و وصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب ، كأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولة ، و ألسنتهم تصفها و تعرفها بكلامهم ، هذا و لذلك عدّ من من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال ، و عينها تصف السحر « لتفتروا على الله الكذب» تعليل لا يتضمّن الغرض كما في قوله « ليكون لهم عدوّاً و حزناً»[1] .

الحديث الثالث عشر : مجهول .

و في النهاية في حديث الصلاة كان في التشهّد الاوّل « كأنّه على الرضف » الرضف الحجارة المحماة على النار ، واحد تها رضفة ، انتهى .

و سخط الله لعنهم و الحكم بعذابهم و خذلانهم ، و منع الالطاف عنهم ، فاذا نزل يمكن أن يشمل من قارنهم و قاربهم فيجب الاحتراز عن مجالستهم إذا لم تكن تقيّة .

الحديث الرابع عشر : صحيح .

و يدلّ على تحريم الجلوس مع النواصب و إن لم يسبّوا في ذلك المجلس و هو أيضاً محمول على غير التقيّة .

---

(١) سورة القصص : ٨ .

الرّحمن بن الحجّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قعد عند سبّاب لأولياء الله فقد عصى الله تعالى .

١٥ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن القاسم بن عروة ، عن عبيد بن زرارة ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من قعد في مجلس يسبّ فيه إمام من الأئمّة ، يقدر على الانتصاف فلم يفعل ألبسه الله الذّلّ في الدنيا وعذّبه في الآخرة وسلبه صالح مامنّ به عليه من معرفتنا .

١٦ ـ الحسين بن محمّد ؛ ومحمّد بن يحيى ، عن عليّ بن محمّد بن سعد عن محمّد بن مسلم ، عن الحسن بن عليّ بن النعمان ، قال : حدّثني أبي : عليّ بن النعمان عن ابن مسكان ، عن اليمان بن عبيدالله قال : رأيت يحيى بن امّ الطويل وقف

الحديث الخامس عشر : مجهول .

و الانتصاف الانتقام ، و في القاموس : انتصف منه استوفي حقّه منه كاملا حتّى صار كلّ على النصف سواء ، وتناصفوا أنصف بعضهم بعضاً ،انتهى .

و الانتصاف أن يقتله إذا لم يخف على نفسه أو عرضه أو ماله أو على مؤمن آخر ، و إضافة صالح إلى الموصول بيانيّة فيفيد سلب أصل المعرفة بناءاً على أنّ من للبيان ، و يحتمل التبعيض أى من أنواع معرفتنا فيفيد سلب الكمال ، ويحتمل التعليل أى الأعمال الصّالحة والأخلاق الحسنة التى أعطاه بسبب المعرفة ، ويحتمل أن تكون الاضافة لاميّة فيرجع إلى الأخير و الأوّل أظهر .

الحديث السادس عشر : مجهول .

و يحيى بن أمّ الطويل من أصحاب الحسين ، و قال الفضل بن شاذان : لم يكن في زمن عليّ بن الحسين عليه السلام في أوّل أمره إلاّ خمسة أنفس ، و ذكر من جملتهم يحيى بن أمّ الطويل ، و روى عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : إرتدّ الناس بعد الحسين عليه السلام إلاّ ثلاثة ، أبوخالد الكابلي و يحيى بن أمّ الطويل و جبير بن مطعم ، ثمّ انّ

بالكناسة ثمّ نادى بأعلى صوته : معشر أولياء الله ! إنّا براء ممّا تسمعون ، من سبّ علياً عليه السلام فعليه لعنة الله ونحن براء من آل مروان وما يعبدون من دون الله ، ثمّ يخفض صوته فيقول : من سبّ أولياء الله فلا تقاعدوه ومن شكّ فيما نحن عليه فلا تفاتحوه ومن احتاج إلى مسألتكم من إخوانكم فقد خنتموه ، ثمّ يقرأ : « إنّا

الناس لحقوا و كثروا ، و في رواية أخرى مثله ، وزاد فيها و جابر بن عبدالله الأنصاري ، و روى عن أبي جعفر عليه السلام أنّ الحجّاج طلبه و قال : تلعن أبا تراب و أمر بقطع يديه و رجليه و قتله .

و أقول : كأنّ هؤلاء الأجلاّء من خواصّ أصحاب الائمّة عليهم السلام كانوا مأذونين من قبل الائمّة عليهم السلام بترك التقيّة لمصلحة خاصّة خفيّة ، أو أنّهم كانوا يعلمون أنّه لا ينفعهم التقيّة و أنّهم يقتلون على كلّ حال باخبار المعصوم أو غيره، والتقيّة إنّما تجب إذا نفعت مع أنّه يظهر من بعض الأخبار أنّ التقيّة إنّما تجب إبقاءاً للدّين و أهله ، فاذا بلغت الضلالة حدّاً توجب اضمحلال الدّين بالكليّة فلا تقيّة حينئذ و إن أوجب القتل كما أنّ الحسين عليه السلام لمّا رأى إنطماس آثار الحقّ رأساً ترك التقيّة و المسالمة .

و قال الفيروزآبادى : الكناسة بالضم موضع بالكوفة، والبراء امّا بالفتح مصدر، و الحمل للمبالغة ،أو بالضمّ أو الكسر جمع برىء ،أو كعلماء جمعه أيضاً كما مرّ .

« ممّا تسمعون » أى من سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام و مدح أئمّة الجور « وما يعبدون من دون الله» إشارة إلى أنّهم على كفرهم الأصلى يظهرون الاسلام و يبطنون الكفر ، أو إلى أنّ تركهم الطّاعة لأئمّة المنصوبين من قبل الله و طاعتهم خلفاء الجور بمنزلة الشرك ، فالمراد بمن يعبدون من دون الله الطّواغيت .

« ثمّ يخفض » ذكر المضارع مكان الماضى للاشعار بتكرّر وقوع ذلك منه « فيما نحن عليه » أى مذهب الاماميّة .

أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً » [1].

و قال في النهاية : الفتح الحكم ، و منه حديث ابن عباس : ما كنت أدرى ما قوله عزّ وجلّ « ربّنا افتح بيننا و بين قومنا » [2] حتّى سمعت بنت ذى يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك ، اى أحاكمك ، و منه الحديث : لا تفاتحوا أهل القدر ، أى لا تحاكموهم ، و قيل : لا تبتدؤهم بالمجادلة و المناظرة ، و في القاموس : فاتح جامع و قاضى ، و تفاتحا كلاماً بينهما تحافتاً دون الناس « فقد خنتموه » الغرض الحثّ على الاعطاء قبل سؤالهم حتّى لا يحتاجوا إلى المسئلة ، فانّ العطيّة بعد السؤال جزاؤه كما قاله الحكماء ، و وردت به الأخبار و قيل : المعنى إن لم تعطوه فقد خنتموه وهو بعيد .

« أحاط بهم سرادقها » في القاموس : السرادق كلّما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أوخباء ، وقال البيضاوى : أى فسطاطها شبّه به مايحيط بهم من النار ، وقيل: السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط ، وقيل : سرادقها دخانها وقيل : حائط من نار « وإن يستغيثوا » من العطش « كالمهل » أى كالجسد المذاب وقيل: كدردىّ الزيت « يشوى الوجوه » إذا قدم ليشرب من فرط حرارته « بئس الشراب » المهل « وسائت » النار « مرتفقاً » أى متّكئاً ، وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخدّ ، وهو لمقابلة قوله : وحسنت مرتفقاً ، وإلاّ فلا ارتفاق لاهل النار .

---

(١) سورة التوبة : ١٨ .

(٢) سورة الاعراف : ٨٩ .

﴿باب﴾

﴿ اصناف الناس﴾

١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليّ بن أسباط ، عن سليم مولى طربال قال : حدّثني هشام ، عن حمزة بن الطيّار قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام الناس على ستّة أصناف قال : قلت : أتأذن لي أن أكتبها ؟ قال : نعم قلت : ما أكتب؟

باب اصناف الناس

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« الناس ستّة أصناف » قيل : لعلّ وجه الحصر أنّ الناس إمّا مؤمن أو كافر أولا هذا ولا ذاك ، والأخيرهم المستضعفون الذين لا يقرّون بالحقّ ولا ينكرونه ، والثاني هم أهل النار قطعاً ، والأوّل إمّا مؤمن كامل سابق بالخيرات لم يصدر منه ذنب أصلا أولا ، والأوّل هم أهل الجنّة قطعاً ، والثاني إمّا أن يتوب عن ذنبه أولا والأوّل هم « آخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم » أي يقبل توبتهم ، والثاني إمّا أن تغلب حسناته على سيّئاته أولا ، والأوّل هم «آخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم » والثاني هم أصحاب الأعراف ،انتهى .

وأقول : قدعرفت أنّ مصطلح الآيات والأخبار في الايمان والكفر غير مصطلح المتكلّمين ، وأنّ المؤمن غالباً يطلق على من صحّت عقائده وعمل بفرائض الله واجتنب الكبائر ، فهو من أهل الوعد بالجنّة ، ويدخلها البتّة و يقابله أقسام كثيرة ، فلذا تنقسم الفرق ستّة أقسام ، فالاوّل والثاني أهل الوعد والوعيد ، اكتفى بأحدهما تغليباً ، وفي بعض النسخ الوعد لذلك ، وفي بعضها الوعدين وهو أظهر ، أي الّذين

قال : اكتب أهل الوعيد من أهل الجنّة وأهل النار واكتب « وآخرون اعترفوا

يتحقّق فيهم وعد الثواب ووعيد العقاب قطعاً إذا ماتوا على إحدى الحالتين .

وقوله : من أهل الجنّة والنار بيان لأهل الوعيد ، أي جزماً ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم في سورة التوبة: «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم »[1] وقال في تلك السورة أيضاً « وعد الله المنافقين والمنافقات والكفّار نار جهنّم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم »[2] فهاتان الفرقتان أهل الوعدين وقال أيضاً في تلك السورة : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم »[3] .

قال الطبرسي : يعني من أهل المدينة أو من الأعراب آخرون أقرّوا بذنوبهم وليس براجع إلى المنافقين ، والاعتراف والاقرار بالشيء عن معرفة « خلطوا عملا صالحاً » يعني أنّهم يفعلون أفعالا جميلة وأفعالا سيّئة قبيحة ، والتقدير وعملا آخراً سيّئاً «عسى الله أن يتوب عليهم» ، قال المفسّرون : عسى من الله واجبة وإنّما قال عسى حتّى يكونوا بين طمع وإشفاق ، فيكون ذلك أبعد من الاتّكال على العفو وإهمال التوبة « انّ الله غفور رحيم » هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة .

ثمّ قال (ره) : قال أبو حمزة : بلغنا أنّهم ثلاثة نفر من الأنصار : أبو لبابة بن عبدالمنذر ، وثعلبة بن وديعة ، وأوس بن حذام ، تخلّفوا عن رسول الله عند مخرجه إلى تبوك ، فلمّا بلغهم ما أنزل فيمن تخلّف عن نبيّه صلى الله عليه وآله أيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم بسواري المسجد ، فلم يزالوا كذلك حتّى قدم رسول الله صلى الله عليه وآله فسأل عنهم فذكروا أنّهم أقسموا لا يحلّون أنفسهم حتّى يكون رسول الله محلّهم ، فقال رسول الله

---

(١) الاية : ٧٢ .

(٢) الاية : ٦٨ .

(٣) الاية : ١٠٢ .

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً»[1] قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: وحشيّ منهم قال: واكتب «وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم»[2] قاا .

صلى الله عليه وآله : وأنا أقسم لا أكون أوّل من حلّهم إلاّ أن أومر فيهم بأمر ، فلمّا نزل «عسى الله أن يتوب عليهم» عمد رسول الله إليهم فحلّهم فانطلقوا فجاءوا بأموالهم إلى رسول الله فقالوا : هذه أموالنا الّتي خلّفتنا عنده فخذها وتصدّق بها عنّا ، فقال عليه السّلام : ما أمرت فيها بأمر ، فنزل : «خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم»[3] الآيات .

وقيل: أنّهم كانوا عشرة رهط منهم أبو لبابة عن ابن عبّاس ، وروي عن أبي جعفر عليه السلام انّها نزلت في أبي لبابة ولم يذكر معه غيره ، وسبب نزولها فيه ماجرى منه في بني قريظة حين قال : إن نزلتم على حكمه فهو الذبح ، وبه قال مجاهد .

وقيل : نزلت فيه خاصّة حين تأخّر عن النبيّ صلى الله عليه وآله في غزوة تبوك ، فربط نفسه بسارية كما تقدّم .

« قال : وحشيّ منهم » قال في القاموس : وحشيّ بن حرب صحابي وهو قاتل حمزة رضي الله عنه في الجاهليّة ، ومسيلمة الكذّاب في الاسلام .

وأقول : أدرجه عليه السلام في هذا الصنّف وأدرجه أبوه عليه السلام فيما سيأتي في المرجون لأمر الله ، ولعلّه قد يطلق المرجون على المعنى الشامل للصنفين جميعاً ، ويمكن أن يكون بين الصنّفين عموم وخصوص وإنّما أوردهما للاستشهاد بالآيتين .

« وآخرون مرجون لأمر الله » أي مؤخّرون موقوفون لما يرد من أمر الله فيهم .

وقال قال الازهري: الارجاء تهمز ولا تهمز أرجأت الامر وأرجيته أخرته «إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم» وإمّا لوقوع احد الشيئين والله سبحانه عالم بما يصير إليه امرهم ، ولكنّه

---

(١) سورة البقرة : ١٠٢ . (٢) سورة النساء : ١٠٦ .

(٣) سورة التوبة : ١٠٣ .

واكتب « إلاّ المستضعفين من الرجال والنّساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً » لايستطيعون حيلة إلى الكفر ، ولايهتدون سبيلاً إلي الايمان

سبحانه خاطب العباد بماعندهم، «والله عليم» بما يؤول إليه حالهم «حكيم» فيما يفعله بهم .

وقال (ره) : قال مجاهد وقتادة : نزلت الآية في هلال بن اميّة ومرارة بن الرّبيع وكعب بن مالك ، وهم من الأوس والخزرج ، وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه ، وإنّما تخلّف توانياً عن الاستعداد حتّى فاته المسير ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : والله مالي من عذر ولم يعتذر إليه بالكذب ، فقال صلى الله عليه وآله : صدقت قم حتى يقضي الله فيك، وجاء الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا ، فنهي رسول الله صلى الله عليه وآله من مكالمتهم وأمر نسائهم باعتزالهم حتّى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فأقاموا على ذلك خمسين ليلة ، وبنى كعب خيمة على سلع [1] فيكون فيها وحده ، ثمّ نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل ، وهي قوله : « وعلى الثلاثة الذّين خلّفوا »[2] الآية، فأصبح المسلمون يبتدرونهم ويبشّرونهم ، انتهى .

أقول : يظهر مما ذكروه أنّ هؤلاء أيضاً كانوا تائبين فالفرق بينهم وبين الفرقة السّابقة مشكل إلاّ أن يكون الفرق باختلاف مراتب ذنوبهم ومراتب توبتهم وسيأتي في الأخبار الآتية وجوه أخرى من الفرق بحسب ضعف الايمان وقوّته وكمال إتمام الحجّة عليهم وعدمه .

« إلاّ المستضعفين» أقول : سابقة هذه الآية : «إنّ الذين توفّاهم الملائكة» أي يقبض أرواحهم «ظالمي أنفسهم» أي في حال هم فيها ظالموا أنفسهم « قالوا فيم كنتم » أي قالت لهم الملائكة في أيّ شيء كنتم من دينكم؟ على وجه التقرير والتوبيخ «قالوا كنّا مستضعفين في الأرض» يستضعفنا أهل الشرك بالله في أرضنا وبلادنا «قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» أي فتخرجوا من أرضكم ودوركم وتفارقوا من يمنعكم من الايمان بالله ورسوله « فاولئك مأواهم جهنّم وسائت مصيراً ، إلاّ المستضعفين» أي

(١) اسم جبل بالمدينة . (٢) سورة التوبة : ١١٨ .

« فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم»[١] قال : وا كتب أصحاب الأعراف قال: قلت : وما أصحاب الأعراف ؟ قال : قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم ، فإن أدخلهم النّار فبذنوبهم وان أدخلهم الجنّة فبرحمته .

الذين إستضعفهم المشركون «من الرّجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة» أي يعجزون عن الهجرة لاعسارهم وقلّة حيلتهم «ولا يهتدون سبيلا» في الخلاص من مكّة « فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم» لعذرهم في ترك الهجرة « وكان الله عفوّاً غفوراً » .

هذا على تفسير المفسّرين ،وعلى تأويله عليه السلام لا يستطيعون حيلة إلى الكفر أي لايقدرون على إلقاء الشبه القويّة في الكفر ، ولاعلى الرّسوخ فيه « ولا يهتدون سبيلا » إلى الايمان أى لبلاهتهم وقلّةعقلهم ومعرفتهم لا يستوأون على معرفة الحقّ والثبات فيه ، فلهم في ذلك عذر يمكن أن يعفوالله عنهم ، ولعلّه من بطون الآية ، ويمكن تطبيقه على ظاهر الآية أيضاً بأن يكونوا في مكّة غير عارفين بالاسلام وشرايعه ودلائله ، وكانوا بين المشركين ولم يمكنهم تحصيل ذلك هناك ، ولمّا سمعوا بعثة الرسول كان يجب عليهم الهجرة ليتمّ عليهم الحجّة ويستقرّوا في الدين ،فمنهم من كان يمكنه ذلك ولم يفعل فهوغيرمعذور ولذا تقول لهم الملائكة :«ألم تكن أرض الله واسعة » ؟ ومنهم من لم يمكنهم ذلك فعسى أن يقبل الله عذرهم .

وأمّا الاعراف فقد مرّ تفسيرها ، وقال بعض المفسّرين : هو سور بين الجنّة والنار ، وهو السور المذكور في قوله تعالى : «فضرب بينهم بسور له باب »[٢] وقيل: أيّ حاجة إلى ضرب هذا السور، والجنّة فوق السماوات والجحيم في أسفل سافلين ؟ وأجيب بأنّ بعد أحدهما عن الآخر لا يمنع أن يكون بينهما سور و حجاب وله أسفل وأعلى ، وعلى أعلاه رجال يعرفون كلاًّ بسيماهم ، أجلسهم الله تعالى في ذلك المكان العالي إظهاراً لشرفهم ، وليكونوا مشرفين مطّلعين على أحوال الخلايق ، وهم كما كانوا في الدنيا شهداء على أهل الايمان وأهل الكفر وأهل الطاعة وأهل المعصية

---

(١) سورة النساء : ٩٨ . (٢) سورة الحديد : ١٣ .

٢ ـ عليُّ بن ابراهيم ، عن محمّد بن عيسى بن عبيد، عن يونس ، عن حمّاد ،عن حمزة بن الطيّار قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : الناس على ستّ فرق ، يؤولون كلّهم إلى ثلاث فرق : الايمان والكفر والضلال ؛ وهم أهل الوعدين الّذين وعدهم الله

كذلك يكونون شهداء في ذلك اليوم عليهم ، ثمّ إنّه تعالى ينقلهم إلى أعلى درجات الجنّة وعلى أسفله قوم تساوت حسناتهم وسيّئاتهم ، أوقفهم الله تعالى عليه لأنّها درجة متوسّطه بين الجنّة والنار ، ويمكن أن ينتقل بعضهم أو كلّهم بعد ذلك إلى الجنّة بفضله تعالى .

وأقول : يحتمل أن يكون الغرض من التقسيم بيان الواسطة بين المؤمن والكافر بذكر آيات تدلّ على ذلك وإن كان بعض الأقسام متداخلة أو متساوية ، وسيأتي وجوه أخر إن شاء الله تعالى .

الحديث الثاني : حسن .

« النّاس على ستّ فرق » أقول : مضمونه قريب من مفاد الخبر السّابق ، والضمير في قوله : وهم، راجع إلى الستّ فرق ، والوعد أعمّ من الوعيد ، والنسخ هنا أيضاً مختلفة كالسابق ، وهو إشارة إلى فريقين إحديهما أهل وعد الجنّة ، وقوله : المؤمنون بيان له،والأخرى أهل وعيد النار ، وقوله : والكافرون بيان له ، وقيل :هم راجع إلى أهل الضّلال والواو في قوله : والنار بمعنى مع ، أي وعدهم الله الجنّة والنار معاً ، وقوله : المؤمنون، وما بعده خبر مبتدء محذوف ، والتقدير الستّ فرق المؤمنون « الخ » ولا يخفى بعده .

وقيل:يعني إنّ الناس ينقسمون أوّلاً إلى ثلاث فرق بحسب الايمان والكفر والضلال ، ثمّ انّ أهل الضلال ينقسمون إلى اربع فيصير المجموع ستّ فرق : الاولى اهل الوعد بالجنّة ، وهم المؤمنون واريد بهم من آمن بالله وبالرّسول وبجميع ما جاء به الرّسول صلى الله عليه وآله إمّا بقلبه او بلسانه او خالف الله في شيء من كبائر الفرائض استخفافاً

الجنّة والنّار : المؤمنون والكافرون والمستضعفون والمرجون لأمرالله امّا يعذّبهم وامّا يتوب عليهم والمعترفون بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً وأهل الأعراف .

٣ ـ عليّ بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن زرارة قال : دخلت أنا وحمران ـ أوأناوبكير ـ على أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له :

والثالثة: المستضعفون وهم الذين لايهتدون إلي الايمان سبيلا ، لعدم استطاعتهم كالصبيان والمجانين والبله ، ومن لم تصل الدعوة إليه .

والرابعة: المرجون لأمرالله وهم المؤخّر حكمهم إلي يوم القيامة من الارجاء بمعنى التأخير يعنى لم يأت لهم وعد ولا وعيد في الدّنيا ، وإنّما أخّر أمرهم إلى مشيّة الله فيهم إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم ، وهم الذين تابوا من الكفر ودخلوا في الاسلام إلاّ أنّ الاسلام لم يتقرّر في قلوبهم ولم يطمئنّوا إليه بعد ، ومنهم المؤلّفة قلوبهم ومن يعبدالله على حرف ، قبل أن يستقرّا على الايمان أوالكفر، وهذا التفسير للمرجين بحسب هذا التقسيم الّذى في هذا الحديث .

والخامسة: فسّاق المؤمنين الّذين خلطوا عملا صالحاً وآخر سيّئاً ثمّ اعترفوا بذنوبهم فعسى الله أن يتوب عليهم .

والسّادسة: أصحاب الاعراف وهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم لايرجّح إحديهما على الاخري ليدخلوا به الجنّة والنار ، فيكونون في الأعراف حتّى يرجّح أحد الأمرين بمشيّة الله سبحانه .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح .

«أوأنا وبكير» الترديد إمّا من زرارة أومن راويه وفي القاموس: المطمار خيط للبنّاء يقدّر به كالمطمر ، وقال : الترّ بالضمّ الاصل والخيط يقدّر به البنّاء ، وسؤاله عليه السلام عن المطمار إمّا مبنيّ على الانكار أى لم تقرّر لك مطماراً فمن أين أخذت المطمار فلم يفهم السّائل وفسّره بالترّ أوسال عن غرضه من المطمار وأنّه إستعارة لأيّ شيء ؟

انّا نمدُّ المطمار قال : وما المطمار ؟ قلت : التر ُّ فمن وافقنا من علوي ٍّ أوغيره تولّيناه ومن خالفنا من علوي ٍّ أو غيره برئنا منه ، فقال لي : يا زرارة قول الله أصدق من قولك ، فأين الّذين قال الله عزَّ وجل ّ : « إلاّ المستضعفين من الرِّجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً » أين المرجون لأمر الله ؟ أين الّذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ؟ أين أصحاب الأعراف ؟ أين المؤلّفة قلوبهم ؟ ! .

ليتّضح للحاضرين مراده فيجيبه على حسبه ، فأجابه عليه السلام بأنّ غرضي من المطمار الأصل والقاعدة الكلّيّة الّتي بها يعرف المؤمن والكافر ، كما أنّ البنّاء يعرف بالمطمار ماتقدّم من اللّبنات وماتأخّر منها ، فالمراد بالترّ هنا الأصل .

والظاهر أنّ غرض زرارة أنّه لايدخل الجنّة غير من صحّت عقائده من الفرقة المحقّة الاماميّة، وغرضه عليه السلام أنّه يمكن أن يدخل بعض المستضعفين من المخالفين ومن لم يتمّ عليهم الحجّة لضعف عقولهم أو لبعدهم عن بلاد الاسلام والايمان وغير ذلك الجنّة .

ويحتمل أن يكون مراده بالموافق من وافق قولا وفعلا فيخرج منه أصحاب الكبائر من الشيعة أيضاً كماهو رأي الخوارج ،وقول الله هووعد المستضعفين ومن بعدهم من الأصناف المذكورة بالجنّة والعفو والمغفرة ، فلا يجوز إدخالهم في المخالف والتبرّي منهم ، قوله : وزاد حمّاد ، الظّاهر أنّه كلام ابن أبي عمير، وروى الحديث عن حمّاد وجميل أيضاً عن زرارة ، وكان في رواية حمّاد زيادة لم تكن في رواية هشام فتعرّض لها ،وكان في رواية جميل أيضاً زيادة على رواية حمّادفأشار إليها أيضاً .

ويحتمل أن يكون كلام إبراهيم بن هاشم أو كلام الكليني والأوّل أظهر ، كماأنّ الأخير أبعد « فارتفع صوت أبي جعفر عليه السلام » هذا ممّا يقدح به في زرارة ويدلّ على سوء أدبه ، ولمّا كانت جلالته و عظمته ورفعة شأنه وعلوّ مكانه ممّا أجمعت عليه الطائفة وقددلّت عليه الأخبار المستفيضة ،فلايعبأ بمايوهم خلاف ذلك .

وزاد حمّاد في الحديث قال : فارتفع صوت أبي جعفر عليه السلام وصوتي حتّى كان يسمعه من على باب الدّار .

وزاد فيه جميل ، عن زرارة : فلمّا كثر الكلام بيني وبينه قال لي : يازرارة حقّاً على الله أن [لا] يدخل الضلاّل الجنّة .

﴿ باب الكفر ﴾

١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن احمدبن محمّد ، عن الحسن بن محبوب ، عن داودبن كثيرالرقّي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : سنن رسول الله صلى الله عليه وآله كفرائض الله عزّ وجلّ ؟ فقال : إنّ الله عزّوجلّ فرض فرائض موجبات على العباد فمن ترك فريضة

ويمكن أن يكون هذه الامور هوفي بدوأمره قبل كمال معرفته ، أوكان هذا من طبعه وسجيّته ولم يمكنه ضبط نفسه ، ولم يكن ذلك لشكّه وقلّة اعتنائه ، أو كان قصده معرفة كيفيّة المناظرة فيهذا المطلب مع المخالفين ،أوكان لشدّة تصلّبه فيالدّين وحبّه لأئمّة المؤمنين ، حيث كان لايجوز دخول مخالفيهم فيالجنّة ، مع أنّه كان يحتمل ويجوز أن يكون تجويزه عليه السلام تقيّة أن يدخل الضلاّل الجنّة أي بعضهم ، والمراد بالضلاّل المستضعفون وغيرهم من الأصناف المذكورة ، فهم ليسوا بكفّار لدلالة الروايات الكثيرة وإجماع الفرق على أنّ الكفّار لايدخلون الجنّة ، وفي بعض النسخ : أن لايدخل،فهواستفهام إنكاريّ .

باب الكفر

الحديث الاول : مختلف فيه ، وصحّته أرجح عندي .

«سنن رسول الله صلى الله عليه وآله» اي مالم يظهر من ظاهر القرآن وبيّنه الرّسول صلى الله عليه وآله أعمّ من الواجب والندب « كفرائض الله » أي في الشرف والاحترام أوفي لزوم الوفاء أوفي كفرالتارك « انّ الله عزّوجلّ فرض فرائض » أي في القرآن أوالأعمّ والاوّل أظهر،إذ فرائض القرآن أكثرها من ضروريّات الدّين فمن جحدها كان كافراً

من الموجبات فلم يعمل بها وجحدها كان كافراً وأمر [رسول] الله بامور كلّها حسنة فليس من ترك بعض ما امر الله عزّ وجلّ به عباده من الطاعة بكافر ، ولكنّه تارك للفضل ، منقوص من الخير .

بخلاف ماظهر من السنّة ، فانّ أكثرها ليست من الضروريّات فالترك أعمّ من أن يكون مع الجحود أوبدونه ، فلايظهر حكم ترك الفرائض بدون الجحد ، ويمكن أن يكون عدم الذكر لئلاّ يجترء الناس على تركها ، ويمكن ان يكون المراد بالأوّل إنكارما فرض في القرآن وبالثاني ماسوى ذلك ، سواء كان ترك الفرائض بدون الانكار أوترك ماعلم بالسنّة مع الانكار وبدونها .

وجملة القول فيه أنّه يحتمل أن يكون المراد بالفرائض مطلق الواجبات ، وبما ذكره بعد مطلق المندوبات ، ويكون المراد بالجحد التّرك متهاوناً فيحسن التقابل و يظهر الفرق ، فالمراد بالكفر غير المعنى المصطلح ، و يحتمل أن يكون الجحد بمعناه والواو بمعنى أو ، فالفرق في أنّ تارك الفرائض كافر ببعض المعاني دون السّنن ويحتمل أن يكون المراد بالفرائض ما ظهر وجوبه من ظاهر القرآن ، وبالسّنن أعمّ من الواجبات وجميع المندوبات ، أو يكون المراد بالفرائض ما ثبت وجوبه من الدّين ضرورة ، وبالسّنن غيرها أو المندوبات ، ويكون الغرض أنّ في الواجبات يكون مثل ذلك وليس في السنن ما يكفر الانسان بتركه ، أو بانكاره مطلقا وعلى أيّ حال تطبيقه على ما يوافق آراء المتكلّمين أو سائر الاخبار لايخلو من اشكال .

وقد يقال : المراد أنّ الكلّ بأمر الله سبحانه وتعالى على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله بعضه فرائض موجبات تركها مع الجحود يوجب الكفر ، وبعضه فضل تركه يوجب نقص الخير ، وقيل : الفريضة تشمل الواجبات الاصوليّة والفروعيّة ، فلا يبعد أن يكون قوله فلم يعمل بها ناظراً إلى الثانية ، وقوله : وجحدها ناظراً إلى الاوّل ، و حينئذ يكون الكفر أعمّ من كفر الجحود و كفر ترك ما أمر الله تعالى به ،

٢ ـ عليُّ بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن حريز ، عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال : والله إنَّ الكفر لأقدم من الشرك وأخبث وأعظم ، قال:

وإن كان تركه مقروناً بالجحود كان كفره أيضاً كفر جحود ، وأمّا من ترك الاولى من غير جحود ولا اقرار فهو مستضعف و قد مرّ ، و سيجيء انّ المستضعف ليس بمؤمن ولا كافر وأنّه في المشيّة ، وقوله : وأمر الله بأمور، لعلّ المراد به الفروعيّة مطلقا فانّ ترك بعضها وهو المندوبات ليس بكفر بشرط عدم الاستخفاف والانكار ، انتهى .

وفي بعض النسخ : وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأمور ، فيؤيّد بعض الوجوه .

الحديث الثاني : حسن كالصحيح .

والذى يظهر لى من هذه الأخبار أنّ الغرض بيان كفر من أنكر امامة أميرالمؤمنين عليه السلام وتقدّم عليه وحاربه ، وانّهم أخبث من المشركين ، ويظهر منها أنّ الكفر هو ترك طاعة الله معاندة واستكباراً ، والشرك هو أن يثبت لله في الخلق أو العبادة أوالطاعة شريكاً أعمّ من أن يكون ذلك على المعاندة أوعلى الجهل والضلال فبيّن عليه السلام أوّلا أنّ ترك طاعته تعالى مع العلم معاندة واستكباراً أخبث وأقدم من الشرك ، لأنّ أوّل معصية وقعت من العباد وأشدّها معصية إبليس ، وهي كانت من هذا القبيل ، لأنّه لم يشرك بل ترك السّجود والطاعة معاندة واستكباراً ، وهذا أشدّ من شرك لم ينضمّ إليه ذلك ، وكان من الجهل والضلالة ، فأمّا الشرك الذى كان على وجه الاستكبار والمعاندة فهو أشدّ لتلك الجهة لا لجهة الشرك .

ثمّ انّه عليه السّلام بعد ذلك أثبت لهم الشرك أيضاً بأنّ اثبات دين غير دين المؤمنين يتضمّن الشرك أيضاً حيث أشرك مع الله تعالى غيره في وجوب الطاعة ، فهؤلاء الاخابث مع اتّصافهم بالكفر الذي هو أقدم وأخبث متّصفون بالشرك أيضاً .

و يحتمل أن يكون الاستدلال بالأقدميّة على كونه أعظم و أخبث من

ثمّ ذكر كفر إبليس حين قال الله له : اسجد لآدم فأبى أن يسجد ، فالكفر أعظم من الشرك فمن اختار على الله عزّ وجلّ وأبى الطّاعة وأقام على الكبائر فهو كافر ومن نصب ديناً غير دين المؤمنين فهو مشرك .

٣ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبدالله بن بكير ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ذكر عنده سالم بن أبي حفصة وأصحابه

جهة أنّه صار سبباً لحدوث الشرك ، فانّ الكفر أوّلاً حدث من ابليس ثمّ صار كفره سبباً لشرك من أشرك بعده ، وإذا تأمّلت في جميع أخبار الباب يتّضح لك ما ذكرنا .

قوله عليه السلام حين قال الله له أسجد لآدم أى أمره بالسجود ، في قوله : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم »[١] وشمول خطاب الملائكة له لكونه داخلا فيهم ومعدوداً من جملتهم « فمن اختار على الله عزّ وجلّ » أى اختار مراده على مراده تعالى أو أمر ابليس على أمره تعالى ، أو عارض الله تعالى فيما علم صلاح العباد فيه ، كما قال ابليس: « خلقتني من نار وخلقته من طين » .

« وابى الطّاعة » أى انكرها وهو الكفر صريحاً ، أو ترك العمل بها ، فلو كان الواو بمعنى أو يكون الكفر شاملا لكفر النّعمة وكفر ترك المأمور به ، وكذا الكلام في قوله : وأقام على الكبائر ، والظاهر أنّ الواو بمعناه إشارة إلى قوله تعالى : « واستكبر وكان من الكافرين »[٢] .

الحديث الثالث : موثّق كالصّحيح وسالم بن ابى حفصة روى عن السّجاد والباقر والصّادق عليهم السلام وكان زيديّاً بتريّاً من رؤسائهم ، ولعنه الصّادق عليه السلام وكذّبه وكفّره ، وروى في ذمّه روايات كثيرة ، واسم أبي حفصة زياد .

« قال ذكر » على بناء المعلوم ، والمرفوع في قال وذكر راجعان إلى زرارة ،

---

(١) سورة طه : ١١٦ .

(٢) سورة البقرة : ٣٤ .

فقال : إنّهم ينكرون أن يكون من حارب علياً عليه السلام مشركين ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : فإنّهم يزعمون أنّهم كفّار ، ثمّ قال لي : إنّ الكفر أقدم من الشّرك ثمّ ذكر كفر إبليس حين قال له : اسجد فأبي أن يسجد ، وقال : الكفر أقدم من الشّرك ، فمن اجترى على الله فأبى الطاعة وأقام على الكبائر فهو كافر يعني مستخفّ كافر .

٤ ـ عنه ، عن عبدالله بن بكير ، عن زرارة ، عن حمران بن أعين قال : سألت

و كذا المرفوع في فقال ، ويمكن أن يقرء ذكر على بناء المجهول ، ويحتمل أن يكون فاعل قال أوّلاً ابن بكير ، و على الاوّل قائل قال ابن بكير « فانّهم يزعمون أنّهم كفّار » أي إن لم يقولوا بشركهم فلا محيص لهم عن القول بكفرهم ، فانّ محاربة الامام كبيرة البتّة ، والمصرّ على الكبيرة عندهم كافر ، والكفر أخبث وأقدم من الشرك كما مرّ .

ويحتمل أن يكونوا قائلين بكفرهم صريحاً ، وإنّما نفوا الشرك وعلى التقديرين ليس فيه تصديق لقولهم بنفي الشرك ، وإن احتمل ذلك بناءاً على أنّ الشرك عبارة عن عبادة غيرالله حقيقة ، أو القول بالشريك في الخلق ، لا في الطّاعة والأمر ، وهو لم يتحقّق فيهم والكفر يتحقّق بترك الطاعة ، ويؤيّد الاوّل إطلاق الشرك على الحروري والناصب في ساير الاخبار .

«يعني مستخفّ كافر» الظاهر أنّه كلام بعض الرواة ابن بكير أوغيره ، وقيل: يحتمل كونه من كلامه عليه السلام وعلى التقديرين يحتمل أن يكون تقييداً للحكم بالكفر بالاستخفاف ، أي إنّما يحكم بكفره إذا كان مستخفّاً لالغلبة الشهوة كما سيأتي ، ويمكن أن يكون علّة للحكم بالكفر أي لاينفكّ الاباء عن الطاعة عمداً والاصرار على الكبائر عن الاستخفاف وهو موجب للكفر .

الحديث الرابع : حسن موثق .

أباعبدالله عليه السلام عن قوله عزّوجلّ : «إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً»[١] قال : إمّا آخذ فهو شاكر وإمّا تاركٌ فهو كافر .

٥ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الحسن بن عليّ ، عن حمّاد بن عثمان ، عن عبيد ، عن زرارة قال: سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : «ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله»[٢] قال : ترك العمل الّذي أقرّ به ، من ذلك أن يترك

« إنّا هديناه السّبيل » قال البيضاوي : أي بنصب الدلائل وانزال الآيات « إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » حالان من الهاء ، وإمّا للتفصيل أو التقسيم ، أي هديناه في حاليه جميعاً أو مقسوماً إليهما ، بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه ، وبعضهم كفور بالاعراض عنه أو من السّبيل ، ووصفه بالشكر والكفر مجاز ، ولعلّه لم يقل كافراً ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل وإشعاراً بأنّ الانسان لا يخلو عن كفران غالباً وإنّما المأخوذ به المتوغّل فيه ، انتهى .

والخبر يدلّ على أنّ المراد بالكفور الكافر ، فيدلّ على أنّ من لم يأخذ السّبيل هداه الله إليه من الاقرار به وبرسوله ، وبما جاء الرّسول به من المعاد وولاية أئمّة الدّين فهو كافر ، ويحتمل شموله لترك العمل أيضاً فيأوّل الكفر بما مرّ مراراً وسيأتي ، وفيها دلالة على كمال لطفه تعالى بأنّ الاقرار والعمل وإن كانا شكرين لنعمة الهداية والخلق وإعطاء العقل وسائر الآلات والألطاف والهدايات يجازيهم عليها نعيم الأبد .

الحديث الخامس : ضعيف على المشهور .

« ومن يكفر بالايمان » قيل الباء للعوض كقوله تعالى : « اشتروا الضلالة بالهدى »[٣] أو للمصاحبة نحو « اهبط بسلام »[٤] فعلى الأوّل المعنى الكفر بعد

---

(١) سورة الدهر : ٣ . (٢) سورة المائدة : ٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٦ . (٤) سورة هود : ٤٨ .

الصّلاة من غيرسقم ولاشغل .

٦ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليّ بن أسباط ، عن موسى ابن بكير قال : سألت أباالحسن عليه‌السلام عن الكفر والشرك أيّهما أقدم؟ قال : فقال لي: ماعهدي بك تخاصم الناس ؟ قلت : أمرني هشام بن سالم أن أسألك عن ذلك ، فقال لي : الكفر أقدم وهو الجحود ، قال الله عزّوجلّ : « إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »(١) .

الايمان وعلى الثاني المراد به الانكار قلباً ، والاقرار ظاهراً ، وقال البيضاوي : يريد بالايمان شرايع الاسلام ، وبالكفر به إنكاره والامتناع منه ، وقال الطّبرسي : أي من يجحد ما أمر الله بالاقرار به والتصديق له من توحيد الله وعدله ونبوّة نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله «فقد حبط عمله» الذي عمله واعتقده قربة إلى الله تعالى «وهو في الآخرة من الخاسرين» أي الهالكين ، وقيل: أي ومن يكفر بالايمان من أهل الكتاب أي يمتنع عن الايمان ولم يؤمن.

قوله عليه‌السلام : ترك العمل الذي أقرّ به فالمراد بالكفر هنا ارتكاب مطلق الكبائر أو الكبائر الّتي تؤذن فعلها بعدم اليقين والاستخفاف بالدين كما يرشد إليه التمثيل بترك الصلاة من غير سقم ولا شغل وقد يحمل على انكار والاستخفاف فيوافق الاصطلاح المشهور ، وقيل: فسّر عليه‌السلام الكفر هنا بترك العمل وهو كفر المخالفة ، وفسّر الايمان بالاقرار بوجوب العمل ، ثمّ ذكر لذلك مثالاً .

الحديث السادس : كالسابق .

« ماعهدي بك تخاصم النّاس » اي ما كنت أظنّ أنّك تخاصم الناس أو لم تكن قبل هذا ممّن يخاصم المخالفين وتتفكّر في هذه المسائل الّتي هي محلّ المخاصمة بين المتكلّمين ؟ وهذا السّؤال يشعر بأنّك شرعت في ذلك ؟ ويحتمل أن يكون ما إستفهاميّة أي ألم أعهد إليك أن لاتخاصم النّاس فهل تخاصمهم بعدعهدي إليك ؟ ومضمون الخبر قدمرّ .

---

(١) سورة البقرة : ٣٤ .

٧ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالرَّحمن بن الحجّاج عن زرارة قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : يدخل النّار مؤمن ؟ قال : لاوالله ، قلت : فمايدخلها إلاّ كافرٌ ؟ قال : لا إلاّ من شاءالله ، فلمّا رددت عليه مراراً قال لي : أي زرارة إنّي أقول : لا وأقول : إلاّ من شاءالله وأنت تقول : لاولاتقول : إلاّ من شاءالله، قال : فحدَّثني هشام بن الحكم وحماد ، عن زرارة قال : قلت في نفسي : شيخ

الحديث السابع : حسن كالصحيح بسنديه .

« يدخل النار مؤمن » المراد بالمؤمن هنا الامامي المجتنب للكبائر الغير المصرّ على الصغائر ، وبالكافر من اختلّ بعض عقائده إمّا في التوحيد أو في النبوّة أوفي الامامة ، أوفي المعاد أوفي غيرها من أصول الدّين ، مع تعصّبه في ذلك وإتمام الحجّة عليه لكمال عقله وبلوغ الدّعوة إليه ، فحصلت هنا واسطة هي أصحاب الكبائر من الاماميّة والمستضعفون من العامّة ، ومن لم تتمّ عليهم الحجّة من ساير الفرق ، فهم يحتمل دخولهم النار وعدمه ، فهم وسايط بين المؤمن والكافر .

أوالمراد بالمؤمن الاماميّ الصحيح العقيدة ، وبالكافر مامرّ بناءاً على ماورد في كثير من الأخبار أنّ الشّيعة لاتدخل النار ، وإنّما عذابهم عند الموت وفي البرزخ و في القيامة ، فالواسطة من تقدّم ذكره سوى أصحاب الكبائر ، وزرارة كان ينكر الواسطة بادخال الوسائط في الكافر أوبعضهم في المؤمن ، وبعضهم في الكافر وكان لايجوّز دخول المؤمن النار وغير المؤمن الجنّة ، ولذالم يتزوّج بعد تشيّعه لأنّه كان يعتقد أنّ المخالفين كفّار لايجوز التزوّج منهم .

وكأنّه تمسّك بقوله تعالى : «هوالذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن»(١) وبقوله تعالى : «فريق في الجنّة وفريق في السّعير »(٢) والمنع عليهما ظاهر .

« قال : فحدثني » فاعل قال إمّا ابن أبي عمير او إبراهيم بن هاشم ، وقوله : شيخ لاعلم له بالخصومة ، الظاهر أنّ غرضه الامام صلوات الله عليه ، يعني لايعلم طريق المجادلة ، وحمله على أنّه أراد نفسه بعيد .

(١) سورة التغابن : ٢ . (٢) سورة الشورى : ٧ .

لاعلم له بالخصومة . قال : فقال لي : يازرارة ماتقول فيمن أقرّ لك بالحكم أتقبله ؟ ماتقول في خدمكم وأهليكم أتقتلهم ؟ قال : فقلت : أنا - والله - الّذي لاعلم لي بالخصومة .

٨ - عليّ بن إبراهيم ، عن هارون بن مسلم ، عن مسعدة بن صدقة قال :

فأقول زائداً على مامرّ : انّه يمكن أن يكون ذلك بمحض خطور بال لا يؤاخذالانسان به ، وحاصل كلامه عليه السلام الردّ عليه باثبات الواسطة ، لأنّ المخالفين في بعض الأحكام في حكم المسلمين وإن كان غير من ذكرنا من الواسطة مخلّدين في النّار ، وأيضاً يمكن دخول بعض المخالفين كالمستضعفين الجنّة ، فلمّا لم يفهم زرارة غرضه عليه السلام وكان يزعم أنّ الواسطة غير معقولة نبّهه عليه السلام بأحوال من أقرّ له بالحكم ، أي خدمه وبأحوال خدمه أي عبيده وساير أهاليه ، فقال عليه السلام : أتجوز قتلهم ولم لاتقتلهم إن كانوا كفّاراً مشركين ؟ فتفطّن من ذلك بالفرق بينهم وبين ساير الكفّار ، وعلم أنّه إذا جاز الفرق في القتل بينهم وبين ساير الكفّار ، فيجوز في غيرذلك من الأمور فاعترف بأنّ نفسه لاعلم له بالخصومة .

ويحتمل أن يكون المراد بالخدم والاهالي المستضعفين من الشّيعة ، للتنبيه على حال المستضعفين من العامّة ، وقيل : في قوله عليه السلام : فيمن أقرّلك بالحكم ، يعني قال لك أنا على مذهبك ، كلمّا حكمت ، على أن أعتقده وأدين الله به .

« أتقبله » بالباء الموحدة كما في بعض النسخ ، يعني تحكم عليه بالايمان بمجرّد تقليده إيّاك ، وكذا القول في الخدم والأهلين فعجز زرارة عن الجواب ، فعلم أنّه الذى لاعلم له بالخصومة دون الامام عليه السلام ، وإنّما عجز عن الجواب لأنّه كيف يحكم عليهم بالايمان بمجرّد التقليد المحض من دون بصيرة ، وكيف يحكم عليهم بالكفر وهم يقولون إنّا ندين بدينك ونقرّ لك بكلّ ماتحكم علينا ، فثبت المنزلة بين المنزلتين قطعاً .

الحديث الثامن : ضعيف .

سمعت أبا عبدالله عليه السلام - وسئل عن الكفر والشرك أيّهما أقدم ؟ - فقال: الكفر أقدم وذلك أنّ إبليس أوّل من كفر ، وكان كفره غير شرك لأنّه لم يدع إلى عبادة غيرالله وإنّما دعى إلى ذلك بعد فأشرك .

٩ - هارون ، عن مسعدة بن صدقة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام - وسئل ما بال الزّاني لاتسمّيه كافراً وتارك الصّلاة قدسمّيته كافراً وماالحجّة في ذلك ؟ - فقال : لأنّ الزّاني وما أشبهه إنّما يفعل ذلك لمكان الشهوة لأنّها تغلبه وتارك الصّلاة لايتركها إلاّ استخفافاً بهاوذلك لأنّك لاتجد الزّاني يأتي المرأة إلاّ وهو مستلذّ

ومفعول سمعت محذوف ، يدلّ عليه قوله : فقال الكفر أقدم ، وحاصل الجواب أنّ الشيطان لعنه الله أوّل الكافرين والمشركين ، وكان كفره أسبق لانّه أوّلا خالف أمرالله تعالى معاندة ، فصار كافراً ولم يكن حينئذ مشركاً ، ثمّ لمّا أمر الناس بعبادة غيرالله حصل الشرك ، وصار هوأيضاً مشركاً ، فيدلّ على أنّ الأمر بالشرك وحثّ الناس عليه شرك أيضاً .

الحديث التاسع : كالسابق .

وقيل : المراد بالحجّة هنا المعيار لاالدليل ، وأقول : الدّليل أيضاً مناسب « قاصداً إليها » أي إلى اللّذة أو إلى المرأة ، فالقصد في مقابل السهو والغفلة ، وهو المراد بقوله : قاصداً ثانياً ، وقاصداً في الاوّل حال عن البارز في قوله لاتيانه ، والظاهر أنّ المراد بالكفر هنا إرتكاب مايؤذن بقلّة الاكثرات بالدّين ، وضعف اليقين لعدم غلبة داع قويّ على مخالفة أمرالله ، وهذاممّا يستوجب به العذاب العظيم والعقاب الطويل ، وليس هوالكفر الذي يوجب الخلود في النار مع الكفّار ، ولاينفعهم شفاعة الشافعين ، ويجرى عليهم في الدّنيا أحكام الكافرين من نجاستهم وعدم جوازالمناكحة والموارثة .

وحمله على الاستحلال والجحود بعيد ، فانّ الزاني أيضاً مع الاستحلال كافر ، فهذا أحد معاني الكفر ودرجة من درجاته في مقابل درجات الايمان .

لا تيانه إيّاها قاصداً إليها ، و كلّ من ترك الصّلاة قاصداً إليها فليس يكون قصده لتركها اللّذة ، فإذا نفيت اللّذة وقع الاستخفاف وإذا وقع الاستخفاف وقع الكفر .

قال : وسئل أبو عبدالله عليه السلام وقيل له : ماالفرق بين من نظر إلى امرأة فزنى بها أو خمر فشربها ، وبين من ترك الصّلاة حتّى لايكون الزّاني وشارب الخمر مستخفاً كمايستخفّ تارك الصّلاة وما الحجّة في ذلك وماالعلّة الّتي تفرّق بينهما ؟ قال : الحجّة أنّ كلّما أدخلت أنت نفسك فيه لم يدعك إليه داع ولم يغلبك غالب شهوة مثل الزّنا وشرب الخمر وأنت دعوت نفسك إلى ترك الصّلاة وليس ثمّ شهوة فهوالاستخفاف بعينه وهذا فرق مابينهما .

١٠ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن عبدالله ابن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من شكّ في الله وفي رسوله صلى الله عليه وآله فهو كافر .

قوله عليه السلام : مافرق[1] ، يمكن أن يقرء على صيغة الفعل والاسم ، وعلى التقديرين هو خبر ما الاستفهاميّة ، وعلى الأوّل بين منصوب بالمفعوليّة ، وعلى الثاني مجرور بالاضافة ، كقوله تعالى : « وإن خفتم شقاق بينهما »[2] وتكرار بين للتصريح بدفع احتمال طلب الفرق بين الزنا وشرب الخمر « كما يستخفّ » على بناء المعلوم ، والظرف نائب المفعول المطلق للفعل المنفي في لايكون ، ولم يدعك خبران ومثل منصوب بنيابة المفعول المطلق للفعل المنفيّ في لم يدعك ولم يغلبك ، و«فرق» يحتمل الوجهين السّابقين ، وثالثاً وهو أن يقرء فرق بالتنوين فتكون ماللابهام .

الحديث العاشر : صحيح .

والواو للتقسيم بمعنى أو ، ويدلّ على أنّ الشّك في أصول الدّين أيضاً يوجب الكفر ، وقدمرّ في أبواب الايمان والاسلام وسيأتي إنشاء الله وكأنّه محمول على الشكّ بعد إتمام الحجّة ، أوالمراد بالكفر مايقابل الايمان فيشمل المستضعفين أيضاً ، والكفر بهذا المعنى لايستلزم الخلود في النار .

---

(١) وفي المتن « ما الفرق » . (٢) سورة النساء : ٣٥ .

١١ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن صفوان ، عن منصور بن حازم قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : من شكّ في رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : كافر ، قلت : فمن شكّ في كفر الشاكّ فهو كافر ؟ فأمسك عنّي فرددت عليه ثلاث مرّات فاستبنت في وجهه الغضب .

١٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن ابن بكير ، عن عبيد ابن زرارة قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله »(١) فقال: من ترك العمل الّذي أقرّ به ، قلت: فما موضع ترك

الحديث الحاديعشر : حسن كالصحيح .

وفيه إشعار بأنّ كفر الشاكّ ليس من ضروريّات الدّين حتّى يكون إنكاره كفراً ، وإنّما أمسك عن الجواب لئلاّ يجترؤا على الشكّ ولا يستصغروه ، أو لئلا يتوهّموا لسوء فهمهم التنافي بين الكلامين ، أو لافتقار بيان الحكم على تفصيل لا تقتضي المصلحة ذكره ، أو يكون كافراً وعدم الذكر للتقيّة .

وقيل : إنّما أمسك عليه السلام عن جوابه وغضب منه لأنّ هذا ليس ممّا ينبغي أن يسئل عنه ، وظاهر أنّ هذا الشكّ ليس ممّا يوجب الكفر ، كيف والسائل نفسه كان شاكّاً فيه ، جاهلاً به ، ولهذا سأل عنه إلاّ أن يقال بايجابه للكفر بعد سماعه عنه مشافهة والكفر من هذه الجهة ، فيرجع إلى تكذيبه عليه السلام وهذا حديث آخر .

الحديث الثانيعشر : موثق كالصحيح .

وقدمرّ شرح صدر الخبر ، وقوله : فما موضع ترك العمل ، يحتمل وجهين: الأوّل أن يكون الغرض استعلام أنّ المراد جميع الأعمال او الأعمّ منه ومن البعض ، فأجاب عليه السلام بأنّ المراد به الثاني ، الثاني : أن يكون الغرض أنّ كلّ عمل تاركه كافر أو بعض الأعمال كذلك ، فأومى عليه السلام إلى أنّ المراد به الثاني ، وعلى التقديرين

(١) سورة المائدة : ٦ .

العمل حتّى يدعه أجمع ؟ قال : منه الّذي يدع الصّلاة متعمّداً لامن سكر ولا من علّة .

١٣ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه عن ابن أبي عمير ، عن محمّد بن حكيم وحمّاد عن أبي مسروق قال : سألني أبو عبدالله عليه السلام عن أهل البصرة ، فقال لي : ماهم ؟ قلت : مرجئة وقدريّة وحروريّة فقال : لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة الّتي

كلمة ما استفهاميّة ، والموضع بمعنى المرتبة ، واللاّم في « العمل » للعهد أي العمل الذي أقرّبه ، والاستفهام في «حتّى يدعه» مقدّر ، وقيل : لعلّ المراد من السؤال استعلام مطلق العمل الذي تركه يوجب الكفر ، ويكون قوله حتّى يدعه أجمع استفهاماً آخر ، يعني أهو ترك الأعمال أجمع ؟ فأجاب عليه السلام بأنّه قديكون ترك بعض الأعمال كالصّلاة .

الحديث الثالث عشر : حسن .

« مرجئة » أقول : قدمرّ الكلام في بيان مذاهب هؤلاء مراراً ، وأنّ المرجئة بالهمز إسم فاعل من أرجأته إذاأخّرته ، وهم فرقة من المخالفين يزعمون أنّ الايمان محض العلم بماجاء به الرّسول ، وأنّه لايضرّ مع الايمان معصية كماأنّه لاينفع مع الكفر طاعة ، سمّوا بذلك لأنّهم اعتقدوا أنّ الله تعالى أخّر تعذيبهم على المعاصي وأخّره عنهم ، قال في المصباح : أرجأته بالهمز أخّرته ، والمرجئة اسم فاعل من هذا لأنّهم لايحكمون على أحدبشيء في الدنيا ، بل يؤخّرون الحكم إلى يوم القيامة ، وتخفّف فتقلب الهمزة ياءاً مع الضمير المتّصل ، فيقال : أرجيته .

وأقول : قدمضى الكلام في بيان مذاهبهم في باب أنّ الايمان مبثوث بجوارح البدن ، وقال الشيخ البهائي قدّس سرّه : لعلّ المراد بالقدريّة الجبريّة ، وأقول : يحتمل أن يكون المرادبهم التفويضية القائلين باستقلال العبد في أفعاله ، وأن لامدخل لله فيهاأصلاً ، النافين لقضاءالله وقدره رأساً ، وقدعرفت إطلاقه عليهما ، وأنّهماخارجان عن الحقّ وأنّ الحقّ الأمر بين الامرين ، وفي النهاية : الحروريّة من الخوارج نسبوا إلى

لاتعبدالله على شيء .

١٤ ـ عنه ، عن الخطّاب بن مسلمة وأبان ، عن الفضيل قال : دخلت على أبي جعفر عليه السّلام وعنده رجلٌ فلمّا قعدت قام الرّجل فخرج ، فقال لي : يا فضيل ما هذا عندك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : حروريٌّ ! قلت : كافرٌ ؟ قال : إي والله مشرك .

١٥ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّد ، عن ابن محبوب عن أبي أيّوب ، عن محمّد بن مسلم قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : كلُّ شيء يجرُّه الاقرار والتسليم فهوالإيمان وكلُّ شيء يجرُّه الإنكار والجحود فهوالكفر .

حروراء بالمدّ والقصر ، وهوموضع قريب من الكوفة ، كان اوّل مجتمعهم وتحكيمهم فيه وهم أحد الخوارج الذين قاتلهم عليّ عليه السلام «الكافرة المشركة» قد عرفت الفرق بين الكفر والشرك ، وأنّ الكفر أعمّ أى هم جمعوا بينهما فانّهم كفروا حيث تركوا ما أمرالله به من طاعة الأئمّة عليهم السلام عناداً أوبغياً ، وأشركوا حيث اتّخذوا طواغيته أئمّة من غير نصبالله لهم الّتي لاتعبدالله على شيء من الدّين ، فانّه لادين لهم ، أومن العبادة فانّ عباداتهم باطلة .

الحديث الرابع عشر : حسن موثق .

والضمير في عنه لابن أبي عمير « ماهذا عندك » يعني أهو كافر باعتقادك أم مسلم ؟ «قلت : وماهو ؟» اى لاأعلم مذهبه حتّى أحكم عليه بالاسلام أوالكفر «اى والله مشرك » أى كفره مجامع للشرك ، وفي بعض النسخ ومشركٍ وهوأظهر .

الحديث الخامس عشر : صحيح

« كلّ شيء يجرّه الاقرار » أى هو من لوازمه وتوابعه كالأعمال الصّالحة والأخلاق الفاضلة ، والورع عن المعاصي ، فهو داخل فيالايمان على وجه ومكمّل له على وجه آخر . « وكلّ شيء يجرّه الانكار والجحود » أى هو من لوازمهما وتوابعهما وآثارهما ، فهوداخل فيالكفر ومن مكمّلاته أومن طرقه المؤدّية إليه ،

١٦ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشّاء ، عن عبدالله بن سنان عن أبي حمزة قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : إنّ عليّاً صلوات الله عليه باب فتحه الله ، من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً .

١٧ ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك ، عن عبدالله ابن جبلة ، عن إسحاق بن عمّار وابن سنان وسماعة ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طاعة علي عليه السلام ذلّ ومعصيته كفر بالله ، قيل : يارسول الله وكيف يكون طاعة علي عليه السلام ذلاً ومعصيته كفراً بالله ؟ قال : إنّ عليّاً

فانّ المعاصي طرق إلى الكفر .

الحديث السادس عشر : ضعيف على المشهور ومعتبر عندي .

والمراد بالدّاخل العارف بحقّه ، وبالخارج المنكر له ، سواء أنكره مطلقاً أو أنكره في مرتبته ، فيبقى قسم ثالث وهو الّذي لم يدخل ولم يخرج ويسمّى ضالاً ومستضعفاً كما مرّ وسيأتي .

الحديث السابع عشر : ضعيف .

والظاهر أنّ المراد به الذلّ في الدنيا وعند الناس ، لأنّ طاعته توجب ترك الدّنيا وزينتها، والحكم للضعفاء على الأقوياء والرضا بتسوية القسمة بين الشريف والوضيع ، والقناعة بالقليل من الحلال ، والتواضع وترك التكبر والترفّع ، وكلّ ذلك ممّا يوجب الذلّ عندالناس ، كماروى أنّه لمّاقسّم بيت المال بين أكابر الصّحابة والضعفاء بالسّوية غضب لذلك طلحة والزبير ، وأسّسا أساس الفتنة والبغي والجور ، وقيل : المراد بالذلّ التذلّل لله تعالى والانقياد له والتواضع عنده بقبول أوامره والانتهاء عند نواهيه ، وترك التكبّر والترفع من الذلّ بالكسر ، والأوّل أظهر كما ينادى به سياق الخبر .

ويؤيّده ماسيأتى في نوادر الحدود عن أبى عبدالله عليه السلام قال : بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى بشر بن عطارد التميمى في كلام بلغه فمرّ به رسول أمير المؤمنين عليه السلام فى

عليه السّلام يحملكم على الحقّ فإن أطعتموه ذللتم وإن عصيتموه كفرتم بالله عزّ وجلّ .

١٨ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشّاء قال : حدّثني إبراهيم ابن أبي بكر قال : سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول : إنّ عليّاً عليه السلام باب من أبواب الهدى ، فمن دخل من باب عليّ كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً و من لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الّذين لله فيهم المشيئة .

١٩ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن سنان ، عن ابن بكير ، عن زرارة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لو أنّ العباد إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا لم يكفروا .

بني أسد وأخذه فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدى فأفلته فبعث إليه أمير المؤمنين فأتوه به وأمر به أن يضرب ، فقال له نعيم : أما والله إنّ المقام معك لذلّ وإن فراقك لكفر ، قال : فلمّا سمع ذلك منه قال له : قدعفونا عنك إنّ الله عزّ وجلّ يقول : « ادفع بالّتي هي أحسن السّيئة »[1] أمّا قولك : إنّ المقام معك لذلّ فسيّئة إكتسبتها ، وأمّا قولك : إنّ فراقك لكفر فحسنة اكتسبتها ، فهذه بهذه ، ثمّ أمر أن يخلّى عنه .

ولاينافيه عدّه سيّئة فانّ مواجهته عليه السلام بهذا الكلام كان سوء أدب وإن كان حقّاً فتأمّل .

الحديث الثامن عشر : ضعيف على المشهور .

وكان فسّاق الشيعة والمستضعفين وأشباههم داخلون في القسم الثالث ، وأمّا من بلغته الدّعوة وتمّت عليه الحجّة فعدم الدخول فيه كفر وهو غيرمعذور .

الحديث التاسع عشر : كالسابق .

وهو باب رحمة فتحه الله للعباد ، ويدلّ على أنّ الجاهل معذور في أكثر الموارد ، كمن جهل إمامة عليّ عليه السلام ولم تقم عليه حجّة إذا وقف ولم ينكره لم يكفر ودخل

---

(١) سورة المؤمنون : ٩٦ .

٢٠ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن مُحَّد بن عيسى ، عن يونس ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنَّ الله عزَّوجلَّ نصب عليّاً عليه السلام علماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالاً ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنّة ومن جاء بعداوته دخل النّار .

٢١ ـ يونس ، عن موسى بن بكير ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : إنَّ عليّاً عليه السلام باب من أبواب الجنّة فمن دخل بابه كان مؤمناً ومن خرج من بابه كان كافراً ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الّتي لله فيهم المشيئة .

﴿ باب وجوه الكفر ﴾

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بكر بن صالح ، عن القاسم بن يزيد ، عن أبي عمرو الزبيري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن وجوه الكفر

في المستضعفين ، وهو في مشيّة الله فعسى أن تدركه الرحمة ، وكذا الجاهل في ساير الأمور من أصول الدّين وفروعه .

الحديث العشرون : كالسابق .

« ومن جهله » أي توقّف ولم ينكر « ومن نصب معه شيئاً » أي إماماً آخر وأخّره عن مرتبته فهو مشرك لأنّه وضع ديناً غير دين الله ، وأشرك مع الله غيره في نصب الامام .

الحديث الحادي والعشرون : ضعيف كالموثق وقدمر مضمونه .

باب وجوه الكفر

الحديث الاول : ضعيف على المشهور ببكر بن صالح وإنّما ضعّفه ابن الغضائري وأبوعمرو الزبيري وإن كان مجهولا لكن يظهر من أخباره أنّه من محقّقي الرواة وأصحاب أسرار الأئمّة عليهم السلام ، وهذا الخبر جزء خبر طويل فرّقه المصنّف وغيره على الأبواب كما يظهر من هذا الكتاب ، وتفسير العياشي وغيرها ، وقد مرّ

في كتاب الله عزّ وجلّ قال : الكفر في كتاب الله على خمسة اوجه .

فمنها كفر الجحود ، والجحود على وجهين ؛ والكفر بترك ماامر الله ؛ وكفر البراءة ؛ وكفر النعم .

فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالرّبوبيّة وهو قول من يقول : لاربّ ولا جنّة ولانار وهو قول صنفين من الزّنادقة يقال لهم : الدّهريّة وهم الّذين يقولون

جزء آخر في باب السّبق إلى الايمان ولمّا سأله عليه السلام عن أجزاء الايمان وزيادته ونقصانه ومنازله ودرجاته سأله عن معاني الكفر ووجوهه ، فبيّن عليه السلام أنّ الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه وجهان منها يرجع إلى الجحود، وقوله : فهو الجحود بالربوبيّة لمّا كان الجحود في اللغة مطلق الانكار ، وكان المراد به هيهنا إنكار مايتعلّق بالربوبيّة أعني ماجاء من قبل الربّ تعالى فسّره عليه السلام بذلك وخصّه به كما قيل .

وأقول : إنّما كان هذا جحداً للربوبيّة لأنّ ربيّته سبحانه يقتضي التكليف والثواب والعقاب ، فهؤلاء إمّا ينكرون وجوده سبحانه أو ربيّته ، وكان المراد بالصنفين صنف أنكروا المبدأ والمعاد معاً ، وهم الملاحدة ، وصنف أثبتوا المبدء وأنكروا المعاد كبعض الفلاسفة حيث أنكروا المعاد وقالوا بقدم العالم وأبديّته ، وكفّار مكة الذين ذكرهم الله في تلك الآية ، وهم الّذين يقولون « وما يهلكنا إلاّ الدّهر » زعموا أنّ تولّد الأشخاص وتكوّن الممتزجات وفسادها وحياتها وموتها مستندة إلى الدهر ، وحركات الافلاك وتأثيرات الكواكب ، ويحتمل أن يكون إشارة إلى القائلين بالتناسخ والقائلين ببطلان الجسد والرّوح بالكليّة ، أو القائلين بالطبيعة والقائلين بالدهر ، وقيل : صنف طلبوا لهذا العالم سبباً فأحالوه على الطّبع الّذى هو صفة جسمانيّة خالية عن العلم والادراك ، وصنف لم يطلبوا له سبباً بل إشتغلوا بأنفسهم وعاشوا عيش البهائم .

قال الله تعالى : « إن هم إلاّ يظنّون ، أنّ ذلك » بفتح الهمزة وتشديد النون متعلّق بيظنّون .

«وما يهلكنا إلاّ الدّهر» وهودين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبّت منهم ولا تحقيق لشيء ممّا يقولون ، قال الله عزّ وجلّ : «إن هم إلاّ يظنّون»[1] أنّ ذلك كما يقولون وقال : «إنّ الّذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون»[2] يعني بتوحيد الله تعالى فهذا أحد وجوه الكفر .

وأمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفة وهو أن يجحد الجاحد وهو يعلم

والحاصل أنّه استشهد لقوله انّهم وضعوا الدّين بمحض الاستحسان من غير حجّة وبرهان بأنّه تعالى قال بعد قولهم : «وما يهلكنا إلاّ الدّهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون» .

«إنّ الذين كفروا سواء عليهم» سواء اسم من الاستواء وخبر لأنّ ، وما بعده فاعله أي مستو عليهم إنذارهم وعدمه ، أو خبر لما بعده ، والجملة خبر لأنّ أي إنذاره وعدمه سيّان عليهم ، وقوله : بتوحيد الله متعلّق بلا يؤمنون ، ويحتمل تعلّقه بكفروا أو بهما على التنازع ، والظاهر أنّ هذه الآية والآية السّابقة موردهما واحد وقد يقال : انّ الآية الاُولى في صنف من الزنادقة لا سبيل لهم إلى شبهة قويّة والثانية لقوم من الفلاسفة لهم شبه قويّة على إنكار حدوث العالم والمعاد وفناء العالم فهم أشدّ رسوخاً في باطلهم من الفرقة الاُولى ، ولذلك لا ينفعهم الانذار وليس يبعيد وإنّما خصّ نفي الايمان في الآية بتوحيد الله لأنّ ساير ما يكفرون به من توابع التوحيد «و أمّا الوجه الآخر من الجحود» قيل : الصّواب وأمّا الوجه الآخر من الجحود فهو الجحود على معرفة ، ولعلّه سقط من قلم النساخ ، انتهى .

وكأنّ الفرق بين هذا وما تقدّم أنّ الفرقة المتقدّمة عرضت لهم شبهة ضعيفة اتّبعوها ، وهؤلاء أنكروا مع العلم عتوّاً واستكباراً وعناداً وحسداً كالفرق الذي ذكرنا سابقاً بين الكفر والشرك .

ويحتمل وجهاً آخر من الفرق بأن يكون الأوّل ما يكون في التوحيد وما يتبعه من أمر المعاد ، والثاني ما يكون بعد الاقرار بالتوحيد من الاقرار بالنبوّة

---

(١) سورة الجاثية : ٢٣ . (٢) سورة البقرة : ٦ .

أنّه حقّ ، قد استقرّ عنده وقد قال الله عزّ وجلّ : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً »[١] وقال الله عزّ وجلّ : « وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين »[٢] فهذا تفسير وجهي الجحود.

والامامة وغيرهما ، ولكلّ من الوجهين شواهد لا يخفى على المتأمّل

قوله : على معرفة ، أي للحقّ « قد استقرّ عنده » أي استقراراً لا شكّ فيه « وجحدوا بها » أي أنكروا آيات الله وكذّبوها ، والحال أنّ أنفسهم مستيقنة بها عالمة إيّاها ، وإنّما أنكروها ظلماً لأنفسهم وعلوّاً أي ترفّعاً على الرسول والانقياد له والايمان به ، واستدلّوا بها على أنّ الايمان هو التصديق مع العمل دون التصديق وحده ، واعترض عليه بأنّه يمكن أن يكون مشروطاً بالاقرار باللّسان مع القدرة كما ذهب إليه طائفة من العامّة ، كما قال الدواني في شرح العقائد : التلّفظ بكلمتي الشهادتين مع القدرة عليه شرط ، فمن أخلّ به فهو كافر مخلّد في النار ، انتهى .

وقيل : مشروط بعدم الانكار فينتفي الايمان بالانكار وقد مرّ القول فيه مفصّلا

وقال الله عزّ وجلّ : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » أي وكان أهل الكتاب من قبل البعثة يطلبون الغلبة على المشركين ويستنصرون عليهم بخاتم الأنبياء ، ويقولون اللهمّ انصرنا بنبيّ آخر الزمان المنعوت في التوراة ، أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أنّ نبيّاً يبعث منهم وقرب زمانه « فلمّا جائهم » النبيّ الذي عرفوه كفروا به وجحدوه حسداً أو خوفاً من الرياسة أو لغير ذلك « فلعنة الله على الكافرين » أي عليهم فوضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على أنّ لعنهم بسبب كفرهم وإنكارهم الحقّ المعروف عندهم .

أقول : روى عليّ بن إبراهيم هذا الخبر عن أبيه عن بكر بن صالح عن الزبيري عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الكفر في كتاب الله على خمسة وجوه ، فمنه كفر الجحود وهو على وجهين كفر جحود بعلم ، وجحود بغير علم ، فأمّا الذين جحدوا بغير علم

---

(١) سورة النمل : ١٤ . (٢) سورة البقرة : ٨٩ .

والوجه الثالث من الكفر كفر النعم وذلك قوله تعالى يحكي قول سليمان عليه السلام : « هذا من فضل ربّي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّي غنيّ كريمٌ »[1] وقال : «لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديدٌ»[2] وقال: «فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون»[3].

فهم الّذين حكى الله عنهم في قوله : « وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الاّ الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يظنّون » و قوله : « إنّ الّذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » فهؤلاء كفروا وجحدوا بغير علم ، وأمّا الذين كفروا وجحدوا بعلم فهم الذين قال الله عزّ وجل : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به » فهؤلاء كفروا وجحدوا بعلم .

وفي تفسير النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وأما الكفر المذكور في كتاب الله تعالى فخمسة وجوه ، منها كفر الجحود ، ومنها كفر فقط ، والجحود ينقسم على وجهين ، ومنها كفر الترك لما أمر الله تعالى به، ومنها كفر البراءة ، ومنها كفر النعم فأمّا كفر الجحود فأحد الوجهين منه جحود الوحدانيّة وهو قول من يقول لاربّ ولا جنّة ولا نار ولا بعث ولا نشور ، وهؤلاء صنف من الزنادقة ، وصنف من الدهريّة الذين يقولون ما يهلكنا إلاّ الدهر، وذلك رأي وضعوه لأنفسهم استحسنوه بغير حجة فقال الله تعالى «إن هم إلاّ يظنّون» وقال : «إنّ الذين كفروا» إلى قوله « لا يؤمنون» أي لا يؤمنون بتوحيد الله .

والوجه الآخر من الجحود هو الجحود مع المعرفة بحقيقته قال تعالى «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً »[4] .

و قال سبحانه : « وكانوا من قبل » إلى قوله « على الكافرين » أي جحدوه

---

(١) سورة النمل : ٤٠ .
(٢) سورة ابراهيم : ٧ .
(٣) سورة البقرة : ١٥٢ .
(٤) سورة النمل : ١٤ .

والوجه الرابع من الكفر ترك ماأمرالله عزّوجلّ به وهوقول الله عزّ وجلّ :

بعد أن عرفوه .

أقول : إنّما أوردنا الرّوايتين لتأييد كلّ منهما لبعض الوجوه السابقة «يحكى قول سليمان» لمّا عرف سليمان عليه السلام نعمة الله عليه ، وعلم أنّها للابتلاء قال هذا من فضل ربّي ، أي الاقتدار من احضار العرش في مدّة يسيرة من مسافة بعيدة وهي مابين سبأ والشام بلاحركات جسمانية من فضل نعم ربي « ليبلوني أأشكر » بالاقرار بأنّ ذلك الفضل له ومنه لا لي ومنّي ، والاتيان بالثناء الجزيل والذكرالجميل «أم أكفر» بترك ذلك الاقرار وعدم ذلك الاتيان .

«ومن شكر فانّما يشكر لنفسه» لأنّه يديم العتيد ويجلب المزيد ، ويستحق به الثواب ، ومن كفر بما مرّ فلا يضرّ الله شيئاً فانّ ربّي غنيّ عن عبادة العابدين وشكر الشاكرين ، كريم بالافضال والاحسان وترك مؤاخذة العبد بالإساءة والكفران لعلّه يتوب ويصلح حاله في مستقبل الأزمان ، ومن ها هنا ظهر أنّ ترك الشكر على النعمة كفر .

وقال : « لئن شكرتم لأزيدنّكم » قيل : الشكر هو الاعتراف بالنعمة ظاهرة كانت أوباطنة ، جليّة كانت أم خفيّة والأقرار بها للمنعم ، والاتيان بالأعمال الصالحة المطلوبة له والامتثال لأوامره والاجتناب عن معاصيه ، وكفرالنعم ضدّ ذلك ، وهو سبب لزوال النعمة وعدم الزيادة وتحقّق العقوبة في الدنيا والاخرة ، ولذلك قال الله عزّوجلّ مؤكّداً بوجوه شتّى : « ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد» .

وقال : « فاذكروني أذكركم » قيل : أي فاذكروني ظاهراً باللّسان وباطناً بالجنان لاسيّما عند الأوامر والنواهي ، أذكركم في ملاء المقرّبين بالخير والصّلاح أوبالجزاء الجميل ، أو في القيامة إذا بلغت القلوب الحناجر من شدائدها ، أو في حال الموت أو في البرزخ أو في جميع الأحوال ، كما دلّت عليه صيغة الاستقبال .

« وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون * ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من

« وإذ أخذناميثاقكم » قيل : أخذ العهد منهم بأن لا يقتلوا أنفسهم كمايفعله من يصعب عليه الزمان للتخلص من الصعوبة ، وكما يفعله أهل الهند للتخلص من عالم الفساد واللحوق بعالم النور ، وقيل : بأن لا يفعلوا ما يوجب قتلهم وإخراجهم من ديارهم ، وقيل : بأن لا يقتل بعضهم بعضاً ولايخرج بعضهم بعضاًمن وطنه ، وإنّما جعل قتل الرّجل واخراجه غيره قتل نفسه وإخراجها لاتصاله به نسباً أو ديناً ، أو لأنّه يقتص منه فكأنّه قتل نفسه وقيل : بأن لا يفعلوا ما يصرفهم في الحياة الأبديّة التيهيالحياة الحقيقيّة وما يمنعهم من الجنّة الّتي هي دار القرار ، فانّه الجلاء الحقيقي .

« ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون » أي ثمّ أقررتم بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه«وأنتم تشهدون» عليها ، وهذاتأكيد كقولك أقرّ فلان على نفسه بكذا شاهداً عليها أو إعترفتم علىقبوله وشهد بعضكم على بعض بذلك ، أو أنتم تشهدون يامعشر اليهود على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق فيكون إسناد الاقرار إلى المخاطبين مجازياً .

« ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم » قيل : ثمّ استبعاد لما أسند إليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد الميثاق منهم وإقرارهم وشهادتهم ، وأنتم مبتدء وهؤلاء خبره والمعنى أنتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون الشاهدون يعنى أنتم قوم آخرون غير هؤلاء الشاهدين ، كقولك رجعت بغيرالوجه الذيخرجت، أي ما أنت الذي كنت من قبل نزّل تغير الصّفة منزلة تغيّر الذات ، وتقتلون حينئذ بيان لهذه الجملة .

وقيل : أنتم مبتدء وتقتلون خبره ، وهؤلاء إمّامنصوب بتقدير أعنى أو منادى بحذف حرف النداء عند من جوّزحذف حرف النداء في المبهمات كسيبويه وأتباعه وقيل : أنتم مبتدأ وهؤلاء بمعنى الذين وتقتلون صلته ، أي ثمّ أنتم الذين تقتلون ،

ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم

وهذا عند الكوفيّين ، وأمّا البصريّون فلا يجوّزون أن يكون هؤلاء وأولاء وهذا بمعنى الموصول .

وقيل: انتم مبتدأ وهؤلاء خبره بحذف المضاف ، أي مثل هؤلاء «تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان» قيل : هو حال عن فاعل تخرجون أوعن مفعوله أو كليهما ، والتظاهر التعاون من الظهر أي تتعاونون عليهم ، وقيل : ولمّا كان الاخراج من الدّيار وقتل البعض بعضاً ممّا تعظم به الفتنة ، واحتيج فيه إلى زيادة إقتدار عليه ، بيّن الله تعالى أنّهم فعلوه على وجه الاستعانة بمن يظاهرهم على الظلم والعدوان ، وفيه دلالة على أنّ الظلم كما هو محرّم فكذا إعانة الظالم على ظلمه محرّمة ، ولا يشكل هذا بتمكين الله تعالى الظالم من الظلم فانّه كما مكّنه فقد زجره بخلاف معين الظالم ، فانّه يدعوه إلى الظلم ويحسنه عنده .

« وإن يأتوكم أسارى تفادوهم » قال المفسّرون : قريظة وهم قبيلة من يهود خيبر كانوا حلفاء الأوس والنضير ، وهم قبيلة أخرى كانوا حلفاء الخزرج ، فاذا اقتتلا عاون كلّ فريق حلفاءه في القتل وتخريب الدّيار واخراج أهلها ، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتّى يفدوه فعيّرتهم العرب وقالت : كيف تقاتلونهم ثمّ تفدونهم ، فيقولون أمرنا أن نفديهم وحرّم علينا قتالهم ، ولكنّا نستحيي أن نذلّ حلفائنا فذمّهم الله على ذلك إذ أتوا ببعض الواجب وتركوا البعض ، وقيل : معناه إن يأتوكم أسارى في أيدي الشياطين تتصدّون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم أنفسكم ، كقوله : « أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم » [1]

واسارى جمع أسرى كسكارى وسكرى ، وأسرى جمع أسير كمرضى ومريض ، وقيل : أسارى أيضاً جمع أسير ، وقيل : هو من الجموع الّتي تركوا مفردها كأنّه جمع أسران كعجالى وعجلان .

(١) سورة البقرة : ٤٢ .

عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فماجزاء من يفعل ذلك منكم »[1] فكفّرهم بترك ماأمرالله عزّ وجلّ به، ونسبهم إلى الايمان ولم يقبله منهم ولم

« وهو محرّم عليكم إخراجهم » متعلّق بقوله : وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم ، وما بينهما إعتراض ، والضمير للشأن أومبهم ، ويفسّره إخراجهم أوراجع إلى ما دلّ عليه يخرجون من المصدر ، وإخراجهم تأكيد أو بيان له « أفتؤمنون ببعض الكتاب » يعني الفداء « وتكفرون ببعض » يعني حرمة المقاتلة والاجلاء .

وأقول : ويظهر من الخبر أنّ المراد بالكفر هنا ترك ما أمر الله تعالى به من الكفّ عن قتلهم وإخراجهم ، وكأنّ التعبير عنه بترك ما أمرالله به دون فعل ما نهي الله عنه ليشمل ترك الطّاعات أيضاً وهو أهمّ وأعظم ، أو لأنّ المقصود في النهي عن المعاصي حصول أضدادها ، فانّ النهي عن شرب الخمر الغرض منه حفظ العقل والغرض من النهي عن الزنا حفظ الأنساب ، وعن القتل حفظ النفوس ، وهكذا و يظهر ممّاسيأتي في تأويل الآية بروايات أهل البيت عليهم السلام أنّها نزلت في ترك القول بامامة أهل البيت عليهم السلام ، وما تفرّع على ذلك من قتلهم واخراجهم عن الامامة وإخراج أصحابهم كأبي ذر رضي الله عنه عن ديارهم نكتة اخرى أظهرممّا ذكرنا كما لا يخفى على المتأمّل .

«ونسبهم إلى الايمان» أي الايمان الظاهري حيث وردفي تفسير النعماني في سياق هذا الخبر ، فكانوا كفّاراً لتركهم ما أمرالله به فنسبهم إلى الايمان باقرارهم بألسنتهم على الظاهر دون الباطن ، فلم ينفعهم ذلك لقوله « فما جزاء من يفعل ذلك منكم » الآية .

قال الطبرسي (ره) : وممّا يسئل في هذه الآية أنّ ظاهرها يقتضي صحّة اجتماع الايمان والكفر ، وذلك مناف للصحيح من المذهب ؟ والقول فيه : أنّ المعنى أنّهم أظهروا التصديق ببعض الكتاب والانكار للبعض ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك

(١) سورة البقرة : ٨٤ .

ينفعهم عنده فقال : « فماجزاء من يفعل ذلك منكم إلاّ خزي في الحياة الدّنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وماالله بغافل عمايعملون »[1].

أنّكم إذا اعتقدتم بجميع ذلك ثمّ عملتم ببعضه دون بعض فكأنّكم آمنتم ببعضه دون بعض ، وهذا يدلّ على أنّه لا ينفعهم الايمان بالبعض مع الكفر بالبعض الآخر ، انتهى .

« فما جزاء من يفعل ذلك منكم » أي الكفر أو الجمع بين الأمرين « إلاّ خزي في الحياة الدّنيا» كقتل بني قريظة وسبي نسائهم وذراريهم ، وإجلاء بني النضير لنقض عهدهم وضرب الجزية على غيرهم ، والخزي ذلّ يستحيي منه ، يقال : أخزاه الله أي أهانه وأوقعه موقعاً يستحيي منه ، وتنكير خزي يدلّ على فظاعة شأنه وأنّه بلغ مبلغاً لا يعرف كنهه .

« إلى أشدّ العذاب » قيل : عذاب منكري الصّانع كالدهريّة يجب أن يكون أشدّ فكيف وصف عذاب اليهود بأنّه أشدّ ؟ وأجيب أولاً بأنّ كفر العناد أشدّ فعذابهم أشدّ ، وثانياً بأنّ المراد أنّ عذابهم أشدّ من الخزي لا مطلقا « وما الله بغافل عمّا يعملون» قيل: هذا وعيد شديد للعاصين ، وبشارة عظيمة للمطيعين ، لأنّ القدرة الكاملة مع عدم الغفلة يقتضي وصول الحقوق إلى مستحقيها .

وأقول : قال الامام عليه السلام في تفسيره : قوله عزّوجلّ : « إخراجهم » ولم يقتصر على أن يقول وهومحرّم عليكم لأنّه لوقال ذلك لرأي أنّ المحرّم إنّماهومفاداتهم ثمّ قال عزّوجلّ : « أفتؤمنون ببعض الكتاب » وهو الذي أوجب عليكم المفاداة « وتكفرون ببعض الكتاب » وهو الذي حرّم قتلهم واخراجهم ، فقال فاذا كان قد حرّم الكتاب قتل النفوس والاخراج من الديار كما فرض فداء الاسراء فما بالكم تطيعون في بعض وتعصون في بعض ؟ كأنّكم ببعض كافرون وببعض مؤمنون ، ثمّ قال عزّوجلّ : « فما جزاء من يفعل ذلك منكم » يا معشر اليهود «إلاّ خزي» ذلّ « في

---

(١) سورة البقرة : ٨٥ .

والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة وذلك قوله عزّ وجلّ يحكي قول إبراهيم عليه السلام: « كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده»[1] يعني تبرّأنا منكم، وقال يذكر إبليس وتبرئته من أوليائه من الإنس

الحياة الدنيا » جزية تضرب عليه يذلّ بها « ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب» إلى جنس أشدّ العذاب ، يتفاوت ذلك على قدر تفاوت معاصيهم « وما الله بغافل عمّا يعملون » أي يعمل هؤلاء اليهود .

ثم قال عليه السلام : فقال رسول الله : لمّا نزلت هذه الآية في اليهود ، هؤلاء اليهود نقضوا عهد الله و كذّبوا رسول الله ، وقتلوا أولياء الله أفلا أنبّئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الامّة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : قوم من أمّتي ينتحلون بأنّهم من أهل ملّتي يقتلون أفاضل ذرّيّتي وأطايب أمّتي ويبدّلون شريعتي وسنّتي ، ويقتلون ولدي الحسن والحسين كما قتل أسلاف هؤلاء اليهود زكريّا ويحيى ، ألا وإنّ الله يلعنهم كما لعنهم ، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهديّاً من ولد الحسين عليه السلام المظلوم يحرقهم بسيوف أوليائه إلى نارجهنّم ، إلى آخر الخبر .

وقال عليّ بن إبراهيم : إنّها نزلت في أبي ذر رضي الله عنه وفيما فعل به عثمان من إخراجه إلى الربذة وغير ذلك ممّا أجرى من الظلم عليه ، واعترف بأنّه لو وجده أسيراً في أيدي المشركين فداه بجميع ماله ، فصار مصداق هذه الآية ، والقصّة طويلة وسيأتي في المحلّ المناسب لها إن شاء الله .

« يعني تبرّأنا منكم » وقد يفرّق بين العداوة والبغض بأنّ العداوة يظهر أثرها بخلاف البغض ، أو بأنّ البغض أشدّ من العداوة ، وفي المصباح البغضة بالكسر والبغضاء شدّة البغض « من دون الله أوثاناً » قد دلّت الأخبار الكثيرة على أنّ ائمّة الكفر والضلالة داخلة فيهم ، والآيات المذكورة صريحة في أنّ الكفر يطلق على البراءة ، وأنّ كفر البراءة كما يكون بين المؤمن والكافر كذلك يكون بين الكافرين

(١) سورة الممتحنة : ٤ .

يوم القيامة : « إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل »[١] وقال : « إنّما اتّخذتم من دون الله أوثاناً مودّة بينكم في الحياة الدّنيا ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً »[٢] يعني يتبرّء بعضكم من بعض .

وقيل : لعلّه عليه السلام إنّما لم يذكر كفر النفاق في هذا الحديث لأنّه جعل النفاق قسيماً للكفر لا قسماً منه لأنّ فيه إذعاناً ، ويؤيّده قوله سبحانه : «يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين» حيث عطف أحدهما على الآخر .

تأييد

قال الراغب في مفرداته : الكفر في اللغة ستر الشيء ، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص ، والزارع لستره البذر في الأرض ، وليس ذلك باسم لهما ، والكافور إسم أكمام الثمرة التي تكفرها ، وكفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها قال عزّ وجلّ : « فلا كفران لسعيه »[٣] وأعظم الكفر جحود الوحدانيّة أو النبوة أو الشريعة ، والكفران في جحود النعمة أكثر إستعمالا ، والكفر في الدين أكثر ، والكفور فيهما جميعاً ، قال تعالى : «فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً»[٤] «فأبى الظالمون إلّا كفوراً »[٥] ويقال منهما كفر فهو كافر ، قال في الكفران: « ليبلوني أشكر أم أكفر ومن شكر فانّما يشكر لنفسه ومن كفر فانّ ربى غنيّ كريم»[٦] وقال تعالى : «واشكروا لي ولا تكفرون»[٧] وقوله : «وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين»[٨] أي تحرّيت كفران نعمتي ، وقال : « لئن شكرتم لأزيدنّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد »[٩] .

ولمّا كان الكفران يقتضي جحود النّعمة صار يستعمل في الجحود ، قال تعالى:

---

(١) سورة ابراهيم : ٢٢ .
(٢) سورة العنكبوت : ٢٥ .
(٣) سورة الأنبياء : ٩٤ .
(٤) سورة الفرقان : ٥٠ .
(٥) سورة الاسراء : ٩٩ .
(٦) سورة النمل : ٤٠ .
(٧) سورة البقرة : ١٥٢ .
(٨) سورة الشعراء : ١٩ .
(٩) سورة ابراهيم : ٧ .

. . . .

« ولا تكونوا أوّل كافر به » [(١)] أي جاحد له وساتر .

والكافر على الاطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانيّة أو النبوّة أو الشريعة أو ثلاثتها وقد يقال كفر لمن أخلّ بالشريعة وترك ما لزمه من شكرالله عليه « قال ومن كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأ نفسهم يمهدون » [(٢)] ويدلّ على ذلك مقابلته بقوله : « ومن عمل صالحاً فلا نفسهم » و قال : « يعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها وأكثرهم الكافرون » [(٣)] وقوله : « ولا تكونوا أوّل كافر به » [(٤)] أي لا تكونوا أئمّة في الكفر فيقتدى بكم ، و قوله : « ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » [(٥)] وعنى بالكافر السّاتر للحقّ فلذلك جعله فاسقاً ، ومعلوم أنّ الكفر المطلق هو أعظم من الفسق ، ومعناه من جحد حقّ الله فقد فسق عن ربّه ، ولما رأى جعل كلّ فعل محمود من الايمان جعل كلّ فعل مذموم من الكفر .

وقال في السّحر : « وما كفر سليمان ولكنّ الشياطين كفروا » [(٦)] وقال : « الذين يأكلون الرّبا لا يقومون » إلى قوله « والله لايحبّ كلّ كفّار أثيم » [(٧)] وقال : « ولله على الناس حجّ البيت » إلى قوله : « ومن كفر فانّ الله غنيّ عن العالمين » [(٨)] .

والكفور المبالغ في كفران النعمة ، وقوله : « إنّ الانسان لكفور » [(٩)] وقال « ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلاّ الكفور » إن قيل : كيف وصف

(١) (٤) سورة البقرة : ٤١ .
(٢) سورة الروم : ٤٤ .
(٣) سورة النحل : ٨٣ .
(٥) سورة النور : ٥٥ .
(٦) سورة البقرة : ١٠٢ .
(٧) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(٨) سورة آل عمران : ٩٧ .
(٩) سورة الزخرف : ١٥ .

• • • • • • • • • •

الانسان هيهنا بالكفور ولم يرض بذلك حتى أدخل عليه انّ واللاّم كلّ ذلك تأكيداً وقال في موضع آخر : وكرّه إليكم الكفر » [1] وقوله عزّ وجلّ : « إنّ الانسان لكفور مبين » [2] فتنبيه على ما ينطوي عليه الانسان من كفران النعمة وقلّة مايقوم بأداء الشكر ، وعلى هذا قوله : « قتل الانسان ما أكفره » [3] ولذلك قال : « وقليل من عبادي الشكور » [4] وقوله : « إنّا هديناه السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » [5] تنبيهاً أنّه عرّفه الطريقين كما قال : « وهديناه النجدين » [6] فمن سالك سبيل الشكر ومن سالك سبيل الكفر وقال : « وكان الشيطان لربّه كفوراً » [7] فمن الكفر ونبّه بقوله « كان » أنّه لم يزل منذ وجد منطوياً على الكفر .

والكفّار أبلغ من الكفور ، لقوله : « كلّ كفّار عنيد » [8] وقال : « إنّ الله لا يحبّ كلّ كفّار أثيم » [9] وقال : « إنّ الله لا يهدي من هو كاذب كفّار » [10] وقال : « ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً » [11] وقد أجرى الكفّار مجرى الكفور في قوله : « إنّ الانسان لظلوم كفّار » [12] .

والكفّار في جمع الكافر المضادّ للايمان أكثر استعمالا لقوله تعالى : « أشدّاء على الكفّار » [13] وقوله : « ليغيظ بهم الكفّار » [14] والكفرة في جمع كافر النعمة أكثر استعمالا ، وقوله عزّ وجلّ : « اولئك هم الكفرة الفجرة » [15] ألا ترى أنّه

(١) سورة الحجرات : ٧ .
(٢) سورة الزخرف : ١٥
(٣) سورة عبس : ١٧ .
(٤) سورة سبأ : ١٣ .
(٥) سورة الانسان : ٣ .
(٦) سورة البلد : ١٠ .
(٧) سورة الاسراء : ٢٧ .
(٨) سورة ق : ٢٤ .
(٩) سورة البقرة : ٢٧٦ .
(١٠) سورة زمر : ٣ .
(١١) سورة نوح : ٢٧ .
(١٢) سورة ابراهيم : ٣٤ .
(١٣ و ١٤) سورة الفتح : ٢٩.
(١٥) سورة عبس : ٤٢ .

. . . .

وصف الكفرة بالفجرة ، والفجرة قد يقال للفسّاق من المسلمين .

وقوله « جزاءاً لمن كان كفر » (١) أي الأنبياء ومن يجرى مجراهم ممّن بذلوا النصح في أمر الله فلم يقبل منهم ، وقوله عزّ وجلّ : « إنّ الّذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ آمنوا ثمّ كفروا » (٢) قيل : عنى بقوله انّهم آمنوا بموسى ثمّ كفروا بمن بعده ، وقيل: آمنوا بموسى ثمّ كفروا بموسى إذ لم يؤمنوا بغيره .

وقيل : هو ما قال : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلّهم يرجعون » (٣) ولم يرد أنّهم آمنوا مرّتين وكفروا مرّتين ، بل ذلك إشارة إلى أحوال كثيرة وقيل : كما يصعد الانسان في الفضائل في ثلاث درجات يتسكّع في الرذائل في ثلاث درجات والآية إشارة إلى ذلك . ويقال : كفر فلان اذا اعتقد الكفر ، ويقال ذلك إذا أظهر الكفر وإن لم يعتقد ، ولذلك قال « من كفر من بعد ايمانه إلّا من اُكره وقلبه مطمئنّ بالايمان » (٤) ويقال : كفر فلان بالشيطان إذا كفر بسببه ، وقد يقال ذلك إذا آمن وخالف الشيطان كقوله : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله » (٥) .

وأكفره إكفاراً حكم بكفره ، وقد يعبّر عن التبرّي بالكفر ، نحو : « ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض » (٦) الآية ، وقوله عزّ وجلّ : « إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل » (٧) وقوله : « كمثل غيث أعجب الكفّار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرّاً » (٨) .

وقيل : كنّى بالكفّار الزرّاع لأنّهم يغطّون البذر في التراب ستر الكافر

---

(١) سورة القمر : ١٤ . (٢) سورة النساء : ١٣٧ .
(٣) سورة آل عمران : ٧٢ . (٤) سورة النحل : ١٠٦ .
(٥) سورة البقرة : ٢٥٦ . (٦) سورة العنكبوت : ٢٥ .
(٧) سورة ابراهيم : ٢٢ . (٨) سورة الحديد : ٢٠ .

﴿باب﴾

۞(دعائم الكفر وشعبه)۞

١ ـ علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن عمر بن اُذينة ، عن أبان بن أبي عيّاش ، عن سليم بن قيس الهلالي ،

حقّ الله ، بدلالة قوله : يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفّار ، ولأنّ الكفّار لا اختصاص لهم بذلك ، وقيل : بل عنى الكفّار وخصّهم لكونهم معجبين بالدّنيا وزخارفها ، وراكنين إليها .

والكفّارة ما يغطّي الاثم والتكفير ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل ، ويصحّ أن يكون أصله إزالة الكفر ، والكفران نحو التمريض في كونه إزالة للمرض ، انتهى .

وأقول : قد مرّ بعض الكلام في حقيقة الكفر في أبواب الايمان .

باب دعائم الكفر وشعبه

الحديث الأول : مختلف فيه .

وهو جزء من خطبة مشهورة مرّ بعضها بسند آخر في باب صفة الايمان ، والباب الذي قبله ، ورواها الصدوق في الخصال باسناده عن ابن نباته رضي الله عنه في النهج قليلا منه قد ذكرنا بعضه هنا ونذكر تتمّته هيهنا قال .

والكفر على أربع دعائم على التعمّق والتنازع والزيغ والشقاق ، فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ ، ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحقّ ، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة ، وحسنت عنده السيّئة وسكر سكر الضّلالة ، ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره ، وضاق مخرجه

عن أميرالمؤمنين صلوات‌الله عليه قال : بني الكفر على أربع دعائم : الفسق والغلو ، والشك ، والشبهة .

والشك على أربع شعب على التماري والهول والتردد والاستسلام ، فمن جعل المراء ديدناً لم يصبح ليله ، ومن هاله مابين يديه نكص على عقبيه ، ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما .

ثم قال قدس سره : وبعدهذا كلام تركناه كره خوف الاطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب .

وقال ابن ميثم في شرحه : وأما الكفر فرسمه أنه جحد الصانع أو إنكار أحد رسله عليهم السلام أو ماعلم مجيئهم به بالضرورة ، وله أصل وهو ما ذكرناه ، وكمالات ومتممات هي الرذائل الاربع التي جعلها دعائم له ، وهي الرذائل من الاصول الأربعة للفضائل الخلقية .

فأحدها التعمق وهوالغلو في طلب الحق ، والتعسف فيه بالجهل والخروج إلى حد الافراط ، وهو رذيلة الجور من فضيلة الحكمة ، ويعتمد الجهل بمظان طلب الحق ونفرع عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها ، وهوعدم الانابة إلى الحق والرجوع إليه لكون تلك الرذيلة صارت ملكة .

والثانية التنازع وهورذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى جربزة ويعتمد الجهل المركب ، ولذلك نفرعنه بمايلزمه عند كثرته وصيرورته ملكة من دوام العمى عن الحق .

الثالثة : الزيغ ويشبه أن يكون رذيلة الافراط عن فضيلة العفة وهو الميل عن حاق الوسط منها إلى رذيلة الفجور ، ويعتمد الجهل ، ولذلك لزمه قبح الحسنة وحسن السيئة وسكر الضلالة ، واستعار لفظ السكر لغفلة الجهل باعتبار مايلزمها من سوء التصرف ، وعدم وضع الأشياء مواضعها ، ويحتمل أن يكون اشارة إلى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة غباوة .

. . . .

الرابعة : الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة ، المسمّى تهوّراً أو مستلزم له ، ويلزمها توعّر المسالك على صاحبها ، وضيق مخرجه من الامور ، لأنّ مبدء سهولة المسالك واتّساع المداخل والمخارج في الامور هو مسالمة الناس والتجاوز عمّا يقع منهم ، والحلم عنهم ، واحتمال مكروههم .

وامّا الشّك فعبارة عن التردّد في اعتقاد أحد طرفي النقيض ويقابل اليقين ، وذكر له أربع شعب : أحدهما التمارى وظاهر أنّ مبدء المراء الشك ، ونفر من اتّخذه ملكة بكونه لايصبح ليله ، وذلك كناية عن عدم وضوح الحقّ له من ظلمة ليل الشكّ والجهل .

الثاني : الهول لأنّ الشك في الامور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح أو فساد، وذلك يستلزم الفزع منها والخوف من الاقدام عليها وثمرتها النكوص والرجوع على الاعقاب .

الثالث : التردّد في الشكّ اى الانتقال من حال إلى حال ، ومن شكّ في أمر إلى شكّ في آخر من غير ثقة بشيء ، وذلك دأب من تعوّد التشكّك في الامور ، ونفر عن ذلك بما يلزمه ممّا كنّى عنه بوطى سنابك الشياطين ، وهو ملك الوهم والخيال لأرض قلبه ، حتّى يكون سلطان العقل بمعزل عن الجزم بما من شأنه الجزم به .

الرّابع : الاستسلام لهلكة الدّنيا والآخرة ، ولزومه عن الشكّ لأنّ الشاكّ في الأمور الدينويّة والاُخرويّة المتعوّد لذلك غير عامل لشيء منها ، ولايهتمّ لأسبابها ، وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه ، ولزوم هلاكه فيها لاستسلامه ظاهر ، وبالله التوفيق ، انتهى .

ولنرجع إلى شرح مافي الكتاب : « الدّعائم » جمع الدّعامة بالكسر ، وهى عماد البيت ، والمراد هنا اصوله وبواعثه ، والفسق الخروج عن الطاعة ، ويقال : أصله

. . . .

خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد ، وقال الراغب : أكثر مايقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به ، ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه .

والغلوّ هو مجاوزة الحدّ في الدّين ، وفي التنزيل : « لاتغلوا في دينكم » [١] ويقال : أصله الارتفاع ومجاوزة القدر في كلّ شيء ، وفي الخصال : والعتوّ ، قال في المصباح : عتايعتوعتوّاً من باب قعد استكبر ، وقال الرّاغب : العتوّ النبوّ عن الطّاعة قال تعالى : « وعتوا عتوّاً كبيراً » [٢] « فعتوا عن أمر ربّهم » [٣] « وكأيّن من قرية عتت عن أمر ربّها » [٤] وقال : « بل لجّوا في عتوّ ونفور » [٥] وقوله تعالى : « أيّهم أشدّ على الرّحمان عتيّاً » [٦] قيل : المعنى هيهنامصدر ، وقيل : هوجمع عاتى ، وقيل : العاتى الجانى ، انتهى .

ومافي المتن أظهر لذكر العتوّ بعد ذلك إلاّ أن يكون بمعنى آخر ، والشكّ في الاصطلاح وهو تساوى الطرفين عند العقل ، وقال في المصباح : الشكّ الارتياب ويستعمل الفعل لازماً ومتعدّياً بالحرف ، فيقال : شكّ في الأمر قال ائمّة اللغة : الشكّ خلاف اليقين فقولهم خلاف اليقين هوالتردّد بين الشيئين ، سواء استوى طرفاه أورجّح أحدهما على الآخر ، قال تعالى : « فان كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك » [٧] قال المفسّرون : اى غير مستيقن وهويعمّ الحالتين ، انتهى .

وكأنّ المراد به هنا الشكّ في أصول الدّين وضروريّاته ، وهو أعظم أصول الكفر .

والشبهة مايشبه الحقّ وليس به ، وقال الراغب : الشبهة هو أن لايتميّز أحد

---

(١) سورة النساء : ١٧١ .
(٢) سورة الفرقان : ٢١ .
(٣) سورة الذاريات : ٤٤ .
(٤) سورة الطلاق : ٨ .
(٥) سورة الملك : ٢١ .
(٦) سورة مريم : ٦٩ .
(٧) سورة يونس : ٩٤ .

والفسق على أربع شعب : على الجفاء ، والعمى ، والغفلة ، والعتوّ ، فمن جفا

الشيئين من الآخر لما بينهما من التشابه عيناً كان أومعنى ، انتهى .

وقيل : هي ترجيح الباطل بالباطل ، وتصوير غير الواقع بصورة الواقع ، وجلّها بل كلّها يحصل بمزج الباطل بالحقّ ولمّا فرغ من دعائم الكفر واصوله وكان لكلّ واحدة منها أربع شعب وكانت لتلك الشعب ثمرات وآثار مهلكة أشار إلى تلك الشعب وثمراتها للتحذير منها ، والتنفير عنها ، بقوله : والفسق على أربع شعب .

والشعبة من الشجرة بالضمّ الغصن المتفرّع منها ، وقيل : الشعبة ما بين الغصنين والقرنين ، والطائفة من الشيء أوطرف الغصن والمراد هنا الفروع ، والجفاء الغلظة في الطبع . والخرق في المعاملة ، والفظاظة في القلب ، ورفض الصلة والبرّ والرفق والبعد عن الآداب الحسنة ، قال في المصباح : جفا السرج عن ظهر الفرس يجفو جفاء ارتفع ، وجافيته فتجافى ، وجفوت الرجل أجفوه أعرضت عنه أوطردته ، وهو مأخوذ من جفاء السيل وهو ما نفاه السيل ، وقد يكون مع بغض ، وجفا الثوب يجفو إذا غلظ فهو جاف ، ومنه جفاء البدو وهو غلظتهم وفظاظتهم .

والعما ذهاب بصر القلب وترك التفكّر في الامور النافعة في الآخرة ، وعدم إدراك الحقّ والتميز بينه وبين الباطل .

وفي المصباح : الغفلة غيبة الشيء عن بال الانسان ، وعدم تذكّره له ، وقد استعمل فيمن ترك إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى : « وهم في غفلة معرضون »[1] يقال منه غفلت عن الشيء غفولا من باب قعد ، وله ثلاثة مصادر غفول وهو أعمّها وغفلة وزان تمرة ، وغفل وزان سبب ، وأغفلت الشيء إغفالاً تركته إهمالا من غير نسيان، وقال الراغب : الغفلة سهو يعترى من قلّة التحفّظ والتيقّظ ، قال عزّ وجلّ : « لقد كنت في غفلة من هذا »[2] « وهم في غفلة معرضون »[3] « وهم عن الآخرة غافلون »[4]

(١ و ٣) سورة الانبياء : ١ . (٢) سورة ق : ٢٢ .
(٤) سورة الروم : ٧ .

احتقر الحقّ ، ومقت الفقهاء ، وأصرّ على الحنث العظيم ، ومن عمي نسي الذكر ، واتّبع الظنّ ، وبارزخالقه ، وألحّ عليه الشيطان ، وطلب المغفرة بلاتوبة ولااستكانة

« ولاتكن من الغافلين »[1] «لتنذر قوماً ماأنذر آبائهم فهم غافلون »[2] .

« احتقر الحقّ » وفي بعض النسخ الخلق اى أهل الحقّ « ومقت الفقهاء أي» أهل البيت عليهم السلام . أوالأعمّ منهم ومن علماء شيعتهم وهوأظهر ، « وأصرّ على الحنث العظيم » وهوالاثم بالاحتقار والمقت ، أوبالأعمّ منهما ومن ساير الكبائر وهو إشارة إلى قوله تعالى : « وكانوا يصرّون على الحنث العظيم »[3] في وصف أصحاب الشمال بعد ذكر شدّة عذابهم وأنّهم كانوا قبل ذلك مترفين ، قال الطبرسي : الحنث نقض العهد المؤكّد بالحلف .

وقال : أي الذنب العظيم ، وقال : الاصرار أن يقيم عليه فلايقلع عنه ولايتوب منه ، وقيل : الحنث العظيم الشرك أي لايتوبون عنه ، وقيل : كانوا يحلفون لايبعث الله من يموت وأنّ الاصنام أنداد الله ، وقال الراغب : أي الذّنب المؤثم ، وسمّي اليمين الغموس حنثاً لذلك « و من عمي نسي الذكر » أي ذكر الله أو الآخرة أو القرآن او القرآن أو اهل البيت عليهم السلام ، وذكر الله يعمّ الجميع إشارة الى قوله تعالى : « استحوذ عليهم الشّيطان فأنساهم ذكر الله »[4] وقد مرّ وسيأتي أنّهم عليهم السلام ذكر الله .

« واتّبع الظنّ » اى في أصول الدّين التي لايجوز فيها اتّباعه ، أوالمراد به الظنون الّتي لايجوز اتبّاعها كالظنّ الحاصل بالرأي والقياسات والاستحسانات العقليّة كماهوشأن المخالفين ، وليست هذه الفقرة في « ل » .

« وبارز خالقه » أي حاربه مطلقا أو في اتّباع الظنّ حيث ارتكب مانهاه

(١) سورة الاعراف : ٢٠٥ .
(٢) سورة يس : ٦ .
(٣) سورة الواقعة : ٤٦ .
(٤) سورة المجادلة : ١٩ .

ولاغفلة ؛ ومن غفل جنى على نفسه ؛ وانقلب على ظهره وحسب غيّه رشداً ؛ وغرّته

عنه بقوله عزّ وجلّ : « ولاتقف ماليس لك به علم » [1] وبقوله : « إن يتّبعون إلاّ الظنّ وإنّ الظنّ لايغني من الحقّ شيئاً » [2] .

« وألحّ عليه الشيطان » إشارة إلى قوله : « استحوذ عليهم الشيطان» «وطاب المغفرة» هذا أيضاً ليست في « ل » .

« بلاتوبة » أي ندامة عمّا فعل ولااستكانة وتضرّع في طلب المغفرة .

« ولاغفلة » عن الذنوب ، وشبهة عرضت له فيها « ومن غفل » أي عن الآخرة وعقوباتها ومضرّة الشيطان و اتبّاع شهوات الدّنيا و لذّاتها « جنى على نفسه » اى أهلكها « وانقلب » عن الدين « على ظهره » .

«وحسب غيّه» وضلاله « رشداً » وصلاحاً وذلك لغفلته عن تسويلات الشيطان ووساوسه « وغرّته الأمانيّ » اى المواعيد الكاذبة من الشّيطان حيث قال اللعين : « ولأمنّينّهم» [3] قال الراغب : الامنيّة الصورة الحاصلة في النّفس من تمنّي الشيء ، ولمّا كان الكذب تصوّر مالاحقيقة له وايراده باللّفظ صار التمنّي كالمبدء للكذب ، فصحّ أن يعبّر عن الكذب بالتمنّي ، وقال : التمنّي تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها ، وذلك قديكون عن تخمين وظنّ ، وقديكون عن رويّة وبناء على أصل لكن لمّا كان أكثره عن تخمين صار الكذب له أملك .

قال بعض الأفاضل : من المغرورين من ينكر الحشر والنشر ، ومنهم من يزعم أنّ وعيد الأنبياء من باب التخويف ولاعقاب في الآخرة ، ومنهم من يقول أنّ لذّات الدّنيا متيقّنة ، وعقوبة الآخرة مشكوكة والمتيقّن لايترك بالمشكوك ، ومنهم من يفعل المعاصي ويقول انّ الله غفور رحيم ، ومنهم من يزعم أنّ الدنيا نقد والآخرة

(١) سورة الاسراء : ١٣٦ .

(٢) سورة النجم : ٢٨ .

(٣) سورة النساء : ١١٩ .

الأماني ؛ وأخذته الحسرة والندامة إذا قضي الأمر وانكشف عنه الغطاء وبداله مالم يكن يحتسب ومن عتا عن أمرالله شكّ ومن شكّ تعالى الله عليه فأذلّه بسلطانه

نسية والنقد أحسن من النسية ، ومنهم من اغترّ بنفسه وبعلمه وغفل عن آفاته ، ومنهم من اغترّ بعلمه وظنّ أنّه بلغ حدّ الكمال وليس مثله أحدو كأنّه لم يسمع ماورد في ذمّ العلماء المغرورين بعلومهم ، ومنهم من علم وعمل وغفل عن طهارة الباطن عن الأخلاق الرذيلة وظنّ أنّه منزّه عنها مستحقّ للثواب الجزيل بسببه ، ومنهم من اغترّ بأصل العلم وطلب علوماً نافعة في الدنيا وغفل عن علم الآخرة ، ومنهم من اغترّ بأصل الطهارة والنيّات واتّبع وسواس الشيطان وظنّ أنّه يحسن شيئاً وأنّه مستحقّ للاجر به ، ومنهم من اغترّ بالعبادة وظنّ أنّه فاق العابدين ، ومنهم من اغترّ بالزهد وظنّ أنّه أزهد الناس وأنّه شفيع للخلق يوم القيامة ، ومنهم من اغترّ بالمال والمغرورون به كثير ، ومنهم من اغترّ بالاولاد والأنصار ، ومنهم من اغترّ بالجاه والرياسة ، إلى غيرذلك من أسباب الغرّة التي لاتحصى كثرة .

« وأخذته الحسرة » ممّا لحقه من الفضائح « والندامة » ممّا فعله من القبائح « إذا قضى الامر » بين الخلايق في القيامة أوأمر الدّنيا بالموت « وانكشف عنه الغطاء » المانع من مشاهدة سوء عاقبته أوفي وقت الموت فرأى ماسمعه عياناً .

هذا بالنظر إلى أصحاب الغفلة فأمّا من رأى أمور الآخرة بعين اليقين فقد قامت قيامته في الدنيا كما قال سيّد أصحاب اليقين : لو كشف الغطاء ماازددت يقيناً .

« وبداله » أي من الله ومن أمور الآخرة وفي «ل» : وأخذته الحسرة إذا انكشف الغطاء وبداله من الله « مالم يكن يحتسب » أي يظنّ و يتوقّع إشارة إلى قوله سبحانه: « ولو أنّ للذين ظلموا مافي الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون » [1] .

« ومن عتا من أمر الله » أي تركه استكباراً « شكّ » أي في الله أوفي أمره ، فانّ

(١) سورة الزمر : ٤٧ .

وصغّره بجلاله كما اغترّ بربّه الكريم وفرّط في أمره .

والغلوّ على أربع شعب : على التعمّق بالرّأي ، والتنازع فيه ، والزّيغ ،

المعصية طريق إلى الكفر ويستلزمه « تعالى الله عليه » أي غضب عليه «فأذلّه» في الدّنيا والآخرة « بسلطانه » أي بقدرته وعزّته «وصغّره» عند الخلائق « بجلاله » وعظمته فيفعل به نقيض مقصوده .

« كما اغترّ بربّه الكريم » الّذي أحسن إليه وأنعم عليه ، إشارة إلى قوله تعالى : « ماغرّك بربّك الكريم » [1] قال البيضاوي : أي أيّ شيء خدعك وجرّأك على عصيانه ، وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار ، فانّ محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع والعاصي ، فكيف إذا انضمّ إليه صفة القهر والانتقام ، والاشعار بمايغرّه به الشيطان ، فانّه يقول له : إفعل ماشئت فربّك كريم لايعذّب أحداً ، أولايعاجل بالعقوبة والدلالة على أنّ كثرة كرمه يستدعي الجدّ في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغتراراً بكرمه .

« وفرّط في أمره » أي قصر في طاعته ، وجعل المفعول في اذلّه وصغّره راجعين إلى الله تعالى بعيد جدّاً ، وفي « ل » ثمّ أذلّه بسلطانه وصغّره لجلاله كما فرّط في جنبه وعتا عن أمر ربّه الكريم «على التعمّق بالرأي» أي التعمّق والغور في الامور بالآراء والمقاييس الباطلة ، وليس قوله بالرأي في « ل » يقال تعمّق في الأمر أي بالغ في النظر فيه ، والمراد به المبالغة المفضية إلى حدّ الافراط ، وبعد ظهور الحقّ ، كمن وصل في البئر إلى الماء وقضى الوطر ثمّ غاص في البئر فغرق ، وقيل : المراد بالتعمّق تدقيق النظر في طلب الباطل ، لأنّ طلب الحقّ يشبه الصّعود والعروج ، وطلب الباطل يشبه النزول إلى القعر ، وعلى الأوّل يدلّ على ذمّ كثرة التفكّر والتعمّق في أمور الدّين .

«والتنازع فيه » أي في الرأي وليس في « ل » والزيغ الميل عن الاستقامة على

---

(١) سورة الانفطار : ٦ .

والشقاق ، فمن تعمّق لم ينب إلى الحقّ ولم يزدد إلاّ غرقاً في الغمرات ولم تنحسر عنه فتنة إلاّ غشيته اخرى ، وانخرق دينه فهو يهوى في أمر مريج ، ومن نازع في الرّأي وخاصم شهر بالعثل من طول اللّجاج ، ومن زاغ قبحت عنده الحسنة وحسنت عنده

الحقّ إلى الباطل ، كما قال تعالى : « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا » [1] وقال : « بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » [2] وقال تعالى : « فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم » [3] أي لمّا فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك « والشقاق » أي المخالفة الشديدة مع أهل الحقّ « لم ينب » على صيغة الافعال أي لم يرجع إلى الحقّ وإن ظهر له ، لأنّ من خاض في الباطل وتمكّن في قلبه لم يرجع إلى الحقّ الواضح إلاّ من شذّ « ولم يزدد » أي في تعمّقه « إلاّ غرقاً في الغمرات » أي الشبه القويّة والآراء الفاسدة الّتي لم يمكنه التخلّص منها .

في القاموس : الغمر الماء الكثير ، ومعظم البحر و غمرة الشيء شدّته ومزدحمه ، والجمع غمرات وغمار « ولم تنحسر » أي لم تنكشف « عنه فتنة » مضلّة « إلاّ غشيته أخرى » لانّ الشرور بعضها يجرّ إلى بعض فيتعسّر عليه الخروج عنها والتخلّص منها « وانخرق دينه » بمقراض الفتنة « فهو يهوى في أمر مريج » أي في أمر مختلط بالاباطيل المختلفة أو بالحقّ والباطل ، قال الراغب : أصل المرج الخلط ، والمرج الاختلاف يقال : أمرهم مريج أي مختلط وقال البيضاوي في قوله تعالى : « بل كذّبوا بالحقّ لمّا جائهم فهم في أمر مريج » [4] اي مضطرب من مرج الخاتم من إصبعه إذا خرج ، وذلك قولهم تارة انّه شاعر ، وتارة انّه ساحر ، وتارة انّه كاهن .

« شهر بالعثل » في بعض النسخ بالعين المهملة والثاء المثلّثة أي الحمق ، في القاموس العثل كتكف الغليظ الضخم ، و كصبور الاحمق ، والنخلة الجافية الغليظة ، وقد يقرء

---

(١) سورة آل عمران : ٨ .
(٢) سوة التوبة : ١١٧ .
(٣) سورة الصف : ٥ .
(٤) سورة ق: ٥ .

السيّئة ومن شاقّ أعورت عليه طرقه و. .رض عليه أمره ، فضاق عليه مخرجه إذا لم

بالتاء المثنّاة ، في القاموس عتل إلى الشرّ كفرح فهو عتل أسرع ، وفي أكثر النسخ بالفشل بالفاء والشّين المعجمة ، وهو الضعف والجبن ، قيل : وإنّما شهر بالفشل لأنّ خصمه المبطل لاينقاد للحقّ ، بل لايزال يجادل بالباطل ليدحض به الحقّ ، فيظهر ضعف هذا المحقّ فيشهر به .

« ومن زاغ » أي مال عن منهج الحقّ إلى الباطل زيّن له الشيطان سوء أعماله فقبحت عنده الحسنة ، وحسنت عنده السّيئة . « ومن شاقّ » أي عارض ونازع أهل الدّين والامام المبين « أعورت عليه طرقه » على بناء الافعال أو الافعلال أي صار أيّ طريق سلك فيه أعور أي بلاعلم يهتدي به فيتحيّر فيها ، في القاموس الأعور من الطرق الّذي لاعلم فيه ، وفي بعض النسخ أوعرت أي صعبت . في القاموس الوعر ضدّ السّهل ، وقد وعر المكان ككرم ووعد وولع وتوعّر صار وعراً ، وأوعر به الطّريق وعر عليه وأفضى به إلى وعر ، والرّجل وقع في وعر واستوعروا طريقهم رأوه وعراً كأعروه ، انتهى .

وجمع الطّرق إشارة إلى كثرة طرق الباطل « واعترض عليه أمره » أي يحول بينه وبين الوصول إلى مقصوده أو يصعب عليه ولايتأتّى له بسهولة ، أو على بناء المجهول أي تعترض له الشبهات فتحوّل بينه وبين الوصول إلى أمره الّذي يريده ، وفي القاموس الاعتراض المنع والأصل فيه أنّ الطريق إذا اعترض فيه بناء أو غيره منع السّابلة من سلوكه ، واعترض صار وقت العرض راكباً . وصار كالخشبة المعترضة في النهر ، والشيء دون الشيء حال ، والفرس في رسنه لم يستقم لقائده ، وزيد البعير ركبه ، وهو صعب بعد ، انتهى .

وقيل : أي أمره معترض عليه مستول كالفرس الحرون يمشي نشاطاً في عرض الطريق ، وهو كناية عن عدم استقامته أو عن قوّته ونشاطه في الباطل ، أو يعترض عليه مانع له عن قبول الحقّ من عرض له عارض أي مانع ومنه اعتراضات العلماء لأنّها تمنع من التمسّك بالدّليل ، وتعارض البيّنات لأنّ كلّ واحدة تعترض الاخرى

يتّبع سبيل المؤمنين .

والشكُّ على أربع شعب : على المرية ، والهوى ، والتردُّد ، والاستسلام وهو قول الله عزّ وجلّ : «فبأيّ آلاء ربّك تتمارى »[1] .

وتمنع نفوذها ، وفي بعض النسخ اعورت عليه طرفه ، بالفاء ، أي صار عين قلبه أعور لايبصر الحق .

وأقول : الظّاهر أنّه إشارة إلى قوله تعالى : « ومن يشاقق الرّسول من بعد ما تبيّن له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنّم وساءت مصيراً »[2] .

« على المرية » قال الجوهري : المرية الشّك والجدل ، وقد يضم ، وقرىء قوله تعالى : « فلاتكن في مرية منه »[3] بهما ، وقال : هاله الشيء يهوله هولا أي أفزعه ، وقال : استسلم اى انقاد وقال : نكص على عقبيه ينكص وينكص أي رجع ، وقيل : المراد بالشكّ الشكّ في أصول الدّين أوخلاف اليقين ، وبالمرية الشّك في فروعه ، أو بمعنى تساوي الطرفين الحقّ والباطل ، والأخيران من شعب الاوّلين و الهوى ، إذ الشكّ يوجب متابعة الهوى «والتردّد» أي بين الحقّ والباطل ، لأنّ الشاكّ متردّد بينهما ، قد يختار هذا وقد يختار ذاك ، والاستسلام الانقياد لأنّ الشاكّ واقف على الجهل مستسلم له أولما يوجب هلاك الدّنيا والآخرة .

« وهو قول الله عزّ وجلّ » أي الشكّ الّذى ذكرنا شعبه هو الّذي زجرالله عنه في قوله « بأيّ آلاء ربك تتمارى » إذ المماراة مجادلة على طريقة الشكّ ، قال البيضاوي : أي تتشكّك ، والخطاب للرّسول صلى الله عليه وآله أولكلّ أحد .

أقول : الظاهر أنّ المراد بالشكّ هنا الشكّ في أصول الدّين لاسيّما في الامامة

---

(١) سورة النجم : ٥٥ .

(٢) سورة النساء : ١١٥ .

(٣) سورة هود : ١٧ .

وفي رواية اخرى : على المرية ، والهول من الحقّ ، والتردّد ، والاستسلام للجهل وأهله .

كما يومي إليه الاستشهاد بآية سورة النجم ، لأنّه تعالى قال فيها : « والنجم إذا هوى » وقدروى عن ابن عبّاس أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال : سينقضّ كوكب من السّماء مع طلوع الفجر فيسقط في دار أحدكم ، فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيّي وخليفتي والامام بعدى ، فسقط في دار عليّ عليه السلام فقال المنافقون : لقد ضلّ محمّد في محبّة ابن عمّه وغوى ، ومايبنطق في شأنه إلاّ بالهوى ، فأنزل الله تعالى : « والنجم إذاهوى » يقول : وخالق النجم إذا هوى « ماضلّ صاحبكم » يعني في محبّة عليّ « وماغوى ، وماينطق عن الهوى » يعني في شأنه « إن هوإلاّ وحي يوحى » .

وروى عليّ بن ابراهيم عن الباقر عليه السلام يقول : ماضلّ في عليّ وماغوى ، وما ينطق فيه عن الهوى ، وماكان ماقاله فيه إلاّ بالوحى الذى أوحى إليه ومثله كثير وقدورد في الاخبار الكثيرة أنّه لمّا عرج بالنبيّ صلى الله عليه وآله فكان قاب قوسين أوأدنى أوحى الله إليه في ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام وقال بعدذلك : فأوحى إلى عبده ماأوحى ، يعني في عليّ عليه السلام ثمّ قال : « أفتمارونه على مايرى » أى أفتجادلونه من المراء . وقال عليّ ابن ابراهيم سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك الوحى ، فقال : أوحى إليّ أنّ عليّاً سيّد المؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين ، وأوّل خليفة يستخلفه خاتم النبيّين فدخل القوم في الكلام ، فقالوا : أمن الله أومن رسوله ؟ فقال الله جلّ ذكره لرسوله صلى الله عليه وآله : قل لهم « ما كذب الفؤاد مارأى » ثمّ ردّ عليهم فقال : « أفتمارونه على ما يرى » فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : قد أمرت فيه بغير هذا ، أمرت أن أنصبه للناس . فأقول : هذا وليّكم من بعدى . ثمّ قال : « إن يتّبعون إلاّ الظنّ وما تهوى الانفس » .

إلى أن قال : « فأعرض عمّن تولّى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدّنيا ، ذلك مبلغهم من العلم » ثمّ قال : « فبأيّ آلاء ربّك تتمارى » وقدورد في الأخبار الكثيرة

فمن هاله مابين يديه نكص على عقبيه ، ومن امترى في الدّين تردّد في الرّيب وسبقه الأوّلون من المؤمنين ، وأدركه الآخرون . ووطئته سنابك الشيطان ، ومن

أنّهم عليهم السلام آلاء الله ، فاذا تأمّلت في آيات تلك السّورة عرفت ماذكره عليه السلام من الشكّ وشعبه حقّ المعرفة .

« فمن هاله من بين يديه » من الحقّ والرغبة إلى الآخرة « نكص على عقبيه » إلى الباطل والدنيا كما قال سبحانه : « فأعرض عمّن تولّى » الآية .

« ومن امترى في الدّين » في القاموس المرية بالكسر والضمّ الشكّ والجدل ، وماراه مماراة ومراءاً وامترى فيه وتمارى شكّ « تردّد في الريب » بالفتح أو بكسر الراء وفتح الباء جمع ريبة كسدرة وسدر ، وهو أظهر اى انتقل من حال إلى حال ومن شكّ إلى شكّ آخر من غير ثقة بشيء أو استمرار على أمر كما هو دأب المعتادين بالتشكيك في الأمور « وسبقه الأوّلون من المؤمنين » أى الذين كانوا في مرتبته من الايمان ، ولعدم الشكّ والمرية صعدوا إلى درجات اليقين « وأدركه الآخرون » أى الذين كانوا أخفض مرتبة منه فترقّوا إلى مرتبته وهو واقف متحيّر لايبرح من درجته الخسيسة لابتلائه بالشكّ والشبهة .

« ووطئته سنابك الشيطان » السّنابك جمع سنبك كقنفذ ، وهو طرف الحافر وهو كناية عن استيلاء الشيطان وجنوده من الجنّ والانس عليه وفي «ل» الشياطين « ومن استسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هلك فيما بينهما » فلم تكن له الدّنيا خالصة لزوالها مع ماعليه من العقوبات فيها ، ولم تكن له الآخرة لعدم اتيانه بماينفعه فيها .

قال بعض المحقّقين : فيه إشارة إلى أنّ الطالب للدنيا المستسلم لها هالك ، وانّ الطالب للعقبى ونعيمها أيضاً هالك ، وللانسان الموقن شأن وراء ذلك يليق به ، وهو نبذ الدنيا والعقبى وراء ظهره ، والترقّي إلى ساحة الوصول أمام دهره ، وروى أنّ الله تعالى أوحي إلى داود عليه السلام [illegible] الأحبّاء إلىّ من عبدني بغير نوال

استسلم لهلكة الدّنيا والآخرة هلك فيما بينهما ، ومن نجامن ذلك فمن فضل اليقين، ولم يخلق الله خلقاً أقلّ من اليقين .

والشبهة على أربع شعب : إعجاب بالزّينة ، وتسويل النفس ، وتأوّل العوج

ولكن عبدني ليعطي الربوبيّة حقّها ، ومن أظلم ممّن عبدني لجنّة أونار ، ألم أكن أهلاً أن أطاع وأعبد خالصة .

« ومن نجامن ذلك فمن فضل اليقين » قيل : اليقين ليس محض الاعتقاد ، بل هو كيفيّة نفسانيّة تبعث على متابعة من أقربهم من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام من جميع الوجوه وتمنع عن مخالفتهم ، ولذا قال عليه السلام : « ولم يخلق الله خلقاً أقلّ من اليقين » لانّ اليقين بالمعني المذكور لايكون إلاّ لمن اصطفاه الله تعالى من عباده ، ولمن تابعهم حقّ المتابعة ، وقد مرّ الكلام في اليقين ، وكأنّ المراد بالخلق هنا التقدير .

« والشبهة على أربع شعب : إعجاب بالزينة » اى إعجاب المرء بالزينة الدنيويّة أوالقلبيّة من الامور الّتي اخترعتها النفس بالرأى والاستحسان ، مع استعانة الوهم والخيال فأعجبت بها .

« وتسويل النفس » أى تزيينها للامور الباطلة بحسب المادّة والصورة ، مع شوب الحقّ وعدمه ، فانّ النفس باستعانة الوهم قد تزيّن الامور الباطلة الصرفة ، كماتزيّن الباطل الممتزج بالحقّ ، والظّاهر أنّ الاضافة إلى الفاعل كما قال تعالى « بل سوّلت لكم امراً » [1] والاضافة إلى المفعول بعيد ، قال الراغب : التسويل تزيين النفس لماتحرص عليه وتصوير القبيح منه بصورة الحسن ، قال تعالى : « بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً » « الشيطان سوّل لهم وأملى لهم » [2] .

« وتأوّل العوج » أى تأويل الامر المعوج والباطل بمايظنّ أنّه حقّ ومستقيم

---

(١) سورة يوسف : ١٨ .

(٢) سورة محمد : ٢٥ .

ولبس الحقّ بالباطل ، وذلك بأنّ الزّينة تصدف عن البيّنة وأنّ تسويل النفس

و قيل : أى التأويل الغير المستقيم قال في القاموس : أوّل الكلام تأويلاً وتأوّله دبّره وقدّره وفسّره ، وقال : عوج كفرح والاسم كعنب ، أو يقال في كلّ منتصب كالحائط و العصا فيه عوج محرّكة ، وفي نحو الارض والدّين كعنب ، وقال في النهاية : هو بفتح العين مختصّ بكلّ شيء مرئى كالاجسام وبالكسر فيما ليس بمرئى كالرأى والقول .

« ولبس الحقّ بالباطل » أى خلط الحقّ والواقع بما هو ليس بواقع كالجمع بين خلافة أمير المؤمنين عليه السلام وخلافة الثلاثة أو إخفاء الحقّ بتأويله بالباطل كتأويل حدوث العالم بالحدوث الذاتى ، وهو إشارة إلى قوله تعالى : « ولا تلبسوا الحقّ بالباطل وتكتموا الحقّ وأنتم تعلمون » (١) وقال البيضاوى : اللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبهاً بغيره ، والمعنى لا تخلطوا الحقّ المنزل بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه حتّى لا يميّز بينهما ، أو لا تجعلوا الحقّ ملتبساً بسبب خلط الباطل الّذى تكتبونه في خلاله أو تذكرونه في تأويله .

« وذلك بأنّ الزينة تصدف عن البيّنة » أى تصرف النفس عن البيّنة الشرعيّة والعقلية الّتى يحكم بصحّتها النصّ الصّحيح ، والعقل الصريح ، في القاموس صدف عنه يصدف أعرض وفلاناً صرفه كأصدفه ، انتهى .

وقال سبحانه : « فمن أظلم ممّن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون » (٢) « تقحّم على الشهوة » أى يوجب دخول الإنسان في المشتهيات النفسانيّة من غير رويّة ، قال في القاموس : قحم في الأمر كنصر قحوماً رمى بنفسه فيه فجاة بلا رويّة وقحّمه تقحيماً وأقحمته فانقحم وقحّمه الفرس تقحيماً رمته على وجهه « وانّ العوج يميل بصاحبه » أى الى الباطل « ميلا عظيماً » يتعسّر معه الرّجوع إلى الحقّ ، وإنّما لم يقل تأوّل العوج لأنّ

(١) سورة البقرة : ٤٢ .

(٢) سورة الانعام : ١٥٧ .

تقحّم على الشهوة ، وأنّ العوج يميل بصاحبه ميلاً عظيماً ، وأنّ اللّبس ظلمات بعضها فوق بعض فذلك الكفر ودعائمه وشعبه .

﴿باب﴾

﴿ صفة النفاق والمنافق ﴾

قال : والنفاق على أربع دعائم : على الهوى ، والهوينا ، والحفيظة ، والطمع

تأوّل العوج لاختياره ، فاذا اختاره فهو يميل به ، وقيل : هو إمّا للاختصار اكتفاءاً بماسبق ، أوللتنبيه على أنّ تأوّل العوج أيضاً عوج .

«وان اللبس » اى لبس الحقّ بالباطل وإن كان واحداً « ظلمات بعضها فوق بعض » ظلمة الباطل وظلمةالقلب ، وظلمة الأعمال المترتّبة عليه كذا قيل ، أوالمعنى أنّ سلوك هذه الطريقة يوجب تراكم الظلمات الكثيرة لكثرة موارده .

باب صفة النفاق والمنافق

الحديث الاول : كالسّابق وهو تتمّته ، أفرده المصنّف عنه وجعله جزء هذا الباب كماأنّه جعل سايرأجزائه أجزاء لأبواب أخر ، مرّت في أوّل الكتاب ، والنفاق بالكسر فعل المنافق ومحلّه القلب واشتقاقه إمّا من نفقت الدابة نفوقاً من باب قعد إذا ماتت ، لأنّ المنافق بنفاقه بمنزلة الميّت الهالك ، أومن نفق البيع نفاقاً بالفتح إذاراج ، لأنّ المنافق يروج ايمانه ظاهراً ويخفى باطله باطناً أومن النفق بفتحتين وهوضرب من الأرض يكون له مخرج من موضع آخر . لأنّ المنافق يستر نفاقه كما يستر السّائر في الارض نفاقه أى دراهمه وغيرها ، أو من النافقاء وهى إحدى جحرتى اليربوع ، لأنّ له جحرتين يقال لاحديهما النافقاء وللاخرى الفاصعاء ، فاذادخل عن احداهما وهى القاصعاء أخرج من الاخرى وهى النافقاء ، وفيه تشبيه له باليربوع فانّ اليربوع يخرق الارض من أسفل حتّى إذاقارب وجهها ارقالتراب ،

فالهوى على أربع شعب : على البغي ، والعدوان ، والشهوة ، والطغيان ، فمن بغى كثرت غوائله وتخلّى منه وقصّر عليه ومن اعتدى لم يؤمن بوائقه ولم يسلم قلبه ولم يملك نفسه عن الشهوات ومن لم يعذل نفسه في الشهوات خاض في الخبيثات ومن طغى

فاذا رابه شيء دفع التراب برأسه وخرج ، فظاهر جحره تراب وباطنه حفر ، وكذا المنافق ظاهره ايمان وباطنه كفر ، ويخرج من الايمان من غير الوجه الذى دخل فيه .

« على الهوى والهوينا » قد مرّ تفسير الهوى وقيل : إنّه ميل النفس إلى مقتضى طباعها وخروجها عن حدودالله عزّوجلّ ، وهو أشدّ جاذب عن قصد الحقّ وأعظم سادّ عن سلوك سبيله وأقوى باعث على سلوك سبيل النفاق ، وقال في النهاية : الهوينا تصغير الهونى تأنيث الأهون ، وهو من الهون الرفق واللين والتثبّت ، انتهى .

والمراد هنا التهاون في أمر الدّين وترك الاهتمام فيه كما هو طريقة المتّقين ، وقيل : هى الفتنة الصغرى التى تجرّ إلى الكبرى ، والفتن تترتّب كبراها على صغراها ، والمؤمن يترك الصغرى فضلاً عن الكبرى ، و قال الجوهرى : الحفيظة الغضب والحميّة ، وقال : بغى عليه بغياً علاوظلم واستطال و كذب وفي مشيه اختال ، وقال : العدوان الظلم الصّراح ، وقد عدا عليه وتعدّى عليه واعتدى كلّه بمعنى ، والتعدّى مجاوزة الشيء إلى غيره ، وقال : طغا يطغي ويطغو طغياناً : جاوز الحدّ ، وقال : فلان قليل الغائلة والمغالة أى الشرّ ، والغوائل الدّواهي « وتخلّى » على بناء المجهول ، « ومنه » نائب مناب الفاعل ، وكذا « قصر » و « عليه » يقال : تخلّى منه وعنه تركه ، أى يخلّيه الله مع الشيطان وغلب عليه ، لسلب توفيق الله منه ، والبوائق الدّواهي و الشرور « ولم يسلم قلبه » على بناء المجرّد ، أى من الآفات والأمراض النفسانيّة .

« ومن لم يعذل نفسه » في المصباح عذلته عذلا من بابى ضرب وقتل لمته ، فاعتذل ، أى لام نفسه ورجع ، انتهى .

ضلّ على عمد بلاحجّة .

والهوينا على أربع شعب : على الغرّة ، والأمل ، والهيبة ، والمماطلة ، وذلك

وفي بعض النسخ بالدال المهملة ، فهوعلى بناء التفعيل ، وتعديله هوأن تقتصر على الحلال ولم تتجاوز إلى الحرام ، والأوّل أكثر وأظهر ، وفي «ل» ومن لم يعزل نفسه عن الشّهوات بالزّاى ، وله وجه خاصّ أي دخل في الخبيثات أي الخصال الدنيّة والأفعال الردّية . « ومن طغى » أى جاوز حدّه وادّعى مالم يكن له ولم يتّصف به ، وقيل : ارتكب الكبائر وأصرّ عليها ، والأوّل أظهر « ضلّ على عمد » لأنّه عارف بنفسه بلاحجّة لهعندالله والغرّة بالكسر الغفلة ، وهي هنا الغفلة عن ربّه وعن عدوّه الأكبر ، وعمّا خلق لأجله ، وعمّا يؤل إليه أمره ، أوالاغترار بالأمانيّ والآمال ، وبرحمةالله وشفاعة الشّفعاء ، أوبكثرة الأعمال مع غفلته عن شرائطها .

والأمل الرّجاء ، قال في المصباح : أملتّه أملاً من باب طلب وهوضدّ اليأس ، وأكثر ما يستعمل فيما يستبعد حصوله قال زهير : « أرجووآمل أن تدنو مودّتها » ومن عزم إلى بلدبعيد يقول أملت الوصول ولايقول طمعت إلاّ إذاقرب منها ، والرجاء بين الأمل والطمع فانّ الراجى قديخاف أن لايحصل مأموله ، انتهى .

وتطويل الأمل هوأن يأمل أموراً يتوقّف حصوله على عمرطويل ، وهوإنّما يكون بأن يعدّ الموت منه بعيداً وهذا يصير سبباً لأن يجترء على المعاصى ويسوّف التوبةويتوغّل في الدنيا ويبنى مالا يسكنه ، ويحصل مالاينتفع به ، ولذاورد : من أطال الأمل أساء العمل ، وقد قال سبحانه : « ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، ذرهم يأكلوا ويتمتّعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون »[1] وقدروى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال : أنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنتان اتبّاع الهوى وطول الامل فانّ اتباع الهوى يصدّ عن الحقّ ، وطول الامل ينسى الآخرة .

والمطل والمماطلة : التسويف بالعدة والدين « و ذلك بأنّ الهيبة » أى المهابة

---

(١) سورة الحجر : ٣ .

بأنّ الهيبة تردُّ عن الحقّ ، والمماطلة تفرّط في العمل حتّى يقدم عليه الأجل ، ولولا الأمل علم الإنسان حسب ماهو فيه ولو علم حسب ماهو فيه مات خفاتاً من الهول

والمخافة من غير الله « والمماطلة » أي صاحبها والاسناد مجازيّ «حتّى يقدم عليه» أي على المماطل بقرينة المقام ، وقيل : الضمير للعمل ، والأجل آخر العمر .

«حسب ماهو فيه » بالتحريك أي حسابه وقدره وعدده ، وماهو فيه عمره وعمله إشارة إلى قول النبيّ صلّى الله عليه وآله : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، ويحتمل التدبير لكنّه بعيد ، وفي القاموس : حسبه حسباً وحُسباناً بالضم وحسباناً وحساباً وحسابة وحسبة بكسرهنّ عدّه والمعدود محسوب ، وحسب محرّكة ومنه هذا بحسب ذا ، أي بعدده وقدره وقد يسكن وفي الصّحاح : حسبته أحسبه بالضمّ حَسباً وحساباً وحسباناً وحسابة إذا عددته ، والمعدود محسوب ، وحسب وهو فعل بمعنى مفعول ، ومنه قولهم : ليكن عملك بحسب ذلك أي على قدره وعدده ، واحتسبت عليه كذا إذا أنكرت عليه ، واحتسبت بكذا أجراً عند الله ، والاسم الحسبة بالكسر وهي الأجر والجمع الحسب .

وفي المصباح قال الاصمعي : فلان حسن الحسبة في الأمر أي حسن التدبير والنظر ، وجمع الحسبة حَسب كعنَب ، وقيل : هو حسب جمع الحسبة بمعنى الاحتساب وهو إنكار المنكر بجزاء العمل السيّىء وهو بعيد .

والحاصل على ماذكرنا أنّه لولا الأمل والغفلة الّتي يستلزمها توجّه إلى حساب عمره وماصرفه فيه وما اكتسبه من المعاصي فيه وتفكّر في أنّه يمكن أن يأتيه الموت قريباً فيذهب إلى الآخرة بلا عمل ولازاد ، وتفكّر في سكرات الموت وأهوال مابعده وعقبات القيامة وأفزاعها وشدائد العقوبات الّتي استحقّها فكراً صحيحاً كان حقّه أن يموت فجأة من الهول والوجل ، كمامات همّام لمّاسمع صفات المؤمن ، وأمّا الامل فيلهيه عن جميع ذلك حتّى يأتيه الأجل ، ويظهر منه أنّ في قدر من الأمل والغفلة حكمة لانتظام النوع وبقاء الدّنيا ، والاكثار منهما يوجب الشقاوة في العقبى .

وفي القاموس : خفت خفوتاً سكن وسكت وخفاتاً أي بالضمّ مات فجاءة ، والهول

والوجل ، والفترة تقصّر بالمرء عن العمل .

والحفيظة على أربع شعب: على الكبر والفخر والحميّة والعصبيّة ،فمن استكبر

الخوف ، والوجل بالتحريك الفزع وهو من آثار الخوف وتوابعه .

« والفترة » بالمعاني المتقدّمة « تقصر بالمرء عن العمل » أي تجعله قاصراً عن كمال العمل مقصّراً فيه ، وهو ظاهر وقيل : الفرق بين الفترة والمماطلة أنّ مع المماطلة شعوراً بالعمل ومعرفة بثبوته وحقّيته ، بخلاف الفترة ولذلك ذكر التفريط مع المماطلة ، والقصر مع الفترة إذ الشايع في التفريط هو التقصير في الشيء مع العلم به ، انتهى .

وأقول : على ما ذكرنا من معاني الفترة يظهر الفرق بوجوه أخرى كما لا يخفى على المتدبّر .

« والحفيظة على أربع شعب على الكبر » وقدمرّ أنّه ترفّع الانسان وتعظّمه بادّعاء الشرف والعلوّ على غيره ، أو هو بطر الحقّ كما مرّ في الأخبار ، قال في النهاية: هو أن يجعل ما جعله الله حقّاً من توحيده وعبادته باطلاً ، وقيل : هو أن يتجبّر عند الحقّ فلا يراه حقّاً ، وقيل : هو أن يتكبّر عن الحقّ فلا يقبله «والفخر» وهو إظهار الفرح والكمال بالحسب والنسب والمال ونحوها ، وادّعاء العظمة والشرف بذلك ، وأمّا ذكر آلائه تعالى ونعمائه فليس من الفخر كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله : أنا سيّد ولد آدم ولا فخر ، أي لا أقوله تبجّجاً و فخراً ولكن شكر الله تعالى وتحدّثاً بنعمته . و «الحميّة» الانفة والغيرة قال الراغب : عبّر عن القوّة الغضبيّة إذا ثارت و كثرت بالحميّة فقيل: حميت على فلان ، أي غضبت عليه ، قال تعالى : « حميّة الجاهليّة » [1] والعصبة الأقارب من جهة الأب والعصبية حمايتهم والدفع عنهم ، والتعصّب المحاماة والمدافعة وهي و الحميّة من توابع الكبر ، وكأنّ الفرق بينهما أنّ الحميّة للنفس والعصبيّة للاقارب ، أو الحميّة للاهل والعصبيّة للقبيلة .

(١) سورة الفتح : ٢٦ .

أدبر عن الحقّ ومن فخر فجر ومن حمى أصرّ على الذّنوب ومن أخذته العصبيّة جارِ ، فبئس الأمر أمر بين إدبار وفجور وإصرار وجور على الصراط .

والطمع على أربع شعب : الفرح والمرح ، واللّجاجة ، والتّكاثر ، فالفرح مكروهٌ عندالله ، والمرح خيلاء، واللّجاجة بلاءلمن اضطرّته إلى حمل الآثام ، والتكاثر

« فمن استكبر أدبرعن الحقّ » لتكبّره عن طاعة أئمّة الحقّ والتذلّل عند ظهوره « ومن فخر فجر » أي كذب أوأذنب بوقوعه في المحارم . « ومن حمى أصرّ » أي على الذّنوب الّتي توجبها الحميّة من الشتم والضرب والقتل وإنكار الحقّ وتقوية الباطل « جار » أي مال عن الحقّ وظلم وتعدّى لرعاية العشيرة والقبيلة .

«فبئس الأمر » الحفيظة لتردّده بين الادبار عن الحقّ والفجور والتوسّع في الشرّ والاصرار علي الباطل والذنوب « والجور على الصّراط » و كأنّ على بمعنى عن أي ميل عن الصّراط المستقيم .

« الفرح » أي السرور بمايحصل من الدنيا «والمرح» هو بالتحريك أشدّ الفرح و كأنّ المراد هنا إظهاره بالتّبختر، وهو التمادى في الفعل المزجور عنه ، والتكاثر وهو التباهي بالكثرة في الاموال والأولاد والأنصار ونحوها ، « فالفرح مكروه عندالله » كماقال سبحانه : « إنّ الله لايحبّ الفرحين » [1] « والمرح خيلاء » هو بالضمّ والكسر والمدّ العجب والتبختر في المشي ، وقيل : هوالتكبّر في كلّ شيء ، وقال ابن دريد : هوالتكبّر مع جرّ الازار ، وأنّه من كمال التكبّر عندالعرب .

« واللجاجة بلاء » أي فتنة ومحنة « لمن اضطرّته » أي اللّجاجة « إلى حمل الآثام » الناشئة منها ، لأنّ اللّجاجة سبب للمعاصي والآثام ، ولذلك قيل : اللجاجة متولدة من الكبر و غيره مـن الامور الفاسدة ، ويتولّد منها امـور فاسدة أخرى « والتكاثر لهو ولعب » شبّه التقلّب في أمر الدنيا باللّهو واللّعب في الاتعاب بلامنفعة وفي المنع عمّا يوجب منفعة أبديّة من أمر الآخرة وشغل القلب عن الله تعالى وعمّا أراد

(١) سورة القصص : ٧٦ .

لهوولعب وشغل واستبدال الذى هوأدنى بالذي هوخير .

فذلك النفاق ودعائمه وشعبه . والله قاهر فوق عباده تعالى ذكره وجلّ وجهه

من نوع الانسان من الأعمال الصّالحة والأخلاق الفاضلة النافعة في الآخرة « واستبدال الذي هو أدنى » وهو الدّنيا وزهراتها الفانية « بالذي هو خير » وهو الآخرة ونعمها الباقية .

« فذلك النفاق ودعائمه وشعبه » أي أصوله وفروعه المنتجة للبعد من الله ومن دينه ، فمن تخلّص من الجميع فهو مؤمن كامل ، ومن اتّصف بالجميع فهو منافق كامل ومن اتّصف ببعض دون بعض فهو مذبذب بينهما شبيه بالمنافق إلى أن يستقرّ أمره فيما شاء الله تعالى .

قيل : أحاديث هذا الباب تدلّ على أنّ المؤمن أقلّ وجوداً من الكبريت الأحمر إذ لا يخلو أحد من العلماء والصّالحين عن بعض الخصال المذكورة فضلا عن غيرهم . ويمكن أن يقال : هذه الخصال إن كانت لأجل التهاون بالدين أو عدم اعتقاد حقّيّته كان صاحبها منافقاً خارجاً عن الايمان ، مشاركاً لمنافقي عهد النبيّ ﷺ في الاسم والمعنى ، وإن لم يكن لأجل ذلك بل حصلت بمجرّد إقتضاء الطبيعة وهوى النفس الأمّارة كان مشابهاً بهم ومشاركاً لهم في الاسم دون المعنى ، ولا يكون بذلك خارجاً عن الايمان وإن خرج عن كماله ، قال المازري : من المخالفين من غلب عليه خصال النفاق وأصرّ فيها وجعلها طبيعة وعادة له لامن وجدت فيه ندرة ، وقال : لابدّ من هذا التأويل لأنّ تلك الخصال قد تجتمع في واحد ولا تخرجه من الاسلام كما اجتمعت في بعض السّلف وبعض العلماء ، وفي إخوة يوسف و أنّهم حدّثوا فكذبوا ووعدوا وأخلفوا وائتمنوا فخانوا ، مع أنّهم لم يكونوا منافقين خارجين عن الاسلام لأنّ ذلك كان ندرة منهم ، ولم يصرّوا على مافعلوا ، وقال محيي الدّين البغوي : هذه ذنوب لا تكفر بها فتحمل على أنّ من فعلها عادة وتهاوناً بالدّين يكون منافقاً خارجاً عن الاسلام، أو على أنّ المراد بالنفاق معناه اللّغوي لأنّه لغة إظهار خلاف

وأحسن كلّ شيء خلقه وانبسطت يداه ووسعت كلّ شيء رحمته وظهر أمره وأشرق

مافي الضمير ، ومن فيه هذه الخصال كذلك فانّ الكاذب يظهر أنّه صادق ومخلف الوعد يظهر أنّه يفي بوعده وكذا في بقيّتها «والله قاهر فوق عباده» اشارة إلى قوله تعالى : « و هو القاهر فوق عباده » [١] أى غالب على جميعهم فوقهم بالاستيلاء والقدرة على ايجادهم وإبقائهم وإفنائهم « تعالى ذكره » أى عن النقائص أو عن أن يشبه ذكر المخلوقين أوعن أن يأتى به أحد كما هوحقّه .

ويؤيّد الثانى ماورد في الدّعاء : تعالى ذكرك عن المذكورين.

« وجلّ وجهه » أى ذاته أجلّ من أن يوصل إلى كنهه أو أنبيائه وحججه عليهم السلام أودينه « وأحسن كلّ شيء خلقه » قوله : خلقه بدل اشتمال لكلّ شيء أى أحسن خلق كلّ شيء أوهو بفتح اللاّم على صيغة الفعل وعلى التقديرين ناظر إلى قوله سبحانه : « ذلك عالم الغيب والشهادة الرّحمن الرّحيم ، الذى أحسن كلّ شيء خلقه » وقدقرىء على الوجهين .

قال البيضاوى : الذى أحسن كلّ شيء خلقه موفّراً عليه مايستعدّه ويليق به على وجه الحكمة والمصلحة ، وخلقه بدل من كلّ شيء بدل الاشتمال ، وقيل : علم كيف يخلقه عن قوله : قيمة المرء مايحسنه ، أى يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان، وقرء نافع والكوفيون بفتح اللاّم على الوصف ، انتهى .

ويرد عليه انّ الاحسان بمعنى العلم لايتعدّى إلى مفعولين .

في القاموس: هو يحسن الشيء إحساناً يعلمه، فالظاهر أن يكون على هذا التقدير أيضاً بدل اشتمال « وانبسطت يداه » إشارة إلى قوله تعالى : « وقالت اليهود يدالله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بماقالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » [٢] وقيل : ثنّى اليد مبالغة في الردّ ونفى البخل عنه وإثباتاً لغاية الجود ، فانّ غاية مايبذله السخىّ

---

(١) سورة الانعام : ١٨ . (٢) سورة المائدة : ٦٤ .

• • • • • • • • • •

من ماله أن يعطيه بيديه ، وتنبيهاً على منح الدّنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام .

وقال الطّبرسي (ره) : اليد تذكر في اللّغة على خمسة أوجه : الجارحة والنعمة، والقوّة والملك ، وتحقيق اضافة الفعل ، ثمّ قال : ولمّا كان الجواد ينفق باليد والجواد يمسك اليد عن الانفاق، أضافوا الجود والبخل إلى اليد ، فقالوا للجواد : مبسوط اليد ، وللبخيل مقبوض الكفّ ، وأنكر الزّجاج كون اليد هنا بمعنى النعمة لأنّه يكون معناه نعمتاه مبسوطتان ، ونعم الله أكثر من أن تحصى ، وأجيب بأنّ المراد مطلق التكرار نحو لبّيك وسعديك ، ثمّ قال : ولك أن تحمل المثنّى على أنّه تثنية جنس ، ويكون أحد جنسي النعمة نعمة الدنيا ، والآخر نعمة الآخرة والنعم الظاهرة والباطنة كما قال سبحانه : « وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » (١) وقيل : المراد باليد القوّة أي قوّتاه بالثواب والعقاب مبسوطتان ، انتهى .

وأقول : يحتمل أن يكون اليدان كناية عن النعمة والبلاء ، فانّ منحه تعالى منح لعباده كما قيل في الدّعاء : والخير في يديك، وقيل : كناية عن قبول توبة المذنبين ، وإنّما كنّى بذاك لأنّ العرب إذا رضى أحدهم الشيء بسط يده لأخذه ، وإذا كرهه قبضها .

« و وسعت كلّ شيء رحمته » من المؤمن والكافر ، والمكلّف وغيره في الدّنيا ، وأمّا في الآخرة فهو للمؤمن خاصّة كما قال جلّ شأنه: « ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين يتّقون » (٢) .

« وظهر أمره » أي وجوده وعلمه وقدرته وحكمته بما أظهر في الآفاق والانفس، أو دينه وشرايعه في العباد ليقرّوا له بالعبوديّة ، أو أمره التكوينيّ الدالّ على كمال

---

(١) سورة لقمان : ٢٠ . (٢) سورة الاعراف : ١٥٦.

نوره وفاضت بركته واستضاءت حكمته وهيمن كتابه وفلجت حجّته وخلص دينه

قدرته « وأشرق نوره » أى أفاض نورالوجود والعلم والكمالات على جميع الموادّ القابلة بحسب قابليّاتها ، وإستعداداتها ، وقيل : أى علمه في قلوب العارفين أوحجّته الدالّةعلى وحدانيّته وعلوّ ذاته وصفاته ، أونبوّة محمّد صلى الله عليه وآله أو نورالولاية المشارإليه بقوله تعالى : « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره » [١] والأظهر أنّه إشارة إلى قوله سبحانه : « لقدابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوالك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمرالله وهم كارهون » [٢] قيل : لقد ابتغوا الفتنة ، أى تشتّت أمرك وتفريق أصحابك « من قبل » يعني يوم أحد « وقلّبوا لك الامور » اى دبّروا لك المكايد والحيل ودوّروا لآراء في إبطال أمرك « حتّى جاء الحقّ » اى النصر والتأييد الالهى « وظهرأمرالله » اى علانية « وهم كارهون » أى على رغم منهم .

« وفاضت بركته » اى كثرت من فاض الماء يفيض فيضاً إذا كثر ، ومن أسمائه تعالى : الفيّاض لسعة عطائه وكثرته ، وتطلق البركة غالباً على النعم الدنيويّة كالرّحمة على الاخرويّة ، قال الراغب : أصل البرك صدر البعير ، وان استعمل في غيره يقال له : بركة ، وبرك البعير ألقى بركه ، واعتبر منه معنى اللزوم وسمّى محبس الماء بركة ، والبركة ثبوت الخير الالهى في الشيء قال تعالى : « لفتحنا عليهم بركات من السّماء والأرض » [٣] وسمّى بذلك لثبوت الخير ثبوت الماء في البركة ، والمبارك مافيه ذلك الخير .

« واستضاءت حكمته » أى شريعته أو مصلحته أوعلمه بالاشياء وإيجادها على غاية الاتقان ، أو ما علمه العباد من الحكم كما قال تعالى : « ويعلّمهم الكتاب والحكمة » [٤] .

« وهيمن كتابه » أى صار كتابه حافظاً وشاهداً ورقيباً على كلّ شيء ، لأنّ

(١) سورة الصف : ٨ . (٢) سورة التوبة : ٤٨ .

(٣) سورة الاعراف : ٩٦ . (٤) سورة الجمعة : ٢ .

• • • • • • • • • •

فيه تبيان كلّ شيء أوهوقائم على ساير الكتب رقيب عليها لأنّه يشهدلها بالصّحة والأخير أظهر ، لأنّه ناظر إلى قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الكتاب مصدّقاً لمابين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بماأنزل الله » [1].

قال البيضاوى : من الكتاب ، أى من جنس الكتب المنزلة ومهيمناً عليه ورقيباً على ساير الكتب يحفظها عن التغيير ويشهدلها بالصّحة والثبات ، وقرىء على بنية المفعول ، أى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى ، والحفّاظ في كلّ عصر ، وفي القاموس : هيمن الطائر على فراخه رفرف ، وعلى كذا صار رقيباً عليه وحافظاً ، والمهيمن وتفتح الميم الثانية من أسماء الله تعالى في معنى المؤمن من أمن غيره من الخوف فهومآء من بهمزتين ، قلبت الثانية ياءاً ثمّ الاولى هاءاً ، أو بمعنى الأمين أوالمؤتمن أوالشاهد .

« وفلجت حجّته » أى غلبت حجّته الدالّة على ربوبيّته وتوحيده وقدرته وحكمته وظهرت ظهوراً تامّاً حتّى فرّقت بين الحقّ والباطل أوتمّت حجّته على العباد ، كما قال سبحانه : « قل فللّه الحجّة البالغة » [2] أوالمراد بالحجّة الرّسل والأوصياء عليهم السلام « وخلص دينه » أى الدّين الّذى شرع للعباد خالص عن الكذب والباطل والغشّ ، وقيل : الدّين الطّاعة وفيه تنبيه على أنّ الطّاعة المختلطة بغير وجه الله تعالى ليست طاعة .

أقول : هذا إشارة إلى قوله تعالى في الزّمر : « إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ فاعبدالله مخلصاً له الدّين » [3] قال البيضاوى : اى محضاً له الدّين من الشرك والرّياء ، ثم قال : ألالله الدّين الخالص ، قال: هو اى ألاهو الّذى وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة ، فانّه المتفرّد بصفات الالوهيّة والاطّلاع على السّرائر والضّمائر ثم قال

---

(١) سورة المائدة : ٢٥ . (٢) سورة الانعام : ١٤٩ .

(٣) سورة الزمر: ٢ .

واستظهر سلطانه وحقّت كلمته وأقسطت موازينه وبلّغت رسله ، فجعل السيّئة ذنباً

تعالى : « والذين اتّخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى إنّ الله يحكم بينهم فيماهم فيه يختلفون » ثم قال سبحانه : « قل إنّي أمرت أن أعبدالله مخلصاً له الدّين » إلى أن قال : « قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ماشئتم من دونه » .

قال الطّبرسي : مخلصاً له الدّين من شرك الاوثان والاصنام ، والاخلاص له أن يقصدالعبد بنيّته وعمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض الدّنيا ، والخالص مالايشوبه الرّياء والسّمعة ، ولاوجه من وجوه الدّنيا ، والدّين الخالص الاسلام ، وقيل : معناه ألالله الطّاعة بالعبادة الّتي يستحقّ بهاالجزاء فهذالله وحده لايجوزأن يكون لغيره ، وقيل : هوالاعتقاد الواجب في التوحيد والعدل والنبوّة والاقرار بها والعمل بموجبها ، والبراءة من كلّ دين سواها ، وقال : العبادة الخالصة هي الّتي لايشوبها شيء من المعاصي ، انتهى .

فظهر أنّ خلوص دينه عبارة عن نفي الشرك الظاهر والباطن والجليّ والخفيّ ، كما هومفاد الآيات البيّنات « واستظهر سلطانه » الاستظهار بمعنى الظهور والعلوّ والغلبة ، يقال : ظهر على الحائط إذا علاه ، وظهر على العدوّ إذا غلبه ، والسّلطان يطلق على الحجّة والبرهان والولاية والسّلطنة والزيادات للتأكيد والمبالغة .

« وحقّت كلمته » أي مواعيده في الثواب والعقاب للمؤمنين والكفّار ، وقيل : اى كلامه مطلقا أو القرآن الكريم ، وفي الأخبار أنّ كلمات الله هم الحجج عليهم السلام وكأنّه إشارة إلى قوله سبحانه : « وكذلك حقّت كلمة ربّك على الذين كفروا أنّهم أصحاب النار »[1] وقوله : « كذلك حقّت كلمة ربّك على الّذين فسقوا أنّهم لايؤمنون »[2] وقوله : « ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين »[3] وقوله : «وتمّت

(١) سورة غافر : ٦ .
(٢) سورة يونس : ٣٣ . (٣) سورة الزمر : ٧١ .

. . . .

كلمة ربك صدقاً وعدلا لامبدّل لكلماته »[1]

« واقسطت موازينه » أي صارت ذاقسط وعدل ، والاسناد مجازيّ وهو إشارة إلى قوله تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئاً »[2] وقال البيضاوى : القسط العدل يوزن بها صحايف الاعمال ، وإفراد القسط لأنّه مصدر وصف به للمبالغة ، وفي المصباح : قسط قسطاً من باب ضرب وقسوطاً جار وعدل أيضاً فهو من الأضداد ، قاله ابن القطّاع ، وأقسط بالالف عدل والاسم القسط .

وقال الراغب : القسط هو النصيب بالعدل ، قال تعالى : « وأقيموا الوزن بالقسط »[3] والقسط بالفتح هو أن يأخذ قسط غيره وذلك جور ، والاقساط أن يعطى قسط غيره وذلك إنصاف ، ولذلك قيل : قسط الرجل إذا جار وأقسط إذا عدل ، قال تعالى : « وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً »[4] وقال : « وأقسطوا إنّ الله يحبّ المقسطين »[5] .

« فجعل السيّئة » الفاء لبيان تبليغ الرّسل ، والسيّئة الفعلة القبيحة ضدّ الحسنة ، سواء كان من القول أو الفعل أوالعقد ، والذنب مايوجب العقوبة أي جعل الأفعال الّتي يستقبحها العقول السّليمة موجبة للعقوبة حيث نهى عنها وحرّمها وأوعدعليها ، « والذنب فتنة » أي ضلالة عن الحقّ أوإفتتاناً وامتحاناً ، فانّ التكاليف كلّها ابتلاء أوسبب للافتتان بالدّنيا واستيلاء الشّيطان عليه ، أوعذاباً وعقوبة ، وفي القاموس : الفتنة بالكسر الخبرة وإعجابك بالشيء والضّلال والاثم والكفر والفضيحة والعذاب ، وإذابة الذّهب والفضّة والاضلال والجنون والمحنة والمال والاولاد ، واختلاف الناس في الآراء .

وأقول : أكثر المعاني هنا مناسبة .

(١) سورة الانعام : ١١٥ . (٢) سورة الانبياء : ٤٧ .
(٣) سورة الرحمن : ٩ . (٤) سورة الجن : ١٥ .
(٥) سورة الحجرات : ٩ .

والذّنب فتنة والفتنة دنساً وجعل الحسنى عتبى والعتبى توبة والتوبة طهوراً ، فمن

« والفتنة دنساً » أى وسخاً تتوسخ به النفس والقلب فتذهب نورهما وصفائهما كماقال تعالى : « كلاّ بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون » [1] « وجعل الحسنى » أى الفعلة الحسنى وهي الأعمال الحسنة مقابل السيّئة أو الكلمة الحسني وهي العقايد الحقّة والعتبى الرّضا أى سبباً لرضا الخالق أو الرّجوع من الذنب والاساءة والعصيان إلى الطاعة والتوبة والاحسان ، وقيل : أى جعل الأعمال الحسنة بمنزلة التوبة ماحية للذنوب ، فهو ناظر إلى قوله تعالى : « إنّ الحسنات يذهبن السيّئات » [2] ويحتمل أن يكون المعنى أنّ العاقبة الحسنى إنّما تحصل بالعتبى والتوبة كماقال : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » [3] وقال تعالى : « وصدّق بالحسنى ، وكذّب بالحسنى » [4] وقال : « ويجزى الّذين أحسنوا بالحُسنى » [5] « انّ الذين سبقت لهم منّا الحُسنى » [6] « وتصف ألسنتهم الكذب أنّ لهم الحسنى » [7] ومثله كثير .

وقال الراغب : الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى أنّ الحسن يقال في الأعيان والاحداث ، وكذلك إذاكانت وصفاً ، وإذاكانت إسماً فمتعارف في الأحداث ، والحسنى لايقال إلاّ في الأحداث دون الأعيان .

« والعتبى توبة » أى اكتفى بترك الذنب و الندامة عليها مع العزم على الترك توبة ماحية للذنب .

« والتوبة طهوراً » اى مطهّراً من دنس العصيان ولوث الخطايا « فمن تاب اهتدى » إلى الحقّ وسبيل النجاة « ومن افتتن » بالادناس أى الذنوب الموجبة للدنس « غوى » عن سبيل الحقّ والنجاة وضلّ .

(١) سورة المطففين : ١٤ .
(٢) سورة هود : ١١٤ .
(٣) سورة يونس : ٢٦ .
(٤) سورة الليل : ٦ و ٩ .
(٥) سورة النجم : ٣١ .
(٦) سورة الانبياء : ١٠١ .
(٧) سورة النحل : ٦٢ .

تاب اهتدى ، ومن افتتن غوى ، ما لم يتب إلى الله ويعترف بذنبه ولايهلك على الله إلاّ هالك .

الله الله فما أوسع مالديه من التوبة والرّحمة والبشرى والحلم العظيم وما أنكل ماعنده من الأنكال والجحيم والبطش الشديد ، فمن ظفر بطاعته اجتلب كرامته

« ولايهلك على الله » ضمّن معنى الاجتراء فعدّى بعلى ، ويحتمل أن يكون على بمعني في كما في قوله تعالى : « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » [1] أو بمعنى من كما قيل في قوله تعالى : « إذا اكتالوا على الناس يستوفون » [2] فالهلاك بمعنى الخيبة ، أو بمعنى مع كما قيل في قوله تعالى : « وآتى المال على حبّه » [3] أى مع رحمته الكاملة « إلاّ هالك » بلغ الغاية في استحقاق العقوبة والهلاك .

« الله الله » منصوبان بفعل محذوف أى اتّقوا الله واحذروا الله ، والتكرير للمبالغة والتأكيد ، وقد يراد به التعجّب « فما أوسع » للتعجّب « مالديه من التوبة » أى قبولها « وما أنكل ماعنده من الأنكال » إشارة إلى قوله تعالى : « إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً » [4] والنكل بالتحريك منع الرّجل وتبعيده عمّا يريد ، والنكال بالفتح العقوبة الّتي ينكل النّاس عن فعل ماجعلت له جزاء ، والنكل بالكسر القيد لأنّه ينكل به أى يمنع ، وجمعه أنكال ، والجحيم من أسماء جهنّم وأصله ما اشتدّ لهبه من النيران ، والبطش الشديد ناظر إلى قوله تعالى : « إنّ بطش ربّك لشديد » [5] والبطش : الأخذ القوىّ الشديد ، والوصف للتأكيد « اجتلب كرامته » أى تحفه وهداياه الخاصّة لأوليائه في الدّنيا والآخرة « ذاق وبال نقمته » الوبال في الأصل الثقل والمكروه وقد يراد به العذاب في الآخرة ، والنّقمة السّخط والغضب والعقوبة ، ومن أسمائه سبحانه المنتقم ، وهو المبالغ في العقوبة ، وكما أنّ رحمته عظيمة كذلك نقمته شديدة ، فانّ

---

(١) سورة القصص : ١٥ .
(٢) سورة المطففين : ٢ . (٣) سورة البقرة : ١٧٧ .
(٤) سورة المزمل : ١٢ . (٥) سورة البروج : ١٢ .

ومن دخل في معصيته ذاق وبال نقمته وعمّا قليل ليصبحنّ نادمين .

٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن الحسين بن إسحاق ، عن عليّ بن مهزيار . عن محمّد ابن عبدالحميد والحسين بن سعيد جميعاً ، عن محمّد بن الفضيل قال : كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن مسألة فكتب إليّ : «إنّ المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصّلاة قاموا كسالى يراؤون النّاس ولايذكرون الله إلاّ قليلاً »

كلّ ما اتّصف به فهو على حدّ الكمال « وعمّا قليل » ما زائدة للمبالغة في القلّة أي عن زمان قليل أو نكرة موصوفة « ليصبحنّ نادمين » عمّا فعلوا من المعاصي ، ولا ينفعهم الندم لفوت زمان التكليف .

الحديث الثاني : مجهول .

« يخادعون الله » أي يظهرون الايمان والصّلاح ويخفون الكفر والفساد للنجاة من قتلهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم ودفع ضرر المؤمنين عن أنفسهم « وهو خادعهم » بادخالهم في المسلمين ظاهراً واجراء أحكامهم عليهم وتعذيبهم أشدّ من تعذيب الكفّار ، وجعلهم في الدّرك الأسفل من النار وخداعهم مع الله ليس على ظاهره ، لأنّه لا يخفى عليه شيء بل المراد إمّا مخادعة رسوله على حذف المضاف ، أو على أنّ معاملة الرسول معاملة الله ، و إمّا صورة صنيعهم مع الله وصورة صنيعه معهم صورة المتخادعين «قاموا كسالى» أي متثاقلين عنها كالمكره على الفعل «يراؤون الناس» إظهاراً لايمانهم .

« ولايذكرون الله إلاّ قليلاً » لأنّ المرائي لا يفعل إلاّ بحضور من يراه وهو أقلّ أحواله ، أو لأنّ المراد بالذكر الذكر القلبي « مذبذبين بين ذلك » حال من واو يراؤون مثل ولايذكرون ، أو من واو يذكرون أو منصوب على الذمّ والمعنى مردّدين بين الايمان والكفر ، متحيّرين بينهما من ذبذبه تركه حيران متردّداً ، والمذبذب المتردّد بين أمرين «لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء» أي لا منسوبين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين ، لعدم الاقرار بالجنان وعدم الانكار باللّسان ، «ومن يضلل الله» بسلب

مذ بذبين بين ذلك لاإلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً »[1] ليسوا من الكافرين وليسوا من المؤمنين وليسوا من المسلمين ، يظهرون الإيمان ويصيرون إلى الكفر والتكذيب لعنهم الله .

٣ ـ الحسين بن محمد ، عن محمد بن جمهور ، عن عبدالله بن عبدالرحمن الأصم عن الهيثم بن واقد ، عن محمد بن سليمان ، عن ابن مسكان ، عن أبي حمزة ، عن علي ابن الحسين صلوات الله عليهما قال : إن المنافق ينهى ولاينتهي ويأمر بما لايأتي وإذا قام إلى الصلاة اعترض ـ قلت : يابن رسول الله وماالاعتراض ؟ قال : الالتفات ـ وإذا ركع ربض ، يمسي وهمه العشاء وهومفطر ويصبح وهمه النوم ولم يسهر ، إن

اللطف والتوفيق « فلن تجدله سبيلا » إلى الحق والايمان ، وقيل : لعله لم يذكر المسئلة تقية .

وكأن السؤال عن حال المأمون لأنه كان من أعداء أهل البيت عليهم السلام ، ويظهر التشيع للمصلحة نفاقاً فقوله : ليسوا من الكافرين ، المراد هو وأضرابه كذى الرياستين ومثله .

الحديث الثالث : ضعيف .

وقيل : لعل المراد بالمنافق هنا ناقص الايمان ، وهوشبيه بالمنافق الحقيقي لما بينهما من الملائمة في عدم الاتيان بماينبغي الاتيان به وإن كان هذا معتقداً للحق كما مر عن يزيد الصايغ : هي أدنى منازل الكفر وليس بكافر ، ولادلالة فيه على أن من شرط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العمل بمايقول ، لأن الواجب في طرف الآمر أمران أحدهما أن يأمر غيره ، والثاني أن يمتثل في نفسه ، وكذا في طرف النهي والنفاق والعقوبة من جهة المخالفة ، وهي أنه لم يمتثل لاللامر والنهي ، والاعتراض أن يمشي في عرض الطريق يميناً وشمالا أستعير هنا للالتفات يميناً وشمالا .

«وإذاركع ربض » في المصباح : الربض بفتحتين والمربض مثال مجلس للغنم

---

(١) سورة النساء : ١٤٢ .

حدّثك كذبك وإن ائتمنته خانك وإن غبت اغتابك وإن وعدك أخلفك .

٤ ـ عنه ، عن ابن جمهور ، عن سليمان بن سماعة ، عن عبدالملك بن بحر ، رفعه مثل ذلك ـ وزاد فيه ـ إذا ركع ربض وإذا سجد نقر وإذا جلس شغر .

٥ ـ أبوعليّ الاشعري ، عن الحسن بن عليّ الكوفي ، عن عثمان بن عيسى ، عن سعيدبن يسار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مثل المنافق مثل جذع النخل أراد صاحبه أن ينتفع به في بعض بنائه فلم يستقم له في الموضع الّذى أراد ، فحوّله في موضع آخر فلم يستقم له ، فكان آخر ذلك أن أحرقه بالنّار .

مأواها ليلاً ، و ربضت الدّابة ربضاً من باب ضرب وربوضاً وهومثل بروك الابل .

وأقول : هنا إمّا كناية عن إدلاء رأسه وعدم استواء ظهره ، أو عن أنّه يسقط نفسه على الأرض قبل أن يرفع رأسه من الرّكوع كاسقاط الغنم نفسه عند ربوضه ، والعشاء كسماء طعام العشيّ ، وظاهره وجوب الوفاء بالوعد وإن أمكن المناقشة فيه .

الحديث الرابع : كالسابق .

« وإذا سجد نقر » أى خفّف السجود ، في النهاية : فيه أنّه نهى عن نقرة الغراب يريد تخفيف السّجود وأنّه لايمكث فيه إلاّ قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله « و إذا جلس شغر » قيل : أى أقعى كاقعاء الكلب ، وقيل : أى رفع ساقيه من الأرض ، وقعد على عقبيه من شغر الكلب كمنع رفع أحد رجليه بال أولم يبل ، والأظهر عندى أنّه إشارة الى مايستحبّه أكثر المخالفين في التشهّد فانّهم يجلسون على الورك الأيسر ، ويجعلون الرجل اليمنى فوق اليسرى ، ويقيمون القدم اليمنى بحيث يكون رؤوس الأصابع إلى القبلة ، وفي بعض النسخ شفر بالفاء ، وقيل : هو من التشفير بمعنى النقص ، في القاموس : شفر كفرح نقص والاوّل أظهر .

الحديث الخامس : موثق .

وهو تشبيه حسن للمنافق وانّه لعدم استقامته لايصلح لشيء إلاّ للاحراق بالنار .

٦ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن الحسن بن شمّون ، عن عبدالله بن عبدالرَّحمن ، عن مسمع بن عبدالملك ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مازاد خشوع الجسد على مافي القلب فهوعندنا نفاق .

﴿ باب الشرك ﴾

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن بريد العجليِّ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن أدنى ما يكون العبد به مشركاً ، قال : فقال : من قال للنواة : إنّها حصاة وللحصاة انّها نواة ثمَّ دان به .

الحديث السادس : ضعيف .

وكلمة « ما » شرطيّة زمانيّة ، نحو : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم »[1] ولذا لم يحتج إلى العائد ، ويدلُّ على أنَّ زيادة خشوع البدن على خشوع القلب من الرِّياء ، وهو من النفاق ، وفي قوله : عندنا إيماء إلى أنّه ليس بنفاق حقيقيٍّ بل هو خصلة مذمومة شبيهة بالنفاق .

باب الشرك

الحديث الاول : صحيح .

ويظهر من أخبار الباب أنَّ للشرك معاني ومنازل كالتوحيد الّذي يقابله «من قال للنواة أنّها حصاة » قال الشيخ البهائي : لعلَّ مراده عليه السلام من اعتقد شيئاً من الدِّين ولم يكن كذلك في الواقع فهو أدنى الشرك ، ولوكان مثل إعتقاد أنَّ النواة حصاة وأنَّ الحصاة نواة ، ثمَّ دان به ، انتهى .

والمضاف هنا مقدَّر أي حال من قال ، والواو في قوله وللحصاة بمعنى أو ، وقوله : ثمَّ دان به ، إشارة إلى أنّه إنّما يكون شركا إذا دان به أي عبدالله واعتقد أو أظهر أنّه من عندالله ، بخلاف ما إذا قال زيد ابن عمرو ولم يكن كذلك ، لكن لم ينسبه إلى

(١) سورة التوبة : ٧ .

٢ ـ عنه ، عن عبدالله بن مسكان ، عن أبي العبّاس قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن أدنى مايكون به الإنسان مشركاً ، قال : فقال : من ابتدع رأياً فأحبّ عليه أو أبغض عليه .

٣ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبدالله ابن جبلة ، عن سماعة ، عن أبي بصير وإسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ : «ومايؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون»[1] قال : يطيع الشيطان

الله ، ويمكن أن يقال في التشبيه بالنواة والحصاة إشعار بأنّه إنّمايكون شركاً إذاكان من ضروريّات الدّين فانّ كون الحصاة حصاة والنواة نواة ضروريّ يعرفه كلّ أحد ، لكن ساير أخبار الباب يدلّ على ماهو أعمّ من ذلك فكلّ من ابتدع شيئاً في الدّين فهو مشرك ، لأنّه افترى على الله وأشرك به حيث اتبع في ذلك الشيطان أوساير الطواغيت ، أوالنفس والهوى ، وهذا هوالشرك بالمعنى الأعمّ .

وقيل : دان به يعني اعتقده بقلبه وجعله ديناً ، والوجه في كونه شركا أنّه يرجع إلى متابعة الهوى أو تقليد من يهوي فصاحبه وإن عبدالله وأطاعه فقد أطاع هواه ، أومن يهواه مع الله وأشركه معه « انتهى » ويرجع إلى ماذكرنا .

الحديث الثاني : صحيح .

والرأي المبتدع ماليس له مستند شرعيّ ، وصاحبه مشرك لأنّه اتّخذ مع الربّ عزّ وجلّ ربّاً آخر ، وهو نفسه وهواه ، أوغيرهما كما مرّ وإن لم يشعر به ، سواء كان ذلك الرأي متعلّقاً بالاصول أم بالفروع « فأحبّ عليه » أي من تابعه فيه « و أبغض عليه » أي من خالفه ، و أمّا الذي أخطأ في فهم الكتاب و السنّة و بذل الجهد في ذلك ولم يقصّر فيه وكان أهلا لذلك فالظاهر أنّه ليس بداخل فيه .

الحديث الثالث : ضعيف .

« ومايؤمن أكثرهم » قال في المجمع : اختلف في معناه على أقوال : أحدها أنّهم

(١) سورة يوسف : ١٠٦ .

من حيث لايعلم فيشرك .

مشركوا قريش كانوا يقرّون بالله خالقا ومحيياً ومميتاً ويعبدون الأصنام ويدعونها آلهة مع أنّهم كانوا يقولون الله ربّنا والهنا يرزقنا فكانوامشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي ، وثانيها : أنّها نزلت في مشركي العرب إذا سئلوا من خلق السّماوات والأرض وينزل القطر ؟ قالوا : الله ، ثمّ هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبّيك لاشريك لك إلاّ شريك هولك تملكه وما ملك ، عن الضحّاك ، وثالثها : أنّهم أهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والانجيل ثمّ اشركوا بانكار القرآن وإنكار نبوّة نبيّنا عن الحسن ، وهذا القول مع ماتقدّمه رواه دارم بن قبيصة عن الرضا عن جدّه أبي عبدالله عليهما السلام ورابعها : أنّهم المنافقون يظهرون الايمان ويشركون في السرّ عن البلخي ، وخامسها : أنّهم المشبّهة آمنوا في الجملة وأشركوا في التفصيل عن ابن عبّاس أيضاً ، وسادسها : أنّ المراد بالاشراك شرك الطّاعة لاشرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي الّتي يرتكبونها ممّا أوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله في عبادته فيعبدون معه غيره عن أبي جعفر عليه السلام .

وروى عن ابي عبدالله عليه السلام أنّه قال : قول الرّجل لولافلان لضاع عيالي ، جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه ، فقيل له : لوقال : لولاأن منّ الله عليّ بفلان لهلك ؟ قال : لابأس بهذا .

وفي رواية زرارة ومحمّد بن مسلم وحمران عنهما عليهما السلام انّه شرك النعم .

وروى محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال : انّه شرك لايبلغ به الكفر ، انتهى .

وأقول : روى عليّ بن ابراهيم و العيّاشي عن الباقر عليه السلام : هي المعاصي الّتي يرتكبون فهي شرك طاعة أطاعها فيها الشيطان فأشركوابالله في الطّاعة لغيره وليس باشراك عبادة أن يعبدوا غيرالله ، وروى العيّاشي عن الباقر عليه السلام هو قول الرّجل لاوحياتك ، وفي التوحيد عن الصّادق عليه السلام قال : هم الذين يلحدون في أسمائه بغير

٤ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن عمَّد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن بكير ، عن ضريس ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّوجلَّ : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلاَّ وهم مشركون » قال : شرك طاعة وليس شرك عبادة . و عن قوله عزَّ وجلَّ : « ومن

علم فيضعونها غير مواضعها ، وأمّا هذا الخبر فلعلّ المراد به أنّه يطيع الشيطان ويتوهّم أنّه يطيع الله كاتباع البدع والاستبداد بالآراء في الامور الشرعيّة وسوء الفهم لها ونحو ذلك إذا لم يتعمّد المعصية فانّ ذلك كلّه إطاعة للشيطان من حيث لا يعلم وهو شرك طاعة ليس بشرك عبادة لأنّه تعالى نسبهم إلى الايمان ، ولذا قيّدناه بعدم التعمّد فانّه مع التعمّد كفر وخروج عن الايمان وشرك عبادة ، وقد يقال «من حيث لا يعلم» متعلّق بقوله فيشرك وهو بعيد لفظاً وإن كان قريباً معنى .

الحديث الرابع : مجهول .

« شرك طاعة » أي المراد بالشرك شرك طاعة لغير الله لا شرك عبادة له فمن أطاع غير الله سواء كان شيطاناً أو نفساً أمّارة بالسّوء أو إنساناً ضالاً مضلاً فقد أشرك بالله غيره وإن لم يسجد له .

« ومن الناس من يعبدالله على حرف » قال الطّبرسي : أي على ضعف من العبادة كضعف القائم على حرف أي على طرف جبل ونحوه عن علي بن عيسى ، قال : وذلك من إضطرابه في طريق العلم إذا لم يتمكّن من الدلائل المؤدّية إلى الحقّ فينقاد لأدنى شبهة لا يمكنه حلّها ، وقيل : على حرف : على شكّ عن مجاهد ، وقيل : معناه أن يعبدالله بلسانه دون قلبه عن الحسن ، قال : الدين حرفان أحدهما اللّسان والثاني القلب ، فمن اعترف بلسانه ولم يساعده قلبه فهو على حرف ، وقال البيضاوي : أي على طرف من الدّين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان أحسّ بظفر قرّ وإلا فرّ ، روى أنّها نزلت في أعاريب قدموا إلى المدينة فكان أحدهم إذا صحّ بدنه و نتجت فرسه مهراً [1] سويّاً وولدت امرأته غلاماً سويّاً و كثر ماله وماشيته قال :

---

(١) المهر : ولد الفرس .

النّاس من يعبدالله على حرف»[1] قال : إنَّ الآية تنزل في الرجل ثمَّ تكون في أتباعه ثمَّ قلت : كلُّ من نصب دونكم شيئاً فهو ممّن يعبدالله على حرف ؟ فقال : نعم وقد يكون محضاً .

٥ ـ يونس ، عن داودبن فرقد ، عن حسّان الجمّال ، عن عميرة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : أمر النّاس بمعرفتنا والردِّ إلينا والتسليم لنا ، ثمَّ قال : وإن صاموا وصلّوا وشهدوا أن لا إله إلاّ الله وجعلوا في أنفسهم أن لا يردُّوا إلينا كانوا بذلك مشركين .

٦ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه عن أحمدبن محمّد بن أبي نصر ، عن عبدالله بن

ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلاّ خيراً واطمأنَّ ، وإن كان الأمر بخلافه قال : ما أصبت إلاّ شرّاً وانقلب ، انتهى .

« ثمَّ يكون في أتباعه » أي نزلت الآية في قوم شكّوا في النبيِّ صلّى الله عليه وآله و ما جاء به من الولاية و غيرها ثمَّ جرت فيمن تبعهم على ذلك بعدهم كالمستضعفين من المخالفين والجهّال الذين يتبعونهم بغير علم ، أو نزلت في الّذين شكّوا في النبيِّ صلّى الله عليه وآله ثمَّ جرت في الذين شكّوا في الامام « وقد يكون محضاً » اي مشركا محضاً كعلماء المخالفين والمتعصّبين منهم حيث تركوا الحقَّ مع وضوح البرهان عناداً .

والحاصل أنّه سأل السّائل عن المخالفين أهم من أهل هذه الآية ؟ فقال عليه السلام : بعضهم من أهل هذه الآية ، وبعضهم مشرك محض ، ويحتمل أن يكون تتمّة كلامه سابقاً أي وقد يكون في الرّجل محضاً ولا يكون في أتباعه ، وفي بعض النسخ وقد يكون مختصّاً فهو صريح في المعنى الأخير .

الحديث الخامس : مجهول .

ويدلُّ على أنَّ المخالفين مشركون .

الحديث السادس : حسن ، ويدلُّ على أنَّ عدم الرّضا بما صنعه الله وترك

---

(١) سورة الحج : ١١ .

يحيى الكاهلي قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : لو أنّ قوماً عبدوا الله وحده لاشريك له وأقاموا الصّلاة وآتوا الزّكاة وحجّوا البيت وصاموا شهر رمضان ثمّ قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبيّ صلى الله عليه وآله : ألاّ صنع خلاف الّذي صنع ؟ أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ، ثمّ تلا هذه الآية « فلا وربّك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً »[1] ثمّ قال أبوعبدالله عليه السلام : فعليكم بالتسليم .

٧ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن عبدالله بن يحيى ، عن عبدالله بن مسكان ، عن أبي بصير قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « إتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله »[2] فقال : أما والله مادعوهم إلى عبادة

التسليم لماورد عنهم عليهم السلام شرك ، وقد مضى في باب التسليم أنّ الخطاب في هذه الآية إلى أميرالمؤمنين عليه السلام « وألاّ » بالفتح والتشديد حرف تحضيض، قال النحاة : دخوله على المستقبل حثّ على الفعل وطلب له ، وعلى الماضي توبيخ على ترك الفعل نحو : ألاّ تنزل عندنا ، وألاّ نزلت .

الحديث السابع : حسن .

« اتّخذوا أحبارهم » في المجمع أي علمائهم « ورهبانهم » أي عبّادهم « أرباباً من دون الله » روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنّهما قالا : أما والله ماصاموا لهم ولاصلّوا ، ولكنّهم أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً ، فاتّبعوهم فعبدوهم من حيث لايشعرون ، وروى الثعلبي باسناده عن عديّ بن حاتم قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب من ذهب فقال : ياعديّ اطرح هذا الوثن من عنقك ، قال : فطرحته وانتهيت إليه وهو يقرء من سورة البراءة هذه الآية « اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » حتّى فرغ منها ، فقلت له : إنّا لسنا نعبدهم فقال : أليس يحرّمون ماأحلّ الله فتحرّمونه، ويحلّون ماحرّم الله فتستحلّونه ؟ قال: فقلت:

---

(١) سورة النساء : ٦٢ . (٢) سورة التوبة : ٣٢ .

أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لايشعرون .

٨ ـ عليّ بن محمّد ، ، عن صالح بن أبي حمّاد ؛ وعليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من أطاع رجلاً في معصية فقدعبده .

بلى ، قال : فتلك عبادتهم .

وقال البيضاوي : بأن أطاعوهم في تحريم ما أحلّ الله وتحليل ما حرّمه ، أو بالسّجود لهم « والمسيح بن مريم » بأن جعلوه ابناً لله « وماأمروا إلاّ ليعبدوا » أي ليطيعوا « إلهاً واحداً » وهوالله تعالى ، وأمّا طاعة الرّسول وسائرمن أمرالله بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله .

الحديث الثامن : حسن كالصحيح .

« في معصية » متعلّق بأطاع ، وقيل : إمّا وصف لرجل أو حال عنه ، أومتعلّق بأطاع فعلى الأوّلين يفيدأنّ العاصي معبود لمن أطاعه مطلقا ، وعلى الأخيران العاصي معبود لمن أطاعه في المعصية ، وسرّ ذلك أنّ العبادة ليست إلاّ الخضوع والتذلّل ، والطّاعة والانقياد ، ولذلك جعل الله سبحانه اتّباع الهوى وطاعة الشيطان عبادة لهما ، فقال : « أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه » (١) وقال : « ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان » (٢) وإذاكان اتّباع الغير بغيرأمرالله عبادةله فأكثرالخلق مقيمون على عبادة غيرالله تعالى . وهوالنفس والشيطان ، وأهل المعصية والكفران ، وهذا هو الشرك الخفيّ نعوذبالله منه .

---

(١) سورة الجاثية : ٢٣ . (٢)سورة يس : ٦٠ .

﴿ باب الشك ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن الحسين بن الحكم قال : كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام أخبره أنّي شاكّ وقد قال إبراهيم عليه السلام : «ربّ أرني كيف تحيي الموتى»[1] وإنّي احبّ أن تريني شيئاً ، فكتب عليه السلام : ان إبراهيم كان مؤمناً وأحبّ أن يزداد إيماناً وأنت شاكّ والشاكّ لاخير فيه ، وكتب إنّما الشكّ

باب الشك

الحديث الاول : مجهول .

« وقد قال ابراهيم » كأنّ غرض السائل إبداء العذر لشكّه بأنّ ابراهيم عليه السلام مع رتبة النبوة كان شاكّاً في الموتي فسأل ربّه مايزيل شكّه وما سأله إمّا معجزة ليزول شكّه ، أودليل على الامامة ، وعلى الأوّل إمّا أظهر له معجزة ولم يذكره الراوي أولم ير عليه السلام المصلحة في ذلك ، أوعلم أنّه تمّت عليه الحجّة وظهر له الحقّ وإنّما يظهر الشكّ للوسواس أو للعناد ، وعلى الثاني أيضاً يحتمل الوجوه الثلاثة والأخير أظهر .

وأمّا العذر الذي أبداه فقد أبطله عليه السلام بأنّ ابراهيم عليه السلام لم يكن شاكّاً ولم يسأل ذلك ليزيل الشكّ عن نفسه ، لأنّه كان مؤمناً بالربّ تعالى وصفاته الكماليّة وقدرته على إحياء الموتى ، وبالبعث والنشور ، ولم يشكّ قطّ بل سأله ليزداد يقيناً بأن يرى بالعيان ماعلمه بالدليل والوحي والبرهان ، والحاصل أنّه كان له علم اليقين فطلب عين اليقين « وأنت شاكّ » كما اعترفت به «والشاكّ لاخير فيه» لأنّ الخير كلّه في الايمان ، وهو لايحصل إلّا باليقين .

« وكتب عليه السلام إنّما الشكّ مالم يأت اليقين » وهذا يحتمل وجهين : الأوّل أن يكون تأكيداً لقوله عليه السلام : إنّ ابراهيم كان مؤمناً ، وحاصله أنّه كان له يقين بقدرته .

---

(١) سورة البقرة : ٢٦ .

مالم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك، وكتب أن الله عز وجل يقول: «وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين»[1] قال: نزلت في الشاك.

تعالى على إحياء الموتى والشك لايجامع اليقين، فعدم الجواز بمعنى الامتناع، الثاني: أن يكون المراد باليقين مايوجب اليقين، فالشك بعد ذلك يكون تكلفاً للشك وحملا للنفس عليه عناداً، فالمراد بعدم الجواز عدم كونه معذوراً في ذلك الشك، وهذا يؤيد الوجه الأخير من الوجوه الثلاثة المتقدمة، وقيل: في الآية وجوه أخر، منها: أنه إنما سأله ليعلم قدره ومنزلته عند الله تعالى، لأن الاسعاف بالمطلب الجليل يدل على رفعة شأن السائل، وحينئذ فمعنى «أولم تؤمن» أولم تؤمن بمنزلتك عندي. ومنها: مارواه الصدوق في العيون عن الرضا عليه السلام أن الله كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام إني متخذ من عبادي خليلا إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس ابراهيم عليه السلام أنه ذلك الخليل، فقال: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال: أولم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي على الخلة.

ومنها: أنه أراد أن يكون له ذلك معجزة كما كانت للرسل.

ومنها: أنه كان له علم اليقين بالاحياء وإنما سأل ليعلم كيفية الاحياء كما يشعر به قوله: كيف؟.

ومنها: أنه إنما سأله أن يقدره على إحياء الموتى وتأدب في السؤال فقال: أرني كيف تحيي الموتى.

وقال بعض أهل الاشارة: رأى من نفسه الشك وماشك، وإنما سأل ليجاب فيزداد قرباً.

«وما وجدنا لأكثرهم من عهد» هذه الآية بعد ذكر قصص الانبياء عليهم السلام وهلاك أممهم بمخالفتهم، قال في المجمع: أي ماوجدنا لأكثر المهلكين من عهد، أي من وفاء بعهد كما يقال فلان لاعهد له، أي لاوفاء له بالعهد، ويجوز أن يكون

---

(1) سورة الأعراف: ١٠١.

٢ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليّ بن أسباط ، عن أبي إسحاق الخراساني قال : كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول في خطبته : لاترتابوا فتشكّوا ولاتشكّوا فتكفروا .

٣ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن خلف بن حمّاد عن أبي أيّوب الخزّاز ، عن محمّد بن مسلم قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام

المراد بهذا العهد ما أودع الله العقول من وجوب شكر المنعم و طاعة المالك المحسن واجتناب القبايح ، ويجوز أن يراد به ما أخذ على المكلّفين على ألسنة الأنبياء أن يعبدوه ولايشركوا به شيئاً « وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » اللاّم وإن للتأكيد ، والمعنى وإنّا وجدنا أكثرهم ناقضين للعهد ، مخلفين للوعد ، انتهى .

ولعلّ تأويله عليه السلام يرجع إلى أنّ الله تعالى أخذ عليهم العهد بما أعطاهم من العقل أن يستعملوا العقل فيما أتاهم ممّا يوجب اليقين فتركوا ذلك وشكّوا بعد مشاهدة المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة الواضحة ، فصاروا فاسقين خارجين عن الايمان ، وقيل : أشار عليه السلام بذلك إلى أنّ الأكثر نقضوا عهدالله وعهد رسوله في الولاية وشكّوا فيها وأنّ الآية نزلت في شكّهم وأنّ كلّ شاكّ فاسق .

الحديث الثاني : ضعيف .

وكأنّه مرسل لأنّ أبا إسحاق من أصحاب الرّضا عليه السلام أو الصادق عليه السلام ويحتمل أن يكون مضمراً بأن يكون ضمير قال راجعاً إلى أحد الامامين عليهما السلام ، والارتياب الشكّ والتهمة ، ولعلّ المراد هنا الخوض في الشبهات الّتي توجب الشكّ أوعدم الرّضا بقضاءالله واتّهامه في قضائه أوالتردّد الّذي هومبدء الرّيب والشكّ ، أوالمعنى لاترخصوا لأنفسكم في الرّيب في بعض الأمور ، ولاتعتادوها ، فانّه ينتهي إلى الشكّ في الدّين .

الحديث الثالث : صحيح .

ويدلّ على أنّ الشكّ في الله وفي الرّسول كفر ، وقوله عليه السلام لزرارة « إنّما

جالساً عن يساره وزرارة عن يمينه ، فدخل عليه أبو بصير فقال : ياأبا عبدالله ماتقول فيمن شكّ في الله ؟ فقال : كافر ياأبامحمّد ، قال : فشكّ في رسول الله ؟ فقال : كافر ، قال: ثمّ التفت إلى زرارة فقال : إنّما يكفر إذا جحد .

٤ ـ عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران الحلبيّ ، عن هارون بن خارجة ، عن أبي بصير قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « الّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم »[1] قال : بشكّ .

يكفر إذا جحد » يحتمل وجوهاً :

الاوّل : أنّ غرضه عليه السلام الردّ على زرارة فيما كان بينه وبينه عليه السلام من الواسطة بين الايمان والكفر ، لئلاّ يتوهّم زرارة من حكمه عليه السلام بكفر الشاكّ في الله والرّسول كفر الشاكّ في الامام أيضاً ، بل مالم يجحد الامام لايكفر ، ويؤيّده الخبر الأوّل من الباب الآتي .

الثاني : أن يكون المراد أنّ الشكّ في أصول الدّين مطلقا إنّما يصير سبباً للكفر بعد البيان و إقامة الدليل ، ومن لم تتمّ عليه الحجّة ليس كذلك فالمستضعف الّذي لايمكنه التمييز بين الحقّ والباطل ولم تتمّ عليه الحجّة ليس بكافر كمازعمه زرارة، وقيل : إنّما ذلك في الشكّ في الرسول وأمّا الشاكّ في الله فهو كافر ، لأنّ الدّلائل الدالّة على وجوده أوضح من أن يشكّ فيها ولاينكره إلاّ معاندمباهت .

الثالث : ماقيل : المراد بالشاكّ المقرّ تارة والجاحد أخرى ، وأنّه كلّما أقرّ فهومؤمن ، وكلّما جحد فهوكافر .

الرابع : أنّ المعنى أنّ الشكّ إنّما يصير سبباً للكفر إذاكان مقروناً بالجحود الظاهريّ وإلاّ فهو منافق يجري عليه أحكام الاسلام ظاهراً .

الحديث الرابع : صحيح .

« الذين آمنوا » في المجمع معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدّقوا به وبما أوجبه

---

(١) سورة الانعام : ٨٢ .

• • • • • • • • • •

عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم ، والظلم هو الشرك عن أكثر المفسّرين لقوله تعالى : « إنّ الشرك لظلم عظيم »[1] وروى عن ابن مسعود لمّا نزلت هذه الآية شقّ على الناس وقالوا : يارسول الله وأيّنا لم يظلم نفسه ؟ فقال عليه السلام : إنّه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا إلى ماقال العبد الصالح : « يا بنيّ لاتشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم » وقال الجبائي : والبلخي يدخل في الظلم كلّ كبيرة تحبط ثواب الطاعة ، وتتمّة الآية : « اولئك لهم الامن وهم مهتدون » .

وأقول : روى العيّاشي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال : الظلم الضلال فما فوقه ، وفي رواية قال : أولئك الخوارج وأصحابهم وفي رواية أخرى قال : آمنوا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله من الولاية ولم يخلطوها بولاية فلان و فلان ، وأقول : لاتنافي بين هذه الأخبار والأقوال ، لأنّ الظلم وضع الشيء في غير محلّه ، فالعاصي ظالم لأنّه وضع المعصية موضع الطاعة وأيضاً ظلم نفسه بارتكابها ، والمشرك ظالم لانّه وضع الكفر موضع الايمان ، والشاك ظالم لأنّه وضع الشكّ موضع اليقين ، وأيضاً في جميع ذلك ظلم نفسه ونقص حظّه .

قيل : كأنّ السائل سأل عن العام هل هو باق بعمومه أو مختص ببعض أفراده؟ فأجاب عليه السلام بأنّ المراد به ظلم الشكّ والكفر ، وقيل: فيه دلالة على أنّهم كانوا يقولون بالعموم وعلى جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة ، واعترض بأنّه لادلالة فيه على شيء منهما أمّا الاوّل فلانّ السائل حمل الظلم على ظلم المخالفة ، وشقّ عليه ذلك لما ترتّب عليه من عدم الأمن وعدم الاهتداء فسأل عن ذلك فأجاب عليه السلام بحمله على ظلم الشكّ ، وأمّا الثاني فلانّ الآية ليس فيها تكليف بعمل وإنّما فيها تكليف باعتقاد صدق الخبر بأنّ للمؤمنين الأمن والاهتداء فأين الحاجة الّتي تأخّر البيان إليها .

وأجيب عن الاوّل بأنّ ظلم المخالفة يتنوّع إلى كبائر وصغائر لاتنحصر ، وإنّما

---

(١) سورة لقمان : ١٣ .

٥ ـ الحسين بن محمّد ، عن أحمد بن إسحاق ، عن بكر بن محمّد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الشكّ والمعصية في النّار ، ليسا منّا ولا إلينا .

٦ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ، عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من شكّ في الله بعد مولده على الفطرة لم يفء إلى خير أبداً .

٧ ـ عنه ، عن أبيه ، رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال : لا ينفع مع الشكّ والجحود عمل .

شقّ عليه حمله على ظلم المخالفة إذ اعمّ جميع صورها فأخذ العموم لازم ، سواء جعل من تعميم الجنس في أنواعه ، أو من تعميم النوع في أفراده . وعن الثاني بأنّ الآية وإن كانت خبراً فهو في معنى النهي عن لبس الايمان بالظلم ، فهي عمليّة من هذا الوجه على أنّ الفرق في تأخير البيان بين المسائل العلميّة والعمليّة غير ظاهر ، والدليل في المسئلة مشترك .

الحديث الخامس : صحيح .

الحديث السادس : مرسل .

« لم يفء إلى خير » هو من الفيء بمعنى الرّجوع إمّا باثبات الهمزة او بالقلب والحذف تخفيفاً ، وظاهره عدم قبول توبة المرتدّ الفطريّ كما هو المشهور ، قال الشهيد الثاني قدّس الله روحه : لا تقبل توبته ظاهراً وفي قبولها باطناً قول قويّ حذراً من تكليف ما لا يطاق لو كان مكلّفاً بالاسلام أو خروجه عن التكليف مادام حيّاً كامل العقل وهو باطل بالاجماع ، وقال في المهذّب : لو تاب المرتدّ عن فطرة لم تقبل بالنّسبة إلى إسقاط الحدّ وملك المال وبقاء النكاح وابتداء النكاح مطلقا ، وتقبل بالنّسبة إلى الطّهارة وصحّة العبادات و إسقاط عقوبة الآخرة واستحقاق الثواب ، ولا ينافي ذلك وجوب قتله كما لو تاب المحصن بعد قيام البيّنة .

الحديث السابع : مرفوع .

« لا ينفع مع الشكّ والجحود عمل » يدلّ على أنّ قبول الاعمال مشروط باليقين

٨ ـ وفي وصيّة المفضّل قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من شكّ أو ظنّ فأقام على أحدهما أحبطالله عمله ، إنّ حجّةالله هيالحجّة الواضحة .

٩ ـ عنه ، عن عليّ بن أسباط ، عن العلاء بن رزين ، عن محمّد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : قلت : إنّا لنرى الرجل له عبادة واجتهاد وخشوع ولا يقول بالحقّ فهل ينفعه ذلك شيئاً ؟ فقال : يا أبا محمّد إنّما مثل أهل البيت مثل اهل

في جميع أصول الدّين الّتي منها الامامة .

الحديث الثامن : مرسل أيضاً .

« أوظنّ » أى في خلاف الحقّ أوفي الحقّ فانّه لابدّ في الاصول من العلم واليقين « أحبط الله عمله » أى إذاطرء أحدهما بعد اليقين بناءاً على إمكانه ، وسيأتي القول فيه إنشاء الله أوالمراد بالاحباط الردّ وعدم القبول .

« إنّ حجّة الله هي الحجّة الواضحة » أى حجّةالله في أصول الدّين واضحة توجباليقين فليس الشكّ والظنّ ممّا يعذر المرء فيه ، وانّما نشأذلك من تقصيره، أوالأعمّ من الأصول والفروع ، فأنّ الظنّ المعتبر شرعاً فيقوّة اليقين فانّ ظنّيّة الطّريق لاينافي قطعيّة الحكم .

ثمّ اعلم أنّ هذه الأخبار ممّا يدلّ علىاعتبار العلماليقينيفيالايمان ، وأنّ الشاكّ فيالعقائد الايمانيّة كافر ، بلالظانّ أيضاً فانّ الشّك يطلق في الأخبار على مطلق التردّد وتجويز النقيض وإن كان أحد الطّرفين راجحاً ، بل في اللّغة أيضاً كذلك ، وقدقال تعالى : « إنّماالمؤمنونالّذين آمنوابالله ورسوله ثمّ لميرتابوا»[1] والآيات الناهية عنالظنّ كثيرة وغاية مايمكن أنيقالفيها أنتخصّ بأصولالدين وقدمرّ بعض القول في ذلك في صدر هذا المجلّد .

الحديث التاسع : موثق .

« فهل ينفعه ذلك شيئاً » قوله : شيئاً قائم مقام المفعول المطلق أى نفعاً قليلا كذا قيل ، « ان مثل أهل البيت » كأنّ فيه تقدير مضاف أى مثل أصحاب أهل

---

(١) سورة الحجرات :

بيت كانوا في بني إسرائيل كان لا يجتهد أحد منهم أربعين ليلة إلاّ دعا فاجيب وإنّ رجلاً منهم اجتهد أربعين ليلة ، ثمّ دعافلم يستجب له فأتى عيسى ابن مريم عليه السلام يشكو إليه ماهوفيه و يسأله الدُّعاء قال : فتطهّر عيسى وصلّى ثمّ دعاالله عزّ وجلّ فأوحىالله عزّ وجلّ إليه: ياعيسى إنّ عبدي أتاني من غير الباب الّذي أوتي منه ، إنّه دعاني وفي قلبه شكٌّ منك فلو دعاني حتّى ينقطع عنقه وتنتثر أنامله ما استجبت له ، قال : فالتفت إليه عيسى عليه السلام فقال : تدعو ربّك ـ أنت في شكّ من نبيّه؟ فقال : ياروح الله وكلمته قدكان والله ماقلت ، فادع الله [لي] أن يذهب به عنّي قال: فدعاله عيسى عليه السلام فتاب الله عليه وقبل منه وصارفي حدّ أهل بيته .

البيت أوالمراد بأهل البيت الموالون لهم واقعاً ، وقيل : مثل في الموضعين بكسر الميم وسكون المثلّثة والأوّل خبر مبتدء محذوف ، أي هومثل ، والثاني بدل الاوّل كما في قوله تعالى : «بالناصية ناصية كاذبة»[1] والأوّل أظهر ، والاجتهاد المبالغة والاهتمام في الطّاعات والاجتناب عن المنهيّات ، والاخلاص في الاعمال كما ورد : من أخلص لله أربعين صباحاً فتح الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، ويدلّ على أنّ لخصوص الأربعين في ذلك تأثيراً ، ويؤيّده أنّ بعدالأربعين أنزل الله على موسى الكتاب المبين، واستجاب دعائه ، وفتح عليه أبواب علوم الدين ويدلّ على عدم قبول العمل مع الشكّ في النبيّ أوالامام عليه السلام ، وأنّ التوبة بعده مقبولة ، ويمكن حمله على أنّه من خصائص تلك الشريعة ، أو على أنّه كان مليّاً أو مستضعفاً ، أو على أنّ عدم قبول التوبة مع الجحد والانكار .

---

(١) سورة العلق : ١٦ .

﴿ باب الضلال ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالرحمن بن الحجّاج عن هاشم صاحب البريد قال : كنت أنا و محمّد بن مسلم وأبو الخطّاب مجتمعين فقال لنا أبوالخطّاب : ماتقولون فيمن لم يعرف هذاالأمر ؟ فقلت : من لم يعرف هذاالامر فهو كافر ، فقال أبو الخطاب : ليس بكافر حتّى تقوم عليه الحجّة فاذا قامت عليه الحجّة فلم يعرف فهو كافر ، فقال له محمّد بن مسلم ، سبحان الله ماله إذا لم يعرف ولم

باب الضلال

الحديث الاول : مجهول .

وقال في النهاية : البريد كلمة فارسية يرادبها في الأصل البغل ، وأصلها «بريده دُم» أي محذوف الذنب ، لأنّ بغال البريد كانت كالعلامة لها ، فأعربت وخفّفت ثمّ سمّي الرّسول الّذي يركبه بريداً ، والمسافة الّتي بين السّكّتين بريداً ، والسّكّة موضع كان يسكنه الفيوج المرتّبون من بيت أوقبّة أو رباط ، وكان يرتّب في كلّ سكّة بغال ، وبعد ما بين السّكّتين فرسخان وقيل:أربعة ، انتهى.

وكأنّه لقّب بذلك لأنّه كان موكلا بتلك البغال أو الرجال « فقال : لنا » وفي بعض النسخ له فالضمير لمحمّد « فقلت من لم يعرف » الفرق بين الأقوال الثلاثة أنّه ذهب صاحب البريد إلى أنّ غير العارف كافر سواء قامت عليه الحجّة أم لم تقم ، وسواء جحد أم لم يجحد ، وعلى هذا فلا واسطة بين المؤمن والكافر ، وذهب أبوالخطاب إلى أنّه كافر إن قامت عليه الحجّة جحد أم لم يجحد ، فبينهما واسطة وهي غير العارف قبل قيام الحجّة، وذهب محمّد بن مسلم إلى أنّه كافر اذا جحد و إذا لم يجحد فليس بكافر، وعلى هذا ايضاً بينهما واسطة وهي من لم يعرف ولم يجحد ويسمّى مستضعفاً وضالاً وقيل: كأنّ المراد بالضالّ في هذا الباب هذا المعنى وإن كان يطلق كثيراً على الأعمّ منه ، وهو

يجحد يكفر ؟! ليس بكافر إذا لم يجحد ، قال : فلمّا حججت دخلت على أبي عبدالله عليه‌السلام فأخبرته بذلك ، فقال : إنّك قد حضرت وغابا ولكن موعدكم اللّيلة ، الجمرة الوسطى بمنى .

فلمّا كانت اللّيلة اجتمعنا عنده وأبو الخطّاب ومحمّد بن مسلم فتناول وسادة فوضعها في صدره ثمّ قال لنا : ماتقولون في خدمكم ونسائكم وأهليكم أليس يشهدون أن لا إله إلاّ الله ؟ قلت : بلى ، قال : أليس يشهدون أنّ محمّداً رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ؟ قلت: بلى ، قال : أليس يصلّون ويصومون ويحجّون ؟ قلت : بلى ، قال : فيعرفون ما أنتم عليه ؟ قلت : لا ، قال : فماهم عندكم ؟ قلت : من لم يعرف [هذا الامر] فهو كافر.

قال : سبحان الله أما رأيت أهل المياه ؟ قلت : بلى ، قال : أليس يصلّون ويصومون ويحجّون ؟ أليس يشهدون أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله؟ قلت : بلى ، قال : فيعرفون ماأنتم عليه ؟ قلت : لا ، قال: فماهم عندكم ؟ قلت : من لم يعرف [هذا الأمر] فهو كافر .

قال : سبحان الله أما رأيت الكعبة والطوّاف وأهل اليمن وتعلّقهم بأستار

من لم يتمسّك بالحق من فرق المسلمين ، وكأنّ المراد بالكافر هنا من يجرى عليه أحكام الكفر في الدّنيا مثل النجاسة وعدم جواز المباشرة والمناكحة وغيرها كما هو مذهب بعض الأصحاب وإلاّ فلاخلاف في استحقاق العقوبة وخلود بعضهم في النار ، ولو قيل بخلافه وتحقق القول به فهو نادر سخيف كما ستعرفه .

«فانّك قد حضرت وغابا » لعلّ تأخيره عليه‌السلام بيان الحكم لتبيين مرادهم أو ليعلموا أيضاً الحكم ، قيل : ويدلّ على أنّه ينبغي للحاكم أن يترك الحكومة والتكلّم فيها حتى يحضر الخصوم جميعاً ومن ثمّ قال بعض الأكابر: إذا جاءك الحكم وقد فقئت عينه فلاتحكم له ، فلعلّه يأتيك خصمه وقد فقئت عيناه .

قوله : وأبو الخطاب عطف على ضمير اجتمعنا ، وعدم الاتيان بالمنفصل للفاصلة

الكعبة؟ قلت : بلى ، قال : أليس يشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ويصلّون ويصومون ويحجّون ؟ قلت : بلى ، قال : فيعرفون ما أنتم عليه ؟ قلت : لا قال : فما تقولون فيهم ؟ قلت : من لم يعرف فهو كافر .

قال : سبحان الله هذا قول الخوارج ، ثمّ قال : إن شئتم أخبرتكم ، فقلت أنا:

« وأهليكم » اى أولادكم «هذا قول الخوارج » فانّهم يقولون كلّ من فعل كبيرة أوصغيرة وأصرّ عليها فهو كافر خارج عن الاسلام ، مستحقّ للقتل ،ولذا حكموا بكفر أمير المؤمنين عليه السلام للتحكيم مع أنّهم جبروه عليه السلام على التحكيم ، وعلى الحكم الجائر الأحمق الحائر البائر الّذي كان من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام وأيضاً أنّه عليه السلام لم يرض بحكمهما مطلقا بل بحكمهما إذا حكما بالكتاب والسنّة ، وهما لعنة الله عليهما حكما على خلاف الكتاب والسنّة ، وما فعله عليه السلام لم يكن معصية ، وبسط القول في ذلك موكول إلى كتابنا الكبير .

والحاصل أنّ الكفر معان شتّى ، ولكلّ منها أحكام يترتّب عليها كالايمان ، والخوارج لمّا سمعوا إطلاق الكفر وسلب الايمان على أصحاب الكبائر بل الصّغائر أيضاً ولم يفرّقوا بين معانيه وأحكامه أجروا جميع أحكام الكفر في الدنيا والآخرة على الفسّاق وضيّقوا الأمر على المسلمين وحكموا بأنّ أصحاب الكبائر بل الصغائر ايضاً كفّار بالمعنى الذي يطلق على من لم يشهد الشهادتين ، وليس كذلك بل الكفر ببعض معانيه يجتمع مع الاسلام ببعض معانيه ، وليس كلّ من أطلق عليه الكفر في الأخبار يستحقّ القتل وتحرم مناكحته ومعاشرته ، وليس كلّ من سلب عنه الايمان في الآيات والأخبار يجب خلوده في النار ، فالكفر يطلق على من أنكر شيئاً من ضروريّات دين الاسلام ظاهراً وباطناً كالشهادتين أو المعاد ، فهو يجرى عليه أحكام الكفّار في الدّنيا ويخلد في النار في الآخرة إلّا أنّ أهل الكتاب اختلف الأصحاب في نجاستهم وعدم جواز مناكحتهم على التفصيل الّذى سيأتي في محلّه إن شاء الله .

ويطلق على من أخلّ بشيء من العقائد الايمانيّة وإن لم يكن ضروريّاً لدين

لا ، فقال : أما إنّه شرٌّ عليكم أن تقولوا بشيء مالم تسمعوه منّا ، قال : فظننت أنّه

الاسلام كالامامة ، والمشهور أنّهم في الآخرة بحكم الكفّار وهم مخلّدون في النار كالمخالفين وساير فرق الشيعة سوى الاماميّة ، وقد دلّت عليه أخبار كثيرة أوردناها في كتابنا الكبير ، لكن قد عرفت أنّه يظهر من كثير من الأخبار أنّه يمكن نجاة بعض المخالفين من النار كالمستضعفين والمرجون لأمر الله ، وقد ذكر العلاّمة وغيره قولاً بعدم خلود المخالفين في النار ، وهو في غير المستضعفين وأشباههم في غاية الضّعف لأنّ الامامة عند الشيعة من أصول الدّين ، وقد ورد متواتراً عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة ، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى .

وأمّا الأحكام الدنيويّة ايضاً كالطّهارة والتناكح والتوارث فالمشهور أنّهم في جميع ذلك بحكم المسلمين ، وذهب السيّد المرتضى رضي الله عنه وجماعة إلى أنّهم في الامور الدنيويّة أيضاً بحكم الكفّار ، والّذي يظهر من بعض الأخبار أنّهم واقعاً في جميع الأحكام بحكم الكفّار لكن الله تعالى لمّا علم أنّ للمخالفين دولة وغلبة على الشيعة ولابدّ لهم من معاشرتهم رخّص لهم في جميع ذلك وأجرى على المخالفين في زمان الهدنة والتقيّة أحكام المسلمين وفي زمن القائم عليه السلام لافرق بينهم وبين الكفّار ، وبه يمكن الجمع بين الأخبار.

وقد يطلق على مرتكبي الكبائر من غير توبة وأثره احتمال العقاب الطويل لاالخلود ، ولاجريان حكم الكفّار عليهم في الدّنيا ، بل يمكن سقوط بعض الحقوق الّتي تكون للمؤمنين ، وقد يطلق على مطلق مرتكبي المعاصي .

وبالجملة له معان كثيرة وأحكام متباينة كما يظهر بالتّتبع قال الشهيد الثاني (ره) في رسالة حقائق الايمان: إعلم أنّ جمعاً من علماء الاماميّة حكموا بكفر أهل الخلاف والأكثر على الحكم باسلامهم ، فان أرادوا بذلك كونهم كافرين في نفس الامر لافي الظاهر ، فالظاهر أنّ النزاع لفظيّ إذ القائلون باسلامهم يريدون ما ذكرناه من الحكم بصحّة جريان أكثر أحكام المسلمين عليهم في الظاهر ، لأنّهم مسلمون في

يدير نا على قول محمّد بن مسلم .

٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن رجل ، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : فما تقول في مناكحة النّاس فإنّي قد بلغت ما تراه وما تزوّجت قطُّ ، فقال : وما يمنعك من ذلك ؟ فقلت : ما يمنعني إلاّ أنّني أخشى أن لاتحلّ لي مناكحتهم فما تأمرني ؟ فقال : فكيف تصنع وأنت شابٌّ، أتصبر؟ قلت . أتّخذ الجواري قال : فهات الآن فبما تستحلُّ الجواري ؟ قلت : إنّ الأمة ليست بمنزلة الحرّة إن رابتني بشيء بعتها واعتزلتها ، قال : فحدِّثني بما استحللتها؟

نفس الأمر ، فلذا نقلوا الاجماع على دخولهم في النار ، وإن أرادوا بذلك كونهم كافرين باطناً وظاهراً فهو ممنوع ، ولادليل عليه بل الدليل قائم على إسلامهم ظاهراً كقوله عليه السلام : امرت أن أقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله الاّ الله .

الحديث الثاني : مرسل .

« اخشى أن لاتحلّ لي مناكحتهم » منشأ الخشية ماعرفت من إصرار زرارة على نفي الواسطة بين الايمان والكفر ، وأنّ المخالفين كلّهم ولو كانوا من فرق الشّيعة غير الاماميّة كفّار عنده يجري عليهم جميع أحكام الكفّار في الدّنيا والآخرة .

« قال: فهات الآن » هات إسم فعل بمعنى أعطني ، والحاصل أنّ وطى الكافرة حرام لاسيّما من غير أهل الكتاب ، كما أنّ نكاح الكافرة حرام فبما تفرّق بينهما « إن رابتني بشيء بعتها » يقال: رابه وأرابه أى شكّكه وأوهمه ، ولعلّه توهّم الفرق بين الحرّة والامة ، بأنّ الحرة إذا لم توافقه وظهرت منه أمارات المخالفة وطلّقها ذهبت بطلاقه ، وربما شهرته بالتشيّع وفيه قباحة أيضاً عرفاً بخلاف الأمة ، فانّه يمكن بيعها ولايقبل منها مايقبل من الحرّة وليس فيه عار .

وقوله عليه السلام : بما استحللتها، إثبات الالف مع حرف الجرّ شاذّ ، اى انّك قبل أن تدخلها في دينك وتكلّمها في ذلك كيف جازلك وطيها على زعمك ، وقيل : لمّا لم يكن الجواب مطابقاً للسّؤال عاد عليه السلام السّؤال بعينه للتنبيه على خطائه ، قوله:

قال : فلم يكن عندي جواب .

فقلت له : فماترى أتزوّج ؟ فقال : ما ابالي أن تفعل ، قلت : أرأيت قولك : ماابالي أن تفعل ، فإنّ ذلك على جهتين تقول : لست ابالي أن تأثم من غير أن آمرك، فماتأمرني أفعل ذلك بأمرك ؟ فقال لي : قدكان رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّج وقد كان من أمر امرأة نوح وامرأة لوط ماقد كان ، إنّهما قد كانتا تحت عبدين من عبادنا

تقول لست أبالي ، لعلّه أحال الوجه الآخر على الظهور فأجاب عليه السلام باختيار الوجه المتروك ضمناً وكناية وكأنّه سقط الشقّ الآخر من النسّاخ ، ويؤيّده أنّه ذكر هذا الحديث أبوعمرو الكشي في ترجمة زرارة بأدنى تغيير في اللّفظ ، وقال فيه يعني زرارة فتأمرني أن اُتزوّج قال له ذاك إليك «قال : فقال زرارة» هذا الكلام ينصرف على ضربين : إمّاأن لاتبالي أن أعصى الله إذالم تأمرني بذلك ، والوجه الآخر أن يكون مطلقالي قال فقال عليك بالبلهاء إلى آخر الخبر .

« تزوّج » أي بعايشة وحفصة مع أنهما فعلتاما فعلتامن إيذائه صلى الله عليه وآله والخيانه معه وإفشاء سرّه وما ظهر له من نفاقهما كما ذكره الله تعالى في القرآن ، ومثّل حالهما بحال إمرأة نوح وامرأة لوط في أنّهما بالنفاق واستبطان الكفر وعدم الاخلاص كفرتا وخرجتا من الايمان فلم يغن نوح ولوط عنهما من عذاب الله شيئاً من الاغناء بحقّ الزواج حتّى يقال لهما عند الموت أو في القيامة : ادخلا النار مع سائر الداخلين من الكفرة الّذين لاوصلة بينهم وبين الاُنبياء .

وذكرامرأة نوح وامرأة لوط يحتمل وجهين: أحدهما الاستدلال بفعل النبيّين على الجواز، وفيه انّ شريعة من قبلنا ليست بحجّة علينا ، والثاني الاستدلال على نفاق امرأتي الرّسول صلى الله عليه وآله وكفرهما بالتمثيل المذكور في الآية وهو أظهر ، فالمعنى أنّ الله مثّل حالهما بحال المرأتين وخيانتهما بخيانتهما ، وخيانة أمرأتي الرسولين لم تكن فجوراً بل إنّما كانت نفاقها و إبطانهما الكفر و تظاهر هما على الرسولين ولذا خلّدتا في النار ولم ينفعهما شفاعة الرسولين على الله تعالى ، وقدقال المفسّرون:

صالحين ، فقلت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في ذلك بمنزلتي إنّما هي تحت يده وهي مقرّة بحكمه ، مقرّة بدينه قال : فقال لي : ما ترى من الخيانة في قول الله عزّ وجلّ « فخانتاهما »[1] ما يعني بذلك إلّا الفاحشة وقد زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فلاناً ، قال : قلت : أصلحك الله ما تأمرني أنطلق فأتزوّج بأمرك ؟ فقال لي : إن كنت فاعلاً فعليك بالبلهاء من النساء ، قلت : وما البلهاء ؟ قال : ذوات الخدور العفائف .

فقلت : من هي على دين سالم بن أبي حفصة ؟ قال : لا ، فقلت : من هي على

امرأة نوح قالت لقومه انّه مجنون ، وامرأة لوط دلّت قومه على ضيفانه ، ولمّا كانت المرأتان مع نفاقهما تحت الرّسول صلى الله عليه وآله لاظهارهما الاسلام فيجوز نكاح المخالفات لذلك، وقوله عليه السلام: أنّهما قد كانتا ، نقل للآية بالمعنى.

قوله عليه السلام : ما يعني بذلك إلّا الفاحشة ، يحتمل وجهين : الأوّل أن يكون إستفهاماً إنكاريّاً فالمراد بالفاحشة الزنا كما هو الشّايع في استعمالها ، والثاني أن يكون نفياً ويكون المراد بالفاحشة الذنب العظيم وهو الشرك والكفر ، كما قال المفسّرون في قوله تعالى : « وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها »[2] وهو أظهر و فيه ردّ لقول زرارة وهي مقرّة بحكمه ودينه إذ علاقة الزوجيّة لاتستلزم ذلك ، لظهور الفاحشة منهما .

« وقد زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فلاناً » أي عثمان ، هذا أيضاً ردّ لما توهّمه فان الأمر هناك كان بالعكس ، إذ المرأة تحت يد الزوج ، وهو مسلّط عليها ، وظاهره جواز تزويج المؤمنة بالمخالف كما ذهب إليه المفيد و المحقّق و المشهور المنع لأخبار كثيرة حملاها على الكراهة جمعاً والاجماع الّذى ادّعوه على المنع غير ثابت ، والاحوط الترك وسيأتي القول فيه و في عكسه في محلّهما إن شاء الله .

ثمّ لمّا استشعر زرارة من الكلام المذكور الرخصة في تزويجهنّ أراد أن

---

(١) سورة التحريم : ٩ .

(٢) سورة الاعراف : ٢٨ .

دين ربيعة الرّأي ؟ فقال : لا ولكنّ العواتق اللّواتي لاينصبن كفراً ولايعرفن ما تعرفون ، قلت : وهل تعدوأن تكون مؤمنة أو كافرة ؟ فقال : تصوم وتصلّي وتتّقي الله

يصرّح بذلك فقال : ماتأمرني ؟ الخ، فقال عليه السلام : إن كنت فاعلا فعليك بالبلهاء من النساء ، أي المستضعفة الكريمة الأخلاق القريبة من قبول الحق، قال الجوهري : رجل أبله بيّن البله و البلاهة ، و هو الّذي غلبت عليه سلامة الصدّر ، وقد بله بالكسر و تبلّه و المرءة بلهاء ، و في الحديث أكثر : أهل الجنّة البله ، يعني البله في أمر الدّنيا لقلّة إهتمامهم بهاوهم أكياس في أمر الآخرة ، و في القاموس : رجل أبله أي غافل أو عن الشرّ أو أحمق لا تمييز له ، و الميت الداء أي من شرّه ميت ، و الحسن الخلق القليل الفطنة لمداقّ الامور أو من غلبته سلامة الصدر ، و البلهاء المرءة الكريمة المريرة العزيزة المغفّلة ، و في المصباح : بله بلهاً من باب تعب ضعف عقله فهو أبله و الانثى بلهاء ، و الجمع بله مثل احمر و حمراء و حمر، و من كلام العرب خير أولادنا الأبله الغفول ، المعنى أنّه لشدّة حيائه كالابله فيتغافل فيتجاوز ، فشبّه ذلك بالبله ، انتهى .

وما فسّره عليه السلام بيان لحاصل المعنى بذكر بعض صفاتها ، وفي النهاية: الخدر بالكسر ناحية في البيت يترك عليها سترفتكون فيه الجارية البكر خدّرت فهي مخدّرة و جمع الخدر الخدور، والعفائف جمع العفيفة و هي المرءة الممتنعة من القبائح حياءاً من عفّ عن الشيء يعفّ من باب ضرب عفّة بالكسر و عفافاً بالفتح امتنع منه ، و الجواري إذا كنّ كذلك لم يسمعن شبه المخالفين ، ولم تستقرّ في أنفسهنّ فهنّ أقرب إلى قبول الحق و دين الازواج ، وهنّ من المستضعفات اللّواتي لا ينصبن الحقّ و أهله ، و أبعد من سوء الاخلاق و نصب أهل البيت عليهم السلام و لمّا كان نفي الواسطة مستقرّاً في نفس زرارة عاد في السؤال ، و قال : أيجوز لي أن أتزوّج من كان على دين سالم بن أبي حفصة ، و هو كان من رؤساء الزيديّة .

ولاتدري ماأمركم ؟ فقلت : قدقال الله عزّ وجلّ : « هو الّذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن » لاوالله لايكون أحدٌ من النّاس ليس بمؤمن ولا كافر .

قال : فقال أبوجعفر عليه السلام : قولالله أصدق من قولك يازرارة أرأيت قول الله

و روى الكشّي روايات كثيرة تدلّ على أنّ الصّادق عليه السلام لعنه و كذّبه و كفّره ، و ربيعة الرأى من فقهاء العامّة ، قال الشيخ في الرّجال : ربيعة بن أبي عبدالرحمان فروخ المعروف بربيعة الرأى المدني الفقيه عاميّ روى عن السجّاد و الباقر عليهما السلام .

و قال المطرزى في المغرب : الرأى ما ارتاه الانسان و اعتقده ، و منه ربيعة الرأى بالاضافة فقيه أهل المدينة ، و في القاموس: هو شيخ مالك و كأنّه عليه السلام إنّما نفي من كان على رأيهما لأنّه علم أنّ مراده المتعصّبات منهنّ لا المستضعفات لأنّ ظاهر سياق كلامه أنّه قال ذلك على سبيل التشنيع و الالزام .

و في النهاية: العاتق الشابّة أوّل ما تدرك ، وقيل : هي التي لم تبن من والديها ولم تتزوّج وقد أدركت و شبت ، و يجمع على العتق و العواتق .

« فمنكم كافرو منكم مؤمن » استدلّ زرارة بهذه الآية على إنحصار الناس في المؤمن و الكافر و هي ليست صريحة في ذلك ، و ليس فيها ما يدلّ على الحصر ، ولو كانت ظاهرة فيه فلابدّ من تأويلها لوجود المعارض، و أيضاً قدعرفت أنّ للكفر إطلاقات كثيرة ، فيمكن أن يكون الكفر في هذه الآية بمعنى عدم الايمان ، و في الآيات الدالّة على الخلود و النهي عن المناكحة و غيرها بمعنى الجحود فلا تنافي بينها ، و لعلّه عليه السلام لم يتعرّض لجوابه لظهوره ، و ذكر ما يدلّ على أنّ المراد بالآية غير مافهمه زرارة و إلاّ لزم التنافي بين الآيات ، وقد بيّنا ذلك في الأخبار السّابقة .

و أشار عليه السلام إلى هذا بقوله : قول الله أصدق من قولك ، فنسب ما فهمه من الآية إلى قوله إيذاناً بأنّه ليس ما فهمته مراداً من الآية .

عزّ وجلّ : «خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم»[1] فلمّا قال عسى؟ فقلت : ماهم إلاّ مؤمنين أو كافرين ، قال : فقال : ماتقول في قوله عزّ وجلّ : «إلاّ المستضعفين من الرّجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلةً ولايهتدون سبيلا»[2] إلى الايمان ، فقلت : ماهم إلاّ مؤمنين أو كافرين ، فقال : والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين ، ثمّ أقبل عليّ فقال : ماتقول في أصحاب الأعراف ؟ فقلت : ماهم إلاّ مؤمنين أو كافرين ، إن دخلوا الجنّة فهم مؤمنون وإن دخلوا النار فهم كافرون ، فقال : والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين ؛ ولو كانوا مؤمنين لدخلوا الجنّة كما دخلها المؤمنون ولو كانوا كافرين لدخلوا النار كما دخلها الكافرون، ولكنّهم قوم قد

«فلمّا قال عسى فقلت» الظاهر أنّ مراده أنّه لم يصبر زرارة حتّى يتمّ عليه السلام الآية ، وبادر بالجواب باعادة مطلوبه مرّة أخرى، وقيل : المراد أنّه لمااستدلّ عليه السلام بقوله عسى على أنّه ليس بمؤمن لأنّ المؤمن يدخل الجنّة قطعاً ، ولا بكافر لأنّه معذّب البتّة قلت: إن يرحمه الله فهو في علم الله مؤمن ، و إن يعذّبه فهو في علم الله كافر « إن دخلوا الجنّة فهم مؤمنون » و ذلك لما تقرّر عنده أنّ الجنّة لايدخلها إلاّ مؤمن « و إن دخلوا النار فهم كافرون » لما تقرّر عنده أنّ النار لا يدخلها إلاّ كافر ، و المقدّمتان ممنوعتان لأنّ الجنّة قد يدخلها غير المؤمن برحمة الله، والنّار قد يدخلها غير الكافر بذنب غير الكفر .

قوله عليه السلام : لدخلوا الجنّة، أي إبتداءاً من غير توقّف أو بسبب الايمان كما دخلها المؤمنون كذلك ، و هذا لا ينافي دخولهم فيها بالرحمة « لدخلوا النار » اى ابتداءاً أو بسبب الكفر كما دخلها الكافرون كذلك ، و هذا لا ينافي دخولهم فيها بذنوب غير الكفر ، إمّا مع الخلود أو بدونها «استوت حسناتهم و سيّئاتهم» قيل:كان المراد بهما الاقرار والانكار وباستوائهما عدم رجحان احدهما على الآخر أو الاعمّ

---

(١) سورة التوبة : ١٠٣ .
(٢) سورة النساء : ٩٨ .

استوت حسناتهم وسيّئاتهم فقصرت بهم الأعمال وإنّهم لكما قال الله عزّوجلّ .

فقلت : أمن أهل الجنّة هم أم من أهل النّار ؟ فقال : أتركهم حيث تركهم الله قلت : أفترجئهم ؟ قال : نعم أُرجئهم كما أرجأهم الله ، إن شاء أدخلهم الجنّة

منهما و من الأعمال الصّالحة و الذنوب .

« فقصرت بهم الأعمال » أي لم تبلغ بهم الأعمال الحسنة إلى مقصدهم و هو الجنّة ، قال في المصباح : قصرت بنا النفقة أي لم تبلغ بنا إلى مقصدنا ، فالباء للتعدية « لكما قال الله عزّوجلّ » :

أقول: ظاهر الخبر أنّ أصحاب الأعراف يوقفون ابتداءاً فيها ثمّ يساقون إمّا إلى الجنّة أو إلى النار، ولا يبقون فيها كما قال بعض المفسّرين ان في الدّرجة الأدنى من الأعراف قوم تساوت حسناتهم و سيّئاتهم ، أوقفهم الله عليها لأنّها درجة متوسّطة بين الجنّة و النار ، ثمّ تؤول عاقبة أمرهم إلى الجنّة برحمة الله و فضله ، كما قال عزّوجلّ : « لم يدخلوها وهم يطمعون » [1] أى لا يطمعون دخولها بعملهم ، بل بفضل الله و إحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع إلى الجنّة .

« فقلت : من أهل الجنّة هم أم من أهل النار » كأنّ غرضه الالزام بأنّهم إن كانوا من أهل الجنّة فهم مؤمنون ، و إن كانوا من أهل النّار فهم كافرون «فقال : أتركهم حيث تركهم الله» أى يحتمل فيهم الأمران ، ولا ينافي عدم كونهم مؤمنين ولا كافرين « قلت أفترجئهم » كأنّ مراده أنّ هذا مذهب المرجئة و هو باطل ، لأنّ مذهب المرجئة عدم الحكم بايمان أحد و كفر أحد مطلقا و هذا الارجاء ليس في المذهب ، و إنّما هو إرجاء في الثواب و العقاب ، و بالنّسبة إلى جماعة مخصوصة ، و قيل : أى أفتوقعهم في الرّجاء و الطّمع للمغفرة ولا تحكم بكفرهم « برحمته » اى لا بايمانهم لعدمه « بذنوبهم » اى لا بكفرهم لعدمه « ولم يظلمهم » إذ لا ظلم في العقوبة مع الاستحقاق بالذّنوب .

(١) سورة الأعراف : ٤٦ .

برحمته وإن شاء ساقهم إلى النّار بذنوبهم ولم يظلمهم ، فقلت : هل يدخل الجنّة كافر ؟ قال : لا ، قلت : [ف]هل يدخل النّار إلاّ كافر ؟ قال : فقال : لاإلاّ أن يشاء الله ، يا زرارة إنّني أقول ماشاء الله وأنت لاتقول ماشاء الله ، أما إنّك إن كبرت رجعت وتحلّلت عنك عقدك .

« هل يدخل الجنّة كافر ؟ قال : لا » إنّما لم يستثن عليه السلام فيه لأنّه لايحتاج إلى إستثناء ، نعم لوقال مكان كافر غير مؤمن لاحتاج إلى الاستثناء ، و أمّا المقدّمة الثانية فتحتاج إلى الاستثناء لأنّه يمكن أن يدخل النار غير الكافر من الفسّاق و المستضعفين .

«رجعت و تحلّلت عنك عقدك» في القاموس : تحلّل في يمينه إستثنى ، وحلّ العقد نقضها فانحلّت ، و قال : عقد الحبل و البيع و العهد يعقده شدّه ، و العقد الضّمان ، و العهد و العقد بالكسر القلادة ، و العُقدة بالضمّ الولاية على البلد ، و الجمع كصرد و الضّيعة و العقار الذى اعتقده صاحبه ملكاً ، وموضع العقد وهو ماعقد عليه و البيعة المعقودة لهم ، وتحلّلت عقده سكن غضبه ، و في المصباح : عقدت الحبل عقداً من باب ضرب فانعقد ، والعقدة ما يمسكه و يوثقه ، ومنه قيل : عقدت البيع و اليمين ، و عقدة النكاح و غيره إحكامه و إبرامه .

فاذا عرفت هذا فهذا الكلام يحتمل وجوهاً «الأوّل» : أن يكون العقد بضمّ العين و فتح القاف جمع العقدة بالضمّ و المراد أنّك إن كبر سنّك رجعت عن هذا المذهب الباطل الّذى استقرّ في نفسك و انحلّت عنك العقد الّتى في قلبك من الشكوك و الشبهات في ذلك ، إستعار العقد للشبهات و هي شايعة في المحاورات بين الناس ، و هذا أظهر الوجوه ، و من قرء تحلّلت بصيغة المتكلّم فهو تصحيف إذ لم أجده في اللّغة متعدّياً .

الثاني : أن يكون المراد بتحلّل العقد سكون غضبه على المخالفين كما مرّ في القاموس .

• • • • • • • • •

الثالث : ما ذكره الكشّي بعد ايراد هذه الرّواية ، حيث قال : و أصحاب زرارة يقولون رجعت عن هذا الكلام و تحلّلت عنك عقد الايمان ، انتهى .

و لعلّ المراد بأصحاب زرارة القائلون بهذا القول الذى كان زرارة عليه أو لاً فانّهم لمّا لم يرجعوا عن هذا القول ظنّوا أنّ الامام عليه السلام كان يصوّب رأي زرارة باطناً ويتكلّم معه ظاهراً للتقيّة ، فأخبر بأنّه يرجع بعد كبره عن هذا القول، ويرجع بذلك من الايمان ، أو يضعف ايمانه ولا يخفى ركاكة هذا التأويل إلاّ أن يكون مرادهم تحلّل العقد في مسئلة الايمان ، فيرجع إلى ما ذكرنا أولا .

الرابع : ما قيل : انّ المعنى رجعت عن هذا القول الباطل و تحلّلت عنك هذه القلادة أو هذا الرأى .

الخامس : رجعت عن دين الحقّ و تحلّلت عنك هذا العهد و البيعة .

وأقول : لايخفى إشتمال هذا الخبر على قدح عظيم لزرارة ، ولم يجعله وأمثاله الأصحاب قادحة فيه ، لاجماع العصابة على عدالته و جلالته و فضله و ثقته ، و ورد الأخبار الكثيرة في فضله و علوّ شأنه ، والحقّ أن علوّ شأن هؤلاء الأجلاء وكثرة حاسديهم صار سبباً للقدح فيهم، و أيضاً قدحوا فيهذه الرواية بالارسال ، وبمحمّد ابن عيسى اليقطيني ، و إن كان له مدح و توثيق من بعض الأصحاب ، فانّه جزم السيّد الجليل ابن طاووس بضعفه ، و الصّدوق محمّد بن بابويه وشيخه ابن الوليد ، وقال الشهيد الثانى قدّس سرّه : فقد ظهر إشتراك جميع الأخبار القادحة في إستنادها الى محمّد بن عيسى و هو قرينة عظيمة على ميل و إنحراف منه على زرارة مضافاً إلى ضعفه في نفسه ، و قال السيّد جمال الدّين بن طاووس ونعم ماقال : ولقد أكثر محمّد بن عيسى من القول في زرارة حتّى لوكان بمقام عدالة كادت الظّنون تسرع إليه بالتّهمة فكيف و هو مقدوح فيه .

﴿ باب المستضعف ﴾

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن بعض أصحابه ، عن زرارة قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن المستضعف فقال : هو الّذي لايهتدي حيلة إلى

باب المستضعف

الحديث الاول : مرسل .

«عن المستضعف» كأنّه سأل عن المستضعف الّذى استثناه الله عزّ وجلّ في قوله: « إنّ الّذين توفّيهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنّا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنّم وساءت مصيراً ، إلاّ المستضعفين من الرّجال والنساء والولدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم و كان الله عفوّاً غفوراً »[1] وقد مرّ تفسير الآية مجملا ، و قال بعض المفسّرين : توفّيهم ، إمّا ماض فيكون إخباراً عن حال قوم انقرضوا ، وكانوا قوماً من المسلمين فخرجوا في قوم من المشركين في قتال فقتلوا معهم ، و إمّا مستقبل بحذف إحدى التائين فيكون الوعيد عامّاً في كلّ من كان بهذه الصّفة «ظالمي أنفسهم» حال عن ضمير الموصول ، والظّلم قد يراد به الشرك والنفاق، فالمراد أنّهم ظالمون أنفسهم بنفاقهم و كفرهم و تركهم الهجرة وقد يراد به المعصية، فالمراد الّذين أسلموا في دار الكفر و بقوا هناك غير مهاجرين إلى دارالاسلام حين كانت الهجرة فريضة .

و ذكروا في خبر إنّ وجوهاً « الأوّل » قالوا فيم كنتم ، و العائد محذوف ، أى قالوا لهم فيم كنتم؟ أى في أىّ شيء كنتم من أمر دينكم والمراد التوبيخ بأنّكم لم تكونوا مؤمنين من الدّين في شيء .

---

(١) سورة النساء: ٩٧ .

الكفر فيكفر ولا يهتدي سبيلاً إلى الايمان ، لايستطيع أن يؤمن ولايستطيع أن يكفر ، فهم الصبيان ، ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان مرفوع عنهم القلم .

والثاني: « فأولئك » و يكون قالوا حالا من الملائكة بتقدير قد .

و الثالث : أنّ الخبر محذوف و هو هلكوا ، يفسّره فيم كنتم و هم أجابوا إعتذاراً بقولهم : كنّا مستضعفين في الأرض غير قادرين على إظهار شعائر الدّين والمهاجرة ، ثمّ الملائكة لم يقبلوا عنهم هذا العذر فبكتوهم بقولهم ألم تكن أرض الله واسعة ، و أرادوا أنّكم كنتم قادرين على المهاجرة ، ثمّ استثنى من الموصول المستضعفين في نفس الأمر و الاستثناء منقطع ، و في ذكر العفو و كلمة الاطماع وهي عسى تنبيه على أنّ أمر الهجرة خطير مضيّق لا توسعة فيه ، حتّى أنّ المضطرّ من حقّه أن يترقّب العفو ولا يأمن ، و ينبغي أن يغلق قلبه بها .

و لعلّ المراد بالولدان الأطفال و الصبيان ، كما في هذه الرواية و غيرها ، و إنّما ذكرهم مع أنّهم لم يبلغوا حدّ التكليف أصلا لأنّ السبب في سقوط التكليف هو العجز و أنّه حاصل فيهم ، فحسن استثناؤهم بهذا الوجه ، و قيل : المراد بهم المراهقون الّذين عقلوا مايعقل الرّجال والنساء ، حتّى يتوجّه التكليف فيما بينهم و بين الله ، و قيل : استثناؤهم للمبالغة في الأمر ، و الاشعار بأنّهم على صدد وجوب الهجرة فانّهم إذا بلغوا وقد روا عليها فلا محيص لهم منها ، و انّ قوّامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت ، و قال أرباب التأويل : الموصول هم الذين رفضوا الحقّ و اتّبعوا الباطل ، فظلموا أنفسهم فيقول الملائكة: فيم كنتم أى في أيّ غفلة كنتم تضيّعون أعماركم وتبطلون استعدادكم الفطريّ ؟ و في أيّ واد من أودية الهوى تهيمون ؟ فيقولون : كنّا مستضعفين عاجزين لاستيلاء النفس الامّارة ، وغلبة الهوى ، فيقول الملائكة : ألم تكن أرض الله ، أى أرض القلوب واسعة فتمرّ بوا عن مضيق ما كنتم فيه .

. . . .

ثمّ استثنى ضعفاء العقول الّذين رفع عنهم قلم التكليف بالمعارف وهم الّذين لا يستطيعون حيلة في الخروج عن الدّنيا لضعف الرأى ولا يهتدون سبيلا إلى صاحب الولاية .

قيل : و قول الباقر عليه السلام في تفسير المستضعف يمكن تطبيقه على تفسير الآية الكريمة ، وعلى تأويلها ، و إنّما قال عليه السلام في الكفر حيلة و في الايمان سبيلا للتنبيه على أنّه لا سبيل إلى الكفر ، ولا دليل عليه ، ولو فرض شيء يفضي إليه فانّما هو حيلة نفسانيّة و شبهة شيطانيّة ، و قال في الخبر الآخر : لا يستطيع حيلة إلى الايمان للاشعار بأنّ الحيلة كافية للخروج من الكفر إلى الايمان ، أو لارادة السّبيل بها مجازاً لاشتراكهما في الافضاء و الايصال .

و أقول : الحاصل أنّهم لضعف عقولهم و قلّة فطانتهم لم تعرض لهم شبهة قويّة فيستقرّوا في الكفر والجحود ، ولاداع قوىّ من الأغراض الدنيويّة فجحدوا الحقّ لذلك ، و احتالوا في إبطال الدّين و براهين الانبياء بالقاء الشكوك و الشبه ، و ليس لهم قدرة على فهم الحق و دلائله فيرسخوا في الدين فهم لذلك معذورون في الجملة ، و يحتمل نجاتهم لذلك .

وأمّا ذكر الصبّيان فقد عرفت في تفسير الآية توجيهه بوجوه ، و قيل : المراد بالصبيان الشباب في أوائل بلوغهم قبل كمال المعرفة ، و أقول : يمكن تفريع هذا الكلام على الخلاف في وقت وجوب المعرفة ، و أنّ وجوبها عقلىّ أو سمعىّ فمن قال أنّ وجوب المعرفة عقلىّ و أنّه يتعلّق بالمراهق قبل البلوغ ، فيمكن حمل الصبّي في تلك الأخبار على معناه المصطلح ، و من قال غير ذلك لابدّ من حمله على أوائل البلوغ مجازاً، قال الشهيد الثاني رفع الله درجته: إعلم أنّ المتكلّمين حدّدوا وقت التكليف بالمعرفة بالتمكّن من العلم بالمسائل الاصوليّة حيث قالوا في باب التكليف أنّ المكلّف يشترط كونه قادراً على ما كلّف به، إذ التكليف بدون ذلك محال ،

. . . .

و ظاهر أنّ هذا لا يتوقّف على تحقّق البلوغ الشرعيّ باحدى العلامات المذكورة في كتب الفروع ، بل قد يكون قبل ذلك بسنين أو بعده ، كذلك بحسب مراتب الادراك قوّة و ضعفاً .

و ذكر بعض فقهائنا أنّ وقت التكليف بالمعارف الالهيّة هو وقت التكليف بالأعمال الشرعيّة إلاّ أنّه يجب أوّلا بعد تحقّق البلوغ والعقل المسارعة إلى تحصيل المعارف قبل الاتيان بالأعمال .

أقول : هذا غير جيّد لأنّه يلزم منه أن يكون الاناث أكمل من الذكور ، لأنّ الانثى تخاطب بالعبادات عند كمال التسع ، إذا كانت عاقلة فتخاطب بالمعرفة أيضاً عند ذلك ، و الصبيّ لا يبلغ عند كمال التسع بالاحتلام ولا بالانبات على ما جرت به العادة ، فلا يخاطب بالمعرفة و إن كان مميزاً عاقلاً ، لعدم خطابه بالعبادات، فتكون أكمل منه إستعداداً للمعارف وهو بعيد عن مدارك العقل والنقل، و من ثمّ ذهب بعض العلماء إلى وجوب المعرفة على من بلغ عشراً عاقلا ، و نسب ذلك إلى الشيخ أبي جعفر الطوسي قدّس سرّه ، و أيضاً هذا لا يوافق ما هو الحقّ من أنّ معرفة الله تعالى واجبة عقلا لا سمعاً ، لأنّا لوقلنا أنّ المعرفة لا تجب إلاّ بعد تحقّق البلوغ الشرعيّ الذى هو مناط وجوب العبادات الشرعيّة لكنّا قد أوجبنا المعرفة بالشرع لابالعقل ، لأنّ البلوغ المذكور إنّما علم من الشرع وليس في العقل ما يدلّ على أنّ وجوب المعرفة إنّما يكون عند البلوغ المذكور ، فلو وجبت عنده لكان الوجوب معلوماً من الشرع لامن العقل .

لا يقال : العقل إنّما دلّ على وجوب المعرفة في الجملة دون تحديد وقته ، و الشرع إنّما دلّ على تحديد وقت الوجوب و هو غير الوجوب فلا يلزم كون الوجوب شرعيّاً .

لأنّا نقول : لا نسلّم أنّ في الشرع ما يدلّ على تحديد وقت وجوب المعرفة

• • • • • • • • • •

أيضاً بل إنّما دلّ على تحديد وقت العبادات فقط ، نعم دلّ الشرع على تقدّم المعرفة على العبادات في الجملة ، و هو أعمّ من تعيين وقت التقدّم فلا يدلّ عليه و أيضاً لا معنى لكون العقل يدلّ على وجوب المعرفة في الجملة من دون إطّلاعه على وقت الوجوب ، إذ لاريب أنّه يلزم من الحكم بوجوبها كونها واجبة في وقت الحكم.

و الحاصل أنّه لايمكن العلم بوجوبها إلّا بعد العلم بوقت وجوبها ، والوقت كما أنّه ظرف لها فهو ظرف للوجوب أيضاً ، و توضيحه أنّ العبد إذا لاحظ هذه النعم عليه ، و علم أنّ هناك منعماً أنعم بها عليه أوجب على نفسه شكره عليها في ذلك الوقت خوفاً أن يسلبه إيّاها لولم يشكره ، وحيث أنّه لم يعرفه بعد و يوجب على نفسه النظر في معرفته في ذلك الوقت ليمكنه شكره ، فقد علم أنّه يلزم من وجوب المعرفة بالعقل معرفة وقتها أيضاً ، نعم ما ذكروه إنّما يتمّ على مذهب الأشاعرة حيث أنّ وجوب المعرفة عندهم سمعيّ .

فان قلت : قوله صلّى الله عليه وآله : رفع القلم عن الصّبيّ حتّى يبلغ، فيه دلالة على تحديد وقت وجوب المعرفة بالبلوغ الشرعيّ لأنّ رفع القلم كناية عن رفع التكليف ، وعدم جريانه عليه إلى الغاية المذكورة ، فقبلها لا يكون مكلّفاً بشيء سواء كان قد عقل أم لا .

قلت: لا نسلّم دلالته على ذلك بل إن دلّ فانّما يدلّ على أنّ البلوغ الشرعيّ غاية لرفع التكليف مطلقا و إن كان عقليّاً فيبقى الدليل الدالّ على كون التكليف بالمعرفة عقليّاً سالماً عن المعارض ، فانّه يستلزم تحديد وقت وجوب المعرفة بكمال العقل ، كما تقدّمت الاشارة إليه .

و الحاصل أنّ عموم رفع القلم مخصّص بالدليل العقليّ ، وقد عرّف العقل الذى هو مناط التّكاليف الشرعيّة بأنّه قوّة للنفس بها تستعدّ للمعلوم و الادراكات ، و هو المعنيّ بقولهم غريزة يتبعها العلم بالضروريّات عند سلامة الآلات ، و هذا

• • • • • • • • • •

التفسير إختاره المحقّق الطّوسى (ره) و جماعة ، و الغريزة هي الطّبيعة الّتي جبل عليها الانسان ، و الآلات هي الحوّاس الظاهرة و الباطنة و إنّما اعتبر سلامتها لأنّ العلم إنّما يتبع العقل عند سلامتها ، ألاترى أن النّائم عاقل ولا علم له لتعطّل حواسّه .

و قيل: انّه ما يعرف به حسن الحسن و قبح القبيح ، و هذا التفسير إختاره القائلون بأنّ الحسن والقبح ذاتيّان للعقل ، و قيل : انّه العلم ببعض الضّروريّات المسمّى بالعقل بالملكة واختاره العلاّمة التفتازاني ، و قريب من هذا التفسير ماقيل أنّه العلم بوجوب الواجبات و استحالة المستحيلات في مجارى العادات ، انتهى .

ثمّ اعلم أنّ إطلاق الصّبيان يشمل صبيان الكفّار أيضاً، ولا ريب في أنّ أطفال المؤمنين ملحقة بآبائهم في الجنّة، وأمّا أولاد الكفّار فاختلف فيهم علماؤنا والمخالفون قال النووى في شرح صحيح مسلم: إختلف العلماء فيمن مات من أولاد المشركين ، فمنهم من يقول : هم تبع لآبائهم في النار ، و منهم من يتوقّف فيهم ، و الثالث و هو الصّحيح الّذي ذهب إليه المحقّقون أنّهم من أهل الجنّة ، و قال البغوى في شرح السّنة : أطفال المشركين لايحكم لهم بجنّة ولا نار ، بل أمرهم موكول إلى علم الله فيهم، كما أفتى به الرّسول صلى الله عليه وآله و جملة الأمر أنّ مرجع العباد في المعاد إلى ماسبق لهم في علم الله من السّعادة و الشقاوة .

و قيل : حكم أطفال المؤمنين و المشركين حكم آبائهم و هو المراد بقوله : الله أعلم بما كانوا عاملين ، يدلّ عليه ما روى مفسّراً عن عايشة أنّها قالت : قلت : يا رسول الله ذرارى المؤمنين ؟ قال : من آبائهم ، فقلت : يا رسول الله بلا عمل ؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين ، قلت : فذرارى المشركين ؟ قال : من آبائهم ، قلت : بلا عمل ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين ، و قال معمر عن قتادة عن الحسن أنّ سلمان قال : أولاد المشركين خدم أهل الجنّة، قال الحسن : أتعجبون أكرمهم الله و أكرمهم

به ، انتهى .

وذهب المتكلّمون منّا إلى أنّ أطفال الكفّار لا يدخلون النار فهم إمّا يدخلون الجنّة أو يسكنون الأعراف ، و ذهب أكثر المحدّثين منّا إلى مادلّت عليه الأخبار الصّحيحة من تكليفهم في القيامة بدخول النار المؤجّجة لهم ، قال المحقّق الطّوسي قدّس سرّه في التجريد : و تعذيب غير المكلّف قبيح و كلام نوح عليه السلام مجاز ، والخدمة ليست عقوبة له ، و التبعية في بعض الاحكام جايزة .

و قال العلاّمة الحلّي نوّر الله ضريحه في شرحه : ذهب بعض الحشويّة إلى أنّ الله تعالى يعذّب أطفال المشركين ، و يلزم الاشاعرة تجويزه و العدليّة كافّة على منعه ، و الدّليل عليه أنّه قبيح عقلا فلا يصدر منه تعالى .

إحتجّوا بوجوه : «الاوّل» قول نوح عليه السلام « ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً »[1] و الجواب أنّه مجاز ، و التقدير إنّهم يصيرون كذلك لا بآجال طفوليّتهم ، الثاني : قالوا إنّا نستخدمه لأجل كفر أبيه فقد فعلنا فيه ألماً و عقوبة ، فلا يكون قبيحاً ، والجواب أنّ الخدمة ليست عقوبة للطفل وليس كلّ ألم عقوبة فانّ الفصد و الحجامة ألمان ، و ليسا عقوبة ، نعم إستخدامه عقوبة لأبيه و إمتحان له يعوّض عليه كما يعوّض على أمراضه ، الثالث : قالوا إنّ حكم الطّفل يتبع حكم أبيه في الدفن و منع التوارث و الصّلاة عليه و منع التزويج ، و الجواب أنّ المنكر عقابه لأجل جرم أبيه ، و ليس بمنكر أن يتبع حكم أبيه في بعض الأشياء إذا لم يحصل له بها ألم و عقوبة ، ولا ألم له في منعه من الدّفن و التوارث و ترك الصّلاة عليه .

و أقول : رأيت في بعض كتب أصحابنا في تفسير قوله تعالى : « يطوف عليهم ولدان مخلّدون »[2] روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال : الولدان أولاد أهل الدّنيا

(١) سورة نوح : ٢٧ .

(٢) سورة الواقعة : ١٧ .

• • • • • • • • •

لم يكن لهم حسنات فيثابون عليها، ولا سيّئات فيعاقبون عليها، فأنزلوا هذه المنزلة، و عن النبيّ صلى الله عليه و آله أنّه سئل عن أطفال المشركين ؟ فقال : خدم أهل الجنّة على صورة الولدان، خلقوا لخدمة أهل الجنّة .

و روى الصدوق رضي الله عنه في كتاب الخصال بسند صحيح أو قريب منه عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة إحتجّ الله عزّ و جلّ على خمسة: على الطّفل و الّذى مات بين النبيّين ، و الذى أدرك النبيّ و هو لا يعقل ، و الأصمّ و الأبكم فكلّ واحد منهم يحتج على الله عزّ وجلّ ، قال : فيبعث الله إليهم رسولا فيؤجّج لهم ناراً فيقول لهم : ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها ، فمن و ثب فيها كانت عليه برداً و سلاماً ، و من عصى سيق إلى النار .

ثمّ قال الصّدوق (ره) : إنّ قوماً من أصحاب الكلام ينكرون ذلك و يقولون أنّه لا يجوز أن يكون في دار الجزاء التكليف ، و دار الجزاء للمؤمنين إنّما هى الجنّة و دار الجزاء للكافرين إنّما هى النار ، و إنّما يكون هذا التكليف من الله عزّ وجلّ في غير الجنّة و النار ، فلا يكون كلّفهم في دار الجزاء ، ثمّ يصيّرهم إلى الدّار التي يستحقّونها بطاعتهم أو معصيتهم فلا وجه لانكار ذلك ، ولا قوة إلاّ بالله .

و أقول : قدورد في بعض الأخبار أنّهم مع آبائهم في النار ، و كأنّها محمولة على التقيّة ، و في بعض الأخبار أنّ معنى قول رسول الله صلى الله عليه و آله الله أعلم بما كانوا عاملين أن كفّوا عنهم ولا تقولوا فيهم شيئاً ، و ردّوا علمهم إلى الله ، و هذا أحسن الأمور في هذا الباب ، و يكفينا القول بأنّ الله تعالى لا يظلمهم ولا يجور عليهم ولا يدخلهم النار بغير حجّة ، و ستأتي الأخبار في كتاب الجنائز و سنتكلّم فيه هناك أيضاً إنشاء الله تعالى . وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا الكبير في أبواب العدل .

٢ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : المستضعون « الّذين لايستطيعون حيلة ولايهتدون سبيلاً » قال: لايستطيعون حيلة إلى الايمان ولايكفرون، الصبيان وأشباه عقول الصبيان من الرّجال والنساء .

٣ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب عن زرارة قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن المستضعف ، فقال : هوالّذي لايستطيع حيلة يدفع بهاعنه الكفر ولايهتدي بها إلى سبيل الإيمان ، لايستطيع أن يؤمن ولايكفر قال : والصبيان ومن كان من الرجال والنساء على مثل عقول الصبيان .

٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّدبن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن عبدالله ابن جندب ، عن سفيان بن السمط البجلي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ماتقول في المستضعفين فقال لي شبيهاً بالفزع : فتركتم أحداً يكون مستضعفاً وأين المستضعفون؟

الحديث الثاني : حسن كالصحيح .

وقد مرّ الكلام فيه «و أشباه عقول الصبيان» أى أشباه الصبيان في العقول .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور معتبر عندى .

«يدفع بها عنه الكفر» أى شبه الكفر أو إحتماله فيصير شاكّاً «ولا يهتدى بها» الضمير للحيلة « ولا يكفر » بالنصب اى ولا أن يكفر .

الحديث الرابع : مجهول .

و بجيلة قبيلة من اليمن و النسبة إليها بفتحتين كالحنفيّ بالنسبة إلى بني حنيفة ، و بجلة مثال تمرة قبيلة أيضاً و النّسبة إليها على لفظها .

« شبيهاً بالفزع » بكسر الزاى أى الخائف المضطرب ، و كأنّ ذلك غيظاً و انكاراً على أهل الاذاعة من الشيعة ، فانّهم لتركهم التقيّة أفشوا هذا الامر حتّى عرف الناس كلّهم مذهب الشيعة حتّى الجوارى الباكرات المخدّرات مع عدم خروجهنّ من الخدور ، و النساء السّقايات اللّواتى ليس شأنهنّ تفحّص المذاهب ،

فوالله لقد مشى بأمركم هذا العواتق إلى العواتق في خدورهن وتحدث به السقايات في طريق المدينة .

٥ ـ عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيوب ، عن عمر بن أبان قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن المستضعفين فقال: هم أهل الولاية ، فقلت: أي ولاية ؟ فقال : أما إنها ليست بالولاية في الدين ولكنها الولاية في المناكحة

و السقايات بالياء جمع سقاءة بالهمزة ، وهذه الاذاعة صارت سبباً للضرر على الائمة و شيعتهم ولم ينفع لهداية الخلق ، و صارت سبباً لصيرورة المستضعفين نواصب غير معذورين « و تركتم » إستفهام للانكار ، و كذا أين .

ثم اعلم أن المستضعف عند أكثر الأصحاب من لا يعرف الامام ولا ينكره ، ولايوالي أحداً بعينه كما ذكره الشهيد قدس سره في الذكرى ، و حكى عن المفيد في الغرية أنه عرفه بأنه الذى يعرف بالولاء و يتوقف عن البراءة ، و قال ابن ادريس : هو من لا يعرف اختلاف الناس في المذاهب ، ولا يبغض أهل الحق على إعتقادهم ، وهذا أوفق بأخبار هذا الباب .

الحديث الخامس : صحيح .

«قال : هم أهل الولاية » لما كانت الولاية مجملة ، و كانت تحتمل ولاية أهل البيت عليهم السلام قال السائل: أى ولاية ؟ فقال عليه السلام أما إنها ليست بالولاية في الدين ، أى ولاية أئمة الحق ولو كانوا كذلك لكانوا مؤمنين ، أو المراد بالولاية في الدين الولاية التي تكون بين المؤمنين بسبب الاتحاد في الدين كما قال سبحانه : «المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض »[1] بل المراد أنهم قوم ليسوا بمتعصبين في مذهبهم ، ولا يبغضونكم بل ينا كحونكم و يوارثونكم و يخالطونكم ، أوالمعنى هم قوم يجوز لكم منا كحتهم و معاشرتهم يرثون منكم وترثون منهم، فيكون السؤال عن حكمهم

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .

والموارثة والمخالطة وهم ليسوا بالمؤمنين ولا بالكفّار ومنهم المرجون لأمرالله عزّوجلّ .

٦ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشّاء ، عن مثنّى ، عن إسماعيل الجعفي قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن الدّين الّذي لايسع العباد جهله ، فقال : الدّين واسع ولكنّ الخوارج ضيّقوا على أنفسهم من جهلهم ، قلت : جعلت فداك فاحدّثك بديني الّذي أنا عليه ؟ فقال : بلى ، فقلت : أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عندالله وأتولّاكم وأبرء من عدوّكم ومن ركب رقابكم وتأمّر عليكم وظلمكم حقّكم ، فقال : ما جهلت شيئاً . هو والله الّذي نحن

لا عن وصفهم و تعيينهم ، أو بيّن عليه السلام حكمهم ثمّ عرّفهم بأنّهم ليسوا بالمؤمنين إلى آخره ، و المرجون لأمر الله هنا أعمّ من المستضعفين ، و هذا معنى آخر غير ما مرّ .

الحديث السادس : ضعيف على المشهور معتبر .

« الدّين واسع » أي لا يتحقّق الخروج من دين الاسلام بقليل من العقائد و الأعمال كما هو مذهب الخوارج، حيث حكموا بكفر مرتكب المعاصي، وخاضوا في المسائل الدقيقة فجعلوها من أجزاء الايمان .

قوله : و الاقرار، كأنّ الواو بمعنى مع، أو اشهد بتأويل أن المصدريّة .

« و من ركب رقابكم » أي استولى عليكم و ظلمكم « و تأمّر عليكم » أي عدّ نفسه أميراً و حاكماً عليكم يقال أمّرته تأميراً فتأمّر « ما جهلت شيئاً » اى من الاصول الضروريّة «فهل سلم أحد» أى من عذاب الله أو الخلود في النار ، و أمّ ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وآله و هي من شهود فدك ، و روى الخاصّة و العامّة عن النبى صلى الله عليه وآله أنّها من أهل الجنّة ، قال في المغرب : الأيمن خلاف الأيسر و هو جانب اليمنى أو من فيه ، و به سمّي أمّ أيمن حاضنة النبى صلى الله عليه وآله أى حافظته ، و هو أخو

عليه ، قلت : فهل سلم أحدلايعرف هذا الأمر ؟ فقال : لا إلاّ المستضعفين ، قلت: من هم ؟ قال : نساؤكم وأولادكم ثمّ قال : أرأيت أمّ أيمن ؟ فإنّي أشهد أنّها من أهل الجنّة وما كانت تعرف ماأنتم عليه .

٧ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّدبن عيسى ، عن يونس ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : من عرف اختلاف النّاس فليس بمستضعف .

٨ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّدبن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن درّاج قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّي ربّما ذكرت هؤلاء المستضعفين فأقول نحن وهم في منازل الجنّة ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : لايفعل الله ذلك بكم أبداً .

اسامة بن زيد لأمّه ، انتهى .

«وماكانت تعرف ما أنتم عليه» اى إمامة ساير الائمّة عليهم السلام سوى أميرالمؤمنين عليه السلام و كانت معذورة في ذلك لعدم سماعها ذلك و عدم تمام الحجّة عليها ، فكذا المستضعف معذور لذلك أو صفات الائمّة و كمالهم ، أو لم تكن تعرف ذلك بالدّليل بل بالتقليد ، و أمّا أصل معرفة إمامة أميرالمؤمنين عليه السلام فعدم معرفتها ذلك بعيد جدّاً ، و كون أمّ أيمن إمرأة أخرى معروفة للمخاطب سوى الحاضنة فأبعد .

الحديث السابع : صحيح .

«من عرف إختلاف الناس» أى أصل الاختلاف فانّه يجب حينئذ طلب الحقّ عقلا و شرعاً ، أو المراد الفهم و الادراك لا مجرّد السّماع ، و لعلّه أظهر .

الحديث الثامن : صحيح أيضاً .

«انّي ربما ذكرت» أي نخاف أن يجعلنا الله بسبب ذنوبنا في درجة المستضعفين من المخالفين ، أو يشقّ علينا أنّهم مع كونهم مخالفين يدخلون الجنّة و يكونون معنا في منازلنا ، فقال عليه السلام: إن دخلوا الجنّة لم يكونوا في درجاتكم و منازلكم ، و الخبر الآتي يؤيّد الاول .

٩ ـ عنه ، عن عليّ بن الحسن التيمي ، عن أخويه محمّد وأحمد ابني الحسن ، عن عليّ بن يعقوب ، عن مروان بن مسلم ، عن أيّوب بن الحرّ قال : قال رجل لأبي عبدالله عليه السلام ونحن عنده : جعلت فداك ، إنّا نخاف أن ننزل بذنوبنا منازل المستضعفين ، قال: فقال : لا والله لايفعل الله ذلك بكم أبداً .

عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام مثله .

١٠ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير . عن أبي المغرا ، عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من عرف اختلاف النّاس فليس بمستضعف .

١١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن محمّد بن منصور الخزاعي ، عن عليّ بن سويد ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال :سألته عن الضعفاء ، فكتب إليّ : الضعيف من لم تُرفع إليه حجّة ولم يعرف الاختلاف ، فإذا عرف الاختلاف فليس بمستضعف .

١٢ ـ بعض أصحابنا ، عن عليّ بن الحسن ، عن عليّ بن حبيب الخثعمي ، عن أبي سارة إمام مسجد بني هلال ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس اليوم مستضعف أبلغ الرّجال الرّجال والنساء النساء .

الحديث التاسع : سنده الاوّل موثّق و الثاني حسن كالصحيح .

الحديث العاشر : حسن كالصحيح .

الحديث الحادي عشر : ضعيف على المشهور .

الحديث الثاني عشر : مجهول :

﴿باب﴾

﴿ المرجون لامر الله ﴾

١ ـ محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن موسى بن بكر عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ «وآخرون مرجون لأمر الله»(١) قال : قوم كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة وجعفر وأشباههما من المؤمنين ، ثمّ إنّهم

باب المرجون لامر الله

في القاموس : أرجأ الأمر أخّره و ترك الهمز لغة « و آخرون مرجون لأمر الله » مؤخّرون حتى ينزل الله فيهم ما يريد ، و منه سمّيت المرجئة و إذا لم تهمز فرجل مرجيّ بالتشديد و إذا همزت رجل مرجيء كمرجع ، وهم المرجئة بالهمز و المرجية بالياء مخفّفة لامشدّدة .

الحديث الاول : ضعيف كالموثق .

«فقتلوا مثل حمزة و جعفر» لعلّ ذكر ذلك للاشعار بأنّ هذه الأعمال الشنيعة صارت أسباباً لعدم إستقرار الايمان في قلوبهم ، و عدم توفيقهم للايمان الكامل ، أو هذا دليل على عدم رسوخ الايمان فيهم إمّا لأنّ من كانت شقاوته و تعصّبه بحيث اجترى على قتل أمثال هؤلاء معلوم أنّه لو آمن لم يكن ايمانه عن يقين كامل و إذعان قويّ أو لأنّ من كان الله فيه لطف لا يتركه حتّى يصدر منه مثل هذا العمل الشنيع ، ومن لم يكن لله معه لطف لا يوفّقه للايمان الكامل كما أنّا لا نجوّز صدور التوبة و الايمان عن قتلة الأنبياء و الأئمّة صلوات الله عليهم ، و هذا قريب من الوجه الأوّل و في غاية المتانة .

و قيل : لعلّ ذكر هذا القسم على سبيل التمثيل و يدلّ الخبر على أن قاتل حمزة لم تقبل توبته على الجزم و القطع ، والمشهور بين العامّة أنّه قبل توبته و أمره

---

(١) سورة التوبة : ١٠٧ .

دخلوا في الاسلام فوحّدوا الله وتركوا الشرك ولم يعرفوا الايمان بقلوبهم فيكونوا من المؤمنين فتجب لهم الجنّة ، ولم يكونوا على جحودهم فيكفروا فتجب لهم النّار فهم على تلك الحال إمّا يعذّبهم و إمّا يتوب عليهم .

٢ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليّ بن حسّان ، عن موسى ابن بكر الواسطي، عن رجل قال: قال أبوجعفر عليه السلام : المرجون قومٌ كانوا مشركين فقتلوا مثل حمزة و جعفر و أشباههما من المؤمنين ثمّ إنّهم بعد ذلك دخلوا في الاسلام فوحّدوا الله و تركوا الشرك ولم يكونوا يؤمنون فيكونوا من المؤمنين ولم يؤمنوا فتجب لهم الجنّة ولم يكفروا فتجب لهم النّار فهم على تلك الحال مرجون لأمر الله .

بالخروج عن المدينه ، و قال : لا أستطيع أن أرى قاتل عمّي ، ثمّ بقي حتى قتل مسيلمة الكذّاب .

الحديث الثاني : ضعيف ، و هو مثل الاوّل متناً .

و قيل : لعلّ المراد بالايمان الايمان المقتضي لدخول الجنّة كما يشعر به التفريع ، و هو الايمان الكامل المستقرّ الموجب للامن ، و بالكفر الجحود الموجب لدخول النار ، و على هذا يصدق المرجون على جميع الأقسام المذكورة سابقاً .

﴿باب﴾

﴿ اصحاب الاعراف ﴾

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن ابن بكير ؛ و عليُّ ابن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن رجل جميعاً ، عن زرارة قال : قال لي أبوجعفر عليه السلام : ما تقول في أصحاب الأعراف ؟ فقلت : ماهم إلّا مؤمنون أو كافرون إن دخلوا الجنّة فهم مؤمنون و إن دخلوا النّار فهم كافرون ، فقال : والله ما هم بمؤمنين ولا كافرين ولو كانوا مؤمنين دخلوا الجنّة كما دخلها المؤمنون ولو كانوا كافرين لدخلوا النّار كما دخلها الكافرون ولكنّهم قوم استوت حسناتهم وسيّئاتهم فقصرت بهم الأعمال و إنّهم لكما قال الله عزّ وجلّ ، فقلت : أمن أهل الجنّة هم أو من أهل النّار ؟ فقال : اُتركهم حيث تركهم الله، قلت: أفترجئهم؟ قال: نعم اُرجئهم كما أرجأهم الله إن شاء أدخلهم الجنّة برحمته و إن شاء ساقهم إلى النّار بذنوبهم ولم يظلمهم ، فقلت : هل يدخل الجنّة كافرٌ ؟ قال : لا ، قلت : هل يدخل النّار إلّا كافرٌ ؟ قال : فقال : لا إلّا أن يشاء الله ، يا زرارة إنّني أقول : ما شاء الله و أنت لا تقول ما شاء الله أما إنّك إن كبرت رجعت و تحلّلت [عنك] عقدك .

٢ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليِّ بن حسّان ، عن موسى ابن بكر ، عن رجل قال : قال أبوجعفر عليه السلام : الّذين خلطوا عملاً صالحاً و آخر سيّئاً فاُولئك قوم مؤمنون يحدثون في إيمانهم من الذُّنوب الّتي يعيبها المؤمنون و يكرهونها فاُولئك عسى الله أن يتوب عليهم .

باب اصحاب الاعراف

الحديث الاول : موثّق كالصّحيح ، و هو جزء من الحديث الثانى من باب الضّلال .

الحديث الثاني : ضعيف ، وهو تتمّة الحديث الثانى من الباب السّابق وذكره هنا يشعر بأنّ هذا الصّنف عند المصنّف من أهل الأعراف فهذه الاقسام عنده متداخلة .

﴿ باب ﴾

✿(في صنوف اهل الخلاف و ذكر القدرية و الخوارج و المرجئة)✿
✿(و اهل البلدان)✿

١ ـ محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن مروك بن عبيد ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لعن الله القدريّة ، لعن الله الخوارج ، لعن الله المرجئة ، لعن الله المرجئة قال : قلت : لعنت هؤلاء مرّة مرّة ولعنت هؤلاء مرّتين ؟ ! قال : إنّ هؤلاء

باب في صنوف اهل الخلاف

الحديث الاول : مرسل .

وقد عرفت أنّ القدريّة تطلق علىالجبريّة و على التفويضيّة و كأنّ المراد هنا الثاني ، قال عليّ بن ابراهيم في تفسيره : القدريّة المعتزلة ، و الردّ من القرآن عليهم كثير ، لأنّ المعتزلة قالوا : نحن نخلق أفعالنا و ليس لله فيها صنع ولا مشيّة ولا إرادة ، فيكون ما شاء إبليس ولا يكون ما شاء الله ، انتهى .

و المراد بالمرجئة الّذين يقولون الايمان محض العقائد ، و ليس للاعمال فيها مدخل أصلا ، ولا يضرّ مع الايمان معصية ، كما لاينفع مع الكفر طاعة ، ولا تفاوت في إيمان الناس ، قال صاحب الملل والنّحل : الارجاء على معنيين : أحدهما التأخير « قالوا أرجه و أخاه »[1] اى أمهله و أخّره ، و الثاني إعطاء الرّجاء ، أمّا إطلاق إسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الاوّل صحيح ، لأنّهم كانوا يؤخّرون العمل عن النيّة و العقد ، و أمّا المعنى الثاني فظاهر فانّهم كانوا يقولون لا يضرّ مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، و قيل : الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى الآخرة فلايقضى عليه بحكم في الدنيا من كونه من أهل الجنّة أو من أهل النار ، فعلى هذا المرجئة والوعيديّة فرقتان متقابلتان ، وقيل : الارجاء تأخير عليّ عليه السلام

---

(١) سورة الاعراف : ١١١ .

يقولون: إنّ قتلتنا مؤمنون فدماؤنا متلطّخة بثيابهم إلى يوم القيامة ، إنّ الله حكى عن قوم في كتابه : « لن نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النّار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالّذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين»[1] قال : كان بين القاتلين و القائلين خمسمائة عام فألزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا .

عن الدّرجة الاولى إلى الدرجة الرابعة، فعلى هذا المرجئة والشيعة فرقتان متقابلتان، و المرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج و مرجئة القدريّة ، و مرجئة الجبريّة ، و المرجئة الخالصة ، انتهى .

وقد مرّ بعض القول فيهم سابقاً . والمراد هنا ماذكرنا أوّلا فانّهم يحكمون بايمان من آمن بالله و رسوله و إن قتلوا الأئمّة و خيار المؤمنين ، فهم راضون بذلك ولا يبالون به ، و يحكمون بأنّ الله لا يعذّب هؤلاء بفعلهم ، و لذا سمّوا مرجئة لارجاء تعذيبهم على المعاصي ، ويمكن أن يكون المراد هنا مطلق المخالفين، فانّهم على أصولهم الفاسدة يصوّبون قتل من خرج على خلفاء الجور ، ولو كانوا من أئمّة الدّين و ذرّية سيّد المرسلين، فهم راضون بذلك، و ذكر الآية إستشهاد بانّ الراضي بالقتل و المصوّب له حكمه حكم القاتل في الشقاوة و العقوبة .

ثمّ اعلم أنّ ذكر الآية نقل بالمعنى ، و الآية في آل عمران هكذا : « الذين قالوا إنّ الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول »[1] و قال البيضاوي : هم كعب بن الأشرف و مالك و حيّي و فنحاص ووهب بن يهودا ، قالوا : إنّ الله أمرنا في التوراة و أوصانا بأن لا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بهذه المعجزة الخاصّة الّتي كانت لأنبياء بني اسرائيل، و هو أن يقرّب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماويّة فتأكله ، و هذا من مفترياتهم و أباطيلهم ، لأنّ أكل النار القربان لم يوجب الايمان إلاّ لكونه معجزة و ساير المعجزات شرع في ذلك « قل قد جاءكم» تكذيب و الزام بانّ رسلا جاء وهم بمثله قبله كزكريّا و يحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق ، و بما اقترحوه

---

(١) سورة آل عمران : ١٨٣ .

٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمّد بن حكيم و حمّاد ابن عثمان ، عن أبي مسروق قال : سألني أبوعبدالله عليه السلام عن أهل البصرة ماهم ؟ فقلت : مرجئة و قدريّة و حروريّة ، فقال : لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة الّتي لا تعبد الله على شيء .

٣ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن الحكم ، عن منصور بن يونس عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أهل الشّام شرٌّ من أهل

فقتلوهم ، فلوكان الموجب للتصديق هو الاتيان به و كان توقّفهم و امتناعهم عن الإيمان لأجله ، فما لهم لم يؤمنوا بمن جاءبه في معجزات أخر و اجترءوا على قتله.

الحديث الثاني : حسن .

وقد مرّ في باب الكفر ، و الملل جمع الملّة و هي الدّين ، و وصفها بالكفر والشرك وعدم العبادة وصف مجازيّ لأنّ هذه الأوصاف لصاحب الملل حقيقة نسبت إلى الملل الّتي هي سبب لاتّصاف صاحبها بها مبالغة في السّببيّة ، كما أنّ لعن تلك الملل مبالغة في لعن صاحبها أيضاً، فالمراد بلعنها طردها عن طريق الحقّ وساحة القبول و نيل الرّحمة و دخول الجنّة .

الحديث الثالث : موثق .

و يحتمل أن يكون هذا الكلام في زمن بني اميّة و أهل الشّام من بني اميّة و أتباعهم كانوا منافقين ، يظهرون الاسلام ، و يبطنون الكفر ، و المنافقون شرّ من الكفّار وهم في الدّرك الأسفل من النار ، وهم كانوا يسبّون أمير المؤمنين عليه السلام و هو الكفر بالله العظيم ، و النّصارى لم يكونوا يفعلون ذلك ، و يحتمل أن يكون هذا مبنيّاً على أنّ المخالفين غير المستضعفين مطلقا شرّ من ساير الكفّار كما يظهر من كثير من الأخبار ، و التفاوت بين أهل تلك البلدان باعتبار اختلاف رسوخهم في مذهبهم الباطل ، أو على أنّ أكثر المخالفين في تلك الأزمنة كانوا نواصب منحرفين عن أهل البيت عليهم السلام ، لا سيّما أهل تلك البلدان الثلاثة ، و إختلافهم في

الرُّوم و أهل المدينة شرٌّ من أهل مكّة و أهل مكّة يكفرون بالله جهرة .

٤ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي بصير ، عن أحدهما عليهما السلام قال : إنَّ أهل مكّة ليكفرون بالله جهرة و إنَّ أهل المدينة أخبث من أهل مكّة ، أخبث منهم سبعين ضعفاً .

٥ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيّوب ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي بكر الحضرمي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أهل الشّام شرٌّ أم [أهل] الروم؟ فقال : إنَّ الرُّوم كفروا ولم يعادونا و إنَّ أهل الشّام كفروا وعادونا .

٦ ـ عنه ، عن محمّد بن الحسين ، عن النضر بن شعيب، عن أبان بن عثمان ، عن

الشقاوة باعتبار اختلافهم في شدَّة النصب و ضعفه ، ولا ريب في أنَّ النواصب أخبث الكفّار و كفر أهل مكّة جهرة هو إظهارهم عداوة أهل البيت عليهم السلام ، وقد بقي بينهم إلى الآن ، و يعدّون يوم عاشورا عيداً لهم بل من أعظم أعيادهم لعنة الله عليهم وعلى أسلافهم الّذين أسّسوا ذلك لهم .

و قيل : إنّما نسب أهل مكّة إلى الكفر لأنّهم إذا عصوا أو عبدوا غير الله أو تولّوا غير أولياء الله فقد ألحدوا و أشركوا ، لقوله تعالى : « و من يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »[1] و روى في الصّحيح عن أبي عبدالله عليه السلام في تفسير هذه الآية قال : من عبد فيه غير الله أو تولّى فيه غير أولياء الله فهو ملحد بظلم، وعلى الله أن يذيقه من عذاب اليم .

الحديث الرابع : كالسابق .

الحديث الخامس : حسن .

الحديث السادس : مجهول .

و كون المراد بالمرجئة هنا مطلق المخالفين أنسب لجمعيّة الملل ، فانّهم

---

(١) سورة الحج : ٢٥ .

الفضيل بن يسار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لاتجالسوهم - يعني المرجئة - لعنهم الله و لعن [الله] مللهم المشركة الذين لا يعبدون الله على شيء من الأشياء - .

﴿ باب ﴾

✿(المؤلفة قلوبهم)✿

١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن موسى بن بكر ؛ و علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن رجل جميعاً ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : المؤلفة قلوبهم قوم وحدوا الله و خلعوا عبادة [من يعبد] من دون الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم أن محمداً رسول الله ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم و يعرفهم لكيما يعرفوا و يعلمهم .

الذين في مللهم كثرة « على شيء من الأشياء » اى على عبادة من العبادات أو على ملة من الملل .

باب المؤلفة قلوبهم

الحديث الاول : مرسل .

و قوله : أن محمداً ، متعلق بالمعرفة أى معرفة أن محمداً رسول الله ، و يمكن أن يكون هذا أحد أقسام المؤلفة ، و القسم الآخر أن يقروا بالرسالة و يشكوا في بعض ما جاء به كالولاية و قسمة الأموال و أمثال ذلك ، و يحتمل أن يكون هذا الخبر شاملاً للقسمين ، أى لم يقروا بالرسالة كما هو حقها إما بنفيها رأساً أو باثباتها مجملا ، و الشك في بعض ماجاء به النبي من عندالله ، فلاتنافي بين الأخبار .

« و يعرفهم » أى رسالته بالبراهين و المعجزات « لكيما يعرفوا » و يعلمهم شرايع الدين ، أو يعرفهم أصل الرسالة و يعلمهم أن ما أتى به هو من عندالله أوهو تأكيد ، وقد يقرء يعلمهم على بناء المعلوم أى والحال أنه يعلمهم و يعرفهم ، وقيل:

. . . .

الظاهر أنّ يعلمهم عطف على يعرفهم ، و أنّ الضمير فيهما راجع إلى المؤلّفة ، وأنّ قوله لكيما يعرفوا على صيغة المجهول علّة لهما ، و المقصود أنّ إعطائهم لأمرين أحدهما تأليف قلوبهم بالمال ليثبت إسلامهم ويستقرّ في قلوبهم ، و ثانيهما أن يعرفهم و يعلمهم بأعيانهم لأصحابه حتّى يعرفوهم بأنّهم من الذين لم يثبت ايمانهم في قلوبهم ، و أنّهم مؤلّفة ، ولا يخفى ما فيه .

واعلم أنّ المؤلّفة قلوبهم صنف من أصناف مستحقّي الزكاة قال تعالى : «إنّما الصّدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها و المؤلّفة قلوبهم»[1] و يظهر من هذه الأخبار أنّهم قوم أظهروا الاسلام ولم يستقرّوا فيه، فهم إمّا منافقون أو شكّاك جعل الله لهم حصّة من الزكاة والغنائم تأليفاً لقلوبهم ليستقرّوا في الدّين ويستعين بهم على جهاد المشركين ، قال ابن الاثير في النهاية : في حديث حنين : انّي أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألّفهم ، التألّف المداراة و الايناس ليثبتوا على الاسلام رغبة فيما يصل إليهم من المال ، انتهى .

و المشهور بين أصحابنا أنّهم كفّار يستمالون للجهاد ، وقال المفيد : المؤلّفة قسمان مُسلمون و مشركون ، و قال العلاّمة في القواعد : المؤلّفة قسمان كفّار يستمالون إلى الجهاد أو إلى الاسلام ، و مسلمون إمّا من ساداتهم لهم نظراء من المشركين إذا أعطوا رغب النظراء في الاسلام ، و إمّا سادات مطاعون ترجى بعطائهم قوّة إيمانهم ، و مساعدة قومهم في الجهاد ، و إمّا مُسلمون في الأطراف إذا أعطوا منعوا الكفّار من الدّخول ، و إمّا مُسلمون إذا اعطوا أخذوا الزكاة من ما نعيها، و قيل : المؤلّفة الكفّار خاصّة .

و نقل الشّهيد في الدّروس عن ابى الجنيد أنّه قال : المؤلّفة هم المنافقون ، و في مؤلّفة الاسلام قولان أقربها أنّهم يأخذون من سهم سبيل الله ، و قال بعض

---

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

٢ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن اُذينة ، عن زرارة عن أبي جعفر عليه‌السلام قال : سألته عن قول الله عزّوجلّ : « و المؤلّفة قلوبهم »[١] قال : هم قوم وحّدوا الله عزّوجلّ و خلعوا عبادة من يعبد من دون الله و شهدوا أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله وهم في ذلك شكّاك في بعض ماجاء به محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله فأمر الله عزّوجلّ نبيّه صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يتألّفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم و يثبتوا على دينهم الّذي دخلوا فيه و أقرّوا به .

و إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يوم حنين تألّف رؤساء العرب من قريش وسائر مضر ، منهم أبوسفيان بن حرب و عيينة بن حصين الفزاري و أشباههم من النّاس فغضبت الأنصار و اجتمعت إلى سعد بن عبادة فانطلق بهم إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله بالجعرانة

الأصحاب : للامام أن يتألّف هؤلاء إن شاء من سهم المؤلّفة ، و إن شاء من سهم المصالح ، و سيأتي تمام القول فيه في كتاب الزكاة إن شاء الله تعالى .

الحديث الثاني : حسن كالصحيح .

« وهم في ذلك » أي مع ذلك ، و قال في المصباح : حنين مصغّراً واد بين مكّة و الطائف ، و هو مذكّر منصرف ، وقد يؤنّث على معنى البقعة ، و قصّة حنين أنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فتح مكّة في رمضان سنة ثمان ، ثمّ خرج منها ـ وقد بقيت من شهر رمضان أيّام ـ لقتال هوازن وثقيف ، فسار إلى حنين ، فلمّا التقى الجمعان إنكشف المسلمون ، ثمّ أمدّهم الله بنصره فعطفوا و انهزم المشركون إلى أوطاس و غنم المسلمون أموالهم و أهليهم ثمّ منهم من سار على نخلة اليمامة ، و منهم من سلك الثنايا ، وتبعت خيل رسول الله من سلك نخلة ، ويقال انّه صلى‌الله‌عليه‌وآله أقام عليها يوماً وليلة ، ثمّ سار إلى أوطاس فاقتتلوا و انهزم المشركون إلى الطائف ، و غنم المسلمون منها أيضاً أموالهم و أولادهم ، ثمّ سار إلى الطائف فقاتلهم بقيّة شوّال ، فلمّا أهلّ ذوالقعدة رحل عنها راجعاً فنزل الجعرّانة و قسّم بها غنائم أوطاس و حنين ،

---

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

فقال : يا رسول الله أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : نعم ، فقال : إن كان هذا الأمر من هذه الأموال التي قسّمت بين قومك شيئاً أنزله الله رضينا و إن كان غير ذلك لم نرض ، قال زرارة : و سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا معشر الأنصار أكلّكم على قول سيّدكم سعد ؟ فقالوا : سيّدنا الله و رسوله ، ثمّ قالوا في الثالثة : نحن على مثل قوله و رأيه ، قال زرارة : فسمعت أباجعفر عليه السلام يقول : فحطّ الله نورهم . و فرض الله للمؤلّفة قلوبهم سهماً في القرآن .

٣ ـ عليّ ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن رجل ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : المؤلّفة قلوبهم لم يكونوا قطّ أكثر منهم اليوم .

و قيل : كانت ستّة آلاف سبي ، انتهى .

و مضر كزفر ابوقبيلة عظيمة ، قريش شعبة منها ، و في القاموس : الجعرانة وقد تكسر العين و تشدّد الراء ، و قال الشّافعي : التشديد خطأ موضع بين مكّة و الطّائف ، و في المصباح على سبعة أميال من مكّة ، و كان سبب غضب الأنصار أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فضّل بعض قريش عليهم في العطاء تأليفاً لقلوبهم «فحطّ الله نورهم» أي نور إيمانهم ، و جعل درجة إيمانهم نازلة ناقصة فصاروا بحيث قالوا في السّقيفة منّا أمير و منكم أمير ، و فرض للمؤلّفة قلوبهم سهماً في القرآن رغماً لهم أو دفعاً لاعتراضهم .

الحديث الثالث : مرسل .

و المراد بكثرتهم أنّ أصناف المسلمين لمّا كثروا و تضاعف أطماعهم و قلّ الدّيانون منهم ، كان هذا الصّنف الّذين كان يتألّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر لا أنّ حكم التأليف جار في هذا الزمان ، و يحتمل أن يكون المراد أنّ إمام الحقّ أيضاً بحسب قدرته و بسط يده يفعل ذلك بهم ، لأنّهم عليهم السلام كان يعطون بعض المخالفين و المستضعفين لتأليف قلوبهم و دفع الضّرر عنهم و عن شيعتهم ، و أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فالمعروف من سيرته أنّه لم يكن مأموراً بذلك ، بل كان يقسّم

٤ ـ عليٌّ ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن عبدالحميد ، عن إسحاق بن غالب قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : يا إسحاق كم ترى أهل هذه الآية : « إن اُعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون »[1] قال : ثمّ قال : هم

بالسّوية ، نعم كان يعطي الولايات بعض المنافقين كزيادبن أبيه و أمثاله بظاهر الاسلام، و يظهر من الأخبار أنّ القائم عليه السلام يسير بسيرة أميرالمؤمنين عليه السلام و يعمل بمرّ الحقّ ، فما ذكرنا أوّلاً أظهر .

و اعلم أنّ الأصحاب اختلفوا في بقاء سهم المؤلفة في زمن الغيبة ، و المشهور بينهم سقوطه ، قال العلاّمة في النهاية : لو فرضت الحاجة إلى المؤلّفة في يومنا بأن ينزل بالمسلمين نازلة و احتاجوا إلى الاستعانة بالكفّار ، فالاقوى عندی جواز صرف السّهم إليهم ، و فيه ردّ على بعض العامّة ، حيث قال : سهم المؤلّفة لتكثير سواد الاسلام فلمّا أعزّه الله و كثر أهله سقط ، و لذلك لمّا تولّى ابوبكر منع المؤلّفة لكثرة المسلمين و عدم الحاجة إليهم ، ولم يعلم أنّ إعطائهم ليس لمحض الجهاد بل قد يكون لرسوخهم في الاسلام ، أو لرغبة نظرائهم أو غير ذلك كما مرّ .

الحديث الرابع : حسن كالموثق .

« إن أعطوا منها رضوا » قيل : لمّا قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله غنائم حنين و ألّف قلوب المؤلّفة بتوفير العطاء عليهم قال بعض المنافقين : اعدل يا رسول‌الله، قال : ويلك إن لم أعدل فمن يعدل ؟ فنزل قوله تعالى « و منهم من يلمزك في الصّدقات إن أعطوا » الآية أي منهم من يعيبك و ينسبك إلى الجور في تقسيمها ، وقد أشار عليه السلام إلى أنّ المعترضين على الامام لوملك الأرض و قسّم الغنائم على ما فرضه‌الله أكثر بكثير من المعترضين على النبيّ صلى الله عليه وآله ، أو المعنى أنّ هؤلاء لو كانوا في ذلك الزمان كانوا من المعترضين ، أوأنّ كلّ من تولّى قسمة حقّ من الحقوق يرى ذلك فيهم ، سواء كان من أئمّة الحقّ أو نوّابهم من علماء الدّين يجدون ذلك في أكثر الناس،

(١) سورة التوبة : ٥٨ .

أكثر من ثلثي الناس .

۵ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن عليٍّ بن حسّان ، عن موسى ابن بكر ، عن رجل قال : قال أبوجعفر عليه السلام : ما كانت المؤلّفة قلوبهم قطُّ أكثر منهم اليوم ، وهم قوم وحّدوا الله و خرجوا من الشرك ولم تدخل معرفة محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله قلوبهم وما جاء به فتألّفهم رسول الله صلى الله عليه وآله و تألّفهم المؤمنون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لكيما يعرفوا .

﴿ باب ﴾

﴿ في ذكر المنافقين و الضلال و ابليس في الدعوة ﴾

۱ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل قال : كان الطيّار يقول لي: إبليس ليس من الملائكة وإنّما اُمرت الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال إبليس : لا أسجد ، فما لابليس يعصي حين لم يسجد و ليس هو من الملائكة ؟ قال

ولا يخفى ذلك على من تصدّى بشيء من ذلك .

الحديث الخامس : ضعيف .

و ظاهره بقاء سهم المؤلّفة في ساير الأزمنة ، و إن احتمل أن يكون المراد بالمؤمنين الأئمّة عليهم السلام ، ولا يبعد شموله لنوّابهم عليهم السلام في زمن الغيبة ، بناءاً على التعليل الوارد في تلك الأخبار ، فانّه غير ما ذكره الأصحاب والله يعلم .

باب في ذكر المنافقين و الضلال و ابليس في الدعوة

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

« و إنّما أمرت الملائكة » الحصر ممنوع و إنّما يتمّ لو قال الله تعالى : يا ملائكتي اسجدوا أو نحو ذلك، و ذلك غير معلوم لجواز أن يكون الخطاب اسجدوا مخاطباً لهم مشافهة بدون ذكر الملائكة ، نعم في قوله تعالى : «و إذ قلنا للملائكة» تجوّز لما ذكره عليه السلام أو تغليب ، والمنافقون هم المقرّون بالنبيّ ظاهراً والمنكرون

فدخلت أنا و هو على أبي‌عبدالله عليه السلام قال : فأحسن والله في المسألة ، فقال : جعلت فداك أرأيت ماندب الله عزّوجلّ إليه المؤمنين من قوله : « يا أيّها الّذين آمنوا » أدخل في ذلك المنافقون معهم ؟ قال : نعم والضلاّل و كلّ من أقرّ بالدّعوة الظاهرة و كان إبليس ممّن أقرّ بالدّعوة الظاهرة معهم .

له باطناً ، و الضلاّل هم المقرّون به ظاهراً و باطناً إلاّ أنّهم أخطأوا سبيل الحقّ ولم يعرفوا الحجّة ، فضلّوا .

إذا عرفت هذا فنقول : لمّا علم الطيّار أنّ المنافقين غير مؤمنين حقيقة لعدم اتّصافهم بالايمان و هو الاقرار باطناً ، و كذا ابليس لم‌يكن من الملائكة و إن شاركهم في الصّورة الظاهرة و المخالطة و الكون معهم ، أحسن في المسئلة و استفهم عن دخولهم في خطاب المؤمنين وعدمه ليجعله ذريعة إلى ما هو مقصوده ، ولم يكن موهماً للاعتراض على الله تعالى ، أو إن أجاب عليه السلام بعدم الدّخول كانت شبهته أقوى ، والأوّل أقرب إلى الأدب ، فأجاب عليه السلام بأنّهم داخلون في خطاب المؤمنين باعتبار أنّ المراد بالمؤمنين المؤمنون بحسب الظاهر .

ثمّ انّه عليه السلام لمّا علم بالاعجاز مقصوده من هذا السؤال صرّح به و بيّن أنّ إبليس كان داخلا في خطاب الملائكة ، باعتبار أنّ المراد بالملائكة من هو بصورتهم الظاهرة ، فيشمل إبليس لأنّه كان معهم و في صورتهم بحسب الظاهر ، و الحاصل أنّ الأمر بالسجود من الله تعالى إنّما توجّه إلى من كان ظاهراً من الملائكة و مخلوطاً بهم ، و إن لم‌يكن منهم ، و كان إبليس لاطاعته ظاهراً و إقراره بالدّعوة الظاهرة مخلوطاً معهم و معدوداً منهم ، كما أنّ المنافقين و إن لم يكونوا مؤمنين واقعاً شملهم خطاب المؤمنين لكونهم ظاهراً في عدادهم .

وأقول : إنّ المخالفين اختلفوا في كون إبليس من الملائكة أو الجنّ ، والمشهور بين أصحابنا الامامية كونه من الجنّ ، و ذهب الشيخ في التبيان إلى أنّه كان من

﴿ باب ﴾

☆(في قوله تعالى : و من الناس من يعبد الله على حرف)☆

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن اُذينه ، عن الفضيل و زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : « و من النّاس من يعبد الله على حرف فان أصابه خيرٌ اطمأنّ به و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدُّنيا و الآخرة »[1] قال زرارة : سألت عنها أباجعفر عليه السلام فقال : هؤلاء قومٌ عبدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله وشكّوا في محمّد صلى الله عليه وآله و ماجاء به فتكلّموا

الملائكة و ظاهر الآية و الأخبار المعتبرة كهذا الخبر هو الأوّل ، وقد بسطنا القول في ذلك في كتابنا الكبير .

باب في قوله تعالى : و من الناس من يعبد الله على حرف

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

« و من الناس من يعبد الله على حرف » في القاموس أي وجه واحد و هو أن يعبده على السرّاء والضّراء أو على شكّ أو على غير طمأنينة على أمره ، أي لايدخل في الدّين متمكّناً .

و قال البيضاوي : أي على طرف من الدّين لاثبات له فيه ، كالّذي يكون على طرف الجيش إن أحسّ بظفر قرّ و إلاّ فرّ ، روى أنّها نزلت في أعاريب قدموا إلى المدينة فكان أحدهم إذا صحّ بدنه و نتجت فرسه مهراً سرياً و ولدت امرأته غلاماً سويّاً و كثر ماله و ماشيته ، قال : ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلاّ خيراً و اطمأنّ ، و إن كان الأمر بخلافه قال : ما أصبت إلاّ شرّاً وانقلب .

و عن أبي سعيد أن يهوديّاً أسلم فأصابته مصائب فتشأم بالاسلام فأتى النبيّ

---

(١) سورة الحج : ١١ .

بالإسلام و شهدوا أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله و أقرّوا بالقرآن وهم في ذلك شاكّون في محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به و ليسوا شكّاكاً في الله قال الله عزّوجلّ : «و من النّاس من يعبدالله على حرف» يعني على شكّ في محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به «فإن أصابه خير » يعني عافية في نفسه و ماله و ولده «اطمأنّ به» و رضي به «وإن أصابته فتنة» يعني بلاء في جسده أو ماله تطيّر و كره المقام على الإقرار بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فرجع إلى الوقوف و الشّك ، فنصب العداوة لله و لرسوله و الجحود بالنّبيّ و ما جاء به .

٢ ـ محمّدبن يحيى ، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم ، عن موسى بن بكر، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألته عن قول الله عزّوجلّ : « و من النّاس من يعبد الله على حرف » قال : هم قوم وحّدوا الله و خلعوا عبادة من يعبد من دون الله فخرجوا من الشّرك ولم يعرفوا أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رسول‌الله ، فهم يعبدون الله على شكّ في محمّد صلى الله عليه وآله وسلم و ما جاء به ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قالوا : ننظر فإن كثرت

عليه السلام فقال : أقلني . فقال : إنّ الاسلام لا يقال ، فنزلت .

قوله : «وشهدوا» أي باللسان لا بالجنان بقرينة نسبة الشّك إليهم في موضعين، و قال الجوهري : تطيّرت من الشيء و بالشيء و الاسم منه الطيرة كالغيبة ، و هو ما يتشأم به من الفال « إلى الوقوف » اى على الكفر أو التوقّف في أمر الدّين .

الحديث الثاني : ضعيف كالموثّق و سنده الثاني مرسل .

والشكّاك بضمّ الشين وتشديد الكاف جمع شاك[1] «وقالوا ننظر» جعلوا حصول المعافاة و كثرة الأموال و الأولاد دليلا على صدق الرّسول و حقيّته لزعمهم أنّ كلّ ما يورث ذلك فهو مبارك و كلّ ما هو بخلافه فهو شوم ، ولم يعلموا أنّ نزول البلايا و المصائب على المؤمنين من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الدهر كان أكثر من نزولها على غيرهم ، و أنّ بناءه كأصل التكليف على الاختيار و الامتحان ، وقد

---

(١) كذا في النسخ و الظاهر ان هذا من تتمة ما ذكره في شرح الحديث الاول لان لفظ الشكاك موجود فيه دون الحديث الثاني .

أموالنا و عوفينا في أنفسنا و أولادنا علمنا أنّه صادق و أنّه رسول الله و إن كان غير ذلك نظرنا .

قال الله عزّوجلّ : « فإن أصابه خير اطمأنّ به » يعني عافية في الدُّنيا « و إن أصابته فتنة » يعني بلاء في نفسه [و ماله] « إنقلب على وجهه » إنقلب على شكّه إلى الشرك « خسر الدُّنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين * يدعو من دون الله مالا يضرّه و ما لا ينفعه » قال : ينقلب مشركاً ، يدعو غير الله و يعبد غيره ، فمنهم من يعرف و يدخل الايمان قلبه فيؤمن و يصدّق و يزول عن منزلته من الشكّ إلى الايمان ، و منهم من يثبت على شكّه ، ومنهم من ينقلب إلى الشرك .

عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن رجل ، عن زرارة مثله .

أشار إليه عزّوجلّ بقوله : « و لنبلونّكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصّابرين» إلى قوله: «وأولئك هم المهتدون»(١).

« إنقلب على وجهه » كأنّه عليه السلام فسّر الوجه بالحالة الّتي هو عليها أي رجع من حالة الشكّ إلى الشرك ، أو بسبب تلك الحالة إلى الشرك ، أو يكون بياناً لحاصل المعنى أي رجع إلى الجهة الّتي أتي منه، والحاصل أنّه ينتقل من شكّه في رسول الله بعد نزول البلايا إلى الشرك بالله .

« خسر الدّنيا و الآخرة » أمّا خسرانه في الدّنيا فلورود البلايا عليه و ذهاب عصمته ، وأمّا خسرانه في الآخرة فلحبوط عمله بالارتداد ، و ذلك هو الخسران المبين لخسرانه في منافع الدارين جميعاً « يدعو من دون الله مالا يضرّه و ما لا ينفعه » أي يعبد جماداً لا يضرّ بنفسه ولا ينفع « فمنهم من يعرف » قسّم عليه السلام من خرج عن الشرك و شكّ في محمّد صلى الله عليه وآله و ماجاء به على ثلاثة أقسام ، فمنهم من يعرف رسول الله صلى الله عليه وآله و يقرّ به ظاهراً و باطناً و يزول عنه الشكّ بمشاهدة الآيات و المعجزات و الهدايات الخاصّة ، و منهم من يثبت على شكّه فيه و يقيم عليه ، ومنهم من ينتقل

---

(١) سورة البقرة : ١٥٥ .

﴿ باب ﴾

☆[أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً أوضالا]☆

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن ابن اُذينة ، عن أبان بن أبي عيّاش ، عن سليم بن قيس قال : سمعت عليّاً صلوات الله عليه يقول ـ و أتاه رجل فقال له : ما أدنى مايكون به العبد مؤمناً و أدنى ما يكون به العبد كافراً و أدنى ما يكون به العبد ضالاً ؟ فقال له: قد سألت فافهم الجواب ـ : أمّا أدنى مايكون به العبد مؤمناً أن يعرّفه الله تبارك وتعالى نفسه فيقرّ له بالطاعة ، و يعرّفه نبيّه صلى الله عليه وآله فيقرّ له بالطّاعة ، و يعرّفه إمامه و حجّته في أرضه و شاهده على خلقه فيقرّ له بالطاعة ، قلت له : يا أمير المؤمنين وإن جهل

من الشّك إلى الشّرك .

باب نادر

و في بعض النسخ : باب أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً أوضالاً .

الحديث الاول : مختلف فيه معتبر عندي .

و مفعول يقول محذوف يدلّ عليه ، فقال له قد سألت، إلى آخر الكلام .

«أن يعرّفه الله تعالى نفسه» تعريف الربّ يتحقّق بما أظهر من آيات وجوده و قدرته و علمه و حكمته وساير صفاته الكماليّة و الفعليّة في الآفاق و الانفس ، و يتحقّق تعريف النبيّ بما خصّه من المعجزات البيّنات و الافعال الخارقة للعادات، و يتحقّق تعريف الحجّة بالنصوص النبويّة و العلوم الدّينية و المعجزات الجليّة و الكرامات العليّة ، و المراد بالاقرار الاقرار بالجنان أو الأعمّ منه و من الاقرار باللّسان ، و ظاهره أنّ الايمان هو التّصديق و الاذعان مع الاقرار الظاهري وقد مرّ أنّه يشترط فيه عدم فعل ما يتضمّن الانكار ، و أمّا إشتراط الأعمال الصّالحة

جميع الأشياء إلاّ ما وصفت ؟ قال : نعم إذا أمر أطاع و إذا نهي انتهى .

و أدنى ما يكون به العبد كافراً من زعم أنّ شيئاً نهىالله عنه أنّ الله أمر به و نصبه ديناً يتولّى عليه و يزعم أنّه يعبد الّذي أمره به و إنّما يعبد الشيطان .

و أدنى ما يكون به العبد ضالاًّ أن لا يعرف حجّةالله تبارك و تعالى و شاهده على عباده الّذي أمرالله عزّوجلّ بطاعته و فرض ولايته، قلت: يا أميرالمؤمنين صفهم لي فقال : الّذين قرنهم الله عزّوجلّ بنفسه و نبيّه فقال : « يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول و اُولي الأمر منكم»[1] قلت : يا أميرالمؤمنين جعلني الله فداك أوضح لي فقال : الّذين قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في آخر خطبته يوم قبضه الله

و ترك المعاصي فالمشهور أنّها شرط لكمال الايمان وقد مرّ الكلام فيه مفصّلا .

«من زعم» أي حال من زعم أنّ الله أمر به، ظاهره أنّ الابتداع في الدّين يوجب الكفر ، فلو كان في أصول الدّين أو متضمّناً لانكار بعض ضروريّاته فلا ريب فيه ، ومنه إنكار إمامة أحد من الأئمّة عليهم السلام ، وأمّا إذا كان في الفروع ولم يكن ضروريّاً للدّين فالكفر بالمعنى الّذي يطلق على أصحاب الكبائر « و يزعم أنّه يعبد الذى أمره به » أي يزعمه و هو الربّ تعالى و إلاّ فالآمر و المعبود واحد و هو الشيطان «أن لا يعرف حجةالله» عدم معرفة الحجة وإن كان أعمّ من الاعتقاد بعدم كونه حجّة و من عدم الاعتقاد مطلقا ، لكن المراد هنا هو الثّاني لأنّ الأوّل كفر ، و من قدّم الطاغوت على الحجّة فهو داخل في الاوّل ، و في الكلام السّابق إشعار به .

« أطيعوا الله » الخ حذف مفعول الاطاعة للدلالة على التعميم ، فوجب إطاعة أولى الامر في جميع الامور كما وجب إطاعةالله و إطاعة رسوله فيها ، فلا يجوز أن يراد بأولي الأمر السّلطان الجائر ، بل غير المعصوم مطلقا ، إذ لا يجوز إطاعته في أكثر الامور ، وقد مرّ تفصيله في باب ما نصّ الله و رسوله على الائمّة عليهم السلام .

---

(١) سورة المائدة : ٩٥ .

عزّ وجلّ إليه : إنّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي ما إن تمسّكتم بهما : كتاب الله و عترتي أهل بيتي ، فإنّ اللّطيف الخبير قد عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كهاتين ـ و جمع بين مسبّحتيه ـ ولا أقول كهاتين ـ وجمع بين المسبّحة و الوسطى ـ فتسبق إحداهما الاُخرى ، فتمسّكوا بهما لا تزلّوا ولا تضلّوا ولا تقدّموهم فتضلّوا .

«إنّي قد تركت فيكم أمرين» لو كان لهذه الأمّة متمسّك غيرهما لذكره ، و الحديث متّفق عليه بين الخاصّة و العامّة ، و عدم الافتراق باعتبار أنّ الكتاب يدلّ على إمامتهم ، وهم يشهدون بحقيّة الكتاب و بثبوته ، أو أنّ تمام القرآن لفظاً و تفسيره و تأويله معنى عندهم فهما لا يفترقان ، أوهما متساوقان في الشرف و الفضل و الحجيّة ، و كونهما وسيلة لنجاة الامّة ، أو أنّهما متّحدان حقيقة ، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام أنا كلام الله الناطق و سيأتي تحقيق ذلك في كتاب القرآن إنشاء الله .

و قيل : أى لن يفترقا في وجوب التمسّك والحجيّة فلو كان علي عليه السلام حجّة بعد الثلاث وقد كان القرآن حجّة بعد النبيّ بلافصل لزم الافتراق و أنّه باطل .

« ولا تقدّموهم » أى لا تتقدّموهم ، و الضمير للعترة وقد يقال أنّه من باب التفعيل و الضمير للغاصبين الثلاثة ، ولا يخفى بعده .

« باب »

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمّد ، عن المنقري ، عن سفيان ابن عيينة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنَّ بني اُميّة أطلقوا للنّاس تعليم الايمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي إذا حملوهم عليه لم يعرفوه .

باب

اى نادر

الحديث الاول : ضعيف .

«اطلقوا للناس» قال والد شيخنا البهائي قدّس سرّه : قيل : في معناه أنّ المراد أطلقوهم ولم يكلّفوهم تعليم الايمان ، و جعلوهم فارغين من ذلك لأنّهم لو حملوهم و كلّفوهم تعليم الايمان لما عرفوه، و ذلك إنّما هو أهل البيت عليهم السلام وهم أعداء أهل البيت، فكيف يكلّفون الناس تعليم شيء يكون سبباً لزوال دولتهم وحكمهم و زيادتهم بخلاف الشرك، ولا يخفى بعده ، بل الظّاهر أنّ المراد أنّهم لم يعلموهم ما يخرجهم من الاسلام من إنكار نصّ النبيّ و الخروج على أمير المؤمنين عليه السلام و سبّه و إظهار عداوة النبيّ و أهل بيته و غير ذلك ، لئلاّ يأبوا عنها إذا حملوهم عليها ، ولم يعرفوا أنّها شرك و كفر .

و بعبارة اخرى يعني أنّهم لحرصهم على إطاعة الناس إيّاهم اقتصروا لهم على تعريف الايمان ولا يعرّفوهم معنى الشرك لكي إذا حملوهم على إطاعتهم إيّاهم لم يعرفوا أنّها من الشرك فانّهم إذا عرفوا أنّ إطاعتهم شرك لم يطيعوهم .

﴿ باب ﴾

✿(ثبوت الايمان و هل يجوز ان ينقله الله)✿

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن حسين بن نعيم الصحّاف قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : لم يكون الرَّجل عندالله مؤمناً قد ثبت له الإيمان عنده ثمَّ ينقله الله بعد من الإيمان إلى الكفر ؟ قال : فقال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ هو العدل إنّما دعا العباد إلى الإيمان به لا إلى الكفر ولا يدعو أحداً إلى الكفر به ، فمن آمن بالله ثمَّ ثبت له الإيمان عندالله لم ينقله الله

باب ثبوت الايمان و هل يجوز ان ينقله الله

الحديث الاول : صحيح .

«لم ينقله الله» لعلَّ المراد أنَّ الله لم ينقله بل ينتقل هو بنفسه ، أو المعنى أنَّ ما ينقله الله يظهر أنّه لم يكن مؤمناً باطناً عندالله و تفصيله أنّه سأل عن سبب نقل ثابت الايمان منه إلى الكفر إلاّ أنّه نسب النقل إلى الله عزَّ وجلَّ مجازاً باعتبار خذلانه له وسلب لطفه و توفيقه منه ، أو عن سبب نقله عزَّ وجلَّ إيّاه حقيقة لزعمه أنَّ الكفر و الايمان من فعله عزَّ وجلَّ .

و الجواب على الأوَّل أنَّ الله عادل و من عدله أنّه دعا الناس إلى الايمان لا إلى الكفر ، فمن آمن به و ثبت إيمانه في علمه لم ينقله من الايمان إلى الكفر ، ولم يسلب عنه لطفه و توفيقه أبداً و هو يخرج من الدُّنيا مؤمناً ، وما قد يتّفق من نقل المؤمن إلى الكفر فانّما هو إذا كان الايمان مستودعاً غير ثابت .

و على الثاني أنّه تعالى عادل لا يجور ، ولو كان الايمان والكفر والنقل من الأوَّل إلى الثاني من فعله تعالى لزم الجور والظلم ، و إنّما فعله دعاء الناس إلى الايمان لا إلى الكفر و هدايتهم إلى منافع الأوَّل و مضارّ الثاني ، فمن آمن به و ثبت له

عزّ وجلّ [بعد ذلك] من الإيمان إلى الكفر، قلت له : فيكون الرّجل كافراً قد ثبت له الكفر عندالله ثمّ ينقله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان ؟ قال : فقال : إنّ الله

الايمان و استقرّ في قلبه لم ينقله إلى الكفر ، ولم يسلب عنه توفيقه .

«قلت له: فيكون الرّجل كافراً» يحتمل الخبر والاستفهام ، أمّا الاوّل فظاهر، وأمّا الثاني فلانّ السّائل لمّا علم بالجواب المذكور أنّ من ثبت إيمانه لم ينقله الله إلى الكفر بسلب التوفيق عنه ، سأل عن حال من ثبت كفره هل ينقله الله من الكفر إلى الايمان بهذا التوفيق واللّطف أم لا ؟ و إنطباق الجواب على الاوّل ظاهر، لاشعاره بأنّه ممّن هداه لعدم إبطاله الفطرة الاصليّة بالكلّية ، فلذلك تداركته العناية الالهيّة ، و أمّا إنطباقه على الثاني ففيه خفاء إذ لم يصرّح عليه السلام بما سأله عنه إلاّ أنّه أشار إلى تقرير قاعدة كليّة للتنبيه على أنّ المقصود الأهمّ هو معرفتها و التصديق بها .

و هي أنّ الله تعالى خلق الناس على نحو من الفطرة ، و هي كونهم قابلين للخير و الشرّ و هداهم إليها ببعث الرّسل ، وهم يدعونها إلى الايمان و إلى سبيل الخير، و ينهونهم عن سبيل الكفر و الشرّ ، فمنهم من هداه الله عزّ وجلّ بالهدايات الخاصّة لعدم إبطاله الفطرة الاصليّة و تفكّره في أنّه من أين جاء و إلى أين نزل ، و أيّ شيء يطلب منه ، و استماعه إلى نداء الحقّ ، فانّه عند ذلك يتلقّاه اللّطف والتوفيق والرّحمة ، كما قال عزّ وجلّ : «والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا»[1] .

و منهم من لم يهده الله عزّ وجلّ لابطاله فطرته و عدم تفكّره فيما ذكر و إعراضه عن سماع نداء الحقّ ، فيسلب عنه الرّحمة و اللّطف و التوفيق ، و هو المراد من عدم هدايته له .

وقد أشار عليه السلام بتقرير هذه المقدّمة إلى أنّ الواجب عليكم أن تعلموا و تصدّقوا بأنّ كلّ من آمن به فانّما آمن لاجل هدايته الخاصّة ، و كلّ من

(١) سورة العنكبوت : ٦٩ .

عزّ وجلّ خلق النّاس كلّهم على الفطرة الّتي فطرهم عليها ، لايعرفون إيماناً بشريعة ولا كفراً بجحود ، ثمّ بعث الله الرّسل تدعوا العباد إلى الإيمان به ، فمنهم من هدى الله و منهم من لم يهده الله .

لم يؤمن به فلفقد استحقاقه تلك الهداية كذا قيل .

و أقول : الظاهر أنّ كلام السّائل إستفهام، و حاصل الجواب أنّ الله تعالى خلق العباد على الفطرة قابلة للايمان ، و أتمّ على جميعهم الحجّة بارسال الرّسل و إقامة الحجج ، فليس لأحد منهم حجّة على الله في القيامة ولم يكن أحد منهم مجبوراً على الكفر لا بحسب الخلقة ولا من تقصير في الهداية ، و إقامة الحجّة ، لكن بعضهم استحقّ الهدايات الخاصّة منه تعالى، فصارت مؤيّدة لإيمانهم و بعضهم لم يستحقّ ذلك لسوء اختياره ، فمنعهم تلك الألطاف فكفروا ومع ذلك لم يكونوا مجبورين ولا مجبولين على الكفر ، و هذا معنى الأمر بين الأمرين كما عرفت مراراً .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله: فمنهم من هدى الله ، منهم من اهتدى بتلك الهداية العامّة ، و منهم من لم يهده الله أي لم يهتد بتلك الهداية ، وهذا أوفق بمسلك المتكلّمين ، و الأوّل أنسب بساير الاخبار والله أعلم بحقيقة الأسرار .

ثمّ اعلم أنّه اختلف أصحابنا في أنّه هل يمكن زوال الايمان بعد تحقّقه حقيقة أم لا ، قال الشهيد الثاني قدّس سرّه في رسالة حقايق الايمان : المؤمن بعد اتّصافه بالايمان الحقيقيّ في نفس الأمر هل يمكن أن يكفر أم لا ؟ ولا خلاف أنّه لا يمكن مادام الوصف ، و إنّما النّزاع في إمكان زواله بضدّ أو غيره ، فذهب أكثر الاصوليّين إلى جواز ذلك بل إلى وقوعه ، و ذلك لأنّ زوال الضدّ بطريان ضدّه أو مثله على القول بعدم اجتماع الامثال أمر ممكن ، لأنّه لايلزم من فرض وقوعه محال .

لا يقال : نمنع عدم لزوم المحال من فرض وقوعه و ذلك لأنّ زوال الضدّ

. . . .

بطريان الآخر يلزم منه الترجيح من غير مرجّح، بل ترجيح المرجوح لأنّ الضدّ الموجود راجح الوجود لوجوده، و المعدوم مرجوح فكيف يترجّح على الراجح و كلاهما محال؟ و كذا الحكم في الأمثال.

لأنّا نقول: المرجّح موجود وهو الفاعل المختار القادر على الايجاد والاعدام، حتّى في الحقائق الوجوديّة فكيف بالحقايق الاعتباريّة ولاريب أنّ الايمان والكفر حقيقتان اعتباريّتان للشارع، فاعتبر الاتّصاف بالايمان عندحصول عقائد مخصوصة، و انتفائه عند انتفائها، و كلاهما مقدوران للمعتقد، و ظاهر كثير من الآيات الكريمة دالّ عليه، كقوله تعالى: « إنّ الذين آمنوا ثمّ كفروا ثمّ ازدادوا كفراً »[1] و قوله تعالى: « يا أيّها الذين آمنوا لا تطيعوا الّذين كفروا يردّوكم بعد ايمانكم كافرين »[2].

و ذهب بعضهم إلى عدم جواز زوال الايمان الحقيقيّ بضدّ أو غيره، و نسب ذلك إلى السيّد المرتضى رضى الله عنه مستدلاً بأنّ ثواب الايمان دائم و الاحباط و الموافاة عنده باطلان.

أمّا الاحباط فلاستلزام أن يكون الجامع بين الاحسان و الاساءة بمنزلة من لم يفعلهما مع تساويهما، أو بمنزلة من لم يحسن إن زادت الاساءة و بمنزلة من لم يفعلهما مع تساويهما، أو بمنزلة من لم يحسن إن زادت الاساءة و بمنزلة من لم يسيء مع العكس، و اللاّزم بقسميه باطل قطعاً فالملزوم مثله.

و أمّا الموافاة فليست عندنا شرطاً في إستحقاق الثواب بالايمان لأنّ وجوه الأفعال و شروطها الّتي يستحقّ بها ما يستحقّ لا يجوز أن يكون منفصلة عنها ولا متأخّرة عن وقت حدوثها، والموافاة منفصلة عن وقت حدوث الايمان، فلايكون

---

(١) سورة النساء: ١٣٧.

(٢) كذا في النسخ و الايه في سورة آل عمران (١٠٠) هكذا: « ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم ... ».

. . . .

وجهاً ولا شرطاً في إستحقاق الثواب، لا يقال: الثواب إنما يستحقّه العبد على الفعل كما هو مذهب العدليّة ، والايمان ليس فعلا للعبد و إلاّ لما صحّ الشكر عليه ، لكن التالي باطل إذ الأمّة مجتمعة على وجوب شكر الله تعالى على نعمة الايمان، فيكون الايمان من فعل الله تعالى إذ لا يشكر على فعل غيره ، و إذا لم يكن من فعل العبد فلا يستحقّ عليه ثواباً فلا يتمّ دليله على أنّه لا يتعقّبه كفر لأنّ مبناه على استحقاق الثواب على الايمان ، لأنّا نقول : هو من فعل العبد ونلتزم عدم صحّة الشكر عليه، ونمنع بطلانه .

قولك في اثباته: الامّة مجتمعة «الخ» قلنا: الشكر إنّما هو على مقدّمات الايمان و هي تمكين العبد من فعله و إقداره عليه ، و توفيقه على تحصيل أسبابه ، و توفيق ذلك له لا على نفس الايمان الّذي هو فعل العبد ، فان ادّعى الاجماع على ذلك سلّمناه ولا يضرّنا ، و إن ادّعى الاجماع على غيره منعناه فلا ينفعهم .

و الاعتراض عليه رحمه الله من وجوه : « أحدها » توجّه المنع إلى المقدّمة القائلة بأنّ الموافاة ليست شرطاً في استحقاق الثواب و ما ذكره في إثباتها من أنّ وجوه الأفعال وشروطها الّتي يستحقّ بها ما يستحقّ لا يجوز أن يكون منفصلة عنها، و الموافاة منفصلة عن وقت الحدوث فلا يكون وجهاً، لا دلالة له على ذلك بل إن دلّ فانّما يدلّ على أنّ الموافاة ليست من وجوه الأفعال ، لكن لا يلزم من ذلك أن لا يكون شرطاً لاستحقاق الثواب ، فلم لا يجوز أن يكون استحقاق الثّواب مشروطاً بوجوه الأفعال مع الموافاة أيضاً ، لابدّ لنفي ذلك من دليل .

ثانيها : الآيات الكريمة الّتي مرّ بعضها فانّها تدلّ على إمكان عروض الكفر بعد الايمان ، بل بعضها على وقوعه ، و أجاب السيّد عن ذلك بأنّ المراد والله أعلم من وصفهم بالايمان الايمان اللّساني دون القلبيّ ، وقد وقع مثله كثيراً في القرآن

• • • • • • • • • •

العزيز ، كقوله تعالى : «آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم»[١] و حيث أمكن صحّة هذا الاطلاق ولو مجازاً سقط الاستدلال بها .

ثالثها : أنّ الشّارع جعل للمرتدّ أحكاماً خاصّة به لا يشاركه فيها الكافر الأصليّ كما هو مذكور في كتب الفروع و هذا أمر لا يمكن دفعه ، ولا مدخل للطعن فيه ، فانّ الكتاب العزيز و السّنة المطهّرة ناطقان بذلك ، و الاجماع واقع عليه كذلك ، ولا ريب أنّ الارتداد هو الكفر المتعقّب للايمان ، كمادلّ عليه قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فيمت و هوكافر»[٢] الآية، فقد دلّ على ما ذكرناه من أنّ المؤمن يمكن أن يكفر .

أقول : و للسيّد رحمه الله أن يجيب عن ذلك بأنّ ما ذكرناه إنّما يدلّ على أنّ من اتّصف في ظاهر الشرع بالارتداد فحكمه كذا و كذا ، ولا يدلّ على أنّه صار مرتدّاً بذلك في نفس الأمر ، فلعلّه كان كافراً في الاصل، وحكمنا بأنّه ظاهراً للاقرار بما يوجب الايمان مع بقائه على كفره عندالله تعالى ، و بفعله ما يوجب الارتداد ظاهراً حكمنا بارتداده ، أو كان مؤمناً في الأصل وهو باق على ايمانه عندالله تعالى، لكن لاقتحامه حرمات الشارع و تعدّيه هذه الحدود العظيمة جعل الشّارع الحكم بالارتداد عليه عقوبة له لتنحسم بذلك مادّة الاقتحام والتعدّي من المكلّفين فيتمّ نظام النواميس الالهيّة .

و أقول : الحقّ أنّ المعلومات الّتي يتحقّق الايمان بالعلم بها أمور متحقّقة ثابتة لاتقبل التغيّر والتبدّل، إذ لايخفى أنّ وحدة الصّانع تعالى و وجوده وأزليّته و أبديّته و علمه و قدرته و حياته إلى غير ذلك من الصفات أمور تستحيل تغيّرها، و كذا كونه تعالى عدلا لا يفعل قبيحاً ولا يخلّ بواجب ، و كذا النبوّة و المعاد ،

(١) كذا في النسخ و الاية في سورة المائدة (٤١) هكذا « قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم » .

(٢) سورة المائدة : ٥٤ .

. . . .

فاذا علمها الشخص على وجه اليقين و الثبات بحيث صار علمه بها كعلمه بوجود نفسه غير أنّ الأولى نظرىّ و الثانى بديهىّ لكن لمّا كان النظرىّ إنّما يصير يقينيّاً بانتهائه إلى البديهىّ ولم يبق فرق بين العلمين امتنع تغيّر ذلك العلم و تبدّله كما يمتنع تغيّر علمه بوجود نفسه .

و الحاصل أنّ العلم إذا انطبق على المعلوم الحقيقىّ الّذى لا يتغيّر أصلاً فمحال تغيّره ، و إلاّ لما كان منطبقاً ، فعلم أنّ ما يحصل لبعض النّاس تغيير عقيدة الايمان لم يكن بعد إتّصاف أنفسهم بما ذكرناه من العلم ، بل كان الحاصل لهم ظنّاً غالباً بتلك المعلومات لا العلم بها ، و الظنّ يمكن تبدّله و تغيّره و إن كان المظنون لا يمكن تبدّله لأنّ الانطباق غير حاصل ، و إلاّ لصار علماً .

إن قلت : يتصوّر زوال الايمان بصدور بعض الأفعال الموجبة للكفر كما تقدّم ، وإن بقى التصديق اليقينىّ بالمعارف المذكورة فقد صحّ أنّ المؤمن قد يكفر بعد إتّصافه بالايمان .

قلت : لا نسلّم إمكان صدور فعل يوجب الكفر ممّن اتّصف بالعلم المذكور ، بل صار ذلك الفعل ممتنعاً بالغير الذى هو العلم اليقينىّ و إن أمكن بالذات وحينئذ فصدور بعض الأفعال المذكورة إنّما كان لعدم حصول العلم المذكور ، و بالجملة فكلام علم الهدى و مذهبه هنا رضى الله عنه في غاية القوّة و المتانة بعد تدقيق النظر .

وقد ظهر ممّا حرّرناه أنّ القائلين بامكان زوال الايمان لعروض الكفر إن أرادوا به إمكان زوال العلم بالأمور المذكورة فظاهر أنّه ممتنع بالذّات ، كانقلاب الحقايق ، و إن أرادوا به إمكان إنتفاء الايمان لعروض شيء من الأفعال وإن بقى العلم فقد بيّنّا أنّه ممتنع بالغير ، فان أرادوا بالامكان على هذا التقدير الامكان الذاتىّ فلا نزاع لأحد فيه ، و إن أرادوا به عدم الامتناع ولو بالغير فقد بيّنّا منعه و امتناعه .

و بالجملة فظواهر كثير من الآيات الكريمة و السّنّة المطهّرة تدلّ على

• • • • • • • • •

إمكان طروّ الكفر على الايمان ، وعلى هذا بناء أحكام المرتدّين و هو مذهب أكثر المسلمين ، نعم في الاعتبار ما يدلّ على عدم جواز طروّه عليه كما أشرنا إليه إن جعلنا الايمان عبارة عن التصديق مع الاقرار أو حكمه ، لكن الأوّل هو الأرجح في النّفس ، إنتهى كلامه رفع الله مقامه .

و أقول: الحقّ أنّ الايمان إذا بلغ حدّ اليقين فلا يمكن زواله، ولكن بلوغه إلى هذا الحدّ نادر، و تكليف عامّة الخلق بها في حرج ، بل الظاهر أنّه يكفي في ايمان أكثر الخلق الظنّ القوىّ الّذى يطمئنّ به النفس، و زوال مثل ذلك ممكن، ودرجات الايمان كثيرة كما عرفت ، ففي بعضها يمكن الزوال و العود إلى الشّك ، بل إلى الانكار ، و هو ايمان المعاد ، و في بعضها لا يمكن الزوال لا بالقول ولا بالعقيدة ولا بالفعل ، و في بعضها يمكن الزوال بالقول و الفعل مع عدم زوال الاعتقاد كقوم من الكفرة كانوا يعتقدون صدق الرّسول صلى الله عليه وآله و كانوا يعاندون وينكرون أشدّ الانكار للاغراض الفاسدة و المطالب الدنيويّة كأبي جهل و أضرابه ، و كثير من الصّحابة رأوا نصب علىّ عليه السلام في يوم الغدير، وسمعوا النصّ عليه في ساير المواطن ، و غلبت عليهم الشقاوة و حبّ الدّنيا ، و أنكروا ذلك .

فلو قيل باشتراط الجزم في الايمان و عدم إمكان زوال اليقين فلا ريب في أنّه مشروط بعدم الانكار ظاهراً كما قال تعالى : «و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم»[1] فيمكن حصول الارتداد و زوال الايمان بالانكار الظاهرىّ أو فعل ماحكم الشّارع بحصول الكفر عنده كسجود الصّنم، وقتل النبيّ أوالامام وإلقاء المصحف في القاذورات و الاستخفاف بالمصحف أو الكعبة ، و أمثال ذلك .

---

(١) سورة النمل : ١٤ .

﴿ باب المعارين ﴾

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن أبي أيّوب ، عن محمّد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : سمعته يقول : إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً للايمان لازوال له، و خلق خلقاً للكفر لازوال له ، وخلق خلقاً بين ذلك

باب المعارين

الحديث الاول : صحيح .

«خلق خلقاً للايمان» قيل: اللاّم لام العاقبة أى خلق خلقاً عاقبتهم الايمان في العلم الأزلىّ لازوال لايمانهم وهم الأنبياء و الأوصياء والتابعون لهم من المؤمنين الثابتين على الايمان ، و خلق خلقاً عاقبتهم الكفر في علمه عزّ وجلّ ، و خلق خلقاً متردّدين بين الايمان والكفر، مستضعفين في علمه، فمن آمن منهم كان ايمانه مستودعاً فان يشأ الله أن يتمّ لهم بحسن إستعدادهم و إقبالهم إلى الله عزّ وجلّ أتمّه بفضله و توفيقه ، و جعله ثابتاً مستقرّاً فيهم و إن يشأ أن يسلبهم إيّاه لزوال استعدادهم الفطرىّ و فساد إستعدادهم الكسبىّ سلبهم و رفع عنهم توفيقهم ، و يفهم بالمقايسة حال من كفر منهم .

و أقول : من علم أنّهم يموتون على الايمان كان ينبغى أن يدخلهم في القسم الأوّل على هذا الوجه، ومن علم أنّهم يموتون على الكفر في القسم الثانى، بل الأحسن أن يقال: لمّا علم الله سبحانه إستعداداتهم و قابليّاتهم وما يؤول إليه أمرهم و مراتب ايمانهم و كفرهم ، فمن علم أنّهم يكونون راسخين في الايمان كاملين فيه و خلقهم فكأنّه خلقهم للايمان الكامل الراسخ ، و كذا الكفر ، و من علم أنّهم يكونون متزلزلين متردّدين بين الايمان و الكفر ، فكأنّه خلقهم كذلك فهم مستعدّون لايمان ضعيف ، فمنهم من يختم له بالايمان، ومنهم من يختم له بالكفر فهم المعارون،

و استودع بعضهم الايمان ، فإن يشأ أن يتمّه لهم أتمّه ، و إن يشأ أن يسلبهم إيّاه سلبهم و كان فلان منهم معاراً .

٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عن فضالة بن أيّوب والقاسم بن محمّد الجوهري ، عن كليب بن معاوية الأسدي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ العبد يصبح مؤمناً ويمسي كافراً ويصبح كافراً و يمسي مؤمناً و قومٌ يعارون الايمان ثمّ يسلبونه و يسمّون المعارين ، ثمّ قال : فلانٌ منهم .

٣ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حفص بن البختري

و الظّاهر أنّ المراد بفلان أبوالخطّاب و كنّى عنه بفلان لمصلحة ، فانّ أصحابه كانوا جماعة كثيرة كان يحتمل ترتّب مفسدة على التصريح باسمه .

و يحتمل أن يكون كناية عن ابن عبّاس فانّه قد إنحرف عن أميرالمؤمنين عليه السلام و ذهب بأموال البصرة إلى الحجاز ، و وقع بينه عليه السلام و بينه مكاتبات تدلّ على شقاوته و إرتداده كما ذكرته في الكتاب الكبير ، و التقيّة فيه أظهر ، لكن سيأتي التصريح بأبي الخطاب في خبر شلقان ، و على التقديرين « منهم » خبر كان ، و ضمير الجمع للمخلق بين ذلك ، و معاراً خبر بعد خبر ، و قيل : فلان كناية عن عثمان ، و الضمير للخلفاء الثلاثة ، و الظرف حال عن فلان ، و معاراً خبر كان ، ولا يخفى بعده لفظاً و معنى ، فانّ الثلاثة كانوا كفرة لم يؤمنوا قطّ .

الحديث الثاني : صحيح .

« ثمّ يسلبونه » يدلّ على أنّ السلب متعدّ إلى مفعولين بخلاف مايظهر من كتب اللّغة ، ويومي إليه أيضاً تمثيلهم لبدل الاشتمال بقولهم سلب زيد ثوبه، إذلو كان متعدّياً إلى مفعولين لما احتاج إلى البدليّة لكن لا عبرة بقولهم بعد وروده في كلام أفصح الفصحاء .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح .

و في المصباح البهمة ولد الضأن، يطلق على الذكر و الانثى والجمع بهم ، مثل

و غيره ، عن عيسى شلقان قال : كنت قاعداً فمرّ أبوالحسن موسى عليه السلام و معه بهمة قال : قلت: يا غلام ماترى ما يصنع أبوك ؟ يأمرنا بالشيء ثمّ ينهانا عنه ، أمرنا أن نتولّى أباالخطّاب ثمّ أمرنا أن نلعنه و نتبرّء منه ؟ فقال أبوالحسن عليه السلام وهو غلامٌ :

تمرة و تمر ، و جمع البهم بهام مثل سهم و سهام ، و تطلق البهام على أولاد الضأن و المعز إذا اجتمعت تغليباً ، فاذا انفردت قيل : لأولاد الضأن بهام و لأولاد المعز سخال ، و قال ابن فارس : البهم صغار الغنم ، و قال أبوزيد : يقال لأولاد الغنم ساعة تضعها الضأن أو المعز ، ذكراً كان الولد أو أنثى سخلة، ثمّ هي بهمة و الجمع بهم، و قال : الغلام الابن الصغير .

و أبوالخطّاب هو محمّد بن مقلاص الأسديّ الكوفي و كان في أوّل الحال ظاهراً من أجلاّء أصحاب الصادق عليه السلام ثمّ ارتدّ و ابتدع مذاهب باطلة ، و لعنه الصّادق عليه السلام و تبرّأ منه .

و روى الكشّي روايات كثيرة تدلّ على كفره ولعنه، فمنها مارواه عن الصّادق عليه السلام أنّه قال : اللهمّ العن أباالخطاب فانّه خوّفني قائماً و قاعداً و على فراشي ، اللهم أذقه حرّ الحديد .

و روى باسناده عن حنّان بن سدير قال : كنت جالساً عند أبي‌عبدالله عليه السلام و ميسر عنده فقال له ميسر : جعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم، قال : و من هم؟ قال: أبوالخطاب وأصحابه و كان متّكئاً فجلس فرفع إصبعيه إلى السّماء ثمّ قال : على أبي الخطّاب لعنة الله و الملائكة و الناس أجمعين ، فأشهد بالله أنّه كافر فاسق مشرك ، و أنّه يحشر مع فرعون في أشدّ العذاب غدوّاً و عشيّاً ثمّ قال : أما و الله إنّي لأنفس على أجساد أصبت معه .

و عنه عليه السلام قال: ترايا والله ابليس لأبي الخطاب على سور المدينة والمسجد و كأنّي أنظر إليه و هو يقول : أيهاً تظفر الآن، أيهاً تظفر الآن ، انتهى .

إنّ الله خلق خلقاً للإيمان لا زوال له و خلق خلقاً للكفر لا زوال له، وخلق خلقاً بين ذلك أعاره الإيمان يسمّون المعارين ، إذا شاء سلبهم و كان أبو الخطّاب ممّن أعير الإيمان . قال : قدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بما قلت لأبي الحسن عليه السلام و ما قال لي ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : إنّه نبعة نبوّة .

و روى أنّه كان يدعى ألوهيّة الصّادق عليه السلام و يدّعى أنّه نبيّ من قبله على أهل الكوفة ، و به يتأوّل قوله تعالى : « و هو الذى في السّماء إله و في الارض إله»[1] واختلف الأصحاب فيما رواه في حال إستقامته والأكثر على جواز العمل بها، وكأنّه متفرّع على المسئلة السّابقة فمن إدّعى جواز تحقّق الايمان وزواله يجوز العمل بروايته ، لأنّه حينئذ كان مؤمناً ومن زعم أنّه كاشف عن عدم كونه مومناً لايجوز العمل بها .

« أنّه نبعة نبوّة » أى عمله من ينبوع النبوّة أو هو غصن من شجرة النبوّة والرسالة، في القاموس : نبع الماء ينبع مثلّثة نبعاً ونبوعاً خرج من العين ، والنبع شجر للقسى و السّهام ينبت في قلّة الجبل .

و أقول : روى الكشّي بسند صحيح عن شلقان قال : قلت لأبي الحسن عليه السلام و هو يومئذ غلام قبل أوان بلوغه : جعلت فداك ما هذا الذى نسمع من أبيك أنّه أمرنا بولاية أبى الخطاب ثمّ أمرنا بالبراءة منه ؟ قال : فقال أبوالحسن عليه السلام من تلقاء نفسه : إنّ الله خلق الانبياء على النبوّة فلا يكونون إلاّ أنبياء ، و خلق المؤمنين على الايمان فلا يكونون إلاّ مؤمنين ، و استودع قوماً ايماناً فان شاء أتمّه و إن شاء سلبهم ايّاه و إنّ أباالخطاب كان ممّن أعاره الله الايمان ، فلمّا كذب على أبى ، سلبه الله الايمان ، قال : فعرضت هذا الكلام على أبى عبدالله عليه السلام قال : فقال : لو سألتنا عن ذلك ما كان يكون عندنا غير ما قال .

---

(۱) سورة الزخرف : ۸۴ .

٤ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن إسماعيل بن مرّار ، عن يونس ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي الحسن صلوات الله عليه قال: إنّ الله خلق النبيّين على النبوّة فلا يكونون إلاّ أنبياء وخلق المؤمنين على الإيمان فلا يكونون إلاّ مؤمنين، وأعار قوماً إيماناً ، فإن شاء تمّمه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه ، قال: وفيهم جرت : «فمستقرٌّ و مستودعٌ »[1] و قال لي : إنّ فلاناً كان مستودعاً إيمانه ، فلمّا كذب علينا سلب إيمانه ذلك .

٥ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن

الحديث الرابع : مجهول .

و قال تعالى : « و هو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقرٌّ و مستودع»[1]
قال البيضاوى : أى فلكم إستقرار في الأصلاب أوفوق الأرض، واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض ، أو موضع الاستقرار و الاستيداع ، و قرء ابن كثير و البصريّان بكسر القاف على أنّه إسم فاعل، والمستودع مفعول أى فمنكم قارٌّ ومنكم مستودع، لانّ الاستقرار منّا دون الاستيداع ، انتهى .

و لعلّ تأويله عليه السلام أنسب بالقراءة الأخيرة ، أى فمنكم ايمانه مستقرٌّ أى ثابت ، و بعضكم ايمانه مستودع ، أو بعضكم مستقرٌّ فيالايمان و بعضكم غير مستقرٌّ بل مستودع إسم مفعول أو إسم مكان ، و على القرائة الاولى إسم مكان ، أى بعضكم محلّ استقرار الايمان، و المستودع يحتمل الوجهين .

قوله : سلب ايمانه ، يحتمل بناء المفعول و الفاعل ، و على الثانى ذلك إشارة إلى الكذب .

الحديث الخامس : مجهول .

و في القاموس : جبلهم الله يجبل خلقهم، و على الشيء طبعه و جبره كأجبله،

---

(١) سورة الانعام : ٩٨ .

القاسم بن حبيب ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله جبل النبيّين على نبوّتهم، فلا يرتدّون أبداً، وجبل الأوصياء على وصاياهم فلا يرتدّون أبداً و جبل بعض المؤمنين على الإيمان فلا يرتدّون أبداً و منهم من اُعير الإيمان عارية ، فإذا هو دعا و ألحّ في الدُّعاء مات على الإيمان .

«فاذا هودعا»فيه حثّ على الدّعاءلحسن العاقبة وعدم الزيغ ، كماكان دأب الصّالحين قبلنا ، و فيه دلالة أيضاً على أنّ الايمان و السّلب مسبّبان عن فعل الانسان ، لأنّه يصير بذلك مستحقّاً للتوفيق و الخذلان .

و جملة القول في ذلك أنّ كلّ واحد من الايمان و الكفر قد يكون ثابتاً وقد يكون متزلزلا يزول بحدوث ضدّه لأنّ القلب إذا اشتدّ ضياؤه و كمل صفاؤه استقرّ الايمان و كلّ ماهو حقّ فيه، و اذا اشتدّت ظلمته و كملت كدورته استقرّ الكفر و كلّ ما هو باطل فيه ، و إذا كان بين ذلك باختلاط الضياء و الظّلمة فيه كان متردّداً بين الاقبال و الادبار ، و مذبذباً بين الايمان و الكفر ، فان غلب الاول دخل الايمان فيه من غير إستقرار ، وإن غلب الثاني دخل الكفر فيه كذلك، و ربّما يصير الغالب مغلوباً فيعود من الايمان إلى الكفر ، و من الكفر إلى الايمان فلابدّ للعبد من مراعاة قلبه فان رآه مقبلا إلى الله عزّوجلّ شكره و بذل جهده و طلب منه الزيادة لئلاّ يستدبر و ينقلب و يزيغ عن الحق ، كما ذكره سبحانه عن قوم صالحين : « ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب »[1] وإن رآه مدبراً زائغاً عن الحقّ تاب واستدرك ما فرّط فيه ، وتوكّل على الله و توسّل إليه بالدّعاء و التضرّع ، لتدركه العناية الربانيّة فتخرجه من الظلمات إلى النور ، و إن لم يفعل ربما سلّط عليه عدوّه الشيطان ، و استحقّ من ربّه الخذلان ، فيموت مسلوب الايمان كما قال سبحانه : « فلمّا أزاغوا أزاغ الله قلوبهم »[2] أعاذنا الله من ذلك و ساير أهل الايمان .

(١) سورة آل عمران : ٨ . (٢) سورة الصف : ٥ .

﴿ باب في علامة المعار ﴾

١ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن سنان ، عن المفضّل الجعفي قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ الحسرة والنّدامة و الويل كلّه لمن لم ينتفع بما أبصره ولم يدر ما الأمر الّذيهو عليه مقيم ، أنفعٌ له أم ضرٌّ ، قلت‌له: فبم يُعرف الناجي من

باب في علامة المعار

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« إنّ الحسرة و الندامة و الويل » الحسرة إسم من حسرت الشيء حسراً من باب تعب ، و هي التلهّف و التأسّف على فوات أمر مرغوب ، والندامة الحزن على شيء مكروه ، و الويل العذاب و واد في جهنّم ، يعني هذا كلّه لمن لم ينتفع بما أبصره ، وعلمه من العقائد و الأحكام والأعمال و الأخلاق و الآداب ، وعدم الانتفاع بها بأن لايعمل بمقتضى علمه بها «ولم يدر ما الأمر الذيهو عليه مقيم» من العقايد و الأحكام و الأعمال والأخلاق و الآداب و «أنفع» بصيغة المصدر أي نافع ، ويحتمل الماضي و كذا « أم ضرّ » يحتملهما و الأول أظهر فيهما ، و فيه حثّ على مراقبة النفس في جميع الحالات و محاسبتها في جميع الحركات و السكنات ، ليعلم ما ينفعها فيجلبها و يزيد منها و ما يضرّها فيجتنبها .

«فبم يعرف الناجي من هؤلاء» اي من يكون أمره آئلا إلى النجاة من المهالك و عقوبات الآخرة ؟ فقال : « من كان فعله لقوله موافقاً » اي لقوله الحقّ و هو ما يأمر الناس به من الخيرات و الطاعات و ترك المنكرات ، أو لما يدّعيه من الايمان بالله واليوم الآخر و الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام ، فانّ مقتضى ذلك العمل بما يأمره الله تعالى ، و يوجب الوصول إلى مثوباته و النجاة من عقوباته و متابعة أئمّة الدّين في أقوالهم و أفعالهم أو لما يدّعي لنفسه من الكمالات و ما نصب نفسه له من الحالات

هؤلاء جعلت فداك ؟ قال : من كان فعله لقوله موافقاً فأثبتت له الشّهادة بالنجاة ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنّما ذلك مستودع .

﴿ باب سهو القلب ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جعفر بن عثمان ، عن سماعة ، عن أبي بصير و غيره قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ القلب ليكون الساعة

و الدرجات أو الجميع .

«فأثبتت له الشهادة» على صيغة المجهول أي يشهدالله تعالى و ملائكته وحججه عليهم السلام و كلّ المؤمنين بأنّه من الناجين لاتّصافه بكمال الحكمة النظريّة لقوله الحقّ ، و كمال الحكمة العمليّة لعمله بأقواله الحقّة ، و في بعض النسخ «فأثبت»

« و من لم يكن فعله لقوله موافقاً » أي بأن يكون قوله حقّاً و فعله باطلا كما هو شأن أكثر الخلق « فانّما ذلك مستودع » إيمانه غير ثابت فيه ، فيحتمل أن يبقى على الحقّ و يثبت له الايمان و تحصل له النجاة ، و أن يزول عن الحقّ و يعود إلى الشقاوة ويستحقّ الويل و الحسرة و الندامة .

باب سهو القلب

الحديث الاول : مجهول أو حسن موثّق لاشتراك عثمان ، و سنده الثاني ضعيف .

« إنّ القلب ليكون » المشهور أنّ المراد بالقلب النفس الناطقة الانسانيّة الّتي هي محلّ الايمان و الكفر ، لا العضو الصنوبريّ المودع في الجانب الأيسر من الصّدر، و إنّما سمّيت بالقلب لتقلّب أحواله، أو لأنّ تعلّق النفس الانسانيّة ابتداءاً إنّما هو بالرّوح الحيوانيّ و هو البخار اللّطيف المنبعث من القلب الذى هو محلّ القوى الادراكيّة ، وقد مرّ بعض الكلام في تحقيق القلب في باب أنّ للقلب أذنين، و المراد بالسّاعة ساعة الغفلة عن الحقّ و الاشتغال بما سواه .

من الليل و النهار ما فيه كفرٌ ولا إيمان كالثوب الخلق ، قال : ثمّ قال لي : أما تجد ذلك من نفسك ؟ قال : ثمّ تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر و إيمان .

« ما فيه كفر و لا ايمان » أي ليس متذكّراً لشيء منهما ، أو في حال لا يمكن الحكم بكفره لكن ليس فيه الاقبال على الحقّ و التوجّه إلى عالم القدس ، قيل : و فيه إشعار بأنّ الكفر وجودي إذ لو كان عبارة عن عدم الايمان كما زعم لما انتفيا معاً و الخلق محرّكة البالي للمذكّر و المؤنّث ، و التشبيه إمّا للكثافة و الرثاثة و عدم الاعتناء بشأنه ، و إمّا لأنّه ليس باطلا بالمرّة ولا كاملا في الجملة ، أو لأنّه في معرض الانخراق و الفساد ولا طراوة ولا نضارة له ، و يمكن أن ينتفع به و يرجع إلى الثاني .

« أما تجد » إستفهام إنكاريّ و قيل : و ذلك إذا وسوس إليه الشيطان بأن قال له لعلّ ماتقول الزنادقة في انكار الصانع أو منكروا النبوّة أو الامامة في انكارهما حقّ و أمثال ذلك ، و ذلك محض تصوّر ، و إلاّ كان شركا .

و أقول : من تفكّر في تارات القلب و عرف حالاته علم أنّه أعمّ من ذلك و له شئون غريبة و حالات عجيبة في القرب و البعد من ربّه تعالى ، و في الشوق و التيقّظ و الغفلة و الكسل و الرغبة في الدنيا و الزهد فيها ، و مراتب حبّه تعالى والأشواق العارضة له ممّا يوجب قربه و بعده و غير ذلك ممّا يطول ذكره ، و قال في النهاية في حديث الجمعة : فاذا فيها نكتة سوداء أي أثر قليل كالنقطة شبه الوسخ في المرآة و السيف و نحوهما ، و في القاموس : النكت أن تضرب في الأرض بقضيب فتؤثّر فيها ، و النكتة بالضمّ النقطة و شبه الوسخ في المرآة ، انتهى .

و كون نكتة الايمان والكفر من الله سبحانه باعتبار توفيقه وخذلانه المسبّبان من سوء إختيار العبد و حسن إختياره ، وقيل : يحتمل أن يكون باعتبار أنّه و كلّ

عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن الحسين ، عن محمّد بن أبي عمير مثله .

٢ ـ محمّدُ بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن العبّاس بن معروف ، عن حمّاد بن عيسي ، عن الحسين بن المختار ، عن أبي بصير قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : يكون القلب ما فيه إيمان ولا كفر ، شبه المضغة أما يجد أحدكم ذلك .

٣ ـ محمّدبن يحيى، عن العمركي بن عليّ ، عن عليّ بن جعفر، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : إنّ الله خلق قلوب المؤمنين مطويّة مبهمة على الايمان فاذا أراد

على القلب ملكاً يهديه إلى الخير و شيطاناً يرشده إلى الشرّ كما مرّ ، و بهذا الاعتبار كان النكتتان منه تعالى ، و معنى مشيّته للايمان و الكفر المشيّة باعتبار الاقدارعليهمادون المشيّة على سبيل الاجبار ، فانّه تعالى لمّا جعل فيه آلة الكفر و آلة الايمان ، فقد شاء منه الكفر و الايمان لكن لابحيث يكون مجبوراً وتكون المشيّة مشيّة حتم .

الحديث الثاني : موثق .

و المضغة بالضمّ القطعة من اللحم قدر ما يمضغ .

الحديث الثالث : صحيح .

«خلق قلوب المؤمنين مطويّة» استعار الطيّ هنا لكمون الايمان فيها كناية عن إستعدادها لكمال الايمان و أنّه لا يعلم ذلك غير خالقها كالثوب المطويّ أو الكتاب المطويّ لايعلمما فيهما غير من طواهما ،وفي القاموس: الابهم الأعجم واستبهم عليه استعجم فلم يقدر على الكلام ، و أبهم الأمر اشتبه ، و المبهم كمكرم المغلق من الأبواب و الأصمت كالأبهم ، فالمراد بالمبهمة هنا المغلقة و المقفلة على التشبيه بالبيت ، فلا يعلم ما فيها إلاّ هو ، أو المعضلة الّتي لا يعلم حالها و وضعها إلاّ هو، من أبهم الأمر فهومبهم إذا لم يجعل عليه دليلا أو الخالصة الصحيحة التي ليس فيها شيء من العاهات و الأمراض ، و منه فرس بهيم و هو الّذي له لون واحد لا يخالطه

استثارة ما فيها نضحها بالحكمة ، و زرعها بالعلم ، و زارعها و القيّم عليها ربُّ العالمين .

اون سواه .

وقوله : على الايمان، متعلّق بمطويّة أو بمبهمة أو بهما على التنازع ، وقيل: حال عن القلوب أي خلقها كائنة على الايمان ، وفي ذكر المطويّة و المبهمة إشعار بأنّ ايمانها مغفول عنه ، و هو عبارة عن سهو القلب فلذا ذكره في هذا الباب، قيل: و لمّا كان الخلق تابعاً للعلم و كان علم الله عزّ وجلّ بالشيء قبل خلقه كعلمه به بعده ، وكان قلب المؤمن متّصفاً بالايمان باختياره إيّاه ، صدق أنّه تعالى خلقه على هذا الوصف ، فلا يلزم الجبر .

« فاذا أراد إستثارة ما فيها »[1] أي تهييجها و سطوع أنوار ما كان كامناً فيها ، و في بعض النسخ: استشارة ما فيها، بالشين ، تشبيهاً لما في قلوب المؤمنين بالعسل في رغبة النفوس الصّحيحة إليها ، في القاموس : الثور الهيجان و الوثب و السطوع ، و أثاره و ثوّره و استثاره غيره ، و قال : شار العسل شوراً استخرجه من الوقبة اى الموضع الذى اجتمع فيه كأشاره واشتاره واستشاره ، والنضح الرشّ و كأنّ المراد بالحكمة العلوم اللّدنيّة و الافاضات الربّانيّة، وبالعلم ما يكتسبه الانسان بالتفكّر والنظر و الأخذ من الكتاب و السنّة فأشار عليه السلام إلى أنّ الكسب والنظر لاينفع ولا يثمر بدون الافاضات السبحانيّة وأنّ الكسب أيضاً لايتمّ إلاّ بالتوفيقات الربانيّة فشبّه عليه السلام العلم بالبذر و الحكمة الّتى هى الافاضات الربانيّة بالمطر ، فمن يطرح البذر في الأرض لاينبت و لاينمو إلاّ بالمطر الذى هو من فضله تعالى ، و بعد ذلك الانبات من فعله سبحانه لامن فعل العبد ، كما قال عزّ وجلّ « أفرأيتم ما تحرثون ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون »[2] حيث نسب الحرث إليهم لكونه فعلا لهم ، و نسب

---

(١) و فى نسخة « استنارة ما فيها » بالنون .

(٢) سورة الواقعة : ٦٤ .

۴ ـ محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان، عن الحسين بن المختار عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن القلب ليرجج فيما بين الصدر والحنجرة

الزرع إلى ذاته المقدسة لكونه من فعله، و كذلك العلم لا يحصل إلا بافاضته و إصلاح أرض القلب عما يضر بالزرع ، من الشكوك و الشبه و الرغبات الدنية و الوساوس الشيطانية ، و أفاض عليها ماء الحكمة أثمر ما يوجب الحياة الأبدية في النشأة الباقية كما أن إنبات الزرع في الدنيا يوجب بقاء الأبدان في النشأة الفانية ، فكم بينهما من المباينة ، و يحتمل أن يكون المراد بالحكمة ما يجريه على لسان الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام بالوحي و الالهام ، كما قال تعالى : «و يعلمهم الكتاب والحكمة».

وقيل : الحكمة الدين الحق وعلى التقادير ظهر أن زارع القلوب ومحييها و القيم عليها و القائم بما يصلحها هو رب العالمين الذى بيده إيجاد العالم بأنواعه المختلفة و تربيتها و إخراج كل منها من حد النقص إلى ما يستحقه من الكمال، فظهر أنه تعالى مقلب القلوب والمتصرف فيها والحاكم عليها كما روى: قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان يقلبه كيف يشاء ، و ورد في الدعاء يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، بل هو عرشه و محل معرفته و محبته و مستقر عظمته و جلاله كما روى: قلب المؤمن عرش الرحمان، فلابد للعبد أن يتوسل بربه سبحانه في تصفية قلبه و تزكيته ، و يسعى في إخلائه عن محبة غيره ليصير محل معرفته سبحانه ومظهر أنواره ومهبط أسراره ، رزقنا الله و ساير المؤمنين ذلك بفضله ورحمته.

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور .

و في المصباح: رججت الشيء رجاً من باب قتل حركته فارتج هو، و ارتج البحر اضطرب ، و في القاموس : الرج التحريك و التحرك و الاهتزاز و الحبس والرجرجة الاضطراب كالارتجاج و الترجرج، والحنجرة الحلقوم ، يعني أن قلب من علم الله ايمانه يتحرك و يضطرب فيما بين الصدر و الحنجرة طلباً للحق حتى

حتّى يعقد على الإيمان فإذا عقد على الإيمان قرّ ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ « ومن يؤمن بالله يهد قلبه »[١] .

٥ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن ابن فضّال ، عن أبي جميلة عن محمّد الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ القلب ليتجلجل في الجوف يطلب الحقّ فإذا أصابه اطمأنّ و قرّ ثمّ تلا أبوعبدالله عليه السلام هذه الآية : « فمن

يعقد عليه أي يعتقده و يعقد قلبه عليه ، فاذا اعتقده و تيقّن سقط عنه الاضطراب واستقرّ لحصول مطلوبه و زوال الشكّ عنه ، و في المصباح: اعتقدت كذا عقدت عليه القلب و الضمير حتّى قيل : العقيدة ما يدين الانسان به ، و أمّا الاستشهاد بالآية فكأنّه كان في قرائتهم عليهم السلام يهدء قلبه بفتح الدال والهمز ورفع «قلبه» أو بفتح الدّال بغير همز بالقلب و الحذف ، وقد قرء بالأوّل في الشواذّ .

قال البيضاوي : يهد قلبه للثبات و الاسترجاع عند حلول المصيبة و قرء يُهدَ قلبه بالرفع على إقامته مقام الفاعل و بالنصب على طريق سفه نفسه ، و يهدأ بالهمز أي يسكن .

و قال الطبرسي : قرء عكرمة و عمرو بن دينار يهدأ قلبه أي يطمئنّ قلبه كما قال سبحانه : « و قلبه مطمئنّ بالايمان »[٢] انتهى .

و يؤيّده أنّه روى البرقي في المحاسن هذه الرّواية و زاد في آخره ، قال : يسكن و على القرائة المشهورة يمكن أن يكون المعنى أنّ من كان من شأنه أن يؤمن بالله يهدي الله قلبه للايمان و يرشده إليه و يوفّقه له فيستقرّ عليه .

الحديث الخامس : ضعيف .

«ليتجلجل» في القاموس التجلجل التحرّك و التضعضع، والجلجلة التحريك و شدّة الصّوت و في النهاية : الجلجلة حركة مع صوت « فمن يرد الله أن يهديه »

(١) سورة التغابن : ١١ .
(٢) سورة النحل : ١٠٦ .

يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ إلى قوله ـ كأنّما يصّعّد في السّماء »[1].

٦ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي المغرا ، عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إنّ القلب يكون في الساعة من اللّيل و النّهار ليس فيه إيمانٌ ولا كفرٌ ، أما تجد ذلك، ثمّ تكون بعد ذلك نكتة من الله في قلب عبده بما شاء إن شاء بإيمان و إن شاء بكفر .

٧ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن الحسن بن شمّون ، عن عبدالله بن عبدالرّحمن ، عن عبدالله بن القاسم ، عن يونس بن ظبيان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله خلق قلوب المؤمنين مبهمة على الإيمان فإذا أراد استنارة

أي يعرفه طريق الحقّ و يوفّقه للايمان «يشرح صدره للاسلام» فيتّسع له ويفسح فيه مجاله « و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقاً حرجاً » بحيث ينبو عن قبول الحقّ فلا يدخله الايمان « كأنّما يصّعّد في السماء » شبّهه مبالغة في ضيق الصّدر بمن يزاول مالا يقدر عليه ، فان الصّعود إلى السّماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة، انتهى.

وقد مرّ بعض القول في هداية الله و إضلاله ، و قيل : لعلّ المراد بالآية أنّ من يرد الله أن يهديه إلى الاسلام لعلمه أزلا باسلامه و حسن رعايته للفطرة الاصليّة يشرح صدره للاسلام و قبول أحكامه ، فيصرف زمام قلبه إليه باللّطف و التوفيق فاذا أصابه قرّ و اطمأنّ به « و من يرد أن يضلّه » بسبب اللطف و التوفيق لعلمه بأنّه لا يؤمن « يجعل صدره ضيّقاً » في قبول الايمان « حرجاً » في الاتّصاف به كأنّما يصّعّد إلى السماء ، و هو كناية عن شدّة قلبه و صعوبته و نهاية بعده و تأمّله في قبول الايمان و لوازمه .

الحديث السادس : صحيح .

وقد مرّ عن ابى بصير باختلاف يسير في المتن و السّند .

الحديث السابع : ضعيف ، وقد مرّ بسند آخر عن الكاظم عليه السلام .

---

(١) سورة الانعام : ١٢٥ .

ما فيها فتحها بالحكمة و زرعها بالعلم ، و زارعها و القيّم عليها ربّ العالمين .

﴿ باب ﴾

✿(في ظلمة قلب المنافق و ان اعطي اللسان ، و نور قلب المؤمن)✿
✿(و ان قصر به لسانه)✿

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن فضّال ، عن عليّ بن عقبة، عن عمرو ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لنا ذات يوم : تجد الرّجل لايخطيء بلام ولاواو خطيباً مصقعاً و لقلبه أشدّ ظلمة من اللّيل المظلم ، وتجد الرّجل لا يستطيع يعبّر عمّا في قلبه بلسانه و قلبه يزهر كما يزهر المصباح .

٢ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن أبيه ، عن هارون بن الجهم عن المفضّل ، عن سعد ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ القلوب أربعة : قلبٌ

باب في ظلمة قلب المنافق و ان اعطي اللسان و نور قلب المؤمن و ان قصر به لسانه

الحديث الاول : مجهول لاشتراك عمرو الظّاهر صحّته ، و المسقع كمنبر بالسّين والصّاد: البليغ أو العالي الصّوت ، أو من لايرتج عليه في كلامه ، ولا يتعتع ذكره الفيروزآبادي ويدلّ على أنّ حسن الظّاهر و طلاقة اللّسان و فصاحة البيان لا عبرة بها بدون تنوّر القلب و صفائه و استقامته ، و إنّما العبرة بصفاء الباطن و نورانيّته وإن لم يكن معه صفاء الظاهر، والله الناظر الرّقيب لاينظر إلى صوركم و أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم و نيّاتكم .

الحديث الثاني : مختلف فيه .

و الظّاهر أنّ المفضّل هو أبوجميلة لروايته عن سعد و هو ابن طريف « ان القلوب أربعة » قيل : وجه الحصر أنّ القلب إمّا متّصف بالايمان أولا ، و الأوّل إمّا متّصف بالايمان بجميع ماجاء به النبيّ أو ببعضه دون بعض ، و الاوّل قلب

فيه نفاق و إيمان ، و قلبٌ منكوس ، و قلبٌ مطبوع ، و قلبٌ أزهر أجرد - فقلت: ما الأزهر ؟ قال : فيه كهيئة السراج - فأمّا المطبوع فقلب المنافق و أمّا الأزهر

المؤمن و الثاني قلب فيه ايمان و نفاق ، و الثانيّ إمّا أن يصرّح بالايمان ظاهراً أولا ، و الاول قلب المنافق ، و الثاني قلب المشرك .

و أقول : يمكن أن يكون المراد هنا بالنفاق التزلزل في الايمان أو الرّياء أو عدم العمل بمقتضى الايمان، فيشمل إرادة المعاصي و الاصرار عليها ، و في النهاية الازهر الأبيض المستنير، و قال: الأجرد : الّذي ليس على بدنه شعر و فيه: القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السّراج يزهر أى ليس فيه غلّ ولا غشّ ، فهو على أصل الفطرة فنور الايمان فيه يزهر ، والقاموس : الأجرد فضاء لانبات فيه ، و يوم أجرد تامّ ، انتهى .

فشبّه عليه السلام قلب المؤمن بأرض صافية بيضاء قابلة لزرع الايمان و الحكمة و خالية عن شوك الشكوك و الشبهات و ذمائم الأخلاق، وقال فيه: كهيئة السّراج، الهيئة الحالة و الصّورة ، شبّه ما في القلب من نور الايمان والمعارف بنور السّراج للايضاح لأنّه أشهر و إن كان في المشبّه أكمل ، لأنّ بنور القلب يرى ما في عالم الملك و الملكوت ، و بنور السّراج يرى بعض ما حوله من المبصرات .

«فأمّا المطبوع فقلب المنافق» الطّبع الختم، و ختم القلب كناية عن منع الله عزّ وجلّ ألطافه الخاصّة لاعراضه عن الحقّ ، و إنّما نسب ذلك إلى قلب المنافق لأنّ عدم دخول الايمان فيه مع تعرّضه له باظهاره باللّسان إنّما هو لمانع و هو الطبع المسبّب عن إبطاله لاستعداده الفطري ، و في النهاية فيه : من ترك ثلاث جمع من غير عذر طبع الله على قلبه، أى ختم عليه و غشّاه ومنعه ألطافه، والطبع بالسّكون الختم و بالتحريك الدنس ، و أصله من الدّنس و الوسخ يغشيان السّيف ، يقال : طبع السّيف يطبع طبعاً ثمّ استعمل فيما يشبه ذلك من الاوزار و الآثام و غيرهما من القبايح .

فقلب المؤمن إن أعطاه شكر و إن إبتلاه صبر وأمّا المنكوس فقلب المشرك، ثمّ قرء هذه الآية : « أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أمّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم »[1] فأمّا القلب الّذي فيه إيمان و نفاق فهم قوم كانوا بالطائف فإن أدرك

« إن أعطاه شكر » ذكر من صفات المؤمن الصّبر والشكر لأنّهما من أمّهات صفات الكمال مستوعبان لجميع الأحوال وإنّما وصف قلب المشرك بالنكس لأنّه كالظرف المقلوب المكبوب لا يستقرّ فيه شيء ، وخصّه بالمشرك لأنّ قلب المنافق يمرّ فيه شيء من الحقّ والايمان ، ولا يعتقد به بخلاف قلب المشرك ، فانّه لا يمرّ فيه شيء من الحقّ ، ولا ينافي ذلك كون عقوبة المنافق أشدّ لأنّ إنكار الحقّ مع العلم به أشنع وأقبح .

وقيل : القلب المنكوس هوالقلب الناظر إلى الدّنيا المتوجّه إليهالأنّ الدنيا تحت الآخرة وأنّه لمّا صرف نظره وهمّته عن الدرجات العالية الّتي هي فوقه وقصر نظره وهمّه إلى الدنيا الدنيّة فكأنّه نكس وانقلب ، أوأنّه لمّا خلقه الله تعالى على الفطرة القويمة وهيّأ له أسباب الترقّي والطيران إلى الدرجات العالية فان توجّه إلى الشهوات البهيميّة وضيّع فطرته الأصليّة فقد تنزّل عمّا كان عليه وتوجّه إلى الجهة السفلى ، فصار منكوساً كالطير الذي يطير إلى جهة السفل .

والاستشهاد بالآية إمّا لمناسبة التشبيهات أو لأنّ المكبّ على وجهه يصير قلبه أيضاً منكوساً أو لأنّ المراد بالاكباب في الآية إكباب قلبه ، وقيل : الاستشهاد باعتبارأنّ المشرك يمشي مكبّاً على وجهه لكون قلبه مكبوباً مقلوباً ، والمؤمن يمشي سويّاً لكون قلبه على وجه الفطرة مستقيماً عارفاً بالحقّ كما يرشد اليه قوله تعالى «على صراط مستقيم» وقال البيضاوي معنى مكبّاً أنّه يعثر كلّ ساعة ويخرّ على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه، ولذلك قابله بقوله : أمّن يمشي سويّاً قائماً سالماً من العثار على صراط مستقيم مستوي الاجزاء أوالجهة، والمراد تمثيل المشرك والموحّد

---

(١) سورة الملك : ٢٢ .

أحدهم أجله على نفاقه هلك و إن أدركه على إيمانه نجا .

٣ ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : القلوب ثلاثة : قلبٌ منكوس لا يعي شيئاً من الخير و هوقلب الكافر؛ و قلبٌ فيه نكتة سوداء فالخير و الشرُّ فيه يعتلجان فأيّهما كانت منه غلب عليه؛ وقلبٌ مفتوحٌ فيه مصابيح تزهر، ولا يطفأ نوره إلى يوم القيامة و هو قلب المؤمن .

بالسالكين والدّينين بالمسلكين، وقيل: المراد بالمكبّ الأعمى فانّه يعتسف فينكبّ وبالسوىّ البصير وقيل: من يمشي مكبّاً هو الذى يحشر على وجهه إلى النار، ومن يمشي سويّاً الّذى يحشر على قدميه الى الجنّة «فهم قوم» أى هم وامثالهم ، وذكرهم على التمثيل والمراد بهم الشكّاك ومن يعبد الله على حرف .

الحديث الثالث : ضعيف على المشهور .

« القلوب ثلاثة » هذا لا ينافي ما مرّ انّ القلوب أربعة ، فانّ قوله وقلب فيه نكتة سوداء يشمل قسمين منها ، وهما قلب فيه نفاق وايمان ، وقلب المنافق ، وفي القاموس : وعاه يعيه حفظه وجمعه كأوعاه ، وقال : اعتلجوا اتّخذوا صراعاً وقتالا والأمواج إلتطمت .

« وقلب مفتوح » وهو الّذي يقبل الايمان والمعارف والأسرار ، وكلّها نور ينوّر القلب في عالم الأبدان والأرواح ، وقوله : لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة ، إشارة إلى أنّ القلب المنوّر بنور الايمان والمعارف منوّر بعد الفراق من البدن في عالم البرزخ وبعده ، فانّ هذه الأنوار باقية لا تزول منه أبداً .

﴿ باب ﴾

✿(في تنقل احوال القلب)✿

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ و عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ و محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن محمّد بن النعمان الأحول ، عن سلام بن المستنير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فدخل عليه حمران ابن أعين و سأله عن أشياء فلمّا همَّ حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام : اُخبرك ـ أطال الله بقاءك لنا و أمتعنابك ـ أنّا نأتيك فما نخرج من عندك حتّى ترقَّ قلوبنا و تسلوا أنفسنا عن الدُّنيا و يهون علينا مافي أيدي النّاس من هذه الأموال ، ثمَّ نخرج من عندك فإذا صرنا مع النّاس و التجّار أحببنا الدُّنيا؟ قال: فقال أبوجعفر

باب في تنقل احوال القلب

الحديث الاول : مجهول .

« وتسلوا أنفسناعن الدّنيا » في القاموس سلاه وعنه كدعاه ورضيه سلواً وسلوّاً نسيه ، وأسلاه عنه فتسلّى « إنّما هي القلوب » أي إنّماسمّي بالقلب لتقلّب أحواله « مرّة تصعب » أي عن الاقبال على عالم القدس ورفض الدّنيا « ومرّة تسهل » وتلين وتطيع العقل وتترك الشهوات بسهولة ، ووجه ذلك أن سنّة الله في عالم الانسان أن يكون متوسّطاً بين عالم الملائكة وعالم الشياطين .

فالملائكة ثابتون في مقام القدس كماقالوا : « وما منّا إلاّ له مقام معلوم » [١] « ويفعلون ما يؤمرون » [٢] و « يسبّحون اللّيل والنهار لا يفترون » [٣] والشياطين منهمكون في الشرور والخطيئات داعون إلى المعاصي والسّيئات وكذلك البهائم

---

(١) سورة الصافات : ١٦٤ .

(٢) سورة التحريم : ٦ .

(٣) سورة الانبياء : ٢٠ .

عليه السلام : إنّما هي القلوب مرّة تصعب و مرّة تسهل .

ثمّ قال أبوجعفر عليه السلام : أما إنّ أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله قالوا : يا رسول الله نخاف علينا النّفاق قال : فقال : ولم تخافون ذلك ؟ قالوا : إذا كنّا عندك فذكّرتنا و رغّبتنا وجلنا ونسينا الدُّنيا و زهدنا حتّى كأنّا نعاين الآخرة و الجنّة والنّار و نحن عندك فإذا خرجنا من عندك و دخلنا هذه البيوت و شممنا الأولاد و رأينا العيال و الأهل يكاد أن نحوّل عن الحال الّتي كنّا عليها عندك وحتّى كأنّا لم نكن على شيء ؟ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقاً ؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله : كلاّ إنّ هذه خطوات الشيطان فيرغّبكم في الدُّنيا والله لو تدومون على الحالة الّتي وصفتم

شأنهم الميل إلى الشهوات والرغبة في اللّذات ، والانسان عالم بين العالمين مركّب من النشأتين ، فانّ له روحاً قدسيّاً وجسداً بهيميّاً فهو مختلف الشئون متنقل الأحوال ، ولولم يكن كذلك لم يتيسّر له الترقّي إلى أعلى مدارج الكمال وأقوى الدواعي إلى الصعود على أحسن الأحوال ، وأنفع الجنود لدفع وساوس الشياطين والتخلّص عن الأهوال بمجالسة الصّالحين ومعاشرتهم ومتابعتهم في الاقوال والأفعال كما يرشد إليه هذا الحديث .

والشمّ القرب والدنو، وكأنّ المراد هنا الالتذاذ بقربهم والنظر إليهم تشبيهاً لهم بالرياحين ، والأهل: الزوجة وذكرها تخصيص بعد تعميم « كأنّا لم نكن على شيء » أي من الحالة الاولى .

« إنّ هذه خطوات الشيطان » إشارة إلى قوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا لاتتّبعوا خطوات الشيطان ومن يتّبع خطوات الشيطان فانّه يأمر بالفحشاء والمنكر ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ، ولكن الله يزكّي من يشاء والله سميع عليم »[1] وفي القاموس : الخطوة ويفتح ما بين القدمين والجمع خُطا وخطوات ، وبالفتح المرّة والجمع خطوات ، والمعنى أنّ ذلك بسبب وساوس

---

(١) سورة النور : ٢١ .

. . . .

الشيطان وأتباعه ، فان وفّق الله للتوبة لايضرّ ذلك ولا ينتهي إلى النفاق أي باطنكم مؤمن موقن وقد تعرض لكم الغفلة بسبب وساوس الشيطان ، حيث أنّه لم يكن له تصرّف في ايمان المؤمن يتوسّل بمايوجب نقص إيمانه ، والمنافق باطنه غير مؤمن وهو في الغفلة دائماً فبينهما بون بعيد .

وقيل : ينبغي أن يعلم أنّ قلب المؤمن في الحقيقة عرش الرّحمان يطوف به قوافل وإرادات من الحقّ وإلهاماته ، ويشرق فيه لوامع أنواره وطوالع أسراره ، ولذلك يجب تطهيره عن أدناس التعلّقات وأرجاس الشهوات ، وقد قيل: له بابان باب شرقيّ أيمن مفتوح إلى مشرق نور الحق . وحظيرة القدس ، يطلع من ذلك الباب شوارق ألطاف الربوبيّة والمواعظ اللاهوتيّة ، وباب غربيّ أيسر إلى مغرب الجسد والأعضاء ومنه يظهر آثار تلك الشوارق والمواعظ إلى الأعضاء فتخضع بالأعمال الصالحة تواضعاً ويسهل القلب عند ذلك وتتمّ النّعمة ظاهرة وباطنة و كثيراً مّا يتصرّف فيه الشيطان ويلقي إليه من الباب الغربيّ كذباً وزوراً ، ويوحي إليه زخرف القول غروراً فيميله إلى الدنيا ويحدث فيه صداءاً ورَيناً ، فان استيقظ من نداء الغيب ودعوة أهل الحقّ واستغفر زال عنه ، وإن استمرّ يسري ذلك من الباب الشرقيّ إلى عالم القدس ويمنع الواردات اللاّهوتيّة وأنوار الربوبيّة فيسودّ لوح القلب ويصدر من الجوارح أعمال قبيحة مظلمة ، وتنعكس ظلمتها إليه ، فينطمس نوره بريح الشهوات ، وتراكم الظلمات ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فلايقبل الحقّ أبداً.

ثمّ أشار صلى الله عليه وآله إلى أنّ الحالة الأولى حالة حسنة شريفة ، والدوام عليها يوجب التشبيه بالملائكة ، والوصول إلى مقامات عالية ، وإلى أنّ الحالة الثانية والتعرّض للذنب والاستغفار بعده لا تخلو من حكمة إلهيّة ومصلحة ربانيّة ، بقوله: « والله لو تدومون » الخ .

لأنّ المانع من ظهور تلك الآثار هو الكدورات الجسمانيّة ، والتعلّقات

أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء ولولا أنّكم تذنبون فتستغفرون الله لخلق الله خلقاً حتّى يذنبوا ، ثمّ يستغفروا الله فيغفر [الله] لهم ، إنّ المؤمن مفتّن

البشريّة والوساوس الشيطانيّة ، والميل إلى الزهرات الدنيويّة ، فاذا زالت عن العبد تلك الموانع دائماً يصير نوراً صرفاً وروحاً محضاً ، ويتّصف بصفات الملائكة ، ويلتحق بالروحانيّين ويصافحهم ، ويكون معهم ويمشي على الماء مثلهم .

وإن شئت توضيح ذلك فنقول : أنّ للروح الانساني منازل في السّير إلى الله ، أوّلها المحسوسات ، وثانيها المتخيّلات ، وثالثها الموهومات ، ورابعها المعقولات ، وهو في هذا المنزل يمتاز عن ساير الحيوانات ، ويرى فيه ماهو خارج عن عالم الحس والخيال والوهم ، ويعلم روح الأشياء وحقايقها ، وله عرض عريض أوّله أوّل عالم الانسان ، وآخره عالم الملائكة بل فوقه ، وهو معراج الانسان وأعلى علّيّين له ، كما أنّ الثلاثة الأول أسفل السّافلين له ، وأعظم أسباب معراجه قطع التعلّق عن الدّنيا و الاعراض عنها بالكلّيّة ، ثمّ الدوام على هذه الحالة فانّه يوجب الوصول إلى حالة شريفة هي مرتبة عين اليقين ، وله في تلك المرتبة قدرة على أفعال غريبة وآثار عجيبة باذن الله تعالى ، كمصافحة الملائكة والمشي على الماء والهواء وغيرها ، ومنه يعلم أنّ الكرامات غير منكرة من الأولياء كما زعمه بعض العلماء .

«ولولا أنّكم تذنبون... » أقول : يدلّ على أنّ لله تعالى مصلحة عظيمة في هذا النوع من الخلق ، لتظهر غفّاريّته ولطفه ورحمته ، بل الظّاهر أنّ هذا سبب لرفعة درجاتهم وتضاعف كمالاتهم ، ولا ينافي ذلك عدم صدور تلك الافعال وظهور تلك الآثار منهم ، كما أنّ أكثر أفراد المؤمنين أفضل من كثير من الملائكة مع ظهور تلك الامور من الملائكة دونهم ، ولا يبعد أن يكون التلوّث بالخطيئات سبباً للتذلّل والخضوع ورفع الدّرجات ، حتّى أنّ أكثر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ابتلوا بارتكاب ترك الاولى والمكروهات ، فارتقوا بعد ذلك إلى أعالي الدرجات ، كما يؤمي إليه قوله

توّاب أما سمعت قول الله عزّوجلّ : «إنّ الله يحبُّ التوّابين ويحبُّ المتطهّرين»[١] و قال : « استغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه »[٢] .

سبحانه : « وعصى آدم ربّه فغوى ، ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى »[٣] وقال سبحانه : « فظنّ داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب ، فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا الزلفى وحسن مآب »[٤] ومثله كثير في الكتاب ، والقصّار يلوّث الثوب بأشياء ثمّ يغسله ليصير أحسن وألطف وأشدّ بياضاً ممّا كان ، كما أنّ آدم عليه السلام قبل إرتكاب ترك الاولى في الجنّة كان في عداد الملائكة وشبيهاً بهم ، وإن كان أفضل منهم ومسجوداً لهم ، ولمّا ارتكب ترك الاولى وهبط إلى الأرض واستغفر وبكى على ما صدر عنه سنين متطاولة كملت محبّته ، وصفى وزكى وصار نبيّاً مصطفى وعمّر الله به و بأولاده الأرض ، و تمّت حكمة الله البالغة ، و ظهرت رحمته السّابغة وهذا سرّ من أسرار القدر والقضاء يتحيّر فيه ألباب الحكماء .

« إنّ المؤمن » كأنّه كلام الباقر عليه السلام وفي النهاية في الحديث : المؤمن خلق مفتّناً أي ممتحناً يمتحنه الله بالذنب ثمّ يتوب ، ثمّ يعود ثمّ يتوب يقال : فتنته افتنه فتوناً إذا امتحنته ، ويقال فيها افتنته أيضاً وهو قليل ، وقد كثر إستعمالها فيما أخرجه الاختيار للمكروه ، ثمّ كثر حتى استعمل بمعنى الاثم والكفر والقتال والاحراق والازالة ، والصّرف عن الشيء ، ومنه أنّه يحبّ المفتّن التوّاب، أي الممتحن بالذنب ثمّ يتوب ، انتهى .

« أما سمعت » يمكن أن يكون الاستشهاد باعتبار تقديم التوّابين وحبّهم بناءاً على أنّ المراد بالمتطهّرين المتطهّرون من الذنوب ، لكن ورد في بعض الأخبار أنّ المراد بهم المتطهّرون بالماء ، فالاستشهاد بمحض حبّهم .

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٢ .
(٢) سورة هود : ٣ .
(٣) سورة طه : ١٢١ .
(٤) سورة ص : ٢٤ .

﴿باب﴾

﴿ الوسوسة و حديث النفس ﴾

١ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن الوشّاء ، عن محمّد بن حمران قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن الوسوسة و إن كثرت ؟ فقال : لا شيء فيها ، تقول : لاإله إلاّ الله .

باب الوسوسة وحديث النفس

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« وإن كثرت » بالكسر ، وربما يقرء بالفتح على أنّها مخفّفة من المثقّلة عطفاً على الوسوسة ، والوسوسة حديث النفس مثل من خلق الله؟ وأين هو؟ و كيف هو ؟ ومتىهو ؟ والوساوس في أحوال الخلق ونسبة المعاصي إليهم كما هو أحد معانى التفكّر في الوسوسة في الخلق ، أو إراده المعاصى أو الأعم وهو إذا خطر ذلك في القلب من غير قصد ولا عقد ولا تكلّم به لقصد التشهير والترويج ، وربّما يفرّق بين الوسوسة وحديث النفس بأنّ الوسوسة آكد ، مثلا إن خطر ببالك النظر إلى إمرأة فهو حديث النفس وإن حصلت الرغبة وحرّكتك الشهوة فهو الوسوسة ولا شيء فيهما .

ومن أراد دفع كراهة ذلك وطرد الخبيث عن نفسه فليقل : لا اله الاّ الله ، أو ليقل آمنّا بالله وبرسوله لا حول ولا قوة الاّ بالله ، أو ليذكر الله وحده .

قيل : أمره بالتوحيد لوجوه : الاوّل : أن لا يأتيه الموت وهو على تلك الحال .

الثاني : نفي ما ألقى في نفسه من أنّ للاله إلهاً آخر ، حيث صرّح بأن الاله واحد ليس إلاّ هو .

الثالث : أنّ تلك الكلمة تطرد الخبيث وتدفعه عن قائلها ، ولذلك يلقّن

المحتضر بها .

الرّابع : إفادتها أنّ سلسلة الممكنات منتهية إليه فلا يكون له موجد .

الخامس : أنّ من اتّصف بجميع صفات الكمال لا يتّصف بالمخلوقيّة والاحتياج .

السادس : أنّه لو كان له إله لزم الدّور أو التسلسل ، فوجب حصر الالوهيّة في واحد ، و روى العامّة عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال : إنّ الله تجاوز لي عن امّتي ما حدثت به أنفسهم ما لم يتكلّم به أو يعمل به ، قال بعضهم قال صلى‌الله‌عليه‌وآله هذا بعد نزول النسخ أو التخفيف ، لقوله تعالى : « إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »[1] فقال بعض الصّحابة : من يطيق هذا ؟ فقال: أتريدون أن تقولوا ما قال بنوا إسرائيل سمعنا وعصينا ، قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا ، فأنزل الله التخفيف بقوله : « لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها »[2] الآية ، فقال عليه‌السلام كالمبيّن والمفصّل لجملتها: إنّ الله تعالى تجاوز لي ، إلى آخره .

فبيّن لهم ما رفع عنهم ممّا لا يطيقونه ، وهو حديث النّفوس فأعلمهم أنّ له سبحانه أن يكلّفهم ما يعلم أنّه يشقّ عليهم معاناته بمقتضى عدله ، وعدله حسن ثمّ خفّف عنهم برفع ما يعجزون عنه إظهاراً لفضله ، والفضل عليهم أحسن ، والمراد بحديث النفس المعفوّ عنه ما لا يدخل تحت كسب العبد من الخواطر أوّلا ، والفكر فيما يخطر للنفس ثانياً ، فيتأمّله ويتحدّث هل يعمله أم لا ، فهذا معفوّ إلى أن يترجّح في القلب الفعل أو الترك فيهتمّ به ، فان كان خيراً كتب له حسنة ، وإن كان شرّاً لم يكتب ، فاذا قوى العزم صار نيّة فيعزم القلب وينوى ، فمن هناك يتحقّق كسبه وفعله، فتقع المؤاخذة والمحاسبة لقوله تعالى : «ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم»[3]

(١) سورة البقرة : ٢٨٤ .
(٢) سورة البقرة : ٢٨٦ .
(٣) سورة البقرة : ٢٢٥ .

٢ - عليٌ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له: إنّه يقع في قلبي أمرٌ عظيم، فقال : قل: لا إله إلاّ الله قال جميل : فكلّما وقع في قلبي شيء قلت : لا إله إلاّ الله فيذهب عنّي .

٣ - ابن أبي عمير ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجلٌ إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله هلكت ، فقال له عليه السلام : أتاك الخبيث فقال لك : من خلقك؟ فقلت: الله ، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال : إي و الّذي بعثك بالحقّ لكان كذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ذاك والله محض الايمان .

ثمّ استدرك عليه السلام بعد ذكر ما عفى عنه ما يحاسب عليه فقال : ما لم تتكلّم به وهو عمل اللسان ، أوتعمل به ، وهوعمل القلب و كسبه وهو عزمه ونيّته وأفعال الجوارح والأركان ، فهذا ما لم يعف عنه وإن جاز العفوعنه بعد إثباته والمحاسبة عليه فضلا ، كماروى : أنّ الله تعالى يقول للمحافظين : فاذا همّ عبدي بسيّئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها وآخذه أو أغفر .

وقوله عليه السلام : إنّ الله تجاوز لي، يشعر بفضيلته فانّ الله تعالى خصّه في حقّ امّته بهذا العفو دون من قبله من الأنبياء ، كما خصّه بقوله : نصرت بالرعب، وأحلّت لي الغنائم ولم يحلّ لأحد قبلي ، ونصرت بالصّبا ، إلى غير ذلك وأكرمه ، انتهى كلامه .

وأقول : قد مرّ بعض القول في ذلك في باب أنّ الايمان مبثوث بجوارح البدن .

الحديث الثاني : حسن كالصّحيح وهو مثل السّابق .

والأمر العظيم إمّا شيء من الخواطر لوتكلّم به أو اعتقده يكون كفراً موجباً للقتل والارتداد ، أو إرادة ذنب من الكبائر كما عرفت .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح .

« ذلك والله محض الايمان » قيل فيه وجوه : أحسنها ما رواه عبدالرّحمان بأن يكون ذلك إشارة إلى خوفه من الهلاك ، فانّ الكافر لا يخاف من هذه ولا من

قال ابن أبي عمير : فحدّثت بذلك عبدالرّحمن بن الحجّاج فقال : حدّثني أبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما عنى بقوله هذا « والله محض الإيمان » خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه.

٤ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ و محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، جميعاً عن عليّ بن مهزيار قال : كتب رجل إلى أبي جعفر عليه السلام يشكو إليه لمماً يخطر على باله ، فأجابه في بعض كلامه : إنّ الله عزّ وجلّ إن شاء ثبّتك فلا يجعل لابليس عليك طريقاً ، قد شكى قوم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله لمماً يعرض لهم لأن تهوي

أعظم منها .

الثاني : أن تلك الخطورات لابطال الاحتمالات الباطلة ، ليصير في الحقّ على يقين ، فانّ من أراد إقامة الدليل على مطلب يتفكّر في الاحتمالات المضادّة له ليبطلها ويتمّ برهانه على الحق .

الثالث : أنّ الشيطان لمّا يئس من الخلل في ايمان العبد يتعرّض له بتلك الخواطر كما يرشد إليه حديث آخر الباب .

الحديث الرابع : صحيح .

وقال في النهاية في حديث ابن مسعود : لابن آدم لمّتان لمّة من الملك ولمّة من الشيطان ، اللّمة الهمّة والخطرة تقع في القلب ، أراد إلمام الملك والشيطان به والقرب منه ، فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشرّ فهو من الشيطان ، و في القاموس : اللّمم محرّكة الجنون و صغار الذّنوب وأصابته من الجنّ لمّة ، أى مسّ أو قليل ، وقيل : إنّما جعل الوسوسة لمماً أى ذنباً صغيراً لزعمه أنّها من صغائر الذنوب أو لأنّها قد تؤول إلى الذنب ، وإلاّ فهي ليست من الذنوب ولا يخفى أنّه لا حاجة إلى هذا التكلّف كماعرفت ، والهويّ السّقوط من أعلى إلى أسفل ، وفعله من باب ضرب ، ومنه قوله تعالى : « أو تهوى به الريح في

بهم الريح أو يقطّعوا أحبُّ إليهم من أن يتكلّموا به ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أتجدون ذاك ؟ قالوا نعم ، فقال : و الّذي نفسي بيده إنّ ذلك لصريح الايمان ، فإذا وجدتموه فقولوا : آمنّا بالله و رسوله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

٥ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن إسماعيل بن محمّد ، عن محمّد بن بكر بن جناح ، عن زكريّا بن محمّد ، عن أبي اليسع داود الأبزاري ، عن

مكان سحيق »[1] أي بعيد ، والباء في بهم للتعدية وهم جعلوا التكلّم باللّمم وإظهاره أشدّ عليهم من أن يسقطهم الريح إلى مكان بعيد عميق ، أو من أن تقطع أعضاؤهم إستقباحاً لشأنه وإستعظاماً لامره .

والاستفهام في قوله : أتجدون ذلك؟ على حقيقته أو للتعجّب أو للتقرير ، ولفظة « ذلك » إشارة إلى كون الهوى والتقطيع أحبّ إليهم من التكلّم به أو أصل اللّمم والأوّل أظهر والاشارة الثانية أيضاً تحتمل الوجهين كما عرفت .

وقد روى مثل ذلك في طرق العامّة قال في النهاية في حديث الوسوسة: ذلك صريح الايمان أي كراهتكم له وتفاديكم منه صريح الايمان ، والصّريح الخالص من كلّ شيء وهو ضدّ الكناية يعني أنّ صريح الايمان هو الّذي يمنعكم لقبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم حتّى يصير ذلك وسوسة لا يتمكّن في قلوبكم ولا تطمئنّ إليه نفوسكم ، وليس معناه أنّ الوسوسة نفسها صريح الايمان لأنّها تتولّد من فعل الشيطان وتسويله فكيف يكون ايماناً صريحاً .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم : أي إستعظامكم التكلّم به فانّ شدّة خوفكم منه فضلا عن اعتقاده إنّما يكون لمن إستكمل الايمان ، وفي الرواية الثانية وإن لم يذكر الاستعظام لكنّه مراد ، وقيل : سبب الوسوسة علامة محض الايمان فانّ الشيطان إنّما يوسوس لمن آيس عن إغوائه .

الحديث الخامس: مجهول، وقد مضى الكلام فيه .

---

(١) سورة الحج : ٣١ .

حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إنّني نافقت، فقال: والله ما نافقت ولو نافقت ما أتيتني، تعلمني ما الّذي رابك؟ أظنّ العدوّ الحاضر أتاك فقال لك : مَن خلقك ، فقلت : الله خلقني ، فقال لك : من خلق الله ؟ قال: إي والّذي بعثك بالحقّ لكان كذا ، فقال : إنّ الشيطان أتاكم من قبل الأعمال فلم يقو عليكم فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلّكم ، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله وحده .

تحقيق

قال بعض المحقّقين في بيان ما يؤاخذ العبد به من الوساوس وما يعفى عنه : إعلم أنّ هذا أمر غامض وقد وردت فيه آيات وأخبار متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها إلاّ على سماسرة العلماء [(١)] فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : عفي عن أمّتي ما حدثت به نفوسها ، وعنه صلى الله عليه وآله قال : يقول الله للحفظة : إذا همّ عبدي بسيّئة فلا تكتبوها عليه ، فان عملها فاكتبوها سيّئة ، وإن همّ بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة ، فان عملها فاكتبوها عشراً ، وهو دليل على العفو عن عمل القلب وهمّه بالسيّئة .

فأمّا ما يدلّ على المؤاخذة فقوله سبحانه : « وان تبدوا ما أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء » [(٢)] وقال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسؤلا » [(٣)] فدلّ على أنّ عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه ، وقال تعالى : « ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانّه آثم قلبه » [(٤)] وقال سبحانه : « لا يؤاخذكم الله باللغو

(١) السماسرة جمع السمسار .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٤ .

(٣) سورة الاسراء : ٣٦ .

(٤) سورة البقرة : ٢٨٣ .

. . . .

في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقّدتم الايمان »[١] .

فالحقّ في هذه المسئلة عندنا أنّه لا يوقف عليه ما لم يقع الاحاطة بتفصيل أعمال القلوب من مبدء ظهورها إلى أن يظهر العمل على الجوارح فنقول : أوّل ما يرد على القلب الخاطر كما لوخطر له مثلا صورة إمرأة وأنّها وراء ظهره في الطّريق لو التفت إليها لرآها ، والثاني : هيجان الرغبة وهو حركة الشهوة الّتي في الطبع وهذا يتولّد في الخاطر الأوّل ونسمّيه ميل الطبع ، والأوّل يسمّى حديث النفس ، والثالث : حكم القلب بأنّ هذا ينبغي أن يفعل أي ينبغي أن ينظر إليها ، فانّ الطبع إذا مال لم تنبعث الهمّة والنيّة مالم تندفع الصّوارف ، فانّه قد يمنعه حياء أوخوف من الالتفات ، وعدم هذه الصّوارف ربّما يكون بتأمّل وهو على كلّ حال حكم من جهة العقل ويسمّى هذا إعتقاداً وهو يتبع الخاطر ، والميل الرّابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النيّة فيه ، وهذا نسمّيه همّاً بالفعل ونيّة وقصداً .

وهذه الهمّة قد يكون لها مبدء ضعيف ولكن إذا أصغى القلب إلى الخاطر الاول حتى طالت مجاذبته للنفس تأكّدت هذه الهمّة وصارت إرادة مجزومة ، فان إنجزمت الارادة فربما يندم بعدم الجزم فيترك العمل ، وربما يغفل بعارض فلايعمل بها ولا يلتفت إليه ، وربما يعوقه عايق فيعتذر عليه العمل .

وههنا أحوال للقلب قبل العمل بالجارحة ، الخاطر وهو حديث النفس ، ثمّ الميل ، ثمّ الاعتقاد ، ثمّ الهمّ ، فنقول : أمّا الخاطر فلا تؤاخذ به لأنّه لا يدخل تحت الاختيار ، وكذلك الميل وهيجان الشهوة لأنّهما أيضاًلا يدخلان تحت الاختيار وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : عفى عن امّتي ما حدثت به نفوسها ، فحديث النّفس عبارة عن الخواطر الّتي تهجس في النّفس ، ولا يتبعها عزم على الفعل ، فأمّا العزم والهمّ فلا يسمّى حديث النفس ، بل حديث النفس كما روى عن عثمان بن مظعون

---

(١) سورة المائدة : ٨٩ .

. . . .

حيث قال لرسول الله ﷺ: انّ نفسی تحدّثني ان أطلّق خولة ؟ قال : مهلا إنّ من سنّتي النكاح ، قال : نفسی تحدّثنی أن أجبّ نفسی ؟ قال : مهلا أخصاء أمّتی دؤب الصيام ، قال : نفسی تحدّثنی أن أترهّب ؟ قال : مهلا رهبانيّة امّتی الجهاد والحجّ قال : نفسی تحدّثني أن أترك اللحم ؟ قال : مهلا فانّی أحبّه واو أصبته في كلّ يوم لأكلته ولو سألت الله لأطعمنيه .

فهذه الخواطر الّتي ليس معها عزم على الفعل هی حديث النفس ، و لذلك شاور فيها رسول الله ﷺ إذ لم يكن معها عزم وهمّ بالفعل ، و أمّا الثالث و هو الاعتقاد و حكم القلب بأنه ينبغی أن يفعل فهذا مردّد بين أن يكون إضطراراً أو اختياراً و الأحوال تختلف فيه، فالاختياریّ منه يؤاخذ به، و الاضطراریّ لايؤاخذ به ، و أمّا الرّابع و هو الهمّ بالفعل فانّه يؤاخذ به إلاّ أنّه إن لم يفعل نظر فان تركه خوفاً من الله تعالى و ندم على همّه كتبت له حسنة ، لأنّ همّه سيّئة و إمتناعه و مجاهدته نفسه حسنة ، و الهمّ على وفق الطّبع لايدلّ على تمام الغفلة عن الله ، و الامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوّة عظيمة فجدّه في مخالفة الطبع و هو العمل لله سبحانه أشدّ من جدّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع، فكتبت له حسنة لأنّه رجّح جهده في الامتناع، و همّه به على همّه بالفعل، و إن تعوّق الفعل لعائق أو تركه لعذر لا خوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيّئة فانّ همّه فعل اختياریّ من القلب .

و الدّليل على هذا التفصيل ما ورد في الصّحيح قال رسول الله ﷺ : قالت الملائكة ربّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيّئة و هو أبصر فقال : إرقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنّما تركها لأجلي، وحيث قال : لم يعملها أراد به تركها لله ، فأمّا إذا عزم على فاحشة و تعذّرت عليه بسبب أو غفلة فكيف يكتب له حسنة ، وقد قال رسول الله ﷺ : إنّما يحشر النّاس على

• • • • • • • • • •

نيّاتهم ، و نحن نعلم أنّ من عزم ليلا على أن يصبح و يقتل مسلماً أو يزني بامرأة فمات تلك اللّيلة مات مصرّاً و يحشر على نيّته وقدهمّ بسيّئة ولم يعملها ، والدليل القاطع فيه ما روى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال : إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل و المقتول في النار ، قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : لأنّه أراد قتل صاحبه ، و هذا نصّ في أنّه صار من أهل النار بمجرّد الارادة ، مع أنّه قتل مظلوماً فكيف تظنّ أنّ الله لايؤاخذ بالنيّة و الهمّ ، بل كلّ مادخل تحت إختيار العبد فهومأخوذ به ، إلاّ أن يكفّره بحسنة، ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك كتب حسنة ، و أمّا فوات المراد بعائق فليس بحسنة .

و أمّا الخواطر وحديث النفس و هيجان الرغبة فكلّ ذلك لايؤاخذ به لأنّه لا يدخل تحت الاختيار ، و المؤاخذه به تكليف لما لا يطاق ، و لذلك لمّا نزل قوله تعالى : « و إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله »[1] جاء ناس من الصّحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قالوا : كلّفنا مالا نطيق إنّ أحدنا ليتحدّث نفسه بما لايحبّ أن يثبت في قلبه ثمّ يحاسب بذلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لعلّكم تقولون كما قالت بنوا إسرائيل سمعنا و عصينا قولوا سمعنا و أطعنا، فأنزل الله تعالى الفرج بقوله تعالى « لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها » فظهر به أنّ كلّ مالا يدخل تحت الوسع من أعمال القلب هو الّذى لا يؤاخذ به ، و كلّ من يظنّ أنّ كلّ مايجرى على القلب يسمّى حديث النفس ، و من لم يفرّق بين هذه الأقسام الثلاثة فلابدّ و أن يغلط و كيف لا يؤاخذ بأعمال القلوب و الكبر و العجب و الرّياء و النفاق و الحسد و جملة الخبائث من أعمال القلب ، بل السّمع و البصر و الفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤلا، أى ممّا يدخل تحت الاختيار ، فلو وقع البصر بغير اختياره

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٤ .

. . . .

على غير محرم لم يؤاخذ بها فان أتبعها نظرة ثانية كان مؤاخذاً بها ، لأنّه لامحالة مختار .

و كذا خواطر القلب تجرى هذا المجرى ، بل القلب أولى بمؤاخذته لأنّه الأصل قال رسول الله صلى الله عليه وآله التقوى هيهنا و أشار إلى القلب ، و قال الله عزّ وجلّ : « لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم »[1] و التقوى في القلب ، و قال صلى الله عليه وآله : البرّ ما اطمئنّ إليه القلب و إن أفتوك و أفتوك .

حتّى أنّا نقول : إذا حكم قلب المفتى بايجاب شيء و كان مخطئاً صار مثاباً على فعله ، بل من ظنّ أنّه متطهّر فعليه أن يصلّى و إن صلّى ثمّ ذكر كان له ثواب بفعله ، فان ترك ثمّ تذكّر كان معاقباً ، و من وجد على فراشه امرأة فظنّ أنّها زوجته لم يعص بوطيها و إن كانت أجنبيّة ، و إن ظنّ أنّها أجنبيّة عصى بوطيها ، و إن كانت امرأته ، كلّ ذلك نظر إلى القلب دون الجوارح .

ثمّ قال : الوسواس ثلاثة أصناف الصّنف الأوّل أن يكون من جهة التلبيس للحقّ ، فانّ الشيطان قد يلبّس فيقول للانسان : لا تترك التنعّم و اللّذات ، فانّ العمر طويل و الصّبر عن الشهوات طول العمر ألمه عظيم ، فعند هذا إذا ذكر العبد عظيم حقّ الله تعالى و عظيم ثوابه و عقابه و قال : الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصّبر على النار أشدّ منه و لابدّ من أحدهما ، فاذا ذكر العبد وعد الله و وعيده و جدّد إيمانه و يقينه خنس الشّيطان و هرب ، إذ لا يستطيع أن يقول : ليس النار أشدّ من الصّبر على المعاصي ، ولا يمكنه أن يقول : المعصية لاتفضى إلى النار ، فانّ ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك ، فينقطع وسواسه .

و كذلك يوسوس إليه بالعجب في علمه و عمله ، فيفكّر العبد أنّ معرفته وقدرته و قلبه و أعضاؤه الّتى بها علمه و عمله كلّ ذلك من خلق الله فيخنس الشيطان ، فهذا

---

(١) سورة الحج : ٣٧ .

. . . .

نوع من الوسوسة تنقطع بالكليّة عن العارفين المستبصرين بنور الايمان و المعرفة .

الصّنف الثانی : أن يكون وسواسه بتحريك الشهوة وتهييجها، و هذا ينقسم إلی مایعرف العبد يقيناً أنّه معصية و إلی مایظنّه بغالب الظنّ فان علم يقيناً خنس الشيطان عن تهييج يؤثّر في التحريك ، ولم يخنس عن التهييج ، و إن كان مظنوناً ربّما يبقی مؤثّراً بحيث يحتاج إلی مجاهدة في دفعه ، فيكون الوسوسة موجودة ، و لكنّها مدفوعة غير غالبة .

الصّنف الثالث : أن يكون وسواسه بمجرّد الخواطر و تذكّر الأحوال الغائبة و التفكّر في الصّلاة في غير أمر الصّلاة مثلا ، فاذا أقبل علی الذكر تصوّر أن يندفع و يعود و يعاقب الذكر و الوسوسة ، و تصوّر أن يتساوقا جميعاً حتّی يكون الفهم مشتملا علی فهم معنی القرائة ، و علی تلك الخواطر كأنّهما في موضعين من القلب و بعيد جدّاً أن يندفع هذا الخنس بالكليّة بحيث لا يخطر ، و لكنّه ليس محالا إذقال صلى الله عليه وآله: من صلّی ركعتين لم يحدث فيهما بشیء من الدّنيا غفر له ماتقدّم من ذنبه و ما تأخّر ، فلولا أنّه متصوّر لما ذكره ، إلاّ أنّه لا يتصوّر ذلك إلاّ في قلب استولی عليه الحبّ حتّی صار كالمستهتر ولكن ذلك عزيز .

ثم قال : إعلم أنّ القلب كما ذكرناه مكتنفة بالصفات الّتی ذكرناها وتنصبّ إليه الآثار و الأحوال من الأبواب الّتي وصفناها فكأنّه هدف يصاب علی الدوام من كلّ جانب ، فاذا أصابه شيء و تأثّر به أصابه من جانب آخر ما يضادّه فيغيّر وصفه ، فان نزل الشيطان به و دعاه إلی الهوی و التفت القلب إليه نزل الملك به و صرفه عنه ، و إن جذبه شيطان إلی شرّ جذبه شيطان آخر إلی غيره ، و إن جذبه ملك إلی خير جذبه ملك آخر إلی غيره ، فتارة يكون متنازعاً بين ملكين ، و تارة بين شيطانين و تارة بين ملك و شيطان ، ولا يكون قطّ مهملا ، و إليه الاشارة بقوله

• • • • • • • • • •

تعالى : « و نقلّب أفئدتهم و أبصارهم »[١] .

ولاطّلاع رسول الله ﷺ على عظيم صنع الله في عجائب القلب و تقلّبه كان يحلف به و كان يقول : ولا مقلّب القلوب ، و كان كثيراً ما يقول ﷺ : يا مقلّب القلوب ثبّت قلبي على دينك ، قالوا : أو تخاف يا رسول الله ؟ فقال : و ما يؤمّنني و القلب بين إصبعين من أصابع الرّحمان يقلّبه كيف يشاء ، و في لفظ آخر : إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيغه أزاغه ، و ضرب له رسول الله ﷺ ثلاثة أمثلة فقال : مثل القلب مثل العصفور تنقلب في كلّ ساعة ، و قال : مثل القلب في تقلّبه كالقدر إذا استجمت غلياناً و قال ﷺ : مثل القلب كمثل ريشة في أرض فلاة تقلّبها الرّياح ظهر البطن ، و هذه التقلّبات من عظيم صنع الله في تقليبه من حيث لا يهتدي إليه ، لا يعرفه إلّا المراقبون لقلوبهم ، والمراعون لاحوالهم مع الله تعالى ، والقلوب في الثبات على الخير و الشرّ و التردّد بينهما ثلاثة ، قلب عمر بالتقوى و زكى بالرّياضة ، و طهر من خبائث الأخلاق ، فينقدح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ، و مداخل الملكوت ، فيتصرّف العقل إلى التفكّر فيما خطر ليعرف دقايق الخير فيه ، و يطلّع على أسرار فوائده ، فينكشف له بنور البصيرة وجهه ، فيحكم بأنّه لابدّ من فعله ، و يستحثّ عليه ، و يدعو إلى العمل به ، فينظر الملك إلى القلب فيجده طيّباً في جوهره ، طاهراً بتقواه مشيراً بضياء العقل ، معموراً بأنوار المعرفة ، و يراه صالحاً لأن يكون مستقرّاً له ، فعند ذلك يمدّه بجنود لا ترى و يهديه إلى خيرات أخرى حتّى ينجرّ الخير إلى الخير .

و كذلك على الدوام لا يتناهى إمداده بالترغيب في الخير و بتيسّر الأمر عليه و إليه الاشارة بقوله تعالى : « فأمّا من أعطى و اتّقى و صدّق بالحسنى فسنيسّره لليسرى »[٢] و في مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من مشكوة الربوبيّة حتّى لا

---

(١) سورة الانعام : ١١٠ . (٢) سورة الليل : ٦ .

. . . .

يخفى فيه الشرك الخفى الذى هو أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء، ولا تخفى على هذا النور خافية ، ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان ، بل يقف عليه الشيطان و يوحى زخرف القول غروراً ، ولا يلتفت إليه .

و هذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على القرب معموراً بالمنجيات من الشكر و الصبر والخوف و الرجاء والزهد والمحبة و الرضا و التوكل والتفكر و المحاسبة و المراقبة و أمثالها .

و هو القلب الذى أقبل الله تعالى عليه بوجهه ، و هو القلب المطمئن المراد بقوله تعالى : «ألا بذكر الله تطمئن القلوب»[1] وبقوله عزوجل : «يا أيتها النفس المطمئنة »[2] .

القلب الثاني : القلب المخذول المشحون بالهوى ، المدنس بالخبائث الملوث بالأخلاق الذميمة ، المفتحة فيه أبواب الشياطين ، المسدودة عنه أبواب الملائكة و مبدء الشر فيه أن ينقدح فيه خاطر من الهوى و يهجس فيه ، فينظر القلب إلى حاكم العقل ليستفتى عنه ، و يستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد ألف خدمة الهوى فآنس به، و استمر على إستنباط الحيل له في موافقة الهوى و مساعدته، فيسول النفس له و يساعده عليه ، فينشرح الصدر بالهوى و ينبسط فيه ظلماته لانخناس جند العقل عن مدافعته فيقوى سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب إنتشار الهوى ، فيقبل عليه بالتزيين و الغرور و الأماني ، و يوحى بذلك زخرف القول غروراً ، فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد، و يخبو نور اليقين بخوف الآخرة إن يتصاعد من الهوى دخان مظلم إلى القلب يملأ حواسه حتى تنطفي أنواره فيصير العقل كالعين التى ملاء الدخان أجفانها ، فلا يقدر على أن تنظر وهكذا تفعل غلبة

(١) سورة الرعد : ٢٨ .
(٢) سورة الفجر : ٢٨ .

الشهوة في القلب حتّى لا يبقى للقلب إمكان التوقّف و الاستبصار ، ولو بصره واعظ و أسمعه ما هو الحقّ فيه عمي عن الفهم ، و صمّ عن السّمع ، و هاجت الشهوة ونشط الشيطان و تحرّكت الجوارح على وفق الهوى ، و ظهرت المعصية إلى عالم الشهادة من خزائن الغيب بقضاء من الله و قدره .

وإلى مثل هذا القلب الاشارة بقوله تعالى: «أرأيت من اتّخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا ، أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إنهم إلاّ كالانعام بل هم أضلّ سبيلا »[1] و بقوله عزّ وجلّ : « لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون » إلى قوله : « أم لم تنذرهم فهم لا يؤمنون » و ربّ قلب هذا حاله بالاضافة إلى جميع الشهوات ، و ربّ قلب هذا حاله بالاضافة إلى بعض الشهوات ، كالّذي يتورّع عن بعض الاشياء و لكنّه إذا رأى وجهاً حسناً لا يملك عينه و قلبه وطاش عقله و سقط مساك قلبه ، أو كالّذي لا يملك لنفسه عند الغضب مهما استحقر و اذكر عيب من عيوبه ، أو كالّذي لا يملك نفسه عند القدرة على أخذ درهم أو دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فتنسرح منه المروّة و التقوى .

و كلّ ذلك لتصاعد دخان الهوى إلى القلب حتّى يظلم و ينطفي منه أنوار البصيرة، فينطفي منه نور الحياة والمروّة والايمان، ويسعى في تحصيل مراد الشيطان.

القلب الثالث : قلب يبتدء فيه خواطر الهوى ، فيدعوه إلى الشرّ فيلحقه خاطر الايمان ، فيدعوه إلى الخير فتنبعث النفس بشهواتها إلى نصرة خاطر الشرّ و تحسّ التمتّع و التنعم فينبعث العقل إلى خاطر الخير ، و يدفع في وجه الشهوة ويقبّح فعلها و ينسبها إلى الجهل ، و يشبهها بالبهيمة و السّبع في تهجّمها على الشرّ ، و قلّة إكتراثها بالعواقب .

---

(١) سورة الفرقان : ٤٤ .

(٢) سورة يس : ٧ .

. . . .

فتميل النفس إلى نصح العقل، فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوّى داعية الهوى و يقول ما هذا التحرّج البارد ، ولم تمتنع عن هواك فتؤذى نفسك ، و هل ترى أحداً من أهل عصرك يخالف هواه أو يترك غرضه ؟ أفتترك ملاذّ الدّنيا لهم فيتمتّعون فيها ، و تحجر على نفسك فتبقى محروماً شقياً متعوباً يضحك عليك أهل الزمان ، أتريد أن يزيد منصبك على فلان و فلان وقد فعلوا مثل ما اشتهيت ولم يمتنعوا ، أما ترى العالم الفلانى ليس يحترز عن فعل ذلك ولو كان شرّاً لامتنع عنه فتميل النفس إلى الشيطان و تنقلب إليه فيحمل الملك حملة على الشيطان فيقول هل هلك إلاّ من اتّبع لذّة الحال ونسى العاقبة أفتقنع بلذّة يسيرة و تترك لذّة الجنّة و نعيمها أبد الآباد ؟ أم تستثقل ألم الصّبر عن شهوة ولا تستثقل ألم النار ؟ أتغترّ بغفلة الناس عن أنفسهم و اتبّاعهم هواهم ومساعدتهم الشيطان ؟ مع أنّ عذاب النار لا يخفّف عنك بمعصية غيرك؟ أرأيت لو كنت في صيف و وقف الناس كلّهم في الشمس و كان لك بيت بارد أكنت تساعد الناس أم تطلب لنفسك الخلاص فكيف تخالف الناس خوفاً من حرّ الشمس ولا تخالفهم خوفاً من حرّ النار .

فعند ذلك تميل النفس إلى قول الملك ، فلا يزال القلب يتردّد بين الجندين متجاذباً بين الحزبين إلى أن يغلب على القلب من هو أولى به فان كانت الصّفات الّتى في القلب الغالب عليها الصّفات الشّيطانيّة الّتى ذكرناها غلبه الشيطان و مال القلب إلى جنسه من أحزاب الشياطين ، معرضاً عن حزب الله تعالى و أوليائه ومساعداً لحزب الشيطان و أوليائه ، و جرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى .

و إن كان الغالب على القلب الصفات الملكيّة لم يصغ القلب إلى إغواء الشيطان و تحريضه إيّاه على العاجلة و تهوينه أمر الآجلة ، بل مال إلى حزب الله تعالى و ظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضاء على جوارحه .

• • • • • • • • • •

و قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمان ، أى بين تجاذب هذين الحزبين و هو الغالب على القلوب أعنى التقلّب و الانتقال من حزب إلى حزب ، أمّا الثبات على الدّوام مع حزب الملائكة أو حزب الشيطان فنادر من الجانبين ، وهذه الطّاعات و المعاصى تظهر من خزائن العلم إلى عالم الشهادة بواسطة خزائن القلب ، فانّه من خزائن الملكوت و هى إذا ظهرت كانت علامات تعرف أرباب القلوب سابق القضاء ، فمن خلق للجنّة يسّرت له الطاعة و أسبابها ، و من خلق للنار يسّرت له أسباب المعصية و سلّط عليه أقران السّوء و ألقى في قلبه حكم الشيطان .

فانّه بأنواع الحكم يغرّه الحمقى كقوله : الله تعالى رحيم فلا تبال ، و إنّ الناس كلّهم ما يخافون الله فلا تخالفهم فانّ العمر طويل فاصبر حتّى تتوب غداً يعدهم بالتوبة ويمنّيهم بالمغفرة فيهلكهم ، و بهذه الحيل وما يجرى مجراها يوسّع قلبه لقبول الغرور و يضيّقه عن قبول الحقّ ، إلى آخر ما ذكره ممّا يوافق مذهب الأشاعرة ، و لسنا نقول به والله يحقّ الحقّ و هو يهدى إلى السّبيل .

و أمّا ما ذكره من المؤاخذة على حكم القلب إذا كان اختياريّاً ، وعلى الهمّ و العزم إذا كان الصّارف غير خوف الله تعالى فهما مخالفان للاخبار المعتبرة فانّها تدلّ على عدم المؤاخذة مع ترك الفعل مطلقا ، و ما استدلّ به على الأخير فهى أخبار عاميّة لا تعارض الأخبار المعتبرة ، ويمكن حمل الخبر الأوّل على أنّ كتابة الحسنة موقوفة على أن يكون الترك لله وأخبارنا إنّما تدلّ على عدم كتابة السيّئة و ليس فيها كتابة الحسنة فلا تنافي ، و الخبر الثاني غير صريح في المقصود ، والتمثيل الّذى ذكره في محلّ المنع ، و الخبر الثالث يمكن أن يكون المراد به الارادة مع سلّ السّيف و التوجّه إلى القاتل و الحملة عليه ، بل الاعانة على نفسه ، و سيأتى بعض القول في أصل المطلب آنفاً إن شاء الله تعالى .

﴿ باب ﴾

﴿ الاعتراف بالذنوب و الندم عليها ﴾

١ ـ علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي الأحمسي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به .

باب الاعتراف بالذنوب و الندم عليها

الحديث الاول : مجهول .

« ما ينجو من الذنب » أي من أصل الذنب في الدنيا أومن عقوبته في الدارين إلا من أقر بأنه ذنب فان من أنكر كونه ذنباً وكان مستحلا له فهو كافر لا يتوب، ولا يستحق العفو ، ولو كان المراد بالاقرار التوبة فيمكن أن يحمل على النجاة الكاملة أو النجاة قطعاً وإستحقاقاً، لأنه مع عدم التوبة هو في مشية الله إن شاء عذبه و إن شاء عفى عنه ، فلا ينافي الحصر و يمكن حمله على ما دل عليه الخبر الخامس : و كفى بالندم توبة ، ظاهره الاكتفاء بالندم في التوبة ، ولا يشترط فيه العزم على الترك في المستقبل ، وهو خلاف المشهور و ساير الأخبار إلا أن يحمل على الندم الكامل ، و هو مستلزم للعزم المذكور .

و قيل : إن الله تعالى خلق القلب قابلا للمخاطرات الحسنة و المخاطرات القبيحة و الأولى من الملك و الثانية من الشيطان ، ثم الثانية إذا أثرت في القلب حصل فيه شوق إلى الذنب و هو يوجب العزم و العزم يوجب تحرك القدرة و القوة إليه ، وتحرك القدرة يوجب تحرك الأعضاء إليه فيصدر منه الذنب ، و إذا أخذت بيده العناية الأزلية وأثرت فيه المخاطرات الحسنة وتحرك حصل له علم بأن الذنوب سموم مهلكة حصل له شوق إلى قرب المبدء و الرجوع إليه ، و زال عنه الشوق إلى الذنب ، فتحصل له ندامة عما كان فيه ، و هو المسمى بالتوبة ، فاذا زال الشوق إلى

قال : وقال أبوجعفر عليه السلام : كفى بالندم توبة .

٢ـ عدَّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضّال ، عمّن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا والله ما أراد الله تعالى من النّاس إلّا خصلتين : أن يقرُّوا له بالنعم فيزيدهم وبالذُّنوب فيغفرها لهم .

٣ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عمر[و] بن عثمان ، عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إنَّ الرَّجل ليذنب الذَّنب فيدخله الله به الجنّة

الذنب و حصلت له النّدامة زال العزم عليه ، و متى زال العزم زال تحرّك القوّة فيزول تحرّك الأعضاء لأنَّ المسبّبات تزول بزوال أسبابها ، كما يشعر به قول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الباب: أنَّ الندم على الذنب يدعو إلى تركه، فمعنى قوله عليه السلام: كفى بالندم توبة، أنّه إذا حصل الندم حصلت التوبة و الرّجوع إلى الله تعالى بالاقلاع عن الذنوب و الخروج منه لأنّه أصل له ، و سبب مؤدّ إليه، ولم يرد أنَّ مجرّد الندم من دون كفّ النّفس عن الذنوب كاف في الرّجوع إليه إذ ليس مجرّد ذلك توبة و ندامة ، بل هو شبيه بالاستهزاء ، نعم النّدامة المفضية إلى ترك الذنوب توبة و إن لم يستغفر منه .

الحديث الثاني : مرسل ، والمراد بالاقرار بالنّعم معرفة المنعم وقدر نعمته وأنّها منه تفضّلاً ، وهو شكر والشكر يوجب الزيادة لقوله تعالى : « ولئن شكرتم لأزيدنّكم »[1] وبالاقرار بالذنوب الاقرار بها مجملاً ومفصّلاً ، وهو ندامة منها ، والندامة توبة ، والتوبة توجب غفران الذنوب ، ويمكن أن يكون الحصر حقيقيّاً إذ يمكن إدخال كلّما أراد الله فيهما ، وقوله : لا والله . ردّ على المدّعين للصّلاح المغترّين بأعمالهم الذاهلين عن شرائط القبول وأسباب الوصول .

الحديث الثالث : كالسابق سنداً ومؤيّداً له متناً ، ويدلّ على أنَّ الذنب

---

(١) سورة ابراهيم : ٧ .

قلت : يدخله بالذّنب الجنّة ؟ قال : نعم إنّه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنّة .

٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن سنان ، عن معاوية بن عمّار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّه والله ماخرج عبد من ذنب باصرار وماخرج عبد من ذنب إلاّ باقرار .

٥ ـ الحسين بن محمّد ، عن محمّد بن عمران بن الحجّاج السبيعي [عن محمّد بن وليد] عن يونس بن يعقوب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : من أذنب ذنباً فعلم أنّ الله مطّلع عليه إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له وإن لم يستغفر .

الذي يوجب الخضوع والتذلّل خير من الطّاعة الّتي توجب العجب والتدلّل .

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور صحيح عندي .

« من ذنب » أي من أثره وإستحقاق العقوبة بسببه « باصرار » الباء للملابسة والظرف صفة للذّنب ، والباء في قوله : باقرار ، للملابسة أو السببيّة ، وعلى الاوّل تقديره إلاّ ذنب باقرار ، وعلى الثاني بشيء إلاّ باقرار ، و الاصرار إمّا فعليّ وهو المواظبة على نوع ذلك الذنب أو مطلقا ، أو حكميّ و هو العزم على فعله ثانياً وإن لم يفعل كما صرّح به بعض الأصحاب ، وسيأتي تحقيقه إن شاء الله ، وهو محمول على الخروج على سبيل القطع والاستحقاق كما مرّ .

الحديث الخامس . مجهول .

« فعلم أنّ الله مطّلع عليه » لعلّ المراد الّذي يؤثّر في النفس ويثمر العمل ، وإلاّ فكلّ مسلم يقرّ بهذه الامور ، ومن أنكر شيئاً من ذلك فهو كافر ، ومن داوم على مراقبة هذه الأمور وتفكّر فيها تفكّراً صحيحاً لا يصدر منه ذنب إلاّ نادراً ولو صدر منه يكون بعده نادماً خائفاً فهو تائب حقيقة وإن لم يستغفر باللّسان ، ولو عاد إلى الذنب مكرّراً لغلبة الشهوة عليه ، ثمّ يصير خائفاً مشفقاً لائماً نفسه فهو مفتّن توّاب .

٦ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن عليّ ، عن عبدالرَّحمن بن محمّد بن أبي هاشم ، عن عنبسة العابد ، عن أبي عبدالله عليه السّلام قال : إنَّ الله يحبُّ العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم ويبغض العبد أن يستخفَّ بالجرم اليسير .

٧ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن إسماعيل بن سهل ، عن حمّاد عن ربعي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إنَّ الندم على الشرِّ يدعو إلى تركه .

٨ ـ محمّد بن يحيى ، عن عليِّ بن الحسين الدَّقاق ، عن عبدالله بن محمّد ، عن أحمد ابن عمر عن زيد القتّات ، عن أبان بن تغلب قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما من عبد أذنب ذنباً فندم عليه إلّا غفرالله له قبل أن يستغفر ، وما من عبد أنعم الله عليه نعمة فعرف أنّها من عندالله إلّا غفرالله له قبل أن يحمده .

الحديث السادس : ضعيف .

« أن يطلب » أي بأن يطلب أو هو بدل إشتمال للعبد ، وتعدية الطلب بالى لتضمين معنى التوجّه ونحوه .

الحديث السابع : ضعيف .

« إنَّ الندم على الشرِّ » أي الندامة بعد الفعل وإن لم يكن مع العزم على الترك يدعو إلى التوبة والعزم على الترك بالكلّيّة .

الحديث الثامن : مجهول .

« إلّا غفرالله له قبل أن يحمده » الأنسب بالجزء الثاني إلّا زاد الله له أو حكم له بالزّيادة له .

﴿ باب ستر الذنب ﴾

١ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن عليّ ، عن العبّاس مولى الرّضا عليه السلام قال : سمعته عليه السلام يقول : المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيّئة مخذول ، والمستتر بالسيّئة مغفور له .

٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن محمّد بن صندل ، عن ياسر ، عن اليسع بن حمزة ، عن الرّضا عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة ، والمذيع بالسيّئة مخذول ، والمستتر بها مغفور له .

باب ستر الذنب

الحديث الاول: ضعيف .

« مولى الرّضا عليه السلام » أي كان من شيعته أو ممّن أعتقه ويقال المولى أيضاً لمن التحق بقبيلة ولم يكن منهم و«المستتر» على بناء الفاعل، والباء للتعدية و«يعدل» على بناء المجرّد ، وفي الاول تقدير أى فعل المستتر وسيأتي في كتاب الزكاة تعدل سبعين حجّة ، وقيل : الباء للمصاحبة مثل « إهبط بسلام»[1]« وقد دخلوا بالكفر»[2] «فسبّح بحمد ربّك» ويعدّل على بناء التفعيل أي يسوّى ويحصل «والمذيع بالسيّئة» لعدم المبالاة بالشرع ولقلّة الحياء « مخذول » يسلب عنه التوفيق « والمستتر بها » أي بالسيّئة حياءاً لا نفاقاً « مغفور له » ويدلّ الخبر على أنّ إخفاء الطّاعات أحسن من إظهارها لبعدها من الرّياء والسمعة ، وقيل : إظهارها أفضل وقيل : بالتفصيل بأنّ في الواجبات الاظهار أفضل لعدم التهمة ، وفي المستحبّات الاخفاء أفضل ، وقد يفصّل بوجه آخر وهو أنّه إن كان مأموناً من الرّياء والسمعة ، فالاظهار أفضل لأنّه يصير سبباً لتأسّي الغير به وعدم التهمة ، وإلاّ فالاخفاء أفضل وقد مرّ القول فيه .

الحديث الثاني : مجهول .

---

(١) سورة هود : ٤٨ . (٢) سورة المائدة : ٦١ .

﴿ باب ﴾

✿ (من يهم بالحسنة أو السيئة) ✿

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن حديد ، عن جميل بن درّاج عن زرارة ، عن أحدهما عليهما السلام قال : إنّ الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذرّيته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له بها عشراً

باب من يهم بالحسنة أوالسيئة

الحديث الاول : ضعيف .

ويدلّ على أنّه لا مؤاخذة على قصد المعاصي إذا لم يعمل بها ، وهو يحتمل وجهين ، الأوّل : أن تكون سيّئة ضعيفة يكفّرها تركها ، الثاني : أن لا يكون القصد متّصفاً بالحسن والقبح أصلا كما ذهب إليه جماعة ، والأوّل أظهر ، نعم لوكان بمحض الخطور بدون اختياره لا يتعلّق به التكليف وقد مرّ تفصيل ذلك في باب أنّ الايمان مبثوث لجوارح البدن ، وفي باب الوسوسة .

وقال المحقّق الطّوسي قدّس سرّه في التجريد : إرادة القبيح قبيحة وتفصيله أنّ ما في النفس ثلاثة أقسام : الأوّل: الخطرات الّتي لاتقصد ولا تستقرّ وقد مرّ أن لا مؤاخذة بها ولا خلاف فيه بين الأمّة ظاهراً ، والثاني : الهمّ وهو حديث النفس إختياراً أن تفعل شيئاً أوأن لاتفعل فان كان ذلك حسنة كتبت له حسنة واحدة ، فان فعلها كتبت له عشر حسنات ، وإن كانت سيّئة لم تكتب عليه ، فان فعلها كتبت عليه سيّئة واحدة ، كلّ ذلك مقتضى أحاديث هذاالباب ، وكأنّه لا خلاف فيه أيضاً بين الامّة إلاّ أنّ بعض العامّة صرّح بأنّ هذه الكرامة مختصّة بهذه الامّة ، وظاهر هذا الخبر أنّها كانت في الامم السّابقة أيضاً .

الثالث : العزم وهوالتصميم وتوطين النفس على الفعل أو الترك ، وقد اختلفوا فيه ، فقال أكثرالأصحاب : أنّه لايؤاخذ به لظاهر هذه الأخبار ، وقال أكثرالعامّة

ومن همّ بسيّئة ولم يعملها لم تكتب عليه [سيّئة] ومن همّ بها وعملها كتبت عليه سيّئة .

والمتكلّمين والمحدّثين أنّه يؤاخذ به لكن بسيّئة العزم لا بسيّئة المعزوم عليه ، لأنّها لم تفعل فان فعلت كتبت سيّئة ثانية لقوله تعالى : « إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا لهم عذاب أليم »[١] وقوله : « إجتنبوا كثيراً من الظنّ »[٢] .

ولكثرة الأخبار الدالّة على حرمة الحسد وإحتقار النّاس وإرادة المكروه بهم ، وحملوا الأحاديث الدالّة على عدم المؤاخذة على الهمّ .

والمنكرون أجابوا عن الآيتين بأنّهما مخصّصات باظهار الفاحشة والمظنون كماهوالظاهر من سياقهما ، وعن الثالث أنّ العزم المختلف فيه ماله صورة في الخارج كالزنا وشرب الخمر ، وأمّا ما لا صورة له في الخارج كالاعتقاديّات وخبائث النّفس مثل الحسد وغيره فليس من صور محلّ الخلاف ، فلا حجّة فيه على ما نحن فيه ، وأمّا إحتقار النّاس وإرادة المكروه بهم فاظهارهما حرام يؤاخذه به ولا نزاع فيه ، وبدونه أوّل المسئلة .

ثمّ الظاهر أنّه لا فرق في قوله : ومن همّ بسيّئة ولم يعملها لم يكتب عليه بين أن يعملها خوفاً من الله أو خوفاً من الناس وصوناً لعرضه .

ثمّ إنّ عشر أمثال الحسنة مضمونة ألبتّة لدلالة نصّ القرآن عليه ، وإنّ الله قد يضاعف لمن يشاء إلى سبعمأة ضعف ، كما جاء في بعض الأخبار ، وإلى ما لاحساب له كما قال سبحانه : « إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب »[٣] .

ثمّ اعلم أنّ الظاهر أنّ عدم المؤاخذة بارادة المعصية إنّما هو للمؤمنين فلا ينافي ما مرّ مرويّاً عن الصادق عليه السلام أنّه إنّما خلّد أهل النار في النار لأنّ نيّاتهم

---

(١) سورة النور : ١٩ .
(٢) سورة الحجرات : ١٢ . (٣) سورة الزمر : ١٠ .

كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً ، ولو سلّم العموم فانّما يعفى عنه إذا بقي زماناً عزم على فعله في ذلك الزمان ولم يفعل ، وفي الكافر ليس كذلك لأنّه لم يبق الزمان الّذي عزم على الفعل فيه .

فان قيل : لعلّه كان لو بقي في أزمنة الأبد عاد ولم يفعل ؟

قلنا : يعلم الله خلاف ذلك منهم ، لقوله سبحانه : « ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه » [1] وقد يجاب بأنّه لامنافاة بينهما ، إذ دلّ أحدهما على عدم المؤاخذة بنيّة المعصية إذا لم يفعلها ، ودلّ الآخر على المؤاخذة بنيّة المعصية إذا فعلها ، فانّ المنوىّ كالكفر وإستمراره مثلا موجود في الخارج ، فهذه النيّة ليست داخلة في النيّة بالسيّئة الّتي لم يعملها ، واعترض عليه بأنّ المعصية ليست سبباً للخلود على ما يفهم من الحديث المذكور ، لكونها في زمان منقطع محصور هو مدّة العمر ، كذلك نيّتها لأنّها تنقطع أيضاً عند إنقطاع العمر لدلالة الآيات و الروايات على ندامة العاصي عند الموت ، ومشاهدة أحوال الآخرة فينبغي أن يكون ثاويها في النار بقدر كونها في الدّنيا لا مخلّداً .

فأجيب أوّلاً : بأنّ هذه النيّة موجبة للخلود لدلالة الحديث عليه بلامعارض ، فوجب التسليم والقبول ، وثانياً : بأنّ صاحبها في هذه الدّنيا الّتي هي دار التكليف لم يفعل شيئاً يوجب نجاته من النار ، و ندامته بعد الموت لا تنفع لانقطاع زمان التكليف ، وثالثاً : أنّ سبب الخلود ليس ذات المعصية ونيّتها من حيث هي بل هو المعصية و نيّتها على فرض البقاء أبداً ، ولا ريب في أنّها معصية أبديّة موجبة للخلود أبداً انتهى .

وأقول : لا يخفى ما في الجميع من الوهن والضّعف ، وقد مرّ بعض القول منّا فيه في باب النيّة ، وقال الشهيد رفع الله درجته في القواعد : لا يؤثّر نيّة المعصية

(١) سورة الانعام : ٢٨ .

. . . .

عقاباً ولا ذمّاً مالم يتلبّس بها ، وهو ممّا ثبت في الأخبار العفو عنه ، ولو نوى المعصية وتلبّس بما يراه معصية ، فظهر خلافها ففي تأثير هذه النيّة نظر من حيث أنّها لم تصادف المعصية فقد صارت كنيّة مجرّدة وهي غير مؤاخذبها ، ومن دلالتها على إنتهاكه الحرمة وجرأته على المعاصي ، وقد ذكر بعض الأصحاب أنّه لو شرب المباح مشتبهاً بشراب المسكر فعل حراماً ، ولعلّه ليس لمجرّد النيّة بل بانضمام فعل الجوارح إليها .

ويتصوّر محل النّظر في صور : منها : مالو وجد امرأته في منزل غيره فظنّها أجنبيّة فأصابها فتيقّن أنّها زوجته أو أمته ، ومنها : ما لو وطيء زوجته فظنّها حايضاً فبان طاهراً ، ومنها : لوهجم على طعام بيدغيره فأكل منه فتبيّن ملك الآكل ومنها : لو ذبح شاة فظنّها للغير بقصد العدوان فظهرت ملكه ، ومنها : إذا قتل نفساً بظنّها معصومة فبانت مهدورة .

وقدقال بعض العامّة: يحكم بفسق متعاطي الملك لدلالته على عدم المبالاة بالمعاصي ويعاقب في الآخرة ما لم يتب عقاباً متوسّطاً بين عقاب الكبيرة والصغيرة ، وكلّ منهما تحكّم وتخرّص على الغيب ، إنتهى .

وقال شيخنا البهائي قدّس سرّه في بعض تعليقاته على الكتاب المذكور : قوله لايؤثر نيّة المعصية عقاباً ولا ذمّاً إلى آخره ، غرضه طاب ثراه أنّ نيّة المعصية وإن كانت معصية إلاّ أنّه لمّا وردت الأخبار بالعفو عنها لم يترتّب على فعلها عقاب ولا ذمّ وإن ترتّب إستحقاقهما ، ولم يرد أنّ قصد المعصية والعزم على فعلها غير محرّم كما يتبادر إلى بعض الأوهام ، حتّى لو قصد الافطار مثلاً في شهر رمضان ولم يفطر لم يكن آثماً ، كيف والمصنّف مصرّح في كتب الفروع بتأثيمه .

والحاصل أنّ تحريم العزم على المعصية ممّا لاريب فيه عندنا وكذا عند العامّة وكتب الفريقين من التفاسير وغيرها مشحونة بذلك ، بل هو من ضروريّات الدّين

. . . .

ولا بأس بنقل شيء من كلام الخاصّة والعامّة في هذا الباب ليرتفع به جلباب الارتياب: في الجوامع عند تفسير قوله تعالى : « إنّ السمع والبصر والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسئولا»[1] يقال : للانسان لِمَ سمعت ما لا يحلّ لك سماعه ؟ ولِمَ نظرت إلى ما لايحلّ لك النظر إليه ؟ ولِمَ عزمت على ما لا يحلّ لك العزم عليه ؟ انتهى .

وكلامه رحمه الله في مجمع البيان قريب من كلامه هذا .

وقال البيضاوى وغيره من علماء العامّة عند تفسير هذه الآية : فيها دليل على أنّ العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية ، انتهى .

وعبارة الكشّاف موافقة لعبارة الطبرسى ، وكذا عبارة التفسير الكبير للفخرى وقال السيّد المرتضى علم الهدى أنار الله برهانه في كتاب تنزيه الأنبياء عند ذكر قوله تعالى : « إن همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليّهما»[2] إنّما أراد تعالى أنّ الفشل خطر ببالهم ولو كان الهمّ في هذا المكان عزماً لما كان وليّهما ، ثمّ قال : وإرادة المعصية والعزم عليها معصية ، وقد تجاوز قوم حتّى قالوا العزم على الكبيرة كبيرة وعلى الكفر كفراً ، انتهى كلامه نوّر الله مرقده .

وكلام صاحب الكشّاف في تفسير هذه الآية مطابق لكلامه طاب ثراه ، وكذا كلام البيضاوى وغيره ، وأيضاً فقد صرّح الفقهاء بأنّ الاصرار على الصّغائر الّذي هو معدود من الكبائر إمّا فعليّ وهو المداومة على الصّغائر بلا توبة ، وإمّا حكميّ وهو العزم على فعل الصغائر متى تمكّن منها ، وبالجملة فتصريحات المفسّرين والفقهاء والاصوليّين بهذا المطلب أزيد من أن يحصى ، والخوض فيه من قبيل توضيح الواضحات ومن تصفّح كتب الخاصّة والعامّة لا يعتريه ريب فيما تلوناه .

فان قلت : قد ورد عن أئمّتنا عليهم السلام أخبار كثيرة وتشعر بأنّ العزم على المعصية

---

(١) سورة الاسراء : ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران : ١٢٢ .

٢ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي‌عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران ، عن أبي‌بصير ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : إنَّ المؤمن ليهمُّ بالحسنة ولا يعمل بها فتكتب له حسنة وإن هو عملها كتبت له عشر حسنات وإنَّ المؤمن ليهمُّ بالسيِّئة أن يعملها فلا يعملها فلا تكتب عليه .

٣ ـ عنه ، عن عليِّ بن حفص العوسي ، عن عليِّ بن السّائح ، عن عبدالله بن

ليس معصية ثمَّ ذكر هذا الخبر والّذي بعده ثمَّ قال : والأحاديث الواردة في الكافي وغيره بهذا المضمون كثيرة ؟

قلت : لا دلالة في تلك الأحاديث على ما ظننت من أنَّ العزم على المعصية ليس معصية ، وإنّما دلّت على أنَّ من عزم على معصية كشرب الخمر أو الزنا مثلا ولم يعملها لم يكتب عليه تلك المعصية الّتي عزم عليها و أين هذا عن المعنى الّذي ظننته ؟

قوله : فهو غير مؤاخذ بها ، أي غير معاقب عليها لأنّها معفوٌّ عنها ، قوله : منها لو وجد إمرأته « الخ » عدَّ بعضهم من هذه الصّور ما لو صلّى في ثوب يظنُّ أنّه حرير أو مغصوب عالماً بالحكم فظهر بعد الصّلاة أنّه ممزوج أو مباح ، وفرَّع على ذلك التردّد في بطلان صلاته ، والأولى عدم التردّد في بطلانها ، نعم يتمشّى صحّتها عند القائل بعدم دلالة النهي في العبادة على الفساد .

قوله : و كلاهما ، أي الحكم بفسق متعاطي ذلك و بعقابه عقاباً متوسّطاً قول بلا دليل ، و فيه: أنَّ دليل الأوَّل مذكور و سيّما على القول بأنَّ العزم على الكبيرة كبيرة فتأمّل .

قوله : و تخرص بالخاء المعجمة و الصّاد المهملة ، أي كذب و تخمين باطل ، انتهى .

الحديث الثاني : موثق .

الحديث الثالث : مجهول .

موسى بن جعفر ، عن أبيه قال : سألته عن الملكين هل يعلمان بالذّنب إذا أراد العبد أن يفعله أو الحسنة ؟ فقال ، ريح الكنيف وريح الطيب سواء ؟ قلت : لا ، قال : إنّ العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الرّيح فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال : قم فإنّه قد همّ بالحسنة فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له ، و إذا همّ بالسيّئة خرج نفسه منتن الرّيح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين : قف فإنّه قد همّ بالسيّئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده وأثبتها عليه .

٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن فضل ابن عثمان المرادي قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أربع من كنّ فيه لم يهلك على الله بعدهنّ إلاّ هالك ، يهمّ العبد بالحسنة فيعملها فإن هو

و الطّيب بفتح الطاء و تشديد الياء أو بكسر الطّاء ، و كأنّ هذان ريحان معنويّان يجدهما الملائكة لصاحب الشمال « قم » اى أبعد عنه ليس لك شغل به ، أو كناية عن التوقّف و عدم الكتابة كما أنّ في بعض النسخ قف ، و قول صاحب الشمال قف بهذا المعنى ، أو إشارة إلى أنّ صاحب اليمين يكتب له في كلّ نفس حسنة ما لم يفعل السيّئة أو يهمّ بها و عدم ذكر كتابة الحسنة مع عدم الفعل على الأوّل لا يدلّ على العدم ولا ينافي ساير الأخبار ، و يدلّ على أنّ الملك جسم كما اتّفق عليه المسلمون .

الحديث الرابع : صحيح .

و أربع مبتدء و الموصول بصلته خبر ، و تأنيث الأربع باعتبار الخصال أو الكلمات ، وقد يكون المبتدا نكرة إذا كان مفيداً و قيل : في قول الشاعر :

ثلاثـة تشرق الدّنيـا ببهجتها   شمس الضحى و أبواسحاق و القمر

ثلاثة خبر وشمس مبتدء ، ولا يخفى أنّه لايناسب هذا المقام ، وقيل في الشعر : ثلاثة مبتدأ و خبره محذوف أى لنا ثلاثة و شمس بدل ثلاثة و من إسم موصول

لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيّته وإن هو عملها كتب الله له عشراً ؛ ويهمّ بالسيّئة أن يعملها فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء وإن هو عملها اُجّل سبع ساعات وقال صاحب الحسنات لصاحب السيّئات وهوصاحب الشّمال : لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: «إنّ الحسنات يذهبن السيّئات»[1] أوالاستغفار فإن هوقال : أستغفر الله الّذي لا إله إلاّ هو ، عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ، الغفور الرّحيم ، ذوالجلال والإكرام وأتوب إليه ، لم يكتب عليه شيء

مبتدء فله عائدان الاول ضمير فيه ، و الثاني المستتر في لم يهلك ، و هذا المستتر منه لقوله : إلاّ هالك ، لأنّ مرجعه من ألفاظ العموم ، و ليس إلاّ هالك إستثناء مفرّغاً و المراد بمن كنّ فيه أن يكون مؤمناً مستحقّاً لهذه الخصال ، فانّ هذه الخصال ليست في غير المؤمن كما عرفت ، و قيل : معنى كنّ فيه أن يكون معلوماً له ، و ما ذكرنا أظهر.

و اعلم أنّ الهلاك في قوله : يهلك بمعنى الخسران و استحقاق العقاب و في قوله : هالك بمعنى الضّلال والشقاوة الجبليّة ، وتعديته بكلمة على إمّا بتضمين معنى الورود ، أي لم يهلك حين وروده على الله ، أو معنى الاجتراء أي مجترئاً على الله ، أو معنى العلوّ و الرفعة كأنّ من يعصيه تعالى يترفّع عليه و يخاصمه ، و يحتمل أن يكون على بمعنى في ، نحوه في قوله تعالى : « على حين غفلة »[2] أي في معرفته و أوامره و نواهيه ، أو بمعنى من بتضمين معنى الخبيئة كما في قوله تعالى : « اذا اكتالوا على الناس يستوفون »[3] أو بمعنى عن بتضمين معنى المجاوزة ، أو بمعنى مع أي حالكونه معه ومع ما هو عليه من اللّطف والعناية كما قيل فيقوله سبحانه: « و لقد اخترناهم على علم »[4] و جملة يهم إلى آخره إستيناف بياني .

---

(١) سورة هود : ١١٥ .

(٢) سورة القصص : ١٥ .

(٣) سورة المطففين : ٢ .

(٤) سورة الدخان : ٣٢ .

وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة وإستغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيّئات: اكتب على الشقيّ المحروم .

﴿ باب التوبة ﴾

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن معاوية بن وهب قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : إذا تاب العبد توبة نصوحاً

و قوله : فيعملها بالفاء السببيّة لتضمّن ما قبله معنى الترجّي ، و قوله : أن يعملها بدل اشتمال للسيّئة ، أو هو بتقدير لأن يعملها و قوله : فانّ الله ، كلام الرّسول صلى الله عليه وآله أو من تتمّة كلام الملك أو الاستغفار مجرور معطوف على قوله حسنة ، و قوله : فان قال بيان لأفضل أفراد الاستغفار و ليس الغرض الانحصار .

باب التوبة

الحديث الاول : صحيح .

و قال في النهاية في حديث أبيّ : سألت النبي صلى الله عليه وآله عن التوبة النّصوح فقال: هي الخالصة الّتي لا يعاود بعدها الذنب ، و فعول من أبنية المبالغة يقع على الذكر و الأنثى ، فكأنّ الانسان بالغ في نصح نفسه بها .

وقال الشيخ البهائي قدّس سرّه : قد ذكر المفسّرون في معنى التوبة النصوح وجوهاً: منها : أنّ المراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى أن يأتوا بمثلها لظهور آثارها الجميلة في صاحبها أو تنصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثمّ لا يعود إليها أبداً .

و منها: أنّ النصوح ما كانت خالصة لوجه الله سبحانه من قولهم عسل نصوح إذا كان خالصاً من الشمع بأن يندم على الذنوب لقبحها أو كونها خلاف رضا الله سبحانه لا لخوف النار مثلا ، وقد حكم المحقّق الطّوسي طاب ثراه في التجريد بأنّ الندم على الذنوب خوفاً من النار ليس توبة .

أحبّه الله فستر عليه في الدُّنيا والآخرة، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذُّنوب ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه ويوحي

و منها: أنّ النّصوح من النصاحة و هي الخياطة لأنّها تنصح من الدّين ما مزّقته الذنوب أو يجمع بين التائب و بين أولياء الله و أحبّائه كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب.

ومنها: أنّ النصوح وصف للتائب وإسناده إلى التوبة من قبيل الاسناد المجازيّ أي توبة ينصحون بها أنفسهم بأن يأتوا بها على أكمل ماينبغي أن تكون عليه حتّى تكون قالعة لآثار الذنوب من القلوب بالكلّيّة، و ذلك باذابة النفس بالحسرات، و محو ظلمة السيّئات بنور الحسنات.

روى الشيخ الطبرسي عند تفسير هذه الآية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ التوبة تجمعها ستّة أشياء، على الماضي من الذنوب الندامة، و للفرائض الاعادة، و ردّ المظالم، و إستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لاتعود، وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربّيتها في المعصية، و أن تذيقها مرارة الطّاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي.

و أورد السّيد الرّضي رضي الله عنه في كتاب نهج البلاغة أنّ قائلا قال بحضرته: أستغفر الله، فقال له: ثكلتك امّك أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيّين، و هو إسم واقع على ستّة معان أوّلها: الندم على ما مضى، الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، الثالث: أن يؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة، الرّابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها، الخامس: أن تعمد إلى اللّحم الذي نبت على السّحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد باللّحم، وينشأ بينهما لحم جديد، السادس: أن تذيق الجسم ألم الطّاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

و في كلام بعض الأكابر أنّه لايكتفي في جلاء المرآة قطع الأنفاس و الأبخرة المسوّدة لوجهها، بل لابدّ من تصقيلها و إزالة ما حصل في جرمها من السّواد،

إلى بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذّنوب ، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيءٌ يشهد عليه بشيء من الذّنوب .

كذلك لا يكفي في جلاء القلب من ظلمات المعاصي و كدوراتها ، مجرّد تركها و عدم العود إليها ، بل يجب محو آثار تلك الظّلمات بأنوار الطّاعات فانّه كما يرتفع إلى القلب من كلّ معصية ظلمة و كدورة كذلك يرتفع إليه من كلّ طاعة نور و ضياء ، فالأولى محو ظلمة كلّ معصية بنور طاعة تضادّها بأن ينظر التائب إلى سيّئاته مفصّلة ، و يطلب لكلّ سيّئة منها حسنة تقابلها ، فيأتي بتلك الحسنة على قدر ما أتى بتلك السيّئة .

فيكفّر إستماع الملاهي مثلا باستماع القرآن والحديث والمسائل الدينيّة، ويكفّر مسّ خط المصحف محدثاً باكرامه و كثرة تقبيله وتلاوته ، ويكفّر المكث في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه و كثرة التعبّد في زواياه و أمثال ذلك .

و أمّا في حقوق الناس فيخرج من مظالمهم أوّلا بردّها عليهم ، و الاستحلال منهم ، ثمّ يقابل ايذائه لهم بالاحسان إليهم ، وغصب أموالهم بالتصدّق بماله الحلال، و غيبتهم بالثناء على أصل الدّين وإشاعة أوصافهم الحميدة، وعلى هذا القياس يمحو كلّ سيّئة من حقوق الله أو حقوق الناس بحسنة تقابلها من جنسها ، كما يعالج الطبيب الأمراض بأضدادها ، نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لذلك بمنّه و كرمه .«ما كنبا عليه » كأنّ النّسبة إليهما على التغليب أولكون كتابة صاحب الشمال بأمر صاحب اليمين كما مرّ ، و قيل : الوحي إلى الجوارح و البقاع كناية عن محو الآثار الّتي تدلّ على المعصية عنهما ، و قيل : المراد بكتمان الجوارح و بقاع الأرض ذنوبه إمّا نسيانهما كما في الملكين ، أو عدم الشهادة بها ، والأوّل أظهر، و يؤيّده ما روى من طرق العامّة أنّه تعالى ينسي أيضاً جوارحه وبقاع الأرض ذنوبه، بل ربما يقال أنّه يمحوها عن لوح نفسه أيضاً ليكمل إستعداده لافاضة الفيض و الرّحمة عليه ، و يرتفع عنه الانفعال عند لقاء الرّب .

٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيّوب الخزّاز ، عن محمّد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ : « فمن جاءه موعظة من ربّه فانتهى فله ما سلف »[1] قال : الموعظة التوبة .

٣ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن محمّد بن عليّ ، عن محمّد بن الفضيل ، عن أبي الصباح الكنانيّ قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ « يا أيّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً »[2] قال : يتوب العبد من الذّنب

الحديث الثاني : حسن كالصحيح .

« فمن جاءه موعظة من ربّه » اى في الرّباء قال البيضاوى : أى فمن بلغه وعظ من الله و زجر عن الرّباء « فانتهى » أى فاتّعظ و تبع النهى « فله ما سلف » اى تقدّم أخذه قبل نزول التّحريم ولا يستردّ منه ، قال : الموعظة التوبة ، أى ما تدعو إلى التوبة وهى الموعظة المؤثّرة التي تترتّب عليها التوبة ، أو المراد بالموعظة أثرها ، فالمراد بقوله : فانتهى الاستمرار على التوبة وعدم العود ، ويحتمل أن يكون التوبة تفسيراً للجزئين معاً .

الحديث الثالث : ضعيف .

قوله عليه السلام : و أحبّ العباد ، كأنّ المراد أنّ الله تعالى أمر بالتوبة النصوح ، لكن إذا أذنب ثمّ تاب يحبّه الله أيضاً فالأحبيّة إضافيّة أو المعنى أنّه يتوب من ذنب توبة نصوحاً ثمّ يعود في ذنب آخر أو المراد بعدم العود العزم على عدم العود ، و قيل : لعلّ المراد بالمفتون التوّاب من لا يعود إلى الذنب بعد التوبة ، فيكون تأكيداً لما قبله ، و كونه أحبّ بالنظر إلى من يتوب ثمّ يعود ثمّ يتوب و هكذا ، لا بالنظر إلى من لم يذنب أصلاً .

و يحتمل أن يراد بها كثير التوبة بأن يتوب ثمّ يذنب ثمّ يتوب و هكذا

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٥ .

(٢) سورة التحريم : ٨ .

ثمّ لا يعود فيه .

قال : محمّد بن الفضيل : سألت عنها أبا الحسن عليه السلام فقال : يتوب من الذّنب ثمّ لا يعود فيه ، وأحبّ العباد إلى الله تعالى المفتّنون التوّابون .

٤ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي أيّوب ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : «يا أيّها الّذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً» قال : هو الذّنب الّذي لا يعود فيه أبداً ، قلت : وأيّنا لم يعد ؛ فقال : يا أبا محمّد إنّ الله يحبّ من عباده المفتّن التوّاب .

٥ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا رفعه قال : إنّ الله عزّ وجلّ أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطى خصلة منها جميع أهل

و هو أحبّ ممّن يتوب عن الذنوب كلّها توبة واحدة ، وممّن يذنب ذنوباً ثم يتوب منها ثمّ يذنب ذنوباً ثمّ يتوب منها ، و قيل : اللاّم في العباد للعهد ، و المفضّل عليه من مات بلا توبة .

الحديث الرابع : حسن كالصحيح و هو كالسّابق .

قوله : هو الذنب أي التوبة من الذنب ، وقد مرّ معنى المفتّن في باب تنقّل أحوال القلب .

الحديث الخامس : مرفوع كالحسن .

« ثلاث خصال » الاولى أنّه يحبّهم ، و الثانية أنّ الملائكة يستغفرون لهم ، و الثالثة أنّه عزّ و جلّ وعدهم الأمن والرّحمة ، و قال تعالى في سورة البقرة : « يسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النّساء في المحيض ولا تقربوهنّ حتّى يطهرن فاذا تطهّرن فأتوهنّ من حيث أمركم الله » ثمّ قال : « إنّ الله يحبّ التوّابين و يحبّ المتطهّرين » فقيل : إنّ المعنى يحبّ التوّابين عن النجاسات

السّماوات و الأرض لنجوابها، قوله عزّوجلّ : « إنّ الله يحبّ التّوابين و يحبّ المتطهّرين »[1] فمن أحبّه الله لم يعذّبه ؛ و قوله : « الّذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للّذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ شيء رحمة وعلماً

الباطنة و هي الذنوب ، و يحبّ المتطهّرين من النجاسات الظاهرة بالماء ، و قيل : يحبّ التوّابين من الذنوب و المتطهّرين الّذين لم يذنبوا ، و قيل : التوّابين من الكبائر و المتطهّرين من الصّغائر ، و قيل : التائبين من المحرّمات و المتطهّرين من المكروهات كالوطى بعد الحيض و قيل: الغسل ، و ورد في الحديث أنّها وردت في المتطهّرين بالماء في الاستنجاء .

« الّذين يحملون العرش و من حوله » و قال البيضاوى : الكرّوبيّون أعلى طبقات الملائكة و أوّلهم وجوداً و حملهم إيّاه و حفيفهم حوله مجاز عن حفظهم و تدبيرهم له ، أو كناية عن قربهم من ذى العرش و مكانتهم عنده و توسيطهم في نفاذ أمره « يسبّحون بحمد ربّهم » يذكرون الله بجوامع الثناء من صفات الجلال و الاكرام ، و جعل التسبيح أصلا و الحمد حالا ، لأنّ الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح .

« و يؤمنون به » أخبر عنهم بالايمان إظهاراً لفضله و تعظيماً لاهله ، ومساق الآية لذلك كما صرّح به بقوله : « و يستغفرون للذين آمنوا » وإشعاراً بأنّ حملة العرش و سكّان الفرش في معرفته سواء ردّاً على المجسّمة و إستغفارهم شفاعتهم و حملهم على التوبة ، و إلهامهم بما يوجب المغفرة .

و فيه تنبيه على أنّ المشاركة في الايمان توجب النصح و الشفقة ، و إن تخالفت الأجناس لأنّها أقوى المناسبات كما قال : « إنّما المؤمنون إخوة » .

« ربّنا » أى يقولون ربّنا و هو بيان ليستغفرون أو حال « وسعت كلّ شيء رحمة و علماً » أى وسعت رحمته و علمه فأزيل عن أصله للاغراق في وصفه بالرّحمة

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٢ .

فاغفر للّذين تابوا و اتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربّنا و أدخلهم جنات عدن الّتي وعدتهم و من صلح من آ بائهم و أزواجهم و ذرّيّاتهم إنّك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيّئات و من تق السيّئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم »[1] وقوله عزّوجلّ : « والّذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً * إلاّ من تاب و آمن وعمل عملاً صالحاً فاُولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً »[2].

و إلعلم و المبالغة في عمومهما ، و تقديم الرّحمة لأنّها المقصود بالذّات ههنا «فاغفر للّذين تابوا و اتّبعوا سبيلك » أى للّذين علمت منهم التوبة و اتّباع سبيل الحقّ « و قهم عذاب الجحيم » اى و احفظهم عنه و هو تصريح بعد إشعار للتأكيد ، و الدلالة على شدّة العذاب « الّتى وعدتهم » أى إيّاها « و من صلح » عطف على هم الاول ، أى أدخلهم و معهم هؤلاء ليتمّ سرورهم أو الثانى لبيان عموم الوعد « إنّك أنت العزيز » الذى لا يمتنع عليه مقدور « الحكيم » الّذى لا يفعل إلاّ ما تقتضيه حكمته ، و من ذلك الوفاء بالوعد .

« وقهم السيّئات » وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بمن صلح أو المعاصى في الدّنيا لقوله : « و من تق السيّئات يومئذ فقد رحمته » أى و من تقها في الدّنيا فقد رحمته في الآخرة كأنّهم سألوا السّبب بعد ما سألوا المسبّب « و ذلك هو الفوز العظيم » يعنى الرّحمة أو الوقاية أو مجموعهما .

«أولئك يبدّل الله سيّئاتهم حسنات» قيل : بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدّل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة، وقيل: بأن يوفّقه لاضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كلّ عقاب ثواباً كما ورد في الخبر .

---

(١) سورة المؤمن : ٧ ــ ٩ . (٢) سورة الفرقان : ٦٨ .

٦ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن العلاء ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا محمّد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة و المغفرة ، أما والله إنّها ليست إلّا لأهل الإيمان قلت : فإن عاد بعد التوبة و الاستغفار من الذّنوب وعاد في التوبة ؟! فقال : يا محمّد بن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثمّ لا يقبل الله توبته ؟ قلت : فإنّه فعل ذلك مراراً ، يذنب ثمّ يتوب و يستغفر [الله] ، فقال : كلّما عاد المؤمن بالاستغفار و التوبة عاد الله عليه بالمغفرة و إنّ الله غفور رحيم ، يقبل التوبة و يعفو عن السيّئات ، فإيّاك أن تقنّط المؤمنين من رحمة الله .

٧ ـ أبوعليّ الأشعري ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن ابن فضّال ، عن ثعلبة بن

الحديث السادس : صحيح .

« أترى العبد » الهمزة للانكار ، و فيه دلالة على أنّ التوبة مقرونة بالقبول البتّة ، و يدلّ عليه أيضاً قول أميرالمؤمنين عليه السلام : ما كان الله يفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة ، ويدلّ عليه أيضاً ظاهر الآيات ، و قال محيي الدّين البغوى : التوبة من الكافر مقطوع بقبولها ، و اختلف في قبولها من المعاصى فقيل كذلك ، وقيل : لاينتهى إلى القطع لأنّ الظواهر الّتى جائت بقبولها ليست بنصّ و إنّما هى نصوصات معرضة للتأويل ، و قال عياض : قبولها ليس بواجب على الله تعالى عقلا ، و إنّما علمناه بالشّرع و الاجماع خلافاً للمعتزلة في إيجابهم ذلك عقلا على أصلهم في التحسين و التقبيح ، و يدلّ على تحريم تقنيط المؤمنين من رحمة الله الواسعة ، بل لابدّ أن يكون الواعظ متوسّطاً بين الترغيب و الترهيب .

و أمّا إذا كان الاغترار و الرّجاء غالبين على المستمعين فينبغى أن يزيد في الترهيب و إذا كان القنوط و الخوف غالبين عليهم ينبغى أن يبالغ في الترغيب كما هو مقتضى البلاغة .

الحديث السابع : موثق .

ميمون ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سألته ، عن قول الله عزّ وجلّ « إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون »[1] قال : هو العبد يهمّ بالذّنب ثمّ يتذكّر فيمسك فذلك قوله : « تذكّروا فإذا هم مبصرون » .

٨ ـ علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عمر بن اُذينة ، عن أبي عبيدة الحذّاء قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنّ الله تعالى أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته و زاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله أشدّ فرحاً بتوبة

« إذا مسّهم طائف من الشيطان » قال البيضاوي : اي لمّة منه وهو إسم فاعل من طاف يطيف كأنّها طافت بهم و دارت حولهم ، فلم يقدر أن يؤثّر فيهم ، أو من طاف به الخيال يطيف طيفاً تذكّروا ما أمر الله به و نهى عنه « فاذاهم مبصرون » بسبب التذكّر مواقع الخطاء و مكائد الشيطان فيتحرّزون عنها ولا يتبعّونه فيها.

و قال في النهاية : طيف من الجنّ أى عرض منهم ، و أصل الطيف الجنون ثمّ استعمل في الغضب ومسّ الشيطان و وسوسته ، و يقال له طائف أيضاً وقد قرء بهما قوله تعالى : « إنّ الذين اتّقوا » الآية يقال : طاف يطيف و يطوف طيفاً و طوفاً فهو طائف ، ثمّ سمّى بالمصدر ، انتهى .

« يهمّ » بالضمّ أي يقصد و قيل: بالكسر من الهميم و هو الذهاب في طريق ، فالباء للملابسة أو بناء المجهول من الافعال و الباء للآلة من الاهمام و هو الازعاج، ولا يخفى بعدهما .

الحديث الثامن : حسن كالصحيح .

« و زاده » وفي بعض النسخ ومزاده و الأوّل أصوب ، في المصباح : زاد المسافر طعامه المتّخذ لسفره ، و الجمع أزواد و المزادة بكسر الميم و عاء التمر ، و المزادة مفعلة من الزاد لأنّه يتزوّد فيها الماء ، و مثل هذا الحديث رواه مسلم في صحيحه بطرق متعدّدة عن النبى صلى الله عليه وآله قال : لله أشدّ فرحاً بتوبة عبده من رجل في أرض

---

(١) سورة الاعراف : ٢٠١ .

عبده من ذلك الرّجل براحلته حين وجدها .

٩ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن إسماعيل ، عن عبدالله بن عثمان ، عن أبي جميلة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ الله يحبُّ العبد المفتّن التّوّاب و من لم يكن ذلك منه كان أفضل .

١٠ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن النعمان ، عن محمّد بن سنان ، عن يوسف [بن] أبي يعقوب بيّاع الأرز ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سمعته يقول: التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمقيم على الذّنب وهو مستغفر منه كالمستهزىء .

دويّة مهلكة معه راحلته عليها طعامه و شرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتّى أدركه العطش ، ثمّ قال : إرجع إلى مكانى الذى كنت فيه فأنام حتّى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ و عنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشدّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته و زاده .

و قال في النهاية : الدوّ الصحراء الّتي لا نبات بها ، و الدويّة منسوبة إليها ، وقد يبدل من إحدى الواوين ألف فيقال : داوية على غير قياس ، نحو طائى في النسب إلى طيّ ، وقال في حديث التوبة: لله أشدّ فرحاً بتوبة عبده ، الفرح هيهنا وفي أمثاله كناية عن الرضا و سرعة القبول و حسن الجزاء ، لتعذّر إطلاق ظاهر الفرح على الله تعالى.

الحديث التاسع : ضعيف .

و يدلّ على أنّ التارك للذنب أفضل من التوّاب ، و لعلّه محمول على ما إذا لم يصر سبباً لعجبه أو على ما إذا عرض له بترك المندوبات و فعل المكروهات مثل تلك الحالة كما كان للانبياء عليهم السلام وقد مرّ تحقيق ذلك .

الحديث العاشر : ضعيف على المشهور .

« كمن لا ذنب له » أى في عدم العقوبة لا التساوى في الدّرجة و إن كان غير مستبعد في بعض أفرادهما كما عرفت « كالمستهزء » أى بنفسه أو بشرايع الدّين أو بربّ العالمين أى شبيه به لأنّه يظهر الندم و ليس بنادم حقيقة إذ النّدامة الحقيقيّة تستتبع الترك كما عرفت ، ويظهر الخوف و ليس كذلك ولو كان مستهزئاً

١١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ و عدَّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى داود عليه السلام أن ائت عبدي دانيال فقل له : إنّك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك و عصيتني فغفرت لك ، فإن أنت عصيتني الرَّابعة لم أغفر لك ، فأتاه داود عليه السلام فقال : يا دانيال إنّني رسول الله إليك و هو يقول لك : إنّك عصيتني فغفرت لك و عصيتني فغفرت لك و عصيتني فغفرت لك فإن أنت عصيتني الرَّابعة لم أغفر لك ، فقال له دانيال : قد أبلغت يا نبيَّ الله ، فلمّا كان في السحر قام دانيال فناجى ربّه فقال : يا ربّ إنَّ داود نبيّك أخبرني عنك أنّني قد عصيتك فغفرت لي و عصيتك فغفرت لي و عصيتك فغفرت لي و أخبرني عنك أنّني إن عصيتك الرَّابعة لم تغفر لي ، فوعزَّتك لئن لم تعصمني لأعصينّك ، ثمَّ لأعصينّك ثمَّ لأعصينّك .

١٢ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن موسى بن القاسم ، عن جدِّه

حقيقة لكان كافراً بالله العظيم ، و قيل : الظاهر أنَّ الذنب أعمُّ من أن يكون من نوع واحد أو من أنواع متعدّدة ، ففيه دلالة على ما ذهب إليه بعض المحقّقين من أنَّ التّوبة إنّما يتحقّق بالندم من جميع الذنوب و الاقلاع عنها ، و فيه نظر .

الحديث الحاديعشر : حسن كالصحيح .

و العصيان محمول على ترك الأولى ، لانَّ دانيال عليه السلام كان من الأنبياء وهم معصومون من الكبائر و الصّغائر عندنا كما مرَّ[1] « لئن لم تعصمني لأعصينّك » فيه مع الاقرار بالتقصير إعتراف بالعجز عن مقاومة النفس و أهوائها ، و حثٌّ على التوسّل بذيل الألطاف الرَّبانيّة و الاستعاذة من التسويلات النفسانيّة و الوساوس الشيطانيّة .

الحديث الثانيعشر : ضعيف ، وقد مرَّ عن معاوية بسند آخر .

(١) ويمكن ان يقال : ان دانيال في هذا الحديث اسم رجل كان من امة داود عليه السلام و ليس المراد منه دانيال النبي عليه السلام و ليس في الحديث ما يدل على انه دانيال النبي (ع) حتى نحتاج الى ما ذكره الشارح من الحمل .

الحسن بن راشد ، عن معاوية بن وهب قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه ، فقلت : و كيف يستر عليه ؟ قال : ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه و يوحي [الله] إلى جوارحه و إلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه ، فيلقى الله عزّوجلّ حين يلقاه و ليس شيءٌ يشهد عليه بشيء من الذّنوب .

١٣ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري ، عن ابن القدّاح ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : إنّ الله عزّوجلّ يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالّته إذا وجدها .

﴿ باب ﴾

✿(الاستغفار من الذنب)✿

١ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي‌عمير ، عن محمّد بن حمران ، عن زرارة قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ العبد إذا أذنب ذنباً اُجّل من غدوة إلى اللّيل فإن استغفر الله لم يكتب عليه .

الحديث الثالث عشر : ضعيف ، وقد مرّ مضمونه .

باب الاستغفار من الذنوب (١)

الحديث الاول : مجهول .

« من غدوة إلى اللّيل » أي من مثل ذلك الزمان ، و يمكن أن يكون زمان التّأجيل متفاوتاً بحسب تفاوت الأشخاص و الأحوال و الذنوب ، أو يكون المراد بالغدوة قبل الزوال أو باللّيل ما قرب منه ، فلا ينافي أخبار السّبع ساعات، و قيل: لم يحسب فيه ساعات النوم ، و يحتمل أن يكون المراد بالاستغفار التوبة بشرائطها و أن يكون محض طلب المغفرة و هو أظهر، وقد يقال: الفرق بين التوبة و الاستغفار أنّ التوبة ترفع عقوبة الذنوب ، و الاستغفار طلب الغفر و السّتر عن الأغيار كيلا يعلمه أحد ولا يكون عليه شاهد .

---

(١) كذا في النسخ و في المتن « من الذنب » .

٢ ـ عنه، عن ابن أبي عمير؛ و أبوعليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن صفوان، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: من عمل سيّئة اُجّل فيها سبع ساعات من النّهار فإن قال: أستغفر الله الّذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم ـ ثلاث مرّات ـ لم تكتب عليه.

٣ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه؛ و أبوعليّ الأشعري، و محمّد بن يحيى، جميعاً، عن الحسين بن إسحاق، عن عليّ بن مهزيار، عن فضالة بن أيّوب، عن عبدالصمد ابن بشير، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجّله الله سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء و إن مضت السّاعات ولم يستغفر كتبت عليه سيّئة و إنّ المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنّة حتّى يستغفر ربّه فيغفر له وإنّ الكافر لينساه من ساعته.

٤ ـ حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد، عن غير واحد، عن أبان، عن زيد الشحّام، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله يتوب إلى الله عزّوجلّ

الحديث الثاني: صحيح.

و الحيّ إمّا منصوب صفة للجلالة أو مرفوع ببدليّة الضمير أو كونه خبر مبتدء محذوف، و كان هذا بيان الفرد الأكمل لاطلاق ساير الأخبار.

الحديث الثالث: مجهول.

« كتبت عليه سيّئة » بالرفع « ليذكّر » على بناء المفعول من التفعيل، و يحتمل المعلوم من المجرّد لكنّه بعيد « لينساه » على بناء المجهول أو المعلوم، و ذكر المؤمن من لطفه سبحانه و نسيان الكافر من سلب لطفه تعالى عنه ليؤاخذه بالكفر و الذنب جميعاً، و حمل الكفر على كفر النعمة و كفر المخالفة بناءاً على أنّ كفر الجحود لا ينفع معه التوبة عن الذنب و الاستغفار إلاّ عن الكفر بعيد، لأنّ الكفر بالمعنيين الاولين يجامع الايمان أيضاً إلاّ أن يحمل الايمان على الكامل.

الحديث الرابع: مرسل كالموثق.

في كلّ يوم سبعين مرّة ، فقلت : أكان يقول : أستغفر الله و أتوب إليه؟ قال : لا ولكن كان يقول : أتوب إلى الله قلت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب ولا يعود و نحن نتوب

«ولكن كان يقول أتوب إلى الله» اى بدون أستغفر الله أو معه ، و على الأوّل كأنّ المراد أنّ الاستغفار لم يكن داخلاً في هذا العمل و إن كان يستغفر بوجه آخر ، و يؤيّد الأخير ماسيأتي في كتاب الدعاء في باب الاستغفار باسناده عن الحارث ابن المغيرة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله عزّ وجلّ كلّ غداة يوم سبعين مرّة ، و يتوب إلى الله عزّ وجلّ سبعين مرّة ، قال : قلت : كان يقول : أستغفر الله و أتوب إليه ؟ قال : كان يقول استغفر الله أستغفر الله سبعين مرّة ، و يقول : أتوب إلى الله أتوب إلى الله سبعين مرّة .

ثمّ اعلم أنّ استغفاره عليه السلام و الأئمّة لم يكن عن ذنب لاتّفاق الاماميّة على عصمتهم ، وقد مرّ الكلام في ذلك .

و قال الاربلي في كشف الغمّة و غيره : أنّ الأنبياء لمّا كانت قلوبهم مستغرقة بذكر الله و متعلّقة بجلال الله و متوجّهة إلى كمال الله ، و كانت أتمّ القلوب صفاءاً و أكثرها ضياءاً و أعرفها عرفاناً وأعرفها إذعاناً وأكملها ايقاناً، كانوا إذا انحطّوا عن تلك المرتبة العليّة ، و نزلوا عن تلك الدرجة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل و المشرب و التناكح و الصحبة مع بني نوعه ، و غير ذلك من المباحات أسرعت كدورة ما إليها لكمال رقّتها وفرط نورانيّتها ، فانّ الشيء كلّما كان أرقّ وأنضر كان تأثّره بالكدورات أبين و أظهر ، فعدّوا ذلك ذنباً و خطيئة فتابوا واستغفروا كما روى عنه : حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين ، و إليه يشير قوله صلى الله عليه وآله : ليران على قلبي و أنا استغفر بالنهار سبعين مرّة .

و قيل : أراد به تعليم النّاس كيفيّة التوبة و الاستغفار من الذنوب ، و قيل : هو محمول على الاعتراف بالعبوديّة و أنّ البشر في مظنّة التقصير والعجز، على أنّ رفع ذلك عن توبته ظاهر ، لأنّ التوبة في اللّغة الرّجوع إلى الحقّ عزّ شأنه و

و نعود ، فقال : الله المستعان .

٥ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم ، عن أبي أيّوب عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من عمل سيّئة اُجّل فيها سبع ساعات من النّهار ، فإن قال : أستغفر الله الّذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم و أتوب إليه ـ ثلاث مرّات ـ لم تكتب عليه .

٦ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عن عليّ بن عقبة بيّاع الأكسية عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ المؤمن ليذنب الذّنب فيذكر بعد عشرين سنة فيستغفر الله منه فيغفر له و إنّما يذكّره ليغفر له و إنّ الكافر ليذنب الذّنب فينساه من ساعته .

٧ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن ابن محبوب، عن هشام ابن سالم ، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من مؤمن يقارب في يومه وليلته أربعين كبيرة ، فيقول و هو نادم : أستغفر الله الّذي لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم بديع السّماوات و الأرض ذوالجلال و الإكرام و أسأله أن يصلّي على محمّد و آل محمّد و أن يتوب عليّ . إلاّ غفرها الله عزّوجلّ له ولا خير فيمن يقارف في يوم أكثر

إن لم تكن من ذنب ، يقال : تاب و آب و أناب إذا رجع إلى الحقّ .

« كان يتوب ولا يعود » كأنّه توهّم أنّ التوبة عن ذنب أو غرضه عدم العود إلى ترك الاولى، أو المراد بالعود أصل الفعل على المشاكلة ، بناءاً على تجويز التقديم .

الحديث الخامس : صحيح وقد مرّ ، و حمل على ما إذا كان مع الندم كما سيأتي .

الحديث السادس : موثق وقد مر مثله .

الحديث السابع : مرسل .

و يشعر بأنّ الكبائر أكثر من أربعين ، لكن يحتمل تكرار كبيرة واحدة والتقييد بالندم لئلاّ يشبه استغفار المستهزئين «في يومه» أي مع ليلته بقرينة مامرّ .

من أربعين كبيرة .

٨ ـ عنه ، عن عدّة من أصحابنا ، رفعوه ، قالوا: قال : لكلّ شيء دواء و دواء الذّنوب الاستغفار .

٩ ـ أبوعليّ الأشعريّ ؛ و محمّدبن يحيى جميعاً ، عن الحسين بن إسحاق؛ وعليّ ابن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن عليّ بن مهزيار ، عن النضر بن سويد، عن عبدالله ابن سنان ، عن حفص قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ما من مؤمن يذنب ذنباً إلاّ أجّله الله عزّوجلّ سبع ساعات من النّهار ، فإن هو تاب لم يكتب عليه شيء و إن هو لم يفعل كتب [الله] عليه سيّئة . فأتاه عبّاد البصري فقال له : بلغنا أنّك قلت : ما من عبد يذنب ذنباً إلاّ أجّله الله عزّوجلّ سبع ساعات من النّهار ؟ فقال: ليس هكذا قلت و لكنّي قلت : ما من مؤمن، و كذلك كان قولي .

١٠ ـ محمّدُ بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن عمّار ابن مروان قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : من قال : «أستغفر الله» مائة مرّة في [كلّ]

الحديث الثامن : مرفوع .

و الظاهر أنّ ضمير قال للصادق أو الباقر عليهما السلام، شبّه عليه السلام الذنوب بالمرض المهلك ، و أثبت لها الدواء على سبيل المكنيّة و التخييليّة و حمل الاستغفار على الدّواء من باب حمل المشبّه على المشبّه به للدلالة على الاتّحاد والتعريف للحصر.

الحديث التاسع : مجهول .

وقال الشيخ البهائي قدّس سرّه: عبدالله بن سنان أكثر ما يرويه عن الصّادق عليه السلام بدون واسطة ، وقد يروى عنه بواسطة كما رواه في كيفيّة الصّلاة و صفتها من التهذيب بتوسّط حفص الأعور تارة و بتوسّط عمر بن يزيد أخرى ، و يدلّ على أنّ التأجيل مخصوص بالمؤمن لا الكافر و المخالف .

الحديث العاشر : ضعيف على المشهور .

يوم غفر الله عزّوجلّ له سبعمائة ذنب و لاخير في عبد يذنب في[كلّ] يوم سبعمائة ذنب .

﴿ باب ﴾

✿(فيما اعطى الله عزوجل آدم عليه‌السلام وقت التوبة)✿

١ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي‌عمير ، عن جميل بن درّاج ، عن ابن بكير ، عن أبي عبدالله أو عن أبي جعفر عليهما‌السلام قال : إنّ آدم عليه‌السلام قال : يارب سلّطت عليّ الشيطان و أجريته منّي مجرى الدّم فاجعل لي شيئاً ، فقال : يا آدم

« غفرالله له سبعمائة ذنب » أي ممّا فعله في ذلك اليوم ثمّ قال عليه‌السلام : ولاخير « الخ » لئلاّ يغترّ العبد بذلك فيذنب كلّ يوم سبعمائة ذنب، فانّ مثله لاخير فيه، ولا يوفّق للاستغفار و التوبة ، و الذنب يشمل الصّغيره و الكبيرة و الملفّق منهما ، و ليس كلّ في بعض النسخ في الموضعين ، فيمكن أن يكون المراد سبعمائة ذنب في عمره ، و يكون قوله عليه‌السلام : الاخير لبيان رفع توهّم شموله لهذا الاحتمال .

باب فيما اعطى الله عزوجل آدم
وقت التوبة

قيل : ما مصدريّة ، و وقت مفعول ثان لأعطى ، أي من نسعة زمان التوبة ، و المراد إمّا أبوالبشر عليه‌السلام أو ذريّته كما يقال قريش و يراد أولاده ، و يحتمل أن تكون ما موصولة و وقت التوبة ظرفاً بأن يكون إعطاء ذلك في وقت توبته و الأوّل أظهر .

الحديث الاول : حسن .

« سلّطت عليّ » أي عليّ و على أولادي « و أجريته منّي » روى العامّة أيضاً أنّ الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم ، وقال بعضهم: ذهب قوم ممّن ينتمي

جعلت لك أنّ من همّ من ذرّيّتك بسيّئة لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيّئة و من همّ منهم بحسنة فإن لم يعملها كُتبت له حسنة فإن هو عملها كُتبت له عشراً ، قال : يا ربّ زدني ، قال : جعلت لك أنّ من عمل منهم سيّئة ثمّ إستغفر له غفرت له ، قال : يا ربّ زدني ، قال : جعلت لهم التوبة ـ أو قال : بسطت لهم التوبة ـ حتّى تبلغ النفس هذه ، قال : يا ربّ حسبي .

إلى ظاهر العلم إلى أنّ المراد به أنّ الشيطان لا يفارق ابن آدم مادام حيّاً كما لايفارقه دمه ، و حكى هذا عن الأزهرى وقال : هذا طريق ضرب المثل، والجمهور من علماء الامّة أجروا ذلك على ظاهره و قالوا : إنّ الشيطان جعل له هذا القدر من التطرّق إلى باطن الآدمى بلطافة هيئته، لمحنة الابتلاء و يجرى في العروق الّتى هى مجارى الدّم من الآدمى إلى أن يصل إلى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف ايمان العبد و قلّة ذكره و كثرة غفلته ، و يبعد عنه و يقلّ تسلّطه و سلوكه إلى باطنه بمقدار قوّة ايمانه و يقظته ، و دوام ذكره و إخلاص توحيده .

و ما رواه المفسّرون عن ابن عبّاس قال : إنّ الله جعل الشياطين من بنى آدم مجرى الدّم، وصدور بنى آدم مساكن لهم مؤيّد لما ذهب إليه الجمهور وهم يسمّون وسوسته لمّة الشيطان ، ومن ألطافه تعالى أنّه هيّأ ذوات الملائكة على ذلك الوصف من أجل لطافتهم وأعطاهم قوّة الحفظ لبنى آدم، وقوّة الالمام في بواطنهم ، وتلقين الخير لهم في مقابلة لمّة الشيطان ، كما روى أنّ للملك لمّة بابن آدم ، و للشيطان لمّة ، لمّة الملك إيعاد بالخير و تصديق بالحقّ و لمّة الشيطان إيعاده بالشرّ و تكذيب بالحقّ ، فمن وجد من ذلك فليستعذ بالله من الشيطان ، وقالوا : إنّما ينكر مثل هذا عقول أسراء العادات الذين إستولت عليهم المألوفات، فما لم يجدوا في مستقرّ عاداتهم أنكروه كما أنكر الكفّار إحياء العظام النخرة و إعادة الأجسام البالية و الذى يجب هو التسليم بما نطق به الخبر الصّحيح ولا يأباه العقل السّليم .

«أو بسطت» الترديد من الراوى «حتّى تبلغ النفس» النفس بالتحريك ما يخرج من الحىّ عند التنفّس ، و بالسّكون الرّوح و الأخير هنا أظهر ، و المقصود أنّ

۲ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن فضّال ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثمَّ قال : إنَّ السنة لكثيرةٌ من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ، ثمَّ قال : إنَّ الشهر لكثير ، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته ، ثمّ قال : إنَّ الجمعة لكثير

باب التوبة مفتوح إلى أن يبلغ النفس الحلقوم و تتحقّق الغرغرة ، فاذا بلغت هذه فلا توبة ، لأنّه وقت المعاينة، والتوبة إنّما يكون في حال الغيب ، و روى من طريق العامّة أنّ إبليس بعد ما صار ملعوناً و أنظر قال : بعزّتك لا أخرج عن قلب ابن آدم مادام الروح في بدنه ، فقال الله تبارك و تعالى : بعزّتي لا أسدّ باب التوبة عليه مادام الروح في بدنه .

الحديث الثاني : مرسل .

«من تاب قبل موته بسنة» قال الشيخ البهائي قدّس سرّه في الأربعين : المراد بقبول التوبة إسقاط العقاب المترتّب على الذنب الذى تاب منه ، و سقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الاسلام ، و إنّما الخلاف في أنّه هل يجب على الله حتّى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً أو هو تفضّل بفعله سبحانه كرماً منه و رحمة بعباده؟

المعتزلة على الاوّل والاشاعرة على الثاني، وإليه ذهب الشيخ أبو جعفر الطوسي قدّس سرّه في كتاب الاقتصاد ، و العلامة جمال الملّة و الدين رحمه الله في بعض كتبه الكلاميّة ، و توقّف المحقق الطّوسي رحمه الله في التجريد ، و مختار الشيخين هو الظاهر ، و دليل الوجوب مدخول .

و قال رحمه الله في قوله : من تاب قبل أن يعاين ، أي يرى ملك الموت ، كما روى عن ابن عبّاس ، و يمكن أن يراد بالمعاينة علمه بحلول الموت و قطعه الطمع من الحياة و تيقّنه ذلك كأنّه يعاينه وأن يراد معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام كما روى في الأخبار ، انتهى .

و اعلم أنّه إستدلّ بهذا الخبر على جواز النسخ قبل الفعل، فانّ الاصوليّين

من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته ، ثمّ قال : إنّ يوماً لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته .

٣ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا بلغت النفس هذه ـ و أهوى بيده إلى حلقه ـ لم يكن

اختلفوا فيه ، و فيه نظر لأنّه ليس تنافيها إلاّ بالمفهوم ، فيمكن أن يكون هذا التدريج لبيان إختلاف مراتب التوبة في القبول و الكمال ، فانّ التّوبة الكاملة المشتملة على تدارك مافات و تطهير النفس عن كدورات السيّئات ، وتحليتها بأنوار التّضرّعات و الحسنات لا يتأتى غالباً في أقلّ من سنة ، فان لم يتيسّر ذلك فلا أقلّ من شهر لتحصيل بعض تلك الأُمور و هكذا .

الحديث الثالث : حسن كالصحيح .

وقد مرّ بعينه في باب لزوم الحجّة على العالم ، إلاّ أنّه زاد في آخره ثمّ قرء « إنّما التّوبة على الله للذين يعملون السّوء بجهالة » .

«لم يكن للعالم توبة» كأنّ المراد بالعالم من شاهد أحوال الآخرة، وبالجاهل من لم يشاهدها فانّ مع بلوغ النفس إلى الحلق أيضاً يحتمل عدم المشاهدة ، فالمراد بالعلم العلم اليقينيّ الحاصل بالمشاهدة ، و يحتمل أن يكون كلاهما محمولين على ما قبل المشاهدة ، و يكون المراد بالعالم و الجاهل معناهما المتبادر ، فيحمل إمّا على عدم قبول التوبة و كمالها للعالم ، أو عدم توفيقه للتوبة إن صحّ الاجماع ، وإلاّ فالخبر موافق لظاهر قوله تعالى : « إنّما التوبة على الله للّذين يعملون السّوء بجهالة ثمّ يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ، وليست التوبة للذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّي تبت الآن ولا الّذين يموتون وهم كفّار اولئك أعتدنالهم عذاباً أليماً » [1] .

وقد قيل : في تأويل الآية وجوه : أحدها أنّ كلّ معصية يفعلها العبد جهالة

---

(١) سورة النساء : ١٧ .

للعالم توبة و كانت للجاهل توبة .

٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن معاوية ابن وهب قال : خرجنا إلى مكّة ومعنا شيخ متألّه متعبّد لا يعرف هذا الأمر يتمّ الصلاة في الطريق و معه ابن أخ له مسلم، فمرض الشيخ فقلت لابن أخيه : لو عرضت هذا الأمر على عمّك لعلّ الله أن يخلّصه ، فقال كلّهم : دعوا الشيخ حتّى يموت على حاله فإنّه حسن الهيئة فلم يصبر ابن أخيه حتّى قال له : يا عمّ إنّ الناس ارتدّوا بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا نفراً يسيراً و كان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام من الطّاعة ما كان لرسول الله صلّى الله عليه وآله و كان بعد رسول الله الحقّ و الطّاعة له ، قال : فتنفّس الشيخ و شهق و قال : أنا على هذا و خرجت نفسه . فدخلنا على أبي عبدالله

و إن كانت على سبيل العمد لأنّه يدعو إليها الجهل و هو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام ، و ثانيها : انّ معنى قوله : بجهالة أنّهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة ، و ثالثها : أنّهم يجهلون أنّها ذنوب و معاصي ، و ضعّف الأخير بأنّها خلاف الاجماع مفهوماً، وفسّروا القريب بماقبل الموت ويمكن تأويل الآية بأنّ التوبة من الذنب الّذي ليس بجهالة لا يجب على الله قبولها ، و إن قبلها بلطفه و وعده .

الحديث الرابع : ضعيف على المشهور .

و التّأله التعبّد و التنسّك « يتمّ الصلاة » تأييد لعدم كونه شيعيّاً لأنّه من فعل أهل السنّة «مسلم» اى مؤمن أو بتشديد اللام ، أى منقاد للحقّ « لو عرضت » لو للتمنّي « فقال كلّهم » أى الحاضرون و لعلّهم كانوا من المخالفين أو المستضعفين « فانّه حسن الهيئة » الهيئة صورة الشيء و حاله و شكله أى كان متعبّداً صالحاً لا يضرّه الموت على تلك الحالة أو كان دينه حقّاً بناءاً على كونهم من المخالفين ، و قيل : فانّه ، كلام معاوية و تعليل لقوله : لعلّ الله أن يخلّصه ، و توسّط كلام الغير لا ينافي الاتصال ، ولا يخفى بعده .

و « تنفّس » أدخل النفس إلى باطنه و أخرجه و « شهق » كمنع و ضرب

عليه السلام فعرض عليّ بن السّري هذا الكلام على أبي‌عبدالله عليه السلام فقال : هو رجلٌ من أهل الجنّة ، قال له عليّ بن السّري : إنّه لم يعرف شيئاً من هذا غير ساعته تلك ! ؟ قال : فتريدون منه ماذا ؟ ، قد دخل والله الجنّة .

﴿ باب اللمم ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي‌عمير ، عن أبي أيّوب ، عن محمّد ابن مسلم ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قلت له : أرأيت قول الله عزّوجلّ : « الّذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحشَ إلاّ اللّمم » [1] قال : هوالذّنب يلمّ به الرّجل فيمكث ماشاء الله ثمّ يلمّ به بعد .

و سمع شهيقاً تردّد البكاء في صدره ، و قيل : ردّد نفسه مع سماع صوته من حلقه ، و قيل : فتريدون إستفهام و ماذا إسم جنس بمعنى أيّ شيء كما قال الفارسي في قول الشاعر :

دعى ماذا علمت سأتقيه ولكن بالمغيّب تنبّئيني

باب اللمم

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

و في المصباح : اللّمم بفتحتين مقاربة الذنب و قيل : هو الصّغائر و قيل : هو فعل الصّغيرة ثمّ لا يعاوده كالقبلة ، و اللّمم أيضاً طرف من جنون يلمّ به الانسان من باب قتل ، فهو ملموم و به لمم ، و ألمّ الرّجل بالقوم إلماماً أتاهم فنزل بهم ، و ألمّ بالذنب فعله ، و ألمّ الشيء قرب ، انتهى .

وقال سبحانه في سورة النجم : «ليجزى الّذين أساءوابما عملوا ويجزى الّذين أحسنوا بالحسنى » ثم قال تعالى : « الذين يجتنبون كبائر الاثم » قال البيضاوى أى مايكبر عقابه من الذنوب ، وهو ما رتّب الوعيد عليه بخصوصه ، أى إلاّ ما قلّ و صغر فانّه مغفور من مجتنبى الكبائر ، و الاستثناء منقطع ، و أقول : قد مرّ

---

(١) سورة النجم : ٣٢.

٢ ـ أبوعليّ الأشعريّ ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، عن صفوان ، عن العلاء ، عن محمّدبن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام قال : قلت له : « الّذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلاّ اللّمم » قال : الهنة بعد الهنة أي الذّنب بعد الذّنب يلمّ به العبد .

٣ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن إسحاق بن عمّار قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : مامن مؤمن إلاّ وله ذنب يهجره زماناً ثمّ يلمّ به وذلك قول الله عزّوجلّ : « إلاّ اللّمم » و سألته عن قول الله عزّوجلّ « الّذين يجتنبون

الكلام في ذلك في باب الكبائر .

الحديث الثاني : صحيح .

و قال الجوهري : « هن » على وزن أخ كلمة كناية ، و معناه شيء و أصله هنو تقول هذا هنك أي شيئك ، و تقول للمرئة : هنة و هنت ، و تصغيرها هنيّة وقد تبدل من الياء الثانية هاءاً ، فيقال : هنيهة ، ويقال : في فلان هنات أي خصلات شرّ ، ولا يقال ذلك في الخير ، و في النهاية فيه : ستكون هناة و هناة ، أي شرور و فساد يقال : في فلان هناة أي خصال شرّ ولا يقال في الخير ، و واحدها هنت وقد يجمع على هنوات ، و قيل : واحدها هنة تأنيث هن ، و هو كناية عن كلّ إسم جنس ، و منه الحديث ، و ذكر هنة من جيرانه أي حاجة و يعبّر بها عن كلّ شيء ، وقال في المصباح : الهن خفيفة النون كناية عن كلّ إسم جنس ، و الانثى هنة ، ولامها محذوفة و كنّي بهذا الاسم عن الفرج ، ويعرب بالحروف ، فيقال : هنوها و هناها و هنيها ، مثل أخوها و أخاها و أخيها ، انتهى .

و عبّر هنا عن الذنب بالهنة لقبحه أو لحقارته و قلّته كناية عن عدم الاصرار عليه « يلمّ به العبد » أي ينزل به بعد تركه .

الحديث الثالث : موثق .

« يهجره » كينصر أي يتركه ، و قيل : العموم في هذا الكلام عموم عرفيّ كناية عن الكثرة ، وقد مرّ آخر الحديث في باب الكبائر ، و كأنّ السؤال كان

كبائر الإثم و الفواحش إلاّ اللّمم» قال : الفواحش الزّنا و السرقة و اللّمم : الرّجل يلمّ بالذّنب فيستغفر الله منه .

٤ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن الحارث بن بهرام ، عن عمرو بن جميع قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله فنحّوه ، فقال له رجل من القوم : جعلت فداك والله إنّني لمقيم على ذنب منذ دهر ، اُريد أن أتحوّل عنه إلى غيره فما أقدر عليه ، فقال له : إن كنت صادقاً فإنّ الله يحبّك و ما يمنعه أن ينقلك منه إلى

في وقت آخر ، أو كان السؤال لتفسير مجموع الآية .

الحديث الرابع : ضعيف .

«يلتمس الفقه» أي مسائل الدين و القرآن أي ألفاظه « يبدى عورة » العورة القبيح و كلّ ما يستحيي منه ، و الظاهر أنّ المراد إبداء عورة نفسه من الاقرار بذنب يوجب حدّاً أو تعزيراً « فنحّوه » اى أبعدوه حتّى لا يعترف به عندنا بل يتوب بينه و بين الله ، و يحتمل أن يكون المراد عيوب غيره الّتى لم يشتهر بها ، سواء كان للغيبة أو لاقامة الشهادة فانّ إخفاء العيوب أحسن ، لكن الأوّل أظهر ، و سيأتى ما يؤيّده في كتاب الحدود إن شاء الله .

و قيل : قد أمر عليه السلام أصحابه الّذين من أهل التفرّس أن يمنعوا من الدخول عليه مَن هو مِن أهل الاذاعة و الابداء ، لأنّه أصلح له و لهم ، و يندرج فيه إبداء أحاديثهم لغير أهلها و إذاعة أمرهم إلى أهل الجور و إظهار سرّهم الذى ستره الله تعالى و أمر باستتاره حفظاً له و لشيعته من أعدائهم لشدّة الخوف و التقيّة منهم .

«إن كنت صادقاً فانّ الله يحبّك» محبّة الله لعبده عبارة عن علمه باستحقاق اللّطف و إيصال الخير و إرادته ، فاذا علم الله تعالى أنّ عبداً من عباده لا يغترّ بترك الذنوب و يبتلى بالعجب بكثرة الطّاعة ، و يخرج نفسه عن حدّ التقصير و الخوف منه يبتليه ببعض الذنوب ، و ذلك لطف منه و رحمة على عبده لكى يخافه و يرجع

غيره إلاّ لكي تخافه .

٥ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه ، عن حمّاد بن عيسى [عن حريز] عن إسحاق ابن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما من ذنب إلاّ وقد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزّمان ثمّ يلمّ به وهو قول الله عزّوجلّ : « الّذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش إلاّ اللّمم » ، قال : اللّمّام العبد الّذي يلمّ الذّنب ليس من سليقته ، أي من طبيعته .

إليه و يعترف بتقصيره ، و هذا من أحسن الاحوال للانسان كما أنّ العجب أسوء الحالات له ، ولولا ذلك لم يذنب مؤمن قطّ كما مرّ « إلاّ لكي تخافه » إستثناء من مدلول الكلام السّابق، فانّ قوله ما يمنعه أن ينقلك في قوّة ما يترك نقلك لشيء .

الحديث الخامس : حسن موثق .

و في القاموس : الطّبع و الطبيعة و الطّباع بالكسر السّجيّة جبل الانسان عليها أو الطّباع ككتاب ما ركب فينا من المطعم والمشرب و غير ذلك من الأخلاق الّتي لا تزايلنا و « طبع عليه » كمنع ختم ، و الطبع بالتحريك الوسخ الشديد الصّداء ، و الشّين و العيب ، و طبع على الشّيء بالضّم جبل ، و فلان دنس و شين ، و فلان تطبع إذا لم تكن له نفاذ في مكارم الامور كما يطبع السّيف إذا كثر الصّداء عليه ، و هو طبع طمع ككتف ، و في الخلق لئيمه دنس لا يستحيي من سوءة ، و التطبيع التنجيس و تطبّع بطباعه تخلّق بأخلاقه ، و السّليقة كسفينة الطّبيعة .

و الخبر يحتمل وجوهاً : الأوّل : أن يكون المراد بالطبع أوّلاً حصول الشوق له إلى فعله لعارض عرض له و يمكن زواله عنه ، و لذا يهجره زماناً ولو كان ذاته ، و إنّما هو بأن يسلب عنه التوفيق فيستولي عليه الشيطان فيدعوه إلى فعله ، ثمّ تدركه الألطاف الرّبانيّة فتصرفه عنه ، و كلّ ذلك لصلاح حاله ، فليس ممّن يقتضي ذاته الشّر و الفساد ، ولا ممّن أعرض الله عنه ، ولم يعلم فيه خيراً ، بل هو ممّن يحبّه الله و يبتليه بذلك لاصلاح أحواله ، و ينتهي إلى العاقبة المحمودة .

٦ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، و عدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنَّ المؤمن لا يكون سجيَّته الكذب و البخل و الفجور و ربما ألمَّ من ذلك شيئاً لا يدوم عليه ، قيل : فيزني ؟ قال : نعم ولكن لا يولد له من تلك النطفة .

الثاني : أن يكون من الطّبع بمعنى الدّنس و الرين ، إمّا على بناء المجهول أيضاً أو على بناء المعلوم كما قيل ، أي ليس ذنب إلاّ وقد تنجّس و تدنّس به عبد مؤمن ، فلا ينافي عدم كونه من سليقته .

الثالث : ما قيل : انّه من الطبع بمعنى الختم ، و هو مستلزم لمنع دخول الشيء فيه ، و المعنى أنّ المؤمن ممنوع من الدّخول في الذنب زماناً على سبيل الكناية ، ثمّ يلمّ به لمصلحة و هو بعيد و الأوّل أظهر

الحديث السادس : حسن كالصحيح .

و السّجيّة الخلق و الطبيعة « ولكن لا يولد له من تلك النطفة » فان قيل : قد نرى أنّه يتولّد من زنا المؤمن الولد ؟ قلنا : للمؤمن معان كثيرة كما عرفت ، فلعلّه لا يكون مؤمناً بأحد تلك المعاني ، مع أنّ الخواتم لا يعلمها إلاّ الله تعالى ، و يحتمل أن يكون محمولا على الغالب ، و قيل : لعلّ المراد أنّ المتولّد من تلك النطفة لا يكون ولداً له ولا يلحق به شرعاً ، أو أنّه لايولد للمؤمن من تلك النطفة لأنّه ليس مؤمن حين يزني فيكون إشارة إلى سلب الايمان عنه حين الزنا ولا يخفى بعدهما .

﴿ باب ﴾

﴿ في أن الذنوب ثلاثة ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه، عن عبدالرّحمن بن حمّاد، عن بعض أصحابه رفعه قال : صعد أميرالمؤمنين عليه السلام بالكوفة المنبر فحمدالله و أثنى عليه ثمّ قال : أيّها النّاس إنّ الذنوب ثلاثة ثمّ أمسك فقال له حبّة العرني يا أميرالمؤمنين قلت ، الذّنوب ثلاثة ثمّ أمسكت ، فقال : ما ذكرتها إلاّ و أنا اُريد أن اُفسّرها ولكن عرض لي بُهر حال بيني و بين الكلام نعم الذّنوب ثلاثة؛ فذنب مغفور وذنب غير مغفور و ذنب نرجو لصاحبه و نخاف عليه ، قال : يا أميرالمؤمنين فبيّنها لنا ؟ قال : نعم أمّا الذّنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدّنيا فالله أحلم و أكرم من أن يعاقب عبده مرّتين؛ و أمّا الذّنب الّذي لا يغفر فمظالم العباد بعضهم

باب في ان الذنوب ثلاثة

الحديث الاول : مرفوع .

« انّ الذنوب ثلاثة » أي غير الشرك والكفر ، أو ذنوب المؤمنين وقيل : وجه الحصر انّ الذنب إمّا للتقصير في حقّ الله أو في حقّ الناس ، والاول إمّا أن يرفع العبد العقوبة الدّنيويّة بالتّوبة أولا ، فهذه ثلاثة ، وأمّا الذنب الذى لا عقوبة عليه في الدّنيا ولم يتب منه فالظاهر أنّه داخل في القسم الثالث ، وحكمه حكمه ، وإن كان الخوف منه أشدّ ، وفي النهاية : البهر بالضمّ ما يعترى الانسان عند السّعى الشديد ، والعدو من التهيّج ، وتتابع النفس ، وفي القاموس : البهر بالضمّ إنقطاع النفس من الاعياء .

«فعبد» أي فذنب عبد « عاقبه الله على ذنبه في الدّنيا » إمّا بالحدود والتعزيرات أو بالبلايا والمصايب « فالله أحلم » الفاء للبيان « فمظالم العباد بعضهم » بالجرّ بدل

لبعض ، إنّ الله تبارك و تعالى إذا برز لخلقه أقسم قسماً على نفسه، فقال : و عزّتي و جلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفّ بكفّ ولو مسحة بكفّ ولو نطحة ما بين القرنا إلى الجمّاء فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتّى لا تبقى لأحد على أحد مظلمة ثمّ يبعثهم للحساب ؛ و أمّا الذّنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه و رزقه التوبة منه ، فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه ، فنحن له كما هو لنفسه ، نرجو له الرّحمة و نخاف عليه العذاب .

اشتمال أو بعض ، والمراد به الظالم « لبعض » المراد به المظلوم ، والمظالم جمع المظلمة بالكسر وهي ما يظلمه الرّجل إذا برز لخلقه ، البروز الظهور بعد الخفاء ، ولعلّه كناية عن ظهور أحكامه و ثوابه و عقابه وحسابه ، و قيل : كناية عن أنّه سبحانه يتكلّم مع جميع الخلائق بنفسه ويحاسبهم مشافهة كما ورد في الأخبار .

« على نفسه » أي ملزماً على نفسه « فقال » الفاء للبيان ، ويقال : جازه يجوزه إذا تعدّاه « ولو كفّ بكفّ » لعلّ المراد بالكفّ أوّلا المنع والزجر ، وبالثاني اليد أي تضرّر كفّ إنسان بكفّ آخر بغمز وشبهه ، أوتلذّذ كفّ بكفّ أو يقدّر مضاف أي يجازى ضرب كفّ بضرب كفّ ، وقيل : أي ضربة كف بكفّ ، والمراد بالمسحة بالكفّ مايشتمل على إهانة وتحقير أو تلذّذ ، ويمكن حمل التلذّذ في الموضعين على ما إذا كان من امرأة ذات بعل أو قهراً بدون رضاء الممسوح ، ليكون من حقّ النّاس .

والجمّاء التي لا قرن لها . قال في النهاية : فيه أنّ الله ليدين الجمّاء من ذوات القرون الجمّاء الّتي لا قرن لها ، ويدين أي يجزى ، انتهى .

ويدلّ على حشر الحيوانات أيضاً في القيامة كما يدلّ عليه قوله تعالى : « وإذا الوحوش حشرت » وغيره من الآيات والأخبار ، وبه قال اكثر المتكلّمين من الخاصّة والعامّة و إن اختلفوا في خصوصيّاته من بقائها بعد الحشر أو تفرقها وصيرورتها تراباً. وغير ذلك .

• • • • • • • • • •

ومنهم من أوّل القرناء بالانسان القويّ القادر على الظلم ، والجمّاء بالمظلوم الضعيف وهو تكلّف مستغنى عنه ، ولا يبعد أن يكون المراد مؤاخذة المكلّف بتمكين القرناء من إضرار الجمّاء ، و في صحيح مسلم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : لتردّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتّى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، والجلحاء أيضاً الّتي لا قرن لها ، وصرّح جماعة من المفسّرين في تفسير الآية المتقدمة ببعثها ، وقيل أي جمعت من أطراف الارض وقيل : أميتت .

وقال الطبرسي (ره) في قوله تعالى : « وما من دابّة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم ما فرّطنا في الكتاب من شيء ثمّ إلي ربّهم يحشرون »[1] أي يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد ، فيعوّض الله ما يستحقّ العوض منها وينتصف لبعضها من بعض ، وفيما رووه عن أبي هريرة أنّه قال : يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدوابّ والطير ، و كلّ شيء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجمّاء من القرناء ثمّ يقول : كوني تراباً فلذلك يقول الكافر : ياليتني كنت تراباً .

وعن أبي ذر قال : بينا أنا عند رسول الله إذا انتطحت عنزان فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أتدرون فيم انتطحا ؟ فقالوا : لا ندرى ، قال : لكن الله يدرى سيقضى بينهما .

وقال الرازي : قال قتادة : يحشر كلّ شيء حتّى الذباب للقصاص ، وقالت المعتزلة : إنّ الله يحشر الحيوانات كلّها في ذلك اليوم ليعوّضها آلامها الّتي وصلت إليها في الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك ، فاذا عوضت عن تلك الآلام فان شاء الله أن يبقى بعضها في الجنّة إذا كان مستحسناً فعل وإن شاء أن يفنيه أفناه على ما جاء به الخبر ، وأمّا أصحابنا فعندهم أنّه لا يجب على الله شيء بحكم الاستحقاق ، ولكنّه تعالى يحشر الوحوش كلّها فيقتصّ للجمّاء من القرناء ، ثمّ يقال لها : موتي فتموت

(١) سورة الانعام : ٣٨ .

• • • • • • • • • •

انتهى .

وقال بعض شرّاح صحيح مسلم : اضطرب العلماء في بعث البهائم ، وأقوى ما تعلّق به من يقول ببعثها قوله تعالى : « واذا الوحوش حشرت» وأجاب الآخر بان معنى حشرت ماتت ، قال : والأحاديث الواردة ببعثها آحاد تفيد الظنّ والمطلوب في المسئلة القطع ، وحمل البعض العود المذكور في الحديث على أنّه ليس حقيقة وإنّما هو ضرب مثل إعلاماً للخلق بأنّها دار جزاء لا يبقى فيها حقّ عند أحد ، ثمّ قال : ويصحّ عندي أن يخلق الله تعالى هذه الحركة للبهائم يوم القيامة ليشعر أهل المحشر بماهم صائرون إليه من العدل ، وسمّى ذلك قصاصاً لا أنّه قصاص تكليف ومجازاة ، ومن توقّف في بعثها إنّما توقف في القطع بذلك كما يقطع ببعث المكلّفين والأحاديث الواردة ليست نصوصاً ولا متواترة ، وليست المسئلة عمليّة حتّى يكتفى فيها بالظنّ والأظهر حشر المخلوقات كلّها بمجموع ظواهر الآي و الأحاديث ، و ليس من شرط الاعادة المجازاة بعقاب أو ثواب للاجماع على أنّ أولاد الأنبياء عليهم السلام في الجنّة ولا مجازاة على الأطفال ، واختلف في أولاد من سواهم إختلافاً كثيراً انتهى .

وقال القرطبي : حمل بعضهم الحديث على ظاهره لأنّه قال: يؤتى يوم القيامة بالبهائم فيقال لها : كوني تراباً بعد ما يقاد للجماء من القرناء ، وحينئذ يقول الكافر ياليتني كنت تراباً ، ويدلّ على أنّها ضرب مثل ماجاء في بعض الروايات من الزيادة في هذا الحديث ، يريد الحديث الّذي نقله مسلم قال : حتّى يقاد للجلجاء من القرناء وللحجر لِمَ ركب على حجر ، وللعود لِمَ خدش العود ، لأنّ الجمادات لا تعقل كلاماً فلاثواب ولاعقاب لها ، وهو في التمثيل مثل قوله تعالى: « ولو أنّ قرآناً»[1] الآية .

---

(١) سورة الرعد : ٣١ .

وقوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » [(١)] .

وقال الآبى : المسائل العلميّة الّتي لايرجع للذات ولا للصّفات كهذه يصح التمسّك فيها بالآحاد ، والاستدلال بمجموع ظواهر الاى والأحاديث يرجع الى التواتر المعنوى" والاختلاف فيمن سوى أولاد الانبياء عليهم السلام إنّما هو في محلّهم بعد البعث لا في بعثهم كذا أظنّه توقف الاشعرى في بعث المجانين ومن لم يبلغه الدّعوة فجوّز أن يبعثوا وجوّز أن لا يبعثوا ، ولم يرد عنه قاطع في ذلك ثمّ قال : لا معنى لتوقّفه لأنّ ظاهر الاى والأحاديث بعث الجميع ، والمسئلة علميّة لا ترجع للذات ولا للصّفات ، فيصح التمسّك فيها بالاحاد كما تقدّم ، أو يقال مجموع الاى والأحاديث يفيد التواتر المعنوىّ كما تقدّم ، انتهى .

وأقول : تمام الكلام في ذلك موكول إلى كتابنا الكبير .

وامّا الذنب الثالث فالخوف بعد التوبة ، لاحتمال عدم حصول شرائط التوبة وعدم القطع بقوله فينبغى أن يكون التائب أيضاً بين الخوف والرّجاء .

ولنذكر هنا بعض الفوائد الّتي لا بدّ من التعرّض لها .

الاولى : في معنى التوبة وهي لغة الرّجوع وتنسب إلى العبد وإلى الله سبحانه ومعناها على الأول الرّجوع عن المعصية إلى الطّاعة وعلى الثانى الرّجوع عن العقوبة إلى اللّطف والتفضّل ، وفي الاصطلاح قيل : هي الندم عن الذنب لكونه ذنباً فخرج الندم على شرب الخمر مثلا لاضراره بالجسم ، وقد يزاد مع العزم على ترك المعاودة أبداً ، والظاهر أنّ هذا لازم لذلك الندم غير منفكّ عنه كما مرّت الاشارة إليه .

وقال الشيخ البهائى قدّس سرّه : والكلام الجامع في هذا الباب ما قاله بعض ذوى الألباب : من أنّ التوبة لا تحصل إلّا بحصول أمور ثلاثة : أوّلها معرفة ضرر

(١) سورة الحشر : ٢١ .

• • • • • • • • • •

الذنوب و كونها حجاباً بين العبد ومحبوبه ، وسموماً قاتلة لمن يباشرها ، فاذا عرف ذلك وتيقّنه حصل له من ذلك حالة ثانية هي التألّم لفوات المحبوب ، والتأسّف من فعل الذنوب وهذا التألّم والتأسف هوالمعبّر عنه بالندم ، وإذا غاب هذا الالم حصل حالة ثالثة هى القصد إلى أمور ثلاثة لها تعلّق بالحال و الاستقبال و المضيّ ، فالمتعلّق بالحال هو ترك ما هو مقيم عليه من الذنوب ، و المتعلّق بالاستقبال هو العزم على عدم العود إليها إلى آخر العمر و المتعلّق بالماضى تلافى ما يمكن تلافيه من قضاء الفوائت و الخروج من المظالم ، فهذه الثلاثة أعنى المعرفة و الندم و القصد إلى المذكورات أمور مترتّبة في الحصول ، وقد يطلق على مجموعها إسم التوبة ، وكثيراً مّا يطلق على الثانى أعنى الندم وحده ، وتجعل المعرفة مقدّمة لها ، و ذلك القصد ثمرة متأخّرة عنها ، وقد يطلق على مجموع الندم و العزم هذا ، وقد عرّفها بعض أصحاب القلوب برجوع الآبق عن الجرم السّابق ، وبعضهم باذابة الأحشاء لما سلف من الفحشاء ، و بعضهم بأنّها خلع لباس الجفاء و بسط بساط الوفاء ، انتهى .

و أقول : إذا عرفت أنّ عدم العود إلى الذنب فيما بقى من العمر لابدّ منه في التوبة ، فهل إمكان صدوره منه في بقيّة العمر شرط ، حتّى لوزنا ثمّ جبّ وعزم على أن لا يعود إلى الزنا على تقدير قدرته عليه لم تصحّ توبته ، أم ليس بشرط فتصحّ ؟ الأكثر على الثانى ، بل نقل بعض المتكلّمين إجماع السّلف عليه ، و أولى من هذا بصحّة التوبة من تاب في مرض مخوف غلب على ظنّه الموت فيه .

أمّا التوبة عند حضور الموت و تيقّن الفوت و هو المعبّر عنه بالمعاينة فقد إنعقد الاجماع على عدم صحّتها ونطق بذلك القرآن العظيم، قال سبحانه : « وليست التوبة للّذين يعملون السيّئات حتّى إذا حضر أحدهم الموت قال إنّى تبت الآن ولا الّذين يموتون وهم كفّار أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً »[1] و في الحديث عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

(١) سورة النساء : ١٨ .

• • • • • • • • • •

ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر، والغرغرة تردّد الماء و غيره من الأجسام المايعة في الحلق، و المراد هنا تردّد الرّوح عند النزع .

و الأخبار عن أئمّتنا عليهم السلام كثيرة في أنّه لا تقبل التوبة عند حضور الموت و ظهور علاماته و مشاهدة أهواله ، كتوبة فرعون و ساير الكفرة الّذين نزل عليهم العذاب ، وقد مرّ بعضها ، وعلّل ذلك بأنّ الايمان برهان ، ومشاهدة تلك العلامات و الأهوال في ذلك الوقت تصيّر الأمر عياناً فيسقط التكليف كما أنّ أهل الآخرة لمّا صارت معارفهم ضروريّة سقطت التكاليف عنهم ، قال بعض المفسّرين : و من لطف الله بالعباد أن أمر قابض الأرواح بالابتداء في نزعها من أصابع الرجلين ثمّ يصعد شيئاً فشيئاً إلى أن تصل إلى الصدر ، ثمّ تنتهى إلى الحلق ليتمكّن في هذه المهلة من الاقبال بالقلب على الله تعالى ، والوصيّة و التوبة مالم يعاين و الاستحلال، و ذكر الله على لسانه فيرجى بذلك حسن خاتمته ، رزقنا الله ذلك بفضله و كرمه .

الثانيّة : لاخلاف في وجوب التوبة في الجملة و الأظهر أنّها إنّما تجب لما لم يكفّر من الذّنوب كالكبائر و الصّغائر الّتى أصرّت عليها، فانّها ملحقة بالكبائر و الصّغائر الّتى لم يجتنب معها الكبائر. فأمّا مع اجتناب الكبائر فهى مكفّرة إذا لم يصرّ عليها ، ولا يحتاج إلى التوبة منها ، لقوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفّر عنكم سيّئاتكم»[1] قال المحقّق الطّوسى قدّس سرّه في التجريد: التوبة واجبة لدفعها الضّرر ، و لوجوب الندم على كلّ قبيح أو إخلال بواجب ، و قال العلاّمة (ره) في شرحه : التوبة هي الندم على المعصية لكونها معصية ، والعزم على ترك المعاودة في المستقبل : لأنّ ترك العزم يكشف عن نفى الندم ، وهى واجبة بالاجماع ، لكن اختلفوا .

فذهب جماعة من المعتزلة إلى أنّها تجب من الكبائر المعلوم كونها كبائر أو

(١) سورة النساء : ٣١.

. . . .

المظنون فيها ذلك ، ولا يجب من الصغائر المعلوم أنّها صغائر .

و قال آخرون : أنّها لا تجب من ذنوب تاب عنها من قبل ، و قال آخرون : أنّها تجب من كلّ كبير و صغير من المعاصي أو الاخلال بالواجب، سواء تاب منها قبل أو لم يتب، وقد استدلّ المصنّف على وجوبها بأمرين: الأوّل: أنّها دافعة للضرر الذي هو العقاب أو الخوف فيه، و دفع الضّرر واجب ، الثاني: أنّا نعلم قطعاً وجوب الندم على فعل القبيح أو الاخلال بالواجب .

إذا عرفت هذا فنقول : أنّها تجب من كلّ ذنب لأنّها تجب من المعصية لكونها معصية ، و من الاخلال بواجب لكونه كذلك ، و هذا عامّ في كلّ ذنب و إخلال بواجب ، انتهى .

أقول : ظاهر كلامه وجوب التوبة من الذنب الذي تاب منه ، و كأنّه نظر إلى أنّ الندم على القبيح واجب في كلّ حال ، و كذا ترك العزم على الحرام واجب دائماً، وفيه أنّ العزم على الحرام ما لم يأت به لا يترتّب عليه إثم ، إلاّ أن يقول : أنّ العفو عنه تفضّلاً لا ينافي كونه منهيّاً عنه كما مرّ ، و أمّا النّدم على ما صدر عنه سابقاً فلا نسلّم وجوبه بعد تحقّق الندم مرّة ، و سقوط العقاب به ، و إن كان القول بالوجوب لا يخلو من قوّة ، و قال الشيخ البهائي : دفع ضرر العقاب لا يدلّ على وجوب التوبة عن الصّغائر ممّن يجتنب الكبائر لكونها مكفّرة، و لهذا ذهبت البهشمية إلى وجوبها عن الصغائر سمعاً لا عقلا .

نعم الاستدلال بأنّ الندم على القبيح من مقتضيات العقل الصّحيح يعمّ القسمين، و أمّا فوريّة الوجوب فقد صرّح به المعتزلة فقالوا يلزم بتأخيرها ساعة إثم آخر تجب التوبة منه أيضاً ، حتى أنّ من أخّر التوبة عن الكبيرة ساعة واحدة فقد فعل كبيرتين و ساعتين أربع كبائر ، الأولتان و ترك التوبة عن كلّ منهما ، و ثلاث ساعات ثمان كبائر و هكذا ، و أصحابنا يوافقونهم على الفوريّة لكنّهم لم يذكروا

• • • • • • • • • •

هذا التفصيل فيما رأيته من كتبهم الكلاميّة .

و قال رحمه الله : لا ريب في وجوب التوبة على الفور فانّ الذنوب بمنزلة السّموم المضرّة بالبدن و كما يجب على شارب السمّ المبادرة إلى الاستفراغ تلافياً لبدنه المشرف على الهلاك ، كذلك يجب على صاحب الذنوب المبادرة إلى تركها و التوبة منها تلافياً لدينه المشرف على التهافت و الاضمحلال و من أهمل المبادرة إلى التوبة و سوّفها من وقت إلى وقت فهو بين خطرين عظيمين إن سلم من واحد فلعلّه لا يسلم من الآخر .

أحدهما : أن يعاجله الأجل فلا يتنبّه من غفلته إلاّ وقد حضره الموت وفات وقت التدارك ، و انسدّت أبواب التلافي ، و جاء الوقت الذي أشار إليه سبحانه بقوله : « و حيل بينهم و بين ما يشتهون »[1] و صار يطلب المهلة و التأخير يوماً أو ساعة ، فيقال : لا مهلة لك كما قال سبحانه : « من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخّرتني إلى أجل قريب »[2] قال بعض المفسّرين في تفسير هذه الآية إنّ المحتضر يقول عند كشف الغطاء : يا ملك الموت أخّرني يوماً أعتذر فيه إلى ربّي و أتوب اليه و أتزوّد عملا صالحاً فيقول فنيت الايّام فيقول أخّرني ساعة فيقول : فنيت الساعات فيغلق عنه باب التوبة و يغرغر بروحه إلى النار و يجرع غصّة اليأس وحسرة الندامة على تضييع العمر ، وربّما اضطرب أصل ايمانه في صدمات تلك الاهوال نعوذ بالله من ذلك .

و ثانيهما أن تتراكم ظلمة المعاصي على قلبه إلى أن تصير ريناً و طبعاً فلا تقبل المحو فانّ كلّ معصية يفعلها الانسان يحصل منها ظلمة في قلبه كما تحصل من نفس الانسان ظلمة في المرآة فاذا تراكمت ظلمة الذنوب صارت ريناً كما تصير بخار النفس عند تراكمه على المرآة ، وإذا تراكم الرين صار طبعاً تطبع على قلبه

(١) سورة سبأ : ٥٤ . (٢) سورة المنافقون : ١٠ .

• • • • • • • • • •

كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم بعضه فوق بعض ، وطال مكثه وغاص في جرمها، و أفسدها فصار لا تقبل الصّيقل أبداً .

وقد يعبّر عن هذا القلب بالقلب المنكوس و القلب الأسود كما مرّ في الخبر . أنّه يصير أعلاه أسفله ، وفي خبر آخر إن تمادى في الذنوب زاد السّواد حتّى يغطّي البياض فاذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً و هو قول الله عزّ وجلّ : « كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »[1] فقوله : لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً يدلّ على أنّ صاحب هذا القلب لا يرجع عن المعاصي ولا يتوب منها أبداً ، ولو قال بلسانه تبت إلى الله يكون هذا القول مجرّد تحريك اللسان من دون موافقة القلب ، فلا أثر له أصلاً كما أنّ قول القصّار : غسلت الثوب لا يصير الثوب نقيّاً من الأوساخ .

و ربّما يؤول حال صاحب هذا القلب إلى عدم المبالاة بأوامر الشريعة و نواهيها فيسهل أمر الدّين في نظره و يزول وقع الأحكام الالهيّة من قلبه ، وينفر عن قبولها طبعه ، و ينجرّ ذلك إلى اختلاف عقيدته وزوال إيمانه، فيموت على غير الملّة وهو المعبّر عنه بسوء الخاتمة نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيّئات أعمالنا .

الثالثة : سقوط العقاب بالتوبة ممّا أجمع عليه أهل الاسلام ، و إنّما الخلاف في أنّه هل يجب على الله حتّى لو عاقب بعد التوبة كان ظلماً أو هو تفضّل يفعله سبحانه كرماً منه و رحمة بعباده ؟ المعتزلة على الاوّل ، و الاشاعرة على الثاني و إليه ذهب الشيخ أبو جعفر الطّوسي قدّس سرّه في كتاب الاقتصاد ، و العلاّمة رحمه الله في بعض كتبه الكلاميّة ، و توقّف المحقّق الطّوسي طاب ثراه في التجريد .

و قال الطبرسي (ره) في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى : « فاغفر للذين تابوا و اتّبعوا سبيلك »[2] في هذه الآية دلالة على أنّ إسقاط العقاب عند التّوبة

(١) سورة المطففين : ١٤ . (٢) سورة غافر : ٧ .

• • • • • • • • • •

تفضّل من الله تعالى إذ لو كان واجباً لكان لا يحتاج إلى مسئلتهم ، بل كان يفعله سبحانه لا محالة ، و اعترض عليه بأنّه يحتمل أن يكون من قبيل قوله تعالى : « ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »[1]، و الحقّ ما اختاره الشيخ كما يظهر من كثير من الأخبار و أدعية الصّحيفة الكاملة و غيرها ، و دليل الوجوب ضعيف.

الرابعة : الذنب إن لم يستتبع أمر آخر يلزم الاتيان به شرعاً كلبس الحرير مثلا ، كفى الندم عليه و العزم على عدم العود إليه ، ولا يجب شيء آخر سوى ذلك، و إن إستتبع أمر آخر من حقوق الله تعالى أو من حقوق النّاس ماليّاً أو غير ماليّ وجب مع التوبة الاتيان به ، و ربّما كان المكلّف مخيّراً بين الاتيان بذلك الأمر و بين الاكتفاء بالتوبة من الذنب المستتبع له .

فحقوق الله الماليّة كالعتق في الكفّارة مثلا يجب الاتيان بها مع القدرة ، وغير الماليّة إن كان غير حدّ كقضاء الفوائت و صوم الكفّارة فكذلك ، و إن كان حدّاً فالمكلّف مخيّر إن شاء أقرّ بالذنب عند الحاكم ليقام عليه الحدّ ، و إن شاء ستره و اكتفى بالتوبة منه فلاحدّ عليه حينئذ إن تاب قبل قيام البيّنة به عند الحاكم .

و أمّا حقوق الناس الماليّة فتجب تبرئة الذّمة منها بقدر الامكان ، فات مات صاحب الحقّ فورثته في كلّ طبقة قائمون مقامه ، فمتى دفعه إليهم هو أو ورثته أو أجنبيّ متبرّع برئت ذمّته و إن بقي إلى يوم القيامة فلفقهائنا رضوان الله عليهم في مستحقّه وجوه .

الاوّل : أنّه لصاحبه الاوّل ، الثّاني : أنه لآخر وارث ولو بالعموم كالامام ، الثالث : أنّه ينتقل إلى الله سبحانه و الأوّل هو الاصحّ ، وقد دلّت عليه الرّواية الصّحيحة عن الصّادق عليه السلام .

و أمّا حقوقهم الغير الماليّة فان كان إضلالا وجب الارشاد بل قد ورد في بعض

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ .

٢ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن ابن بكير ، عن زرارة عن حمران ، قال : سألت أباجعفر عليه السلام عن رجل اُقيم عليه الحدُّ في الرجم

الأخبار أنّه لا تقبل توبته إلّا بأن يحيي من مات على تلك الضّلالة و يردّه عنها، و إن كان قصاصاً وجب إعلام المستحقّ له و تمكينه من استيفائه، فيقول : أنا الّذي قتلت أباك مثلاً ، فان شئت فاقتصّ منّي ، و إن شئت فاعف عنّي ، و ان كان حدّاً كما في القذف فان كان المستحقّ له عالماً بصدور ما يوجبه وجب التمكين أيضاً و إن كان جاهلا به فهل يجب إعلامه به و جهان ، من كونه حقّ آدميّ فلا يسقط إلّا باسقاطه ، و من كون الاعلام تجديداً للأذى و تنبيهاً على ما يوجب البغضاء ، و مثل هذا يجرى في الغيبة أيضاً .

و كلام المحقّق الطوسى و تلميذه العلاّمة طاب ثراهما يعطى عدم الاعلام بها ، وقد مرّ في باب الغيبة أنّ الأقوى أنّه إذا علم بها يجب الاستحلال منه ،وإن لم يعلم فكفّارته الاستغفار له .

ثمّ المشهور بين المتكلّمين أنّ الاتيان بما يستتبعه الذنوب من قضاء الفوائت و أداء الحقوق و التمكين من القصاص و الحدّ و نحو ذلك ليس شرطاً في صحّة التوبة ، بل هذه واجبات برأسها ، والتوبة صحيحة بدونها، وبها تصير أكمل وأتمّ .

الخامسة : إختلفوا في التوبة المبعّضة و الموقّتة و المجملة ، و الأصحّ صحّة المبعّضة ، و إلّا لما صحّت عن الكفر مع الاصرار على صغيرة ، و أمّا الموقّتة كأن يتوب عن الذنوب سنة فاشتراط العزم على عدم العود أبداً يقتضى بطلانها ، و أمّا المجملة كأن يتوب عن الذنوب على الاجمال من دون ذكر تفصيلها وهو ذاكر للتفصيل فقد توقّف فيها المحقّق الطّوسى قدّس سرّه ، و القول بصحّتها غير بعيد ، إذ لا دليل على إشتراط التفصيل ، وقد بسطنا القول في أكثر تلك المباحث في كتابنا الكبير.

الحديث الثاني : حسن موثق كالصحيح .

و ظاهره أنّ من أقيم عليه الحدّ يسقط عنه العقاب و إن لم يتب كما هو

أيعاقب [عليه] في الآخرة ؟ قال : إنّ الله أكرم من ذلك .

﴿باب﴾

﴿ تعجيل عقوبة الذنب ﴾

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبدالله بن سنان ، عن حمزة بن حمران ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ إذا كان من أمره أن يكرم عبداً و له ذنب ابتلاه بالسقم ، فإن لم يفعل ذلك له ابتلاه بالحاجة فإن لم يفعل به ذلك شدّد عليه الموت ليكافيه بذلك الذّنب ، قال : و إذا كان من أمره أن يهين عبداً و له عنده حسنة صحّح بدنه ، فإن لم يفعل به ذلك وسّع عليه في رزقه ، فإن هو لم يفعل ذلك به هوّن عليه الموت ليكافيه بتلك الحسنة .

ظاهر الأصحاب ، و يشكل القول بسقوط وجوب التوبة عنه إلّا أن يقال : يعفى عنه تفضّلاً ، و إن استحقّه كما يؤمي إليه الخبر ، أو يقال : يسقط عنه عقاب ما يوجب الحدّ كالزنا مثلا ، و إن بقي عليه عقاب ترك التوبة ، و الخبر لا يأبى عنه بل يشعر به أيضاً .

باب تعجيل عقوبة الذنب

الحديث الاول : مجهول .

« من أمره » أي من شأنه و تدبيره « أن يكرم عبداً » أي في الآخرة بإيمانه بأن لا يعذّبه فيها « فان لم يفعل » أي الربّ أو الذنب « ذلك » أي السّقم أو الابتلاء به ، أو المعنى إن لم يفعل السّقم ذلك أي تكفير الذنب أو استحقاق الاكرام به أي بالعبد ، و الاحتمالات جارية في ساير الفقرات والأوّل في الكلّ أظهر ، و في رواية : إن بقي عليه ذنب يكافيه بضغطة القبر ، و ظاهره أنّ المؤمن لا يعذّب في الآخرة ، وقد يخصّ بحقوق الله « أن يهين عبداً » اى منافقه فانّه لا يستحقّ ثواب

٢ ـ عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن الحكم بن عتيبة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يكن عنده من العمل ما يكفّرها ابتلاه بالحزن ليكفّرها.

٣ ـ عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمّد الأشعري، عن ابن القدّاح، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عزّ وجلّ: وعزّتي وجلالي لا اُخرج عبداً من الدُّنيا وأنا اُريد أن اُرحمه حتّى أستوفي منه كلّ خطيئة عملها، إمّا بسقم في جسده وإمّا بضيق في رزقه وإمّا بخوف في دنياه فإن بقيت عليه بقيّة شددت عليه عند الموت؛ وعزّتي وجلالي لا اُخرج عبداً من الدُّنيا وأنا اُريد أن اُعذّبه حتّى اُوفّيه كلّ حسنة عملها إمّا بسعة في رزقه وإمّا بصحّة في جسمه وإمّا بأمن في دنياه فإن بقيت عليه بقيّة هوّنت عليه بها الموت.

٤ ـ عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن محبوب، عن هشام ابن سالم، عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ المؤمن ليهوّل عليه

الآخرة فيعطيه عوضه في الدُّنيا كابليس، وذلك من فضل الله سبحانه لأنّه لا يستحقّ الجزاء لاخلاله بأعظم الشرائط وهو الايمان، ويمكن تعميمه بحيث يشمل بعض الظلمة والفسّاق أيضاً.

الحديث الثاني: ضعيف.

« إنّ العبد » أي المؤمن « ولم يكن عنده » أي عند العبد أو الرّبّ والأوّل أظهر « بالحزن » أي بسبب ظاهر أو بغيره.

الحديث الثالث: ضعيف.

« وأنا أريد أن أرحمه » اي إستحقّ رحمتي.

الحديث الرابع: صحيح.

« ليهوّل » على بناء المجهول من التفعيل، في القاموس: هاله هو لا أفزعه كهوّله فاهتاله، والهول مخافة لا يدرى ماهجم عليه، وقال: مهنه كمنعه ونصره

في نومه فيغفر له ذنوبه و إنّه ليمتهن في بدنه فيغفر له ذنوبه .

٥ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن السريّ بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا أراد الله عزّوجلّ بعبد خيراً عجّل له عقوبته في الدّنيا و إذا أراد بعبد سوءاً أمسك عليه ذنوبه حتّى يوافي بها يوم القيامة .

٦ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن الحسن بن شمّون ، عن عبدالله بن عبدالرّحمن ، عن مسمع بن عبدالملك ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في قول الله عزّوجلّ : « و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم و يعفو عن كثير »[1] ليس من التواء عرق ، ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم ،

و خدمه وضربه وجهده ، و امتهنه استعمله فامتهن هو لازم متعدّ ، و المهين الحقير و الضعيف ، و في النهاية : امتهنوني اى ابتذلوني في الخدمة ، و ربما يقرء ليمهن وهو تصحيف ، و في الصّحاح امتهنت الشيء ابتذلته و امهنته أضعفته .

و الحاصل أنّه تبتليه في بدنه بالبلايا والأمراض و الأحزان و الذلّ كأنّه استخدمه أو ابتذله و استعمله كثوب البذلة ، و في الصّحيفة السّجادية و امتهنك بالزيادة و النقصان .

الحديث الخامس : مجهول .

« أمسك عليه ذنوبه » أى لم يكفّرها بالعقوبة في الدّنيا .

الحديث السادس : ضعيف .

« و ما أصابكم من مصيبة » قال في مجمع البيان : أى من بلوى في نفس أو مال « فبما كسبت أيديكم » من المعاصى « و يعفو عن كثير » منها فلا يعاقب بها ، قال الحسن : الآية خاصّة بالحدود التي يستحقّ على وجه العقوبة ، وقال قتادة : هي عامّة ، و روى عن عليّ عليه السلام أنّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير آية في كتاب الله هذه الآية ، يا عليّ ما من خدش عود ولا نكبة قدم إلاّ بذنب ، و ما عفى الله عنه في الدّنيا فهو أكرم من أن يعود فيه ، و ما عاقب عليه في الدّنيا فهو أعدل من أن يثنّى

---

(١) سورة الشورى : ٣٠ .

ولا خدش عود إلاّ بذنب و لما يعفو الله أكثر ، فمن عجّل الله عقوبة ذنبه في الدّنيا فإنّ الله عزّوجلّ أجلّ و أكرم و أعظم من أن يعود في عقوبته في الآخرة .

٧ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّدبن عيسى ، عن العبّاس بن موسى الورّاق، عن عليّ الأحمسي ، عن رجل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

على عبده ، و قال أهل التحقيق : أنّ ذلك خاصّ و ان خرج مخرج العموم لمايلحق من مصائب الاطفال و المجانين، ومن لا ذنب له من المؤمنين، و لأنّ الأنبياء و الائمّة يمتحنون بالمصائب و إن كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم في الصّبر عليها من الثواب ، انتهى .

و أقول : سيأتي استثناء المعصومين عليهم السلام منها، و الالتواء الانفتال والانعطاف، في القاموس: لوّاه يلوبه ليّاً فتله و ثنّاه فالتوى و تلوّى ، و برأسه أمال ، و النّاقة بذنبها حرّكت ، و التوى القدح اعوجّ و تلوى انعطف ، و قال : نكب الحجارة رجله لثمتها أو أصابتها فهو منكوب ، و في النهاية : وقد نكب بالحرّة أي نالته حجارتها و أصابته ، و منه النكبة و هي ما يصيب الانسان من الحوادث ، و منه الحديث أنّه نكبت اصبعه أي نالتها الحجارة ، و الخدش جراحة في ظاهر الجلد سواء دمي الجلد أولا .

« و لما يعفو الله » بفتح اللاّم و تخفيف الميم .

الحديث السابع : مجهول .

والهمّ والغمّ امّا مترادفان أو الغمّ ما يعلم سببه ، والهمّ ما لم يعلم سببه ، أو الهمّ الحزن الّذي يذيب الجسد فهو أخصّ ، أوالهمّ ماكان لفقد محبوب ، والغم لوجود مكروه .

وفي الدّعاء : أعوذ بك من الهمّ والغم والحزن ، قيل : الفرق بين الثلاثة هو أنّ الهم قبل نزول الأمر ويطرد النوم ، والغم بعد نزول الأمر ويجلب النوم ، والحزن الأسف على مافات و خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم ، و قال الكرماني :

ما يزال الهمّ و الغمّ بالمؤمن حتّى ما يدع له ذنباً .

٨ ـ عنه ، عن أحمد بن محمّد ؛ و عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً ، عن ابن أبي عمير ، عن الحارث بن بهرام ، عن عمرو بن جميع قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ العبد المؤمن ليهتمّ في الدُّنيا حتّى يخرج منها ولا ذنب عليه .

٩ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليّ الأحمسي ، عن رجل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا يزال الهمّ و الغمّ بالمؤمن حتّى ما يدع له من ذنب .

١٠ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن الحكم ، عن معاوية بن وهب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عزّ وجلّ : ما من

الغمّ هوما يلحقه بحيث يضمّه كأنّه يضيق عليه ، ويقرب أن يغمى عليه ، فهوأخصّ من الحزن ، وهوشامل لجميع أنواع المكروهات ، والهمّ بحسب مايقصده ، والحزن ما يلحقه بسبب مكروه في الماضي ، والغم على المستقبل .

وقيل : الهمّ والحزن بمعنى وقيل : الهمّ لمايتصوّر من المكروه الحالي والحزن لما في الماضي .

وقال الطيبي : الحزن خشونة في النفس لحصول غمّ ، والهمّ حزن يذيب الانسان فهو أخصّ من الحزن ، وقيل : هو بالآتي والحزن بالماضي .

الحديث الثامن : ضعيف .

« ليهتمّ » أي يصيبه الهمّ والحزن كثيراً ، في القاموس : الهمّ الحزن ، وهمّه الأمر همّاً ومهمّة حزنه كأهمّه فاهتمّ ، وفي بعض النسخ : ليهمّ على بناء المفعول .

الحديث التاسع : مجهول ، وقد مرّ .

الحديث العاشر : صحيح .

« أريد أن أدخله الجنّة » أي لايمانه وقد عمل بالمعاصي ، وليست له حسنة

عبد اُريد أن اُدخله الجنّة إلاّ ابتليته في جسده ، فإن كان ذلك كفّارة لذنوبه و إلاّ شددت عليه عند موته حتّى يأتيني ولا ذنب له ، ثمّ اُدخله الجنّة، وما من عبد اُريد أن اُدخله النّار إلاّ صحّحت له جسمه فإن كان ذلك تماماً لطلبته عندي و إلاّ آمنت خوفه من سلطانه فان كان ذلك تماماً لطلبته عندي و إلاّ وسّعت عليه في رزقه فإن كان ذلك تماماً لطلبته عندي و إلاّ هوّنت عليه موته حتّى يأتيني ولا حسنة له عندي ثمّ اُدخله النّار .

١١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن محمّد بن اُورمة ، عن النضر ابن سويد ، عن درست بن أبي منصور ، عن ابن مسكان ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : مرّ نبيّ من أنبياء بني إسرائيل برجل بعضه تحت حائط وبعضه خارج منه قد شعثته الطير و مزّقته الكلاب ، ثمّ مضى فرفعت له مدينة فدخلها فإذا هو بعظيم من عظمائها ميّت على سرير مسجّاً بالدّيباج حوله المجمر فقال : يا ربّ

تكفرها ولم يعف عنها « فان كان » الجزاء مقدّر أي فاكتفى به أو مثله « تماماً » أي متمّماً ، في القاموس : تمّ يتمّ تمّاً وتماماً مثلّثتين ، وتمام الشيء ما يتمّ به ،

الحديث الحادي عشر : ضعيف .

والتشعيث التفريق ، وفي المصباح مزقت الشيء أمزقه ومزّقته خرقته ، ومزّقهم الله كلّ ممزّق ، فرّقهم في كلّ وجه من البلاد « فرفعت » على بناء المفعول أي ظهرت ، قال الكرماني في شرح البخاري : فيه فرفع لي البيت المعمور أي قرب و كشف وعرض .

وفي القاموس : تسجية الميّت تغطيته ، وفي المصباح : الدّيباج ثوب سداه ولحمته ابريسم ، ويقال هو معرّب ثمّ كثر حتّى اشتقّت العرب منه فقالوا دبج الغيث الأرض دبجاً من باب ضرب إذا سقاها فأنبتت أزهاراً مختلفة ، لأنّه عندهم إسم للمنقّش ، واختلف في الياء فقيل زائدة ووزنه فيمال ، ولهذا يجمع بالياء فيقال ديابيج ، وقيل: هي أصل والاصل دبّاج بالتضعيف فأبدل من إحدى المضعّفين حرف العلّة ، ولهذا يردّ

أشهد أنّك حكمٌ ، عدلٌ ، لا تجور ، هذا عبدك لم يشرك بك طرفة عين أمتّه بتلك الميتة و هذا عبدك لم يؤمن بك طرفة عين أمتّه بهذه الميتة ؟! فقال : عبدي أناكما قلتَ حكم عدل لا أجور ، ذلك عبدي كانت له عندي سيّئة أو ذنب أمتّه بتلك الميتة لكي يلقاني ولم يبق عليه شيء و هذا عبدي كانت له [عندي] حسنة فأمتّه بهذه الميتة لكي يلقاني و ليس له عندي حسنة .

١٢ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن أبي الصبّاح الكناني قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فدخل عليه شيخ فقال : يا أباعبدالله أشكو إليك ولدي و عقوقهم و إخواني و جفاهم عند كبر سنّي ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : يا هذا إنّ للحقّ دولة وللباطل دولة و كلٌّ واحد منهما في دولة صاحبه ذليلٌ و إنّ أدنى ما يصيب المؤمن في دولة الباطل العقوق من ولده و الجفاء من إخوانه و ما من

في الجمع إلى أصله ، فيقال دبابيج بباء موحّدة بعد الدّال .

« أشهد انّك حكم » بالتحريك وهو منفذ الحكم أي أعلم مجملاً أنّ هذا من عدلك لأنّك حاكم عادل ، لكن لا أعلم بخصوص السبب « أو ذنب » الترديد من الراوي .

الحديث الثاني عشر : صحيح .

« دولة » بالفتح أي غلبة أو نوبة ، قال الجوهري : الدولة في الحرب أن تداول إحدى الفئتين على الاخرى ، والدولة بالضمّ في المال يقال : صار الفيء دولة بينهم يتداولونه يكون مرّة لهذا ومرّة لهذا ، وقال أبو عبيد : الدولة بالضمّ إسم الشيء الذي يتداول به بعينه ، والدولة بالفتح الفعل ، وقيل : بالضمّ في المال وبالفتح في الحرب ، وأدا لنا الله من عدوّنا ، من الدولة والادالة الغلبة ، ودالت الأيّام أي دارت، والله يداولها بين الناس ، وتداولته الايدي أي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة .

وقال: رجل رافه أي وادع وهو في رفاهة من العيش ، أي سعة ورفاهيّة على فماليّة ، انتهى .

مؤمن يصيبه شيئاً من الرّفاهية في دولة الباطل إلاّ ابتلي قبل موته ، إمّا في بدنه و إمّا في ولده وإمّا في ماله حتّى يخلّصه الله ممّا اكتسب في دولة الباطل و يوفّر له حظّه في دولة الحقّ . فاصبر و أبشر .

﴿ باب ﴾

﴿ في تفسير الذنوب ﴾

١ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن العبّاس بن العلاء عن مجاهد ، عن أبيه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الذّنوب الّتي تغيّر النعم البغي و الذّنوب الّتي تورث الندم القتل، و الّتي تنزل النقم الظلم، و الّتي تهتك السّتر

والمراد به إمّا مطلق الرفاهيّة أو الرفاهيّة بالباطل ، ولعلّ الاخير أظهر ، وعلى الاول الابتلاء في رفاهيّة الحلال ليفوز بثواب الصابرين ، ولحصول الرفاهية له في دولة الحقّ ولو في الرجعة ، وللتشبيه بأولياء الله في دولة الباطل .

باب تفسير عقوبات الذنوب

الحديث الاول : ضعيف .

وحمل البغي على الذنوب باعتبار كثرة أفراده ، وكذا نظائره ، والبغي في اللّغة تجاوز الحدّ ويطلق غالباً على التكبّر والتطاول ، وعلى الظلم قال تعالى : « يبغون في الأرض بغير الحقّ » (١) و قال : « إنّما بغيكم على أنفسكم » (٢) « و بغى عليه لينصرنّه الله » (٣) « إنّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم » (٤) « فان بغت احديهما على الاخرى فقاتلوا الّتي تبغي » (٥) وقد روى أنّ الحسن عليه السلام طلب المبارز في صفّين فنهاه أمير المؤمنين عن ذلك وقال : انّه بغى ولو بغى جبل على جبل لهدّ الله الباغي ،

---

(١) سورة الشورى : ٤٢ .
(٢) سورة يونس : ٢٣ .
(٣) سورة الحج : ٦٠.
(٤) سورة القصص : ٧٦ .
(٥) سورة الحجرات : ٩ .

شرب الخمر ، و الّتي تحبس الرّزق الزّنا ، و الّتي تعجّل الفناء قطيعة الرّحم ، والّتي تردّ الدّعاء و تُظلم الهواء عقوق الوالدين .

٢ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : كان أبي عليه السلام يقول : نعوذ بالله من الذّنوب الّتي

ولمّا كان الظلم مذكوراً بعد ذلك ، فالمراد به التطاول والتكبّر فانّهما موجبان لرفع النعمة ، وسلب العزّة كما خسف الله بقارون .

وقد مرّ أنّ التواضع سبب للرفعة، والتكبر يوجب المذلّة أو المراد به البغي على الامام أو الفساد في الارض .

والذنوب الّتي تورث الندم القتل فانّه يورث الندامة في الدّنيا والآخرة ، كماقال تعالى في قابيل حين قتل أخاه «فأصبح من النادمين»[1] والّتي تنزل النقم الظلم كما يشاهد من احوال الظالمين وخراب ديارهم واستيصال أولادهم وأموالهم كماهو معلوم من أحوال فرعون وهامان وبني امّية وبني العباس وأضرابهم ، وقد قال تعالى : « وتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا »[2] .

وهتك الستور بشرب الخمر ظاهر ، وحبس الرّزق بالزنا مجرّب فانّ الزناة وإن كانوا أكثر الناس أموالا عمّا قليل يصيرون أسوء النّاس حالا ، وقد يقرء هنا الرّبا بالراء المهملة و الباء الموحّدة ، وهي تحبس الرزق لقوله تعالى : « يمحق الله الرّبا ويربى الصّدقات »[3] .

وإظلام الهواء إمّا كناية عن التحيّر في الامور أو شدّة البليّة أو ظهور آثار غضب الله في الجوّ .

الحديث الثاني : حسن موثق .

قوله : وهي قطعية الرحم ، الظاهر أنّه من كلام الباقر وقيل: هو كلام الصادق

---

(١) سورة المائدة : ٣١ .
(٢) سورة النمل : ٥٢ . (٣) سورة البقرة : ٢٧٦ .

تعجّل الفناء و تقرّب الآجال و تخلّي الدّيار و هي قطيعة الرّحم و العقوق وترك البرّ .

٣ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أيّوب بن نوح ـ أو بعض أصحابه عن أيّوب ـ عن صفوان بن يحيى قال : حدّثني بعض أصحابنا قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إذا

عليهم السلام وهو بعيد ، والظاهر أنّ الجميع يترتّب على كلّ واحد ، لأنّ تعجيل الفناء وتقريب الآجال متساوقان ، فيكون الثاني تأكيداً للاوّل أو إشعاراً بأنّ تعيين الآجال لا ينافي ذلك ، فانّ الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب ، ويحتمل أن يكون النشر على ترتيب اللّف ، ولا ينافي تقارب المعنيين الاوّلين مع أنّه يمكن أن يكون المراد بالفناء فناء الأموال وإن كان بعيداً ، والبرّ برّ الوالدين أو الاعمّ .

الحديث الثالث : مرسل .

والخفر والاخفار الغدر ونقض العهد ، و الادالة الغلبة ، و في الدعاء : أدل لنا ولا تدل منّا ، و ذلك لأنّهم ينقضون الايمان و يخالفون الله في ذلك المغلبة ، فيورد الله عليهم نقيض مقصودهم ، كما أنّهم يمنعون الزكاة لحصول الغناء مع أنّها سبب لنموّ أموالهم ، فيذهب الله ببركتها ويحوجهم وكون المرادحاجة الفقراء كماقيل بعيد ، نعم يحتمل الأعمّ .

وأقول : روى الصدوق (ره) في كتاب معاني الأخبارخبراً مبسوطاً فيذلك ناسب إيراده هنا ، روى باسناده عن أبي خالد الكابلي قال : سمعت علي بن الحسين عليهما السلام يقول :

الذنوب الّتي تغيّر النعم البغي على الناس ، والزوال عن العادة في الخير ، واصطناع المعروف وكفران النّعم ، وترك الشكر ، قال الله تعالى : « إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم »[1] .

---

(١) سورة الرعد : ١١ .

فشا أربعة ظهرت أربعة : إذا فشا الزّنا ظهرت الزّلزلة و إذا فشا الجور في الحكم احتبس القطر و إذا خفرت الذمّة اُديل لأهل الشرك من أهل الاسلام و إذا منعت

والذنوب الّتي تورث الندم قتل النفس الّتي حرّم الله قال الله تعالى في قصّة قابيل حين قتل أخاه هابيل ، فعجز عن دفنه : « فأصبح من النادمين » [1] وترك صلة القرابة حتّى يستغنوا ، وترك الصّلاة حتّى يخرج وقتها ، وترك الوصيّة وردّ المظالم ومنع الزكاة حتّى يحضر الموت وينغلق اللّسان .

والذنوب الّتي تنزل النقم عصيان المعارف بالبغي ، والتطاول على النّاس ، والاستهزاء بهم والسخريّة منهم .

والذنوب الّتي تدفع القسم إظهار الافتقار ، والنوم عن العتمة عن صلاة الغداة واستحقار النعم ، وشكوى المعبود عزّ وجلّ . والذنوب التي تهتك العصم شرب الخمر و اللعب بالقمار و تعاطي ما يضحك الناس من اللغو و المزاح ، و ذكر عيوب الناس و مجالسة أهل الريب .

والذنوب الّتي تنزل البلاء ترك إغاثة الملهوف ، وترك معاونة المظلوم ، وتضييع الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . والذنوب الّتي تديل الأعداء المجاهرة بالظلم ، وإعلان الفجور ، وإباحة المحظور وعصيان الأخيار والانطباع للاشرار .

والذنوب الّتي تعجّل الفناء قطيعة الرحم ، واليمين الفاجرة ، والأقوال الكاذبة والزنا وسدّ طريق المسلمين ، وادّعاء الامامة بغير حقّ .

والذنوب الّتي تقطع الرجاء اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والثقة بغير الله ، والتكذيب بوعد الله .

والذنوب التي تظلم الهواء السحر والكهانة ، والايمان بالنجوم ، والتكذيب بالقدر ، وعقوق الوالدين .

والذنوب التي تكشف الغطاء الاستدانة بغير نيّة الأداء ، والاسراف في النفقة على الباطل ، والبخل على الأهل والولد ، وذوي الأرحام ، وسوء الخلق ، وقلّة الصبر

---

(١) سورة المائدة : ٣١ .

الزّكاة ظهرت الحاجة .

﴿ باب نادر ﴾

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبدالعزيز العبدي ، عن ابن أبي يعفور قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال الله عزّوجلّ : إنّ العبد من عبيدي المؤمنين ليذنب الذّنب العظيم ممّا يستوجب به عقوبتي في الدّنيا و الآخرة فأنظر له فيما فيه صلاحه في آخرته فاُعجّل له العقوبة .

واستعمال الضجر والكسل ، والاستهانة بأهل الدّين .

والذنوب التي تردّ الدعاء سوء النيّة ، وخبث السريرة ، والنفاق مع الاخوان وترك التصديق بالاجابة ، وتأخير الصلوات المفروضات حتّى تذهب أوقاتها ، و ترك التقرّب إلى الله عزّوجلّ بالبرّ والصدقة وإستعمال البذاء والفحش في القول .

والذنوب الّتي تحبس غيث السماء جور الحكّام في القضاء وشهادة الزور ، و كتمان الشهادة ومنع الزكاة ، والقرض والماعون وقساوة القلب على أهل الفقر والفاقة وظلم اليتيم والارملة وانتهار السائل وردّه بالّليل .

باب نادر

إنّما أفرده عن الأبواب السابقة لاشتماله على زيادة ولم يجد له من جنسه حتى يشركه معه مع غرابة مضمونه ، ويمكن أن يقرء بالتوصيف والاضافة معاً .

الحديث الاول : ضعيف .

«ممّا يستوجب » على بناء المعلوم ، ويحتمل المجهول «والآخرة» الواو بمعنى أو «فانظر له» أي أدبر له ، وقوله: واقدر عطف تفسير لقوله فاعجل وقيل : يعني ربما أعجل ، وربّما أقدر ، فالواو بمعنى أو ، وعلى الأوّل المراد بالتعجيل جعل تقدير العقوبة في الدنيا وصرفها عن الآخرة صادف الامضاء أو لم يصادفه ، والتقدير الكتابة في لوح المحو والاثبات ، والقضاء الشروع في تحصيل أسباب ذلك ، والامضاء تكميل

عليه في الدّنيا لاُجازيه بذلك الذّنب و اُقدّر عقوبة ذلك الذّنب و أقضيه وأتركه عليه موقوفاً غير ممضى ّ ولي في إمضائه المشيئة و ما يعلم عبدي به فأتردّد في ذلك مراراً على إمضائه ثمّ اُمسك عنه فلا اُمضيه كراهةً لمساءته وحيداً عن إدخال المكروه عليه فأتطوّل عليه بالعفو عنه و الصفح ، محبّة لمكافاته لكثير نوافله الّتي يتقرّب بها إليّ في ليله ونهاره فأصرف ذلك البلاء عنه وقد قدّرته وقضيته وتركته موقوفاً ولي في إمضائه المشيئة ، ثمّ أكتب له عظيم أجر نزول ذلك البلاء و أدّخره

الأسباب المقارن للحصول وضمير أتركه للعقوبة والتذكير لكونها مصدراً .

«فأتردّد في ذلك» أي في العقوبة مراراً أي مرّات كثيرة على امضائه أي لامضائه أوعازماً أو أعزم على امضائه أوعلى بمعنى في وهو بدل اشتمال لقوله في ذلك ، والتردد هنا مجاز كما مرّ في قوله تعالى : « ما تردّدت في شيء أنا فاعله » ولعلّه كناية عن ايجاد بعض أسبابها ، ثمّ صرفها وعدم إكمالها ، وفي القاموس ، حاد عنه يحيد حيداً مال ، وقوله : محبّة مفعول له لقول فأتطوّل .

وقوله : لمكافاته متعلّق بالمحبّة ، وقوله : لكثير متعلّق بالمكافاة أي لأنّي أحبّ أي أكافيه وأجازيه بكثير نوافله ، وقيل : لمكافاته صفة لمحبّة ، ولكثير بدل لمكافاته أي لتلافيه ذلك الذنب بكثير من النوافل وما ذكرنا أظهر كما لا يخفى .

« ثمّ اكتب له » قيل: ثمّ للتعجب كما أنّه في قوله ثمّ امسك أيضاً كذلك ، و إنّما سمّاه أجراً مع أنّ ما يعطى للبلايا يسمّى عوضاً لأنّه يعطى حقيقة للنوافل الّتي صارت سبباً لرفع البلاء فقوله : ولم يشعر به للتعجّب على ترتّب الأجر على فعل مقارن لغفلة محلّه ، وقوله : ولم يصل إليه للتعجّب عن إعطاء العوض على أمر لم يصل إليه، انتهى .

وأقول : لمّا جعله أجراً وثواباً أثبت له ماهو من خواصّه وهو المضاعفة بعشرة أمثاله وأكثر ، حيث قال : وأوفّر له أجره ، وفي النهاية في أسماء الله تعالى الكريم هو الجواد المعطى الّذي لا ينفذ عطاؤه ، وهو الكريم المطلق ، والكريم الجامع

و اُوفّر له أجره ولم يشعر به ولم يصل إليه أذاه و أنا الله الكريم الرّؤوف الرّحيم.

﴿ باب نادر ايضاً ﴾

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن ابن بكير قال : سألت أباعبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » فقال هو : « و يعفو عن كثير »[1] قال : قلت : ليس هذا أردت أرأيت ما أصاب عليّاً

لأنواع الخير والشرف والفضائل ، والرؤف هو الرّحيم بعباده ، العطوف عليهم بألطافه والرأفة أرقّ من الرّحمة ، ولا تكاد تقع في الكراهة ، والرّحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة ، انتهى .

والرّحيم إمّا في الآخرة أو بالنعم الخاصّة .

باب نادر أيضاً

الحديث الاول : موثق كالصحيح .

« في قول الله » كأنّ في بمعنى عن أو هنا تقدير أي سألت عن شيء في هذه الآية « فقال هو : » أي أبوعبدالله عليه السلام ولعلّه لمّا اكتفى ببعض الآية كان موهماً لأن يكون نسي تتمّة الآية فقرأها عليه السلام أو موهماً لأنّه توهّم أنّ كلّ ذنب لابدّ أن يبتلى الانسان عنده ببليّة فقرأ عليه السلام تتمّة الآية لرفع هذا التوهّم ، وعلى الاوّل معنى ليس هذا أردت، أنّه إنّما لم أقرء التتمّة لأنّها لم تكن لها مدخل في سؤالي وعلى الثاني أنّ سؤالي ليس هذا الذي يتوهّم .

ويحتمل أن يكون قرء تتمّة الآية لبيان سعة رحمة الله ، ولم يكن مبنيّاً على توهّم لكن السّائل توهّم ذلك « أرأيت » أي أخبرني ، و جوابه عليه السلام يحتمل وجهين :

---

(١) سورة الشورى : ٢٩ .

و أشباهه من أهل بيته عليهم السلام من ذلك ؟ فقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله في كلّ يوم سبعين مرّة من غير ذنب .

٢ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ و عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن عليّ بن رئاب قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ : « و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » أرأيت ما أصاب عليّاً و أهل بيته عليهم السلام من بعده هو بما كسبت أيديهم وهم أهل بيت طهارة معصومون ؟ فقال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله و يستغفره في كلّ يوم و ليلة مائة

الأوّل : أنّ استغفار النبيّ صلى الله عليه وآله كما أنّه لم يكن لحطّ الذنوب بل ارفع الدرجات فكذا ابتلاؤهم عليهم السلام ليست لكفّارة الذنوب بل لكثرة المثوبات وعلوّ الدرجات، فالخطاب في الآية متوجّه إلى غير المعصومين بقرينة « ما كسبت أيديكم » كما عرفت .

والثاني: أنّ المعنى أنّ استغفار النبيّ صلى الله عليه وآله كان لترك الاولى أو ترك العبادة الأفضل إلى الأدنى وأمثال ذلك ، فكذا ابتلاؤهم كان لتدارك ذلك ، والأوّل أظهر كما يدلّ عليه الخبر الآتي وغيره ، قال في النهاية : فيه أنّه ليغان على قلبي حتّى أستغفر الله في اليوم سبعين مرّة ، الغين الغيم ، وغينت السماء تغان إذا أطبق عليها الغيم وقيل : الغين شجر ملتفّ أراد ما يغشاه من السهو الّذي لا يخلو منه البشر ، لأنّ قلبه أبداً كان مشغولا بالله تعالى ، فان عرض له وقتاً مّا عارض بشريّ يشغله عن أمور الامّة والملّة ومصالحهما عدّ ذلك تقصيراً وذنباً فيفزع إلى الاستغفار .

الحديث الثاني : حسن كالصّحيح بل أعلى من الصّحيح .

والجمع بين المائة والسّبعين أنّه قد كان يفعل هكذا وقد كان يفعل هكذا وقيل : المراد بالسبعين العدد الكثير كما قيل في قوله تعالى : « إن تستغفر لهم سبعين

مرّة من غير ذنب ، إنّ الله يخصّ أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب .

٣ ـ عليّ بن إبراهيم ، رفعه قال : لمّا حمل عليّ بن الحسين صلّى الله عليهما إلى يزيد بن معاوية فأُوقف بين يديه قال يزيد لعنه الله : « و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم » فقال عليّ بن الحسين عليهما السلام : ليست هذه الآية فينا إنّ فينا قول الله عزّوجلّ : « و ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير »[1] .

مرّة »[2] أو كان يفعل الثلثين في اللّيل .

الحديث الثالث : مرفوع .

«ليست هذه الآية فينا » قد مرّ بيانه ، ويؤيّده أنّ قبل تلك الآية بآيات : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى » ومعلوم انّ هذا الخطاب لغيرهم عليهم السّلام .

« ما أصاب من مصيبة في الأرض » قال الطّبرسي (ره) : مثل قحط المطر وقلّة النبات ، ونقص الثمرات « ولا في أنفسكم » من الأمراض والثكل بالأولاد « إلّا في كتاب » أي إلّا وهومثبت مذكور في اللّوح المحفوظ « من قبل أن نبرأها » أي من قبل أن يخلق الأنفس ، وإنّما أثبتها ليستدلّ ملائكته به على أنّه عالم لذاته ، يعلم الأشياء بحقايقها « انّ ذلك على الله يسير » أي إثبات ذلك على الله يسير سهل غير عسير .

ثمّ بيّن سبحانه لِمَ فعل ذلك فقال: « لكيلا تأسوا على ما فاتكم » أي فعلنا ذلك لكيلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدّنيا « ولا تفرحوا بما آتاكم » أي بما أعطاكم الله منها ، والذي يوجب نفي الاسى والفرح من هذا أنّ الانسان إذاعلم أنّ ما فات منها ضمن الله تعالى العوض عليه في الآخرة فلاينبغى أن يحزن لذلك ، وإذا علم أنّ ما ناله منها كلّف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه ، فلا ينبغى أن

---

(١) سورة الحديد : ٢٢ . (٢) سورة التوبة : ٨٠ .

. . . .

يفرح به ، وأيضاً فاذا علم أنّ شيئاً منها لا يبقى فلا ينبغي أن يهتمّ له بل يجب أن يهتمّ لأمر الآخرة الّتي تدوم ولا تبيد، انتهى.

ولا يخفى أنّ ما ذكره قدّس سرّه لا يتفرّع على الكتابة في اللّوح ، ولا مدخل لها في ذلك ، وقال البيضاوي : ضمير يخلقها للمصيبة أو للارض أو للانفس ، وقال في قوله : « لكيلا تأسوا » فانّ من علم أنّ الكل مقدّرهان عليه الأمر ، والمراد منه نفي الأسى المانع من التسليم لأمر الله ، والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقّبه بقوله : « والله لا يحبّ كلّ مختال فخور » إذ قلّ من يثبت نفسه في حال الضرّاء والسرّاء ، انتهى .

واقول : الظّاهر أنّ التعليل مبنيّ على أنّ الانسان إذا علم أنّ الله سبحانه قدّر الخير والشرّ له قبل أن يخلقه ، وعلم أنّ الله تعالى فيّاض جواد حكيم ، لا يفعل إلاّ الأصلح بعباده ، لا يأسى على المصائب كثيراً لعلمه بأنّ صلاحه فيه ، وأنّ الله تعالى لجوده وحكمته يعوّضه عن ذلك ، وأيضاً إنّما يأسف الانسان غالباً لظنّه أنّه كان يمكنه السعي في رفع ذلك فقصّر فيه ، وإذا علم أنّ ذلك بتقديره سبحانه وكان يقع لا محالة لا يأسف من تلك الجهة ، وكذا إذا أعطاه الله نعمة وعلم أنّها بتقدير الله تعالى وليس من سعيه حثّه ذلك على الشكر والتذلّل لله سبحانه ، ولا يطغى ولا يختال و يخاف سلب النعمة كما حكى الله تعالى عن قارون حيث قال : « إنّما أوتيته على علم عندي »[1] وزعم أنّه إنّما حصل له ما أعطاه الله لسعيه لا بتقديره سبحانه وفضله ، ولذلك طغى وبغى .

وإذا عرفت ذلك فقوله عليه السلام : إنّ فينا قول الله ، يحتمل أن يكون المراد به انّا داخلون في حكم هذه الآية ولا تشملنا الآية الاخرى ، فلا يكون المعنى إختصاصها بهم وإذا حملنا على الاختصاص فيحتمل وجهين :

---

(١) سورة القصص : ٧٨ .

﴿ باب ﴾

﴿ أن الله يدفع بالعامل عن غير العامل ﴾

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عليِّ بن معبد ، عن عبدالله بن القاسم ، عن يونس بن ظبيان ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : إنَّ الله [ا] يدفع بمن يصلّي من شيعتنا عمّن لايصلّي من شيعتنا ولو أجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا ، و إنَّ الله ليدفع بمن يزكّي من شيعتنا عمّن لا يزكّي ولو أجمعوا على ترك الزكاة لهلكوا ، و إنَّ الله

الاوّل : أن يكون وجه التخصيص أنّهم العاملون والمنتفعون بها ، فصارت لهم خلقاً وسجيّة، ويؤيّده أنّه روى عليّ بن إبراهيم لهذا الخبر تتمّة ، وهي قوله : « إنَّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » فنحن الّذين لا نأسى على مافاتنا من أمر الدّنيا ، ولا نفرح بما اُوتينا ، وهذا الاختصار المخلّ من المصنف (ره) غريب إلاّ أن يقال رواه عليّ بن إبراهيم على الوجهين .

الثّاني: أن يكون وجه الاختصاص علمهم بما كتب لهم في اللّوح المحفوظ ، والدّرجات الّتي حصلت لهم بازائها كما مرّ في باب الصّبر عن أبي عبدالله عليه السلام قال:إنّا صبّر و شيعتنا أصبر منا ، لأنّا نصبر على ما نعلم ، وشيعتنا يصبرون على ما لايعلمون ، وقد مرّ تأويل غريب لهذه الآية في باب شأن إنّا انزلناه في ليلة القدر يظهر منه الاختصاص بهم على وجه الكمال .

باب (١)

الحديث الاول : ضعيف .

والمراد بالهلاك نزول عذاب الاستيصال ، وظاهره أنّ المراد بالآية عن بعضهم بسبب بعض ، فيكون النّاس وبعضهم منصوبين بنزع الخافض ، أو يقال : المراد دفع

---

(١) وفي بعض النسخ كنسخة المتن عنوان الباب هكذا « باب ان الله يدفع بالعامل عن غير العامل » .

ليدفع بمن يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ ولو أجمعوا على ترك الحجّ لهلكوا و هو قول الله عزّوجلّ : « و لولا دفع الله النّاس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنّ الله ذوفضل على العالمين »[1] فوالله ما نزلت إلاّ فيكم ولا عنى بها غيركم .

﴿ باب ﴾

(ان ترك الخطيئة أيسر من [طلب] التوبة)

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن الحكم ، عن بعض أصحابه عن أبي العبّاس البقباق [قال]: قال أبوعبدالله عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة و كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً والموت

بعض الناس أي الظالمين أو المشركين عن بعض ببركة بعض ، فيكون المدفوع عنه متروكاً في الكلام « فوالله ما نزلت » أي الآية ودفع الله العذاب عن بعضهم بسبب بعض مخصوصة بالشيعة لا يشركهم غيرهم .

باب (٢)

الحديث الاول : مرسل .

« أيسر من طلب التوبة » إشارة إلى أنّ شرائط قبول التوبة كثيرة كما مرّت الاشارة إليه في قول أمير المؤمنين عليه السلام فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه ، وأيضاً بعد إدراك لذّة الذنب والتدنّس به ربما لم تطاوع نفسه في التوبة لا سيّما إذا بلغ حدّ الطبع والرّين « حزناً طويلا » بعد الموت أو الأعمّ « والموت فضح الدّنيا » لكشفه عن مساويها وغرورها وعدم وفائه لأهلها ، وقيل : يعني أنّ بعد الموت يظهر عيوب الدّنيا ولا يخفى بعده ، وعلى التقديرين فيه حثّ على ذكر الموت فانّه هادم

(١) سورة البقرة : ٢٥٢ .

(٢) و في بعض النسخ كنسخة المتن عنوان الباب هكذا « باب ان ترك الخطيئة ايسر من طلب التوبة » .

فضح الدُّنيا ، فلم يترك لذي لبّ فرحاً .

﴿ باب الاستدراج ﴾

١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد ، عن عليّ بن الحكم ، عن عبدالله ابن جندب ، عن سفيان بن السّمط قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ الله إذا أراد بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة و يذكّره الاستغفار ، و إذا أراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ، و يتمادى بها ، وهو قول الله عزّ وجلّ : «سنستدرجهم

اللّذات والمنبّه عن الغفلات .

باب الاستدراج

قال في القاموس : إستدراج الله تعالى العبد أنّه كلّما جدّد خطيئة جدّد له نعمة وأنساه الاستغفار وأن يأخذه قليلا قليلا ولا يباغته .

الحديث الاول : مجهول .

«لينسيه» أي الرّب تعالى ، وفي بعض النسخ بالتاء أي النعمة وعلى التقديرين اللاّم لام العاقبة « سنستدرجهم » بايصال النعم إليهم عند اشتغالهم بالمعاصي ، والاستدراج قيل : هو الأخذ على الغرّة من حيث لا يعلم وقيل : هو أن يتابع على عبده النعم ابلاغاً للحجّة ، والعبد مقيم على الاسائة ، مصرّ على المعصية ، فيزداد بتواتر النعم عليه غفلة ومعصية ، وذهاباً إلى الدّرجة القصوى منها فيأخذه الله بغتة على شدّة حين لا عذر له ، كما ترى الراقي في الدّرجة ، فيتدرّج شيئاً فشيئاً حتّى يبلغ إلى العلوّ فيسقط منه .

وفيه تخويف للمنعم عليه بالاغترار والنسيان ، وحمل ذلك على اللّطف والاحسان وتذكيره «له» باحتمال أن يكون ذلك استدراجاً ليأخذه على العزّة والشدّة ، وقد قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ليركم الله من النّعمة وجلين ، وقال عليه السلام : إنّه من

من حيث لا يعلمون »[١] بالنعم عند المعاصي .

٢ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، و عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن ابن رئاب ، عن بعض أصحابه قال : سئل أبوعبدالله عليه السلام عن الاستدراج ، فقال : هو العبد يذنب الذّنب فيملي له و يجدّد له عندها النعم فتلهيه عن الاستغفار من الذّنوب فهو مستدرج من حيث لا يعلم .

وسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك إدراجاً فقد آمن مخوفاً .

الحديث الثاني : مرسل .

« هو العبد » أي حال العبد ، والاملاء الامهال قال تعالى : « وأملي لهم إنّ كيدي متين »[٢] وقال في مجمع البيان في قوله تعالى : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » أي إلى الهلكة حتّى يقعوا فيه بغتة ، وقيل: يجوزأن يريد عذاب الآخرة أي نقرّبهم إليه درجة درجة حتّى يقعوا فيه ، وقيل : هومن المدرجة وهي الطّريق ودرج أي مشى سريعاً أي سنأخذهم من حيث لا يعلمون أيّ طريق سلكوا ، فانّ الطرق كلّها عليّ ومرجع الجميع إليّ ، ولا يغلبني غالب ، ولا يسبقني سابق ، ولا يفوتني هارب ، وقيل : إنّه من الدّرج أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الارض ، يقال : طويت أمر فلان إذا تركته وهجرته ، وقيل : معناه كلّما جدّدوا خطيئة جدّدنا لهم نعمة ، ولا يصحّ قول من قال : أنّ معناه يستدرجهم إلى الكفر والضلال، لأنّ الآية وردت فيالكفّار ، وتضمّنت أنّه يستدرجهم فيالمستقبل ، لأنّ السّين يختصّ المستقبل ، ولأنّه جعل الاستدراج جزاءاً على كفرهم وعقوبة ، فلابدّ أن يريد معنى آخر غير الكفر .

وقال: «وأملي لهم» معناه وأمهلهم ولاأعاجلهم بالعقوبة فانّهم لايفوتوني ولا يفوتني عذابهم « إنّ كيدي متين » أي عذابي قويّ منيع لا يدفعه دافع ، وسمّاه كيداً

---

(١) سورة الاعراف : ١٨٢ .

(٢) سورة القلم : ٤٥ .

٣ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن محمّد بن سنان ، عن عمّار بن مروان ، عن سماعة بن مهران قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ : « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » قال : هو العبد يذنب الذّنب فتجدّد له النّعمة معه تلهيه تلك النّعمة عن الاستغفار من ذلك الذّنب .

٤ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمّد ، عن سليمان [بن داود] المنقري ، عن حفص بن غياث ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كم من مغرور بما قد أنعم الله عليه وكم من مستدرج بستر الله عليه وكم من مفتون بثناء الناس عليه .

لنزوله بهم من حيث لا يشعرون ، وقيل : أراد أنّ جزاء كيدهم متين .

الحديث الثالث (١) : ضعيف .

« كم من مغرور » كم خبريّة مرفوعة محلا بالابتداء وخبرها محذوف إن كان الظرف في قوله « بما » لغواً ومتعلّقاً بمغرور بتقدير كم من مغرور بما أنعم الله عليه كائن ، وخبرها الظرف إن كان مستقرّاً ، أو كم منصوبة محلاً على طريقة ما أضمر عامله على شريطة التفسير باشتغال فعل بضمير متعلّق به ، مثل زيداً مررت بغلامه ، وهكذا في ساير المواضع ، أي كم غافل عن مآل حاله ، وعقوبات الله في الدنيا والآخرة بما أنعم الله عليه فظنّ أنّه لكرامته على الله أنعم عليه ، وكم من رجل ستر الله عيوبه عن الناس أو عن نفسه أيضاً إستدراجاً فظنّ كماله وقربه عندالله ، وكم رجل افتتن ووقع في مهاوي العجب بثناء الناس عليه ، فغفل عن عيوب نفسه ، وظنّ مدح النّاس حقّاً .

---

(١) كذا في جميع النسخ و الظاهر انه سقط من نسخة الشارح (ره) او قلمه الشريف الحديث الثالث الموجود في المتن وقد مر نظير هذا السقط في الاجزاء السابقة أيضاً، واحتمال سقطه من قلم النساخ بعيد لان النسخ الموجودة عندنا احدها بخط الشارح تماماً وقد سقط منها ايضاً ، وعلى كل حال هذا الحديث بحسب المتن هو الحديث الرابع لا الثالث .

﴿ باب ﴾

(محاسبة العمل)

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ و عدَّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن عليِّ بن رئاب ، عن أبي حمزة ، عن عليِّ بن الحسين عليهما السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إنَّما الدَّهر ثلاثة أيَّام أنت فيما بينهنَّ : مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبداً فإن كنت عملت فيه خيراً لم تحزن لذهابه و فرحت بما استقبلته منه و إن كنت قد فرَّطت فيه فحسرتك شديدة لذهابه و تفريطك فيه و أنت في يومك الَّذي أصبحت فيه من غد في غرَّة ولا تدري لعلّك لا تبلغه و إن بلغته لعلَّ حظّك فيه في التفريط مثل حظّك في الأمس الماضي عنك .

فيوم من الثلاثة قد مضى أنت فيه مفرِّط ، و يوم تنتظره لست أنت منه على يقين من ترك التفريط و إنّما هو يومك الّذي أصبحت فيه وقد ينبغي لك إن عقلت

باب اى نادر ايضاً (١)

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

« ثلاثة أيّام » أحدها اليوم الّذي هو فيه ينبغي أن يعمل فيه ، والثاني : اليوم الذى قبل هذا اليوم وهو يشمل كلّ يوم قبله وهو المراد بالأمس الماضي لا خصوص يوم واحد قبله ، الثّالث : اليوم الآتي بعد هذا اليوم ، وهو كذلك يشمل جميع الايّام الآتية وهو المراد بالغد « بما استقبلته منه » أي بعمل صالح استقبلته ولا قيته بسبب ذلك اليوم ، أو الثواب الذي تستقبله وتنتظره في الآخرة بسبب ذلك العمل ، ولعلّه أظهر «من غد» أى بسببه أو بالنّسبة إليه كقوله : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى ، أو متعلّق بغرّة .

والغرّة بالكسر الغفلة أي اغتررت بالغد وسوّفت العمل إليه غافلا عن أنّك لا تعلم وصولك إليه ، وعدم تفريطك فيه « وإنّما هو يومك » الضمير راجع إلى ما بيده

---

(١) كذا في النسخ .

و فكّرت فيما فرّطت في الأمس الماضي ممّا فاتك فيه من حسنات ألاّ تكون اكتسبتها و من سيّئات ألاّ تكون أقصرت عنها و أنت مع هذا مع استقبال غد على غير ثقة من أن تبلغه وعلى غير يقين من إكتساب حسنة أو مرتدع عن سيّئة محبطة، فأنت من يومك الّذي تستقبل على مثل يومك الّذي استدبرت ، فاعمل عمل رجل

من الأيّام ومايمكنه العمل فيه بقرينة المقام ، وقيل : إلى الباقي من الثلاثة ، وقيل: إلى الدهر ، وقيل : إلى اليوم .

«وقد ينبغي لك إن عملت»[1] هذا الكلام يحتمل وجوهاً : الأوّل : أن يكون بفتح أن فهو فاعل ينبغي، الثاني : أن يكون الفاعل مقدّراً بقرينة فاعمل ، الثالث : أن يكون مضمون جملة الشرط وهو « إن عقلت » والجزاء وهو «فاعمل» فاعل ينبغي ولا يخلو شيء منها من التكلّف ولعلّ الأوّل أظهر .

و«ممّا فاتك» الظاهر أنّ من لبيان الموصول ، وقيل : من للتبعيض ، وما عبارة عن الزمان ، وفيه متعلّق بفرّطت ، والضمير فيه راجع إلى ما في قوله : ما فرطت ومن في قوله : من حسنات ، لتبيين ما في فرّطت وألاّ في الموضعين مركب من أن الناصبة ولا النافية أدغمت النون في اللاّم ، وبدل اشتمال للموصول فيما فرّطت ، وتكون زائدة لعدم صحّة إدخال لاء النافية على الماضي بلا إرادة التكرار ، والواو في قوله: وأنت حاليّة ، والعامل في الحال لاتكون في الموضعين على التنازع .

وأنت إلى قوله : استدبرت داخل في المفكّر فيه ولذا كرّر مع ذكره سابقاً ، وأنت مبتدء و«مع هذا» حال عن فاعل الظرف في قوله : مع استقبال، الذى هو خبر المبتداء ، والمرتدع بفتح الدّال مصدر ميميّ والاحباط إبطال العمل الصّالحة الماضية .

« على مثل يومك » أي على مثل ما أنت من يومك الذى استدبرت ، وقال في

---

(١) كذا في جميع النسخ حتى النسخة الموجودة عندنا بخط الشارح (ره) ولكن نسخ المتن كلها «ان عقلت» وهو الظاهر ، كما يأتي في كلام الشارح (ره) ايضاً بهذا اللفظ .

ليس يأمل من الأيّام إلاّ يومه الّذي أصبح فيه و ليلته ، فاعمل أودع والله المعين على ذلك .

الوافي : إن‌عقلت بفتح الهمزة إن أثبت‌الواو بعده ، وإلاّ فبالكسر ، وفي بعض‌النسخ وددت بدل فكّرت من دون واو، وعليها فالكسر متعيّن وألا في الموضعين للتحضيض انتهى .

وقوله: وليلته كأنّه إشارة إلى‌أنّ ما ذكرنا من اليوم المراد به اليوم واللّيلة فانّه لم يذكر اللّيالى وهومن العمر ، أو إلى أنّ اليوم المراد به مقدار من الزّمان اختصّ بوصف أو واقعة كما هو الشايع بين العرب ، كيوم القيامة ويوم الأحزاب فقد يطلق على‌السّنين والشهور ، والسّاعة من اليوم أو اللّيلة ، كما أطلق اليوم هنا على ما مضى من العمر ، وعلى ما بقى منه ، فاليوم الذي هو فيه هو السّاعة الّتي‌هو فيها سواء كان من اليوم أو اللّيلة .

قال في المصباح : و العرب قد تطلق اليوم و يريد الوقت و الحين نهاراً كان أو ليلا ، فنقول : ذخرتك لهذا اليوم ، أى لهذا الوقت الذى افتقرت فيه إليك ، ولا يكادون يفرّقون بين قولهم يومئذ و حينئذ و ساعتئذ ، انتهى .

و قيل : الواو في قوله و ليلته للتقسيم ، إشارة إلى أنّ هذا الوعظ قد ينتفع به في اليوم وقد ينتفع به في اللّيلة ، و فيه إختصار لأنّ التقدير و عمل رجل ليس يأمل من‌اللّيالى إلاّ ليلته الّتى أمسى فيها، انتهى .

و ما ذكرنا أظهر ، و تكرير فاعمل للتأكيد أى بيّنت لك هذه الموعظة و أوضحت لك مايوجب نجاتك فان شئت فاعمل وإن‌شئت دع فهو قريب من‌التهديد، مثل قوله تعالى: « اعملوا ما شئتم »[1] و قوله صلى الله عليه وآله : اعمل ما شئت فانّك ميّت «والله المعين على ذلك» أى على‌العمل ، وماقيل: انّ فاعمل ثانياً على بناء الافعال ، و اودع على أفعل التفضيل مفعوله فهو في غاية البعد و الركاكة .

---

(١) سورة فصلت : ٤٠ .

٢ ـ عليُّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الحسن الماضي صلوات الله عليه قال: ليس منّا من لم يحاسب نفسه

الحديث الثاني: حسن.

«ليس منّا» أي من شيعتنا أو محبّينا أو محبوبينا.

و اعلم أنّ أفضل الأعوان على طاعة الله و الاجتناب عن معاصيه و التزوّد ليوم المعاد محاسبة النفس، أي يتفكّر عند انتهاء كلّ يوم و ليلة بل كلّ ساعة فيما عمل فيه من خير أو شرّ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و زنوها قبل أن توزنوا و تجهّزوا للعرض الاكبر، و عن الحسن بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يكون العبد مؤمناً حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه، و السيّد عبده، و فيما أوصى به أميرالمؤمنين إبنه الحسن صلوات الله عليهما: يا بنيّ للمؤمن ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربّه و ساعة يحاسب فيها نفسه، و ساعة يخلو فيها بين نفسه و لذّتها فيما يحلّ و يحمد.

و في تفسير الامام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بأكيس الكيّسين و أحمق الحمقاء؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت، وأحمق الحمقاء من اتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأماني، فقال الرجل: ياأميرالمؤمنين[1] وكيف يحاسب الرجل نفسه؟ قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه وقال: يانفس إنّ هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسائلك عنه فيما أفنيته؟ و ما الّذي عملت فيه أذكرت الله أم حمدتيه؟ أقضيت حقّ أخ مؤمن؟ أنفست عنه كربته

(١) يظهر منه ان الراوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله هو اميرالمؤمنين عليه السلام، لكن في صحة اسناد التفسير الى الامام عليه السلام و اثباته كلام مذكور في محله و من اراد الوقوف على البحث فيه فليراجع مقدمة تفسير مجمع البيان ـ ط الاسلامية ـ بقلم الاستاد المرحوم الشيخ ابوالحسن الشعراني رضوان الله عليه.

في كلّ يوم فإن عمل حسناً استزاد الله و إن عمل سيّئاً استغفر الله منه و تاب إليه.

٣ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن النعمان ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي النعمان العجليّ ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا أباالنعمان لا يغرّنّك الناس من نفسك ، فإنّ الأمر يصل إليك دونهم ، ولا تقطع نهارك بكذا و كذا فإنّ معك من يحفظ عليك عملك ، و أحسن فإنّي لم أرشيئاً أحسن دركاً

أحفظتيه يظهر الغيب في أهله و ولده ؟ ! أحفظتيه بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن بفضل جاهك، أعنت مسلماً ؟ ما الّذى صنعت فيه ؟ فيذكر ما كان منه ، فان ذكر انّه جرى منه خير حمد الله عزّ وجلّ و كبّره على توفيقه ، و إن ذكر معصية أو تقصيراً استغفرالله عزّ وجلّ و عزم على ترك معاودته ، ومحا ذلك عن نفسه بتجديد الصّلاة على محمّد و آله الطيّبين ، و عرض بيعة أميرالمؤمنين على نفسه و قبولها ، و إعادة لعن شانئيه و أعدائه و دافعيه عن حقوقه ، فاذا فعل ذلك قال الله تعالى : لست أنا قشك في شيء من الذنوب مع موالاتك أوليائي و معاداتك أعدائي .

الحديث الثالث : مجهول بسنديه .

« لا يغرنّك الناس من نفسك » المراد بالنّاس المادحون الذين لم يطّلعوا على عيوبه ، و الواعظون الذين يبالغون في ذكر الرّحمة ، و يعرضون عن ذكر العقوبات تقرّباً عند الملوك و الامراء و الاغنياء « فانّ الأمر » أى الجزاء و الحساب و العقوبات المتعلّقة بأعمالك « تصل إليك » لا إليهم و إن وصل إليهم عقاب هذا الاضلال « بكذا و كذا» أى بقول اللّغو و الباطل . فانّ معك من يحفظ عليك عملك فانّ القول من جملة العمل ، كما روى عن أميرالمؤمنين عليه السلام من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه ، و قال عليه السلام لمن يتكلّم بالباطل : يا هذا إنّك تملي على كاتبيك كتاباً ، و يحتمل أن يكون كذا و كذا أعمّ من القول والفعل «وأحسن» أى افعل الحسنات ، أو أحسن إلى نفسك و إلى غيرك ، و الأوّل هنا أظهر ، قال الراغب : الاحسان يقال على وجهين أحدهما الانعام على الغير ، يقال: أحسن إلى

ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنب قديم .

عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن بعض أصحابنا عن أبي النعمان مثله .

٤ ـ عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال : اصبروا على الدنيا فإنما هي ساعة فما مضى منه فلا تجد له ألماً ولا سروراً ، و ما لم يجيء فلا تدري ما هو ؟

فلان ، و الثاني إحسان في فعله ، و ذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملا حسناً ، و على هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام الناس أبناء ما يحسنون أي ما يعلمونه و ما يعملونه من الأفعال الحسنة ، وفي المصباح: أدركته إذا طلبته فلحقته والدرك بفتحتين و سكون الراء لغة من أدركت الشيء ، و في القاموس : الدرك محركة اللحاق أدركه لحقه ، انتهى .

أي تدرك الحسنة الذنب القديم فتكفره ، و قيل : إنما أخر سرعة الطلب عن حسن الدرك مع أنه مقدم في الحدوث لأن الترقي في النفي بتأخير المقدم في الحدوث ، و في الاثبات بالعكس .

و أقول : قد ينظر إلى الترتيب في الوجود فيهما ، كقوله تعالى : « لا تأخذه سنة ولا نوم »(١) .

الحديث الرابع : مرسل .

« فإنما هي » أي الدنيا ، و المراد ما بيدك منها أو مدة الصبر أو المصابرة ساعة ، يدل على أن اليوم في الخبر الأول هو الساعة كما مر « فلا تجد له ألماً » لينضم إلى ألم تلك الساعة فيتضاعف « ولا سروراً » حتى تقيس تلك الساعة بها ، فيصير سبباً لترك الصبر « و ما لم يجيء فلا تدري ما هو » أي لا تدري تصل إليه

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

و إنّما هي ساعتك الّتي أنت فيها فاصبر فيها على طاعة الله و اصبر فيها عن معصية الله .

٥ ـ عنه، عن بعض أصحابنا رفعه قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : احمل نفسك لنفسك فإن لم تفعل لم يحملك غيرك .

٦ ـ عنه ، رفعه قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لرجل : إنّك قد جعلت طبيب نفسك و بيّن لك الدّاء ، و عرّفت آية الصحّة ، و دللت على الدّواء ، فانظر كيف قيامك على نفسك .

أم لا ، و مع الوصول لا تعلم حالك فيه « و إنّما هى » أى الدّنيا الّتى يلزمك الصبر فيها .

الحديث الخامس : مرفوع .

وضمير عنه هنا وفيما بعده راجع إلى احمد بن محمّد «احمل نفسك» اى عن مواضع المذلّة والهوان في الدنيا والآخرة لنفسك للوصول إلى الجنّة والدّرجات العالية على مركوب الطّاعات، والأعمال الصّالحة ، والوجهان متقاربان ، وما يعمله الغير إن كان بالوصيّة فهو من أعماله وإن لم يكن بالوصيّة فلا ينفع كثيراً ولا يعتمد على وقوعه .

الحديث السادس : كالسّابق ، والداء الاخلاق الذميمة والذنوب المهلكة ، وآية الصّحة العلامات الّتي بيّنها الله وبيّن رسوله والعترة الهادية صلوات الله عليه وعليهم كقوله تعالى : « قد أفلح المؤمنون ، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم » إلى آخر الآيات ، وساير ما ورد في صفات المؤمنين والموقنين والمتّقين والمفلحين ، وقد مرّ كثير منها في باب صفات المؤمن وغيره ، والدّواء التوبة والاستغفار ومجالسة الاخيار ، ومجانبة الاشرار والزهد في الدنيا ، والتضرّع إلى الله والتوسّل به والتوكّل عليه ، وتتبّع علل النفس وعيوبها وأمراضها ، ومعالجة كلّ منها بضدّها .

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله :

دواءك فيك وما تشعر و داءك منك وما تبصر

٧ ـ عنه ، رفعه قال : قال أبوعبدالله عليه السلام لرجل : اجعل قلبك قريناً برّاً أو ولداً واصلا و اجعل عملك والداً تتبعه و اجعل نفسك عدوّاً تجاهدها و اجعل مالك عارية تردّها .

وتحسب أنّك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الاكبر
وانت الكتاب المبين الّذي ... بأحرفه يظهر المضمر
فلا حاجة لك في خارج ... يخبّر عنك بما سطّروا

فانظر كيف قيامك على نفسك في معالجة أدوائها وإن قصرت في ذلك فقدقتلت نفسك ، ومن قتل نفسه فجزاؤه جهنّم خالداً .

الحديث السابع : كالسابق .

والقرين: البارّ المصاحب الصّالح المشفق الّذي يهديك إلى ماينفعك ويمنعك عمّا يضرّك ، والولدالواصل هوالذي ينفعك ويعينك في دنياك وآخرتك ، فشبه القلب أى العقل المتعلّق بهما للمشاركة بينه وبينهما في هذا المعنى .

« واجعل عملك » في بعض النسخ بتقديم الميم على اللاّم وفي بعضها بالعكس ولعلّه أنسب ، وعلى الأوّل المراد به العمل الصّالح ، و المراد بالنفس النفس الامّارة بالسّوء كماروى أعدى عدوّك نفسك الّتي بين جنبيك ، وقد مرّ تحقيقها ، وشبّه المال بالعارية في مشقّة ضبطها ، وعدم الانتفاع بها غالباً ، والانتقال بغيره بعد الموت ، أي ينبغى أن لايتعلّق قلبك به كما لا يتعلّق القلب بالعارية .

وقال في المصباح : تعاوروا الشيء واعتوروه تداولوه ، والعارية من ذلك والأصل فعلية بفتح العين وهو اسم من الاعارة وعارة مثل أطعته إطاعة وطاعة ، وأجبته إجابة وجابة .

وقال اللّيث : سمّيت العارية لأنّها عارعلى طالبها ، وقال الجوهرى مثله ، وبعضهم يقول مأخوذة من عارالفرس إذاذهب من صاحبه لخروجها وهما غلط ، لانّ العارية من الواو لأنّ العرب تقول هم يتعاورون العوارى ويتعورونها بالواو وإذا

٨ ـ [و] عنه ، رفعه قال: قال أبوعبدالله عليه السلام : اقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك ، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك، فإنّ نفسك رهينة بعملك .

٩ ـ عنه ، عن بعض أصحابه ، رفعه قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : كم من طالب للدُّنيا لم يدركها و مدرك لها قد فارقها ، فلا يشغلنّك طلبها عن عملك و التمسها من معطيها و مالكها فكم من حريص على الدُّنيا قد صرعته و اشتغل بما أدرك منها

أعار بعضهم بعضاً ، والعار وعار الفرس من الياء فالصّحيح ماقال الأزهري ، والعاريّة بتشديد الياء وقد تخفّف في الشعر .

الحديث الثامن : كالسابق أيضاً .

« أقصر » على بناء الافعال « من قبل أن تفارقك » أي النفس ، فانّ الخطاب ظاهراً إلى البدن أي قبل الموت الّذي يسلب الاختيار عنك واسع في فكاكها عن العذاب والارتهان به ، وقال الراغب : الرّهن مايوضع وثيقة للدّين والرّهان مثله وأصلهما مصدر ، يقال : رهنت الشيء وأرهنته رهاناً فهورهين ومرهون ، وقيل في قوله : « كلّ نفس بما كسبت رهينة »[1] أنّه فعيل بمعنى فاعل أي ثابتة مقيمة ، وقيل : بمعنى مفعول أي كلّ نفس مقامة في جزاء ماقدّم من عمله ولمّا كان الرهن يتصوّر منه حبسه استعير ذلك للمحتبس أيّ شيء كان قال: كلّ نفس بما كسبت رهينة .

الحديث التاسع : كالسابق .

« كم من طالب » كم خبريّة للتكثير ، ومرفوعة محلاّ بالابتداء وقوله : لم يدركها خبره ، وحاصله أنّ طالب الدنيا مردّد بين أمرين امّا أن لا يدركها فيضلّ سعيه ويبطل عمله ، وإمّا أن يدركها ويتعلّق قلبه بها ثمّ يفارقها فتبقى عليه حسرتها فينتفع به غيره ، والحساب والعقاب عليه « قد صرعته » أي قتلته وألقته على الأرض أو ألقته من أوج العزّ على حضيض المذلّة والهوان ، يقال : صارعته فصرعته والصريع القتيل ، والمسجون الحقيقي في سجن الأبد من حبسته دنياه عن طلب آخرته فهو

---

(١) سورة المدثر : ٣٨ .

عن طلب آخرته حتّى فنى عمره و أدركه أجله .

و قال أبوعبدالله عليه السلام : المسجون من سجنته دنياه عن آخرته .

١٠ ـ و عنه، رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال: إذا أتت على الرجل أربعون سنة قيل له : خذ حذرك فإنّك غير معذور وليس ابن الأربعين بأحقّ بالحذر من ابن العشرين فإنّ الّذي يطلبهما واحد و ليس براقد ، فاعمل لما أمامك من الهول

مسجون عن القيام بمصالح نفسه أبداً .

الحديث العاشر : كالسابق أيضاً .

« قيل له » أي بلسان الحال أو يناديه ملك ، وتظهر الفائدة بعد اخبار الانبياء و الاوصياء عليهم السلام « خذ حذرك » في القاموس : الحذر بالكسر و يحرّك الاحتراز ، وقال الراغب : الحذر احتراز عن مخيف ، يقال : حذرحذراً وحذرته قال عزّوجلّ : « يحذر الآخرة »[1] « ويحذّركم الله نفسه »[2] وقال : «خذوا حذركم »[3] أي مافيه الحذر من السّلاح وغيره .

« فانّك غير معذور » أي لا يقبل عذرك بغلبة الشهوة ، فانّها تنكسر بعد الأربعين ، ولا بقلّة التجربة وضعف العقل فانّهما يكملان في الأربعين ، في المصباح : عذرته فيما صنع عذراً من باب ضرب دفعت عنه اللّوم فهو معذور ، أي غير ملوم .

ثمّ اشار عليه السلام إلى عدم المعذوريّة قبل ذلك وقلّة التفاوت في الانسان لئلّا يجترء الانسان قبل الأربعين في المعاصي بقوله: وليس ابن الاربعين بأحقّ بالحذر من ابن العشرين ، أي مثلاً وذلك لأنّ الأحقّية إمّا باعتبار أنّ طالبهما متعدّد ، فيمكن أن يتفاوت الطّلب ويتفاوت بتفاوته الحذر بالشدّة والضعف ، أو باعتبارأنّ طالبهما واحد لكنّه صالح للرقاد و الغفلة فيغفل عن الثاني دون الاوّل ، أو باعتبار أنّ طلب الموت لأحدهما أقرب من طلبه للآخر ، و ليس شيء من هذه الاعتبارات هنا فانتفت الأحقيّة كثيراً ، فظهر أنّ هذا من ألطافه سبحانه حيث يوسّع الامر

---

(١) سورة الزمر: ٩ . (٢) سورة آل عمران : ٢٨ . (٣) سوره النساء : ٧١ .

ودع عنك فضول القول .

١١ ـ عنه ، عن عليّ بن الحكم ، عن حسّان ، عن زيد الشحّام قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : خذ لنفسك من نفسك ، خذ منها في الصحّة قبل السقم ، و في القوّة قبل الضّعف ، و في الحياة قبل الممات .

١٢ ـ عنه ، عن عليّ بن الحكم ، عن هشام بن سالم ، عن بعض أصحابه ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : إنّ النّهار إذا جاء قال : يا ابن آدم اعمل في يومك هذا خيراً أشهد لك به عند ربّك يوم القيامة ، فإنّي لم آتك فيما مضى ولا آتيك فيما بقي و إذا جاء اللّيل قال مثل ذلك .

١٣ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن أحمدبن محمّد ، عن شعيب بن عبدالله

قليلا قبل الاربعين ، فلا ينبغي أن يغترّ الانسان بذلك .

و المراد بترك فضول القول عدم التكلّم و عدم استماعه ، لأنّ ذلك مفسد للّسان والسمع والقلب ، ومانع عن إدراك الحقّ وعن ذكرالله ، وكأنّه من باب التشبيه بالأدنى على الأعلى أي فكيف الاشتغال بالمحرّمات بهما وبساير الجوارح ، ويمكن أن يراد به الاغترار والتسويف في العمل بأن يقول: الله كريم يغفر الذنوب أوسأفعل بعد ذلك عند المشيب ، وأمثال ذلك ممّا يوجب ترك العمل .

الحديث الحادى عشر : صحيح .

و لمّا كان كلّ من السّقم و الضعف بكبر السنّ و الموت مانعاً من الأعمال الحسنة وكانت القدرة في أضدادها أمر عليه السلام بالمبادرة إلى تلك الأعمال في حال الاقتدار عليها ، فانّ الفرصة غنيمة .

الحديث الثاني عشر : مرسل .

و القول إمّا بلسان الحال و هو قول الملك الموكل باليوم ، وقد يقال أنّ للايّام والساعات والشهور والسّنين شعوراً لكنّه بعيد من طور العقل .

الحديث الثالث عشر : ضعيف .

عن بعض أصحابه، رفعه قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أوصني بوجه من وجوه البرّ أنجو به، قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها السّائل استمع ثمّ استفهم ثمّ استيقن ثمّ استعمل، واعلم أنّ النّاس ثلاثة: زاهدٌ وصابرٌ وراغبٌ فأمّا الزّاهد فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه فلا يفرح بشيء من الدُّنيا ولا يأسى على شيء منها فاته، فهو مستريح وأما الصّابر فإنّه يتمنّاها بقلبه فإذا

«استمع» أي ما يلقى عليك من الكتاب والسّنة أو ما ألقيه عليك في هذا الوقت والأمور الأربعة مترتّبة فانّ العمل موقوف على اليقين، واليقين موقوف على الفهم، والفهم موقوف على الاستماع من أهل العلم.

«واعلم أنّ النّاس ثلاثة» وجه الحصر أنّ الانسان إمّا أن يخرج حبّ الدنيا من قلبه أولا، والثاني إمّا أن يمنع نفسه عن تحصيلها أولا، فالأوّل زاهد والثاني صابر، والثالث راغب.

فقد خرجت الأفراح والأحزان، أي الدنيويّة من قلبه والأسى بالفتح والقصر الحزن، أسي يأسى من باب علم اسى فهو آس وهو إشارة إلى ما مرّ عن علي بن الحسين عليهما السلام حيث قال: ألا وإنّ الزهد في آية من كتاب الله عزّ وجلّ: «لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»(1).

والحاصل أنّ قلب الزاهد متعلّق بالله وبأمر الآخرة لا بالدنيا، فلا يفرح بشيء منها يأتيه ولا يحزن على شيء منها فاته، لأنّ الفرح بحصول محبوب والحزن بفواته، وشيء من الدنيا ليس بمحبوب عند الزاهد.

«فهو مستريح» أي في الدنيا والآخرة أمّا الدنيا فلفراغه من مشاقّ الكسب وشدائد الصّبر على فواته، وأمّا الآخرة فلنجاته من الحساب والعقاب، والشنائة كالشناعة: البغض، والمراد هنا قباحتها في نظر عقله وإن مال طبعه إليها، والحزم الأخذ بالثقة، والنظر في العاقبة وقال الفيروز آبادي: العرض بالكسر النفس، وجانب الرجل يصونه من نفسه وحسبه أن يتنقّص ويثلب أو سواء كان في نفسه أو

(1) سورة الحديد: ٢٣.

نال منها ألجم نفسه عنها لسوء عاقبتها و شنآنها ، لو اطّلعت على قلبه عجبت من عفّته و تواضعه و حزمه و أمّا الرّاغب فلا يبالي من أين جاءته الدُّنيا من حلّها أو [من] حرامها ولا يبالي ما دنس فيها عرضه و أهلك نفسه و أذهب مروءته ، فهم في غمرة يضطربون .

١٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن محمّد بن سنان ، عن محمّد بن حكيم عمّن حدّثه ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لا يصغر ما ينفع يوم القيامة ولا يصغر ما يضرّ يوم القيامة، فكونوا فيما أخبركم الله عزّ وجلّ كمن عاين .

١٥ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ و عليّ بن محمّد القاساني ، جميعاً، عن القاسم ابن محمّد عن سليمان المنقري ، عن حفص بن غياث قال: سمعت أباعبدالله يقول : إن قدرت أن لا تُعرف فافعل و ما عليك ألاّ يثني عليك النّاس و ما عليك أن تكون

سلفه أو من يلزمه أمره أو موضع المدح والذمّ منه أو ما يفتخر به من حسب وشرف .

«وأهلك» عطف على دنس أو لا يبالي ، والمروّة آداب نفسانيّة تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، والغمرة الرحمة والشدّة والانهماك في الباطل ، ومعظم البحر، وكأنّه عليه السلام شبّهه بمن غرق في البحر يضطرب ولا يمكنه الخروج منه .

الحديث الرابع عشر : ضعيف على المشهور .

وصغر ككرم وفرح صار صغيراً ويمكن أن يقرء على المجهول من بناء التفعيل أي لا يعدّ صغيراً كمن عاين هو مرتبة عين اليقين كما مرّ .

الحديث الخامس عشر : (١)

« إن قدرت إن لا تُعرف فافعل » هذا ممّا يدلّ على أنّ العزلة أفضل من

---

(١) كذا في جميع النسخ التي عندنا .

مذموماً عند النّاس إذا كنت محموداً عندالله ، ثمّ قال : قال أبي عليّ بن أبي‌طالب عليه‌السلام :

المعاشرة ، واختلف العلماء في‌ذلك ، والآيات والأخبارأيضاًمتعارضة فمن قال العزلة أحسن نظر إلى آفات المعاشرة من‌الحسد والعداوة والبغضاء والغيبة والنميمة والرياء وحبّ الدنيا وعدم فراغ القلب للذكروالفكروتضييع‌العمر ، وعدم الانتفاع بمعاشرة أكثرالخلق وأشباه ذلك ، ومن قال المعاشرة أفضل نظرإلى‌فوائد المعاشرة من التعليم والتعلّم والاهتداء بسيرة العلماء وأخلاقهم ، وتحصيل المثوبات العظيمة من زيارة الاخوان وعيادتهم وتشييع‌جنائزهم والسعي‌في‌قضاء حوائجهم وهداية الخلق وإحياء مراسم الدّين والحضور في الجماعات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأمثال ذلك ، وكلّ ذلك يفوت بالعزلة .

فالحقّ القول بالتفصيل في الأشغال و الأحوال و الأزمان و الأشخاص فالعزلة المطلوبة عن شرار الخلق إذا يئس عن هدايتهم كما قال إبراهيم عليه‌السلام عند اليأس عن هدايتهم : « وأعتزلكم وما تدعون من دون الله تعالى »[1] لا العزلة التامّة بحيث يترك الامور الواجبة كالتعليم والتعلّم وحضور الجمعات والجماعات وسايرما أشرنا إليه‌سابقاً ، والمعاشرة إنّماتكون‌مطلوبة إذاكانت متضمّنة لمنفعة دينيّة خالية عن المفاسد المذكورة وغيرها .

وأيضاً ذلك يختلف باختلاف الاشخاص ، فالعلماء والفقهاء إذا اعتزلوا صار سبباً لضلالة الخلق وحيرتهم واستيلاء شياطين الجنّ والانس عليهم ، وكثير من‌ساير الخلق لا ضرورة في معاشرتهم .

وأيضاً الأزمنة مختلفة ، فقد ورد في الخبر : سيأتي على الناس زمان لاينجو فيه إلاّ النومة كما أنّ سيّد الساجدين صلوات‌الله عليه اعتزل الخلق لفساد الزمان واستيلاء بني‌اميّة على‌الخلق والباقر والصادق عليهما‌السلام عملا بخلاف ذلك لتمكّنهم من

---

(١) سورة مريم : ٤٨ .

لا خير في العيش إلّا لرجلين رجل يزداد كلّ يوم خيراً ورجل يتدارك منيّته بالتوبة وأنّى له بالتوبة والله لو سجد حتّى ينقطع عنقه ما قبل الله تبارك وتعالى منه إلاّ بولايتنا أهل البيت ، ألا ومن عرف حقّنا ورجا الثواب فينا ورضي بقوته نصف مدّ في كلّ يوم وما ستر عورته وما أكنّ رأسه وهم والله في ذلك خائفون وجلون

هداية الخلق .

وبالجملة ينبغي أن يكون الانسان طبيب نفسه ، فانّه أعرف بأدوائها وعارفاً بزمانه وأهله ، فاذا عرف أنّ صلاحه في العزلة اعتزل اعتزالا لا يضرّ بحاله، وإذا علم أنّ صلاحه في المعاشرة إختارها على وجه لا يضرّ بنيّاته وأعماله وينبغي أن ينظر في أحوال أهل زمانه فيختار للاخوّة والمصاحبة من كان مصلحاً لأحواله ولا يكون مضيّعاً لعمره كما سيأتي تحقيقه في كتاب العشرة إن شاء الله ، وقد بسطنا الكلام في ذلك بعض البسط في كتاب عين الحياة والله الموفّق .

وامّا هذا الخبر فالظاهر أنّ الراوي وهو حفص بن غياث لمّا كان عامّياً قاضياً من قبل هارون طالباً للشهرة عند الولاة وخلفاء الجور ، ولذا عدل عن الحق واتّبع أهل الضلال ، وكان المناسب بحاله ترك الشهرة والاعتزال أمره عليه السلام بذلك .

« لاخير في العيش » أي عيش الدنيا ويحتمل الأعمّ من عيش الدنيا والآخرة والمراد بالرجل الأوّل من لم يذنب أصلاً أو إلاّ نادراً وبالثاني من يبتلي بالمعاصي ثمّ يتوب وهو المفتّن التوّاب كما مرّ .

ثمّ بيّن عليه السلام انّ قبول التوبة مشروط بحسن الاعتقاد لئلاّ يغترّ السامع بذلك فانّه كان من أهل الضّلال ، وألا بالتخفيف حرف تنبيه « ورجى الثواب » كأنّ خبر الموصول مقدّر وقيل : استفهام للتقليل «ونصف» مجرور بالبدليّة «لقوته» أو منصوب بالحاليّة أو تميز مثل قولهم : رضيت بالله ربّاً ، «وفي كلّ يوم» صفة نصف مدّ ، «وما ستر » عطف على قوته والواو في قوله وهم للحاليّة ، وقيل : للاستيناف ، والضمير في قوله : وهم راجع إلى أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله الذين لم يرتدّوا بعده وهو بعيد ،

ودّوا أنّه حظّهم من الدّنيا و كذلك وصفهم الله عزّوجلّ فقال : « والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنّهم إلى ربّهم راجعون »[1] ثمّ قال : ما الّذي آتوا ؟ آتوا والله مع الطاعة المحبّة والولاية وهم في ذلك خائفون ، ليس خوفهم خوف شكّ ولكنّهم خافوا أن يكونوا مقصّرين في محبّتنا وطاعتنا .

١٦ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن إبراهيم بن مهزم ، عن الحكم بن سالم قال : دخل قوم فوعظهم ثمّ قال : مامنكم من أحد إلاّ وقد عاين الجنّة وما فيها وعاين النّار وما فيها إن كنتم تصدّقون بالكتاب .

والجمع بين الخوف والوجل للاشارة إلى الآيات الواردة في ذلك .

« ودّوا أنّه حظّهم » أي هم راضون بما قدّر لهم من الدنيا لايريدون أكثر من ذلك لئلاّ يطغوا « والذين يؤتون ما آتوا » قال في مجمع البيان : أي يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقة وقيل : أعمال البرّ كلّها « و قلوبهم وجلة » أي خائفة عن قتادة ، وقال الحسن : المؤمن جمع إحساناً وشفقة ، والمنافق جمع اساءة وأمناً ، وقال أبوعبدالله عليه السلام: معناه خائفة أن لايقبل منهم ، وفي رواية اخرى يؤتي ما آتى وهو خائف راج ، وقيل : انّ في الكلام حذفاً وإضماراً ، وتأويله وجلة أن لايقبل منهم لعلمهم أنّهم إلى ربّهم راجعون ، أي لأنّهم يوقنون بأنّهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون أن لا يقبل منهم ، وإنّما يخافون ذلك لأنّهم لا يأمنون التفريط .

الحديث السادس عشر : مجهول بالحكم وهو غير مذكور في كتب الرّجال وإبراهيم الراوي عنه من أصحاب الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام فالمرويّ عنه في الخبر يحتمل الصادق والباقر عليهما السلام واحتمال الكاظم عليه السلام بعيد ، والمعنى أنّ في القرآن المجيد أحوال الجنّة ودرجاتها وما فيها وأوصاف النار ودركاتها وما فيها ، والله سبحانه أصدق الصادقين، فمن صدّق بالكتاب كان كمن عاينهما ومافيهما ومن عاينهما ترك المعصية قطعاً فمن ادّعى التصديق بالكتاب وعصى ربّه فهو كاذب في دعواه ، وتصديقه ليس في درجة اليقين .

---

(١) سورة المؤمنون : ٦٢ .

١٧ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمَّد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة قال : سمعت أبا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول : لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلّوا قليل الذُّنوب فإنَّ قليل الذُّنوب يجتمع حتّى يصير كثيراً و خافوا الله في السرّ حتّى تعطوا من أنفسكم النصف و سارعوا إلى طاعة الله و أصدقوا الحديث و أدُّوا الأمانة فإنّما ذلك لكم ولا تدخلوا فيما لا يحلُّ لكم ، فإنّما ذلك عليكم .

١٨ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيّوب ، عن محمَّد ابن مسلم ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال : سمعته يقول : ما أحسن الحسنات بعد السيّئات و ما أقبح السيّئات بعد الحسنات .

الحديث السابع عشر : موثق .

وقد مضى صدره في باب استصغار الذنب « لا تستكثروا كثير الخير » فانّه يوجب العجب والفخر والادلال والاعتقاد لخروج النفس عن حدّ التقصير ، وكلّ ذلك مهلك كما مرّ « وخافوا الله في السرّ » إنّما خصّ السرّ بالذكر لأنّ الناس يتسامحون في السرّ ما لا يتسامحون في العلانية ، وأيضاً هو يستلزم الخوف في العلانية بدون العكس ، وهو أشدّ على النفس أيضاً « حتّى تعطوا من أنفسكم النصف » أي الانصاف بأنّكم خفتم الله أو تنصفوا من أنفسكم ولم تحتاجوا إلى حاكم يحكم بينكم .

«فانّما ذلك لكم » كأنّ المراد لا ينفعكم إلّا ذلك ، وكذا قوله عليكم ، أو للاشعار بأنّهم لمّا لم يعلموا بهذا العلم فكأنّهم لا يعلمونه ، وقيل : هذا وإن كان بيّناً لكن ذكره للتنبيه عن الغفلة .

الحديث الثامن عشر : حسن كالصحيح .

« وما أحسن الحسنات » إلى آخره ، قيل : هذا كلام موجز يندرج فيه التوبة بعد المعصية ، والمعصية بعد التوبة ، وكلّ خير بعد شرّ ، وكلّ شرّ بعد خير سواء كانا ضدّين كالاحسان والاساءة أم لا كالصّلاة والزنا .

١٩ ـ عدَّة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن ابن فضَّال ، عمَّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنَّكم في آجال مقبوضة وأيَّام معدودة والموت يأتي بغتة من يزرع خيراً يحصد غبطة ومن يزرع شرّاً يحصد ندامة ولكلّ زارع مازرع ولا يسبق البطيء منكم حظّه ولا يدرك حريص ما لم يقدَّر له ؛ من اُعطي خيراً فالله أعطاه ومن وقى شرّاً فالله وقاه .

الحديث التاسع عشر : مرسل .

« في آجال » أي أعمار « مقبوضة » أي يقبض منها آناً فآناً وساعة فساعة ، وهي في النقص دائماً أو لقلّتها وسرعة نفادها كأنّها قبضت والأوّل أظهر ، « وأيّام معدودة » أي عدّت وقدّرت لا تزيد ولا تنقص « والموت يأتي بغتة » أي لا يُعلم وقت نزوله وتسبّب أسبابه من غير علم منكم بها ، أوقد يأتي فجأة ، والبغتة بالفتح والتحريك الفجأة ، والغبطة بالكسر حسن الحال والمسرّة ، وأن يتمنّى غيره حاله ، وفي الكلام تمثيل أو استعارة تبعيّة ، والحصاد ترشيح ، والتنكير في غبطة وندامة للتعظيم «ولكلّ زارع مازرع » أي لا يحصل له إلاّ مازرعه إشارة إلى قوله تعالى : «وأن ليس للانسان إلاّ ما سعى » [1] .

«لا يسبق البطيء منكم حظّه» الفعل على بناء الفاعل ، وحظّه مرفوع بالفاعلية والبطيء منصوب بالمفعوليّة أي لا يصير بطؤه سبباً لان يفوته حظّه ، أي ما قدّر له من الرزق .

وأقول : يمكن أن يقرء على بناء المفعول ، فالبطيء مرفوع وحظّه منصوب بنزع الخافض ، أي لا يسبقه غيره إلى حظّه ولا يدرك حريص مالم يقدّر له ، ومايتوهّم أنّه زاد بسعيه باطل ، إذ لعلّه مع عدم هذا السّعي أيضاً يصل إليه ، أو يقال : أنّ السعي إنّما ينفع في الزيادة إذا كانت مقدّرة فلا يترك التوسّل إلى الله والتوكّل عليه ، ولا يعتمد على سعيه فانّا نرى من يسعى أكثر من سعيه ، ولا يحصل له شيء .

---

(١) سورة النجم : ٣٩ .

٢٠ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن بن عليّ ابن أبي عثمان ، عن واصل ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجلٌ إلى أبي ذرّ فقال : يا أباذرّ ما لنا نكره الموت ؟ فقال : لأنّكم عمّرتم الدنيا وأخربتم الآخرة فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب . فقال له : فكيف ترى قدومنا على الله ؟ فقال : أمّا المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله وأمّا المسيء منكم فكالآبق يردُّ على مولاه ، قال : فكيف ترى حالنا عندالله ؟ قال : اعرضوا أعمالكم على الكتاب ، إنّ الله يقول : « إنّ الأبرار لفي نعيم * وإنّ الفجّار لفي جحيم »[1] قال : فقال الرّجل : فأين رحمة الله ؟ قال : رحمة الله قريب من المحسنين .

قال أبو عبدالله عليه السّلام : و كتب رجلٌ إلى أبي ذرّ ـ رضي الله عنه ـ يا أباذرّ أطرفني بشيء من العلم ، فكتب إليه أنّ العلم كثير ولكن إن قدرت أن لا تسيء إلى من تحبّه فافعل ، قال : فقال له الرّجل : وهل رأيت أحداً يسيء إلى من يحبّه ؟ فقال له : نعم نفسك أحبّ الأنفس إليك فاذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها.

والحاصل أنّه ليس مستقلاً في التحصيل ، بل هو داخل تحت قضاء الربّ الجليل ، ولذا قال بعده : من أعطى خيراً فالله أعطاه ، وقيل : لا ينافيه وجدان الحريص زيادة ، لأنّ تلك الزيادة ليست من قوته المفتقرة هو إليه في البقاء بل هو لغيره والحساب عليه وما ذكرنا أظهر .

الحديث العشرون : ضعيف سنداً ومتنه يدلّ على صحّته .

«عمرتم الدنيا» من باب قتل أو التفعيل أي سعيتم في عمارتها وهو ضدّ أخربتم والعمران بضمّ العين المعمور .

« يرد » بالتخفيف على بناء المعلوم من الورود ، أو بالتشديد على بناء المجهول من الردّ وهو أنسب « رحمة الله قريب من المحسنين » أي لا بدّ في الرحمة من استحقاقها ولو بصحّة المذهب وحسن العقيدة ، وفي المصباح : الطرفة ما يستطرف أي يستملح

---

(١) سورة الانفطار : ١٤ .

٢١ ـ عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : اصبروا على طاعة الله وتصبروا عن معصية الله ، فإنما الدنيا ساعة فما مضى فليس تجد له سروراً ولا حزناً

والجمع طرف مثل غرفة و غرف ، وأطرف إطرافاً جاء بطرفة وقال الجوهري : الطارف والطريف من المال المستحدث والاسم الطرفة و أطرف فلان إذا جاء بطرفة .

الحديث الحادي والعشرون : موثق .

« اصبروا على طاعة الله » لما كانت اللذة في فعل المعصية أكثر منها في ترك الطاعة كان الصبر على المعصية أشق على النفس من الصبر على فعل الطاعة ، فلذا قال في الطاعة إصبروا في المعصية تصبروا وهو تكلف الصبر وحمل النفس عليه كماهو مقتضى البابين وإن لم يفرق اللغويون بينهما ، قال الفيروزآبادي : الصبر نقيض الجزع صبر يصبر فهو صابر وتصبر واصطبروا صبر .

وقال الراغب : الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه ، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين اسمائه بحسب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لاغير ، ويضاده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعاً و يضاده الجبن و إن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر و يضاده التضجر ، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً .

وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبراً ونبه عليه بقوله : « والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس »[1] وساق الكلام إلى قوله : « اصبروا وصابروا » أي احبسوا أنفسكم على العبادة وجاهدوا أهواءكم وقوله : عز وجل « واصطبر لعبادته[2] » أي تحمل الصبر بجهدك ، وقوله تعالى : « اولئك يجزون الغرفة بما صبروا »[3] أي تحملوه من الصبر

---

(١) سورة البقرة : ١٧٣ .

(٢) سورة مريم : ٦٥ .

(٣) سورة الفرقان : ٧٥ .

وما لم يأت فليس تعرفه فاصبر على تلك السّاعة الّتي أنت فيها ، فكأنّك قد اغتبطت .

٢٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن رجل ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : قال الخضر لموسى عليه السلام : يا موسى إنّ أصلح يوميك الّذي‌هو أمامك فانظر أيّ يوم هو وأعدّ له الجواب ، فانّك موقوف ومسؤول وخذموعظتك

في الوصول إلى مرضات الله ، انتهى .

« فليس تعرفه » أي لا تعرف حالك فيه تبلغ إليه أم لا ، ومع البلوغ لا تعلم أنّك فيه على حزن أو سرور، على طاعة أو معصية « فكأنّك قد اغتبطت » على بناء المعلوم أي عنقريب تصير بعد الموت في حالة حسنة يغبطك الناس لها ويتمنّون حالك ولا تبقى عليك مرارة صبرك ، في القاموس : الغبطة بالكسر حسن الحال والمسرّة وقد اغتبط، والحسد، وتمنّي نعمة على أن لاتتحوّل عن صاحبها .

وأقول : لا يبعد أن يكون بالعين المهملة على بناء المفعول أي إغتنم الفرصة ولا تعتمد على العمر فكأنّك قدمت فجأة على غفلة بلا عمل ولا توبة ، قال في النهاية: كلّ من مات بغير عمله فقد اغتبط ، ومات فلان غبطة أي شابّاً صحيحاً ، وفي بالي إنّي وجدت في بعض نسخ الحديث هكذا .

الحديث الثاني والعشرون : مرسل .

«ان اصلح يوميك» المراد باليوم ما مرّ أنّه مقدار من الزمان اختصّ بواقعة والمراد هنا يوم الدنيا ويوم الآخرة ، واليوم الّذي أمامه الآخرة، وكونه أصلح المراد به أنّه أحرى و أولى بأن يراعي و يسعى في إصلاحه ، و يتوقّع النفع منه ، فانّه أبديّ والدنيا فان ، ومنافع الأوّل ولذّاته أشدّ وأخلص وأقوى من لذّات الآخر .

« فانظر أيّ يوم هو » أي يوم راحة أو يوم تعب ومشقّة ، أو المراد باليوم الثاني يوم القيامة ، وبقوله : فانظر أيّ يوم هو ، أي تذكّر أحوال هذا اليوم وأهواله

من الدّهر فإنّ الدّهر طويلٌ قصيرٌ ، فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك ليكون أطمع لك في الآخرة فإنّما هو آت من الدنيا كما هو قد ولّى منها .

وصعوبته والسؤال والحساب فيه ، فأعدّ له الجواب وحاسب نفسك قبل ذلك ، وخذ موعظتك من الدهر وأهله بالتفكّر في فنائها وسرعة إنقضائها ، وكون لذّاتها فانية مشوبة بالآلام الكثيرة ، والنظر في عواقب السعداء والأشقياء .

« فانّ الدهر طويل قصير » هذه الفقرة تحتمل وجوهاً : الأوّل : أنّ دهر الموعظة طويل لأنّه يمكنه أن يعتبر ويتفكّر في أحوال السعداء والأشقياء من أوّل الدهر إلى زمانه فكأنّه قد عاش معهم جميعاً كما قال أمير المؤمنين في وصيّة للحسن عليه السلام : ودهر العمل واللّذات الّتي فيها قصير .

الثّاني : أنّ الدّهر من جهة الموعظة طويل يمكنه الاتّعاظ بأقلّ زمان لانّ الدهر دائماً في الانقلاب ، ومن جهة العمل قصير ينبغي اغتنام الفرصة فيه .

الثالث : أنّه للمحسنين طويل لأنّه يمكنهم اكتساب السعادات العظيمة في أقلّ زمان ، فهم في أعمارهم القليلة يعملون أعمالا كثيرة ، وتبقى منهم آثار جليلة ، وللمسيئين قصير لأنّه تفنى لذّاتهم و تبقى عليهم تبعاتهم ولا ينتفعون بشيء من أعمارهم .

الرّابع : أنّ المعنى أنّ تمام العمر وإن كان طويلا لكن ما بيده منها قصير ، وهو السّاعة الّتي هو فيها لأنّ ما مضى قد خرج من يده ، وما يأتي لا يعلم حاله فيه كما مرّ مراراً ، وقيل : المعنى أنّه وإن كان طويلا لكن نظراً إلى انقطاعه قصير .

وأقول : هذه الفقرات سيأتي أمثالها في مناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام في الروضة حيث قال : يا موسى ما أريد به وجهي فكثير قليله ، وما أريد به غيري فقليل كثيره وإنّ أصلح أيّامك الذي هو أمامك فانظر أيّ يوم هو ، فأعدّ له الجواب فانّك موقوف به ومسئول ، وخذ موعظتك من الدهر وأهله فانّ الدّهر طويله قصير وقصيره طويل

. . . .

وكلّ شيء فان فاعمل كانّك ترى ثواب عملك ، لكي يكون أطمع لك في الآخرة لا محالة ، فانّ ما بقي من الدنيا كما ولّى منها ، وكلّ عامل يعمل على بصيرة ومثال فكن مرتاداً لنفسك يابن عمران .

فالظاهر منه أنّ طويله قصير لفنائه وسرعة انقضائه ، وقصيره طويل لامكان تحصيل السعادات العظيمة في القليل منه ، وان احتمل بعض الوجوه الاُخر .

«فاعمل كأنّك ترى ثواب عملك» أي إذا أخذت موعظتك من الدهر ، وعرفت فنائها وسرعة انقضائها ينبغي أن تقبل على عملك الموجب لتحصيل المثوبات الاُخرويّة لك مع اليقين بترتّب الثواب كأنّك تراه فانّ من كان كذلك يكون قلبه فارغاً عن حبّ الدنيا ، والميل إلى شهواتها ، فيكون عمله مع حضور القلب و رعاية آدابها فيكون أطمع له في الأجر ، واللام للتعدية .

والحاصل انّه يكون عمله في درجة الكمال ومظنّة القبول ، وإن كان الاولى بالنسبة إليه أن يعدّ نفسه مقصّراً ، ولا يعتمد على عمله ، أو المعنى أنّك إذا كنت في اليقين بحيث كأنّك ترى بعينك ثواب عملك تكون تلك الحالة أدعى لك على العمل الذى هو موجب لحصول الأجر ، فأشار إلى الحرص على العمل بذكر لازمه ، وهو الطّمع في الأجر ، وعلى التقادير يدلّ على أنّ قصد الثواب لا ينا في الاخلاص ، بل كماله ، فانّ ماهو آت من الدنيا كماقد ولّى منها أي في سرعة الانقضاء وعدم الاعتماد عليه في البقاء ، فهو تعليل لأخذ الموعظة أوله ولما يترتّب عليه من العمل الخالص والحرص عليه ، أو لرؤية ثواب الآخرة وقرب حصوله فانّ بقيّة العمر في عدم الوثوق عليه كالماضي ، فالآخرة قريبة منك كأنّك تراه وتسعى إليه ، أو للامر بالعمل الخالص في الحال لمرور الماضي بالتقصير وعدم الوثوق على الآتي كمامرّ ، وقيل : أي لا تكن في تدبير ما يأتي من العمر بتحصيل المال كما أنّك لا تتفكّر فيما مضى .

٢٣ ـ عدّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يعقوب بن يزيد ، عمّن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قيل لأمير المؤمنين عليه السلام : عظنا وأوجز ، فقال الدُّنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وأنّى لكم بالرَّوح ولمّا تأسّوا بسنّة نبيّكم

الحديث الثالث والعشرون : ضعيف على المشهور .

« حلالها حساب » الحمل على المبالغة ، وظاهره أنّه تعالى يحاسب العبد بما كسب من الحلال ، وصرف فيه .

وينافيه بعض الأخبار كما سيأتي في كتاب الاطعمة عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ثلاثة أشياء لا يحاسب عليهنّ المؤمن طعام يأكله ، وثوب يلبسه ، وزوجة صالحة تعاونه ويحصن بها فرجه ، وعن أبي حمزة عنه عليه السلام قال : الله أكرم وأجلّ من أن يطعمكم طعاماً فيسوّغكموه ثمّ يسألكم عنه ، ولكن يسألكم عمّا أنعم عليكم بمحمّد و آل محمد ، و روى العيّاشي باسناده في حديث طويل قال سأل أبو حنيفة أباعبدالله عليه السلام عن قوله تعالى : « ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النعيم » (1) فقال له : ما النعيم عندك يا نعمان ؟ قال : القوت من الطعام ، والماء البارد ، فقال : لئن أوقفك الله بين يديه يوم القيامة حتّى يسئلك عن كلّ أكلة أكلتها ، أو شربة شربتها ليطولنّ وقوفك بين يديه ؟ قال : فما النعيم جعلت فداك ؟ قال : نحن أهل البيت الذى أنعم الله بنا على العباد ، وبنا ائتلفوا بعدما كانوا مختلفين وبنا ألّف الله بين قلوبهم ، فجعلهم إخواناً بعد أن كانوا أعداءاً وبنا هداهم الله للاسلام و هو النعمة الّتي لا تنقطع ، والله مسائلهم عن حقّ النعيم الذى أنعم به عليهم ، وهو النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام .

واختلفت العامّة في ذلك فقال الحسن : لا يسئل عن النعيم إلاّ أهل النار ، وقال أكثرهم : يسئل الكلّ عن كلّ نعيم ، وقيل : النعيم المسئول عنه الصحّة والفراغ وقيل : الامن والصّحة ، روى ذلك عن ابن مسعود ومجاهد ، وروى ذلك في أخبارنا

---

(1) سورة التكاثر : ٨ .

تطلبون ما يطغيكم ولا ترضون ما يكفيكم .

أيضاً ، وقيل : يسئل عن كلّ نعيم إلاّ ما خصّه الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله : ثلاثة لا يسئل عنها العبد ، خرقة يواري بها عورته ، أو كسرة يسدّ بها جوعته ، او بيت يكنّه من الحرّ والبرد .

وأقول : يمكن الجمع بين الأخبار بحمل أخبار عدم الحساب على المؤمنين ، و أخبار الحساب على غيرهم و هو الظاهر من أكثر الاخبار ، أو الاولى على ما يصرف في الامور الضروريّة كالمأكل والمشرب والملبس والمسكن والمنكح ، والاخرى على ما زاد على الضرورة كجمع الأموال زائداً على ما يحتاج إليه ، أو صرفها فيما لا يدعوه إليه ضرورة ، ولا يستحسن شرعاً ، كما يؤمي إليه بعض الأخبار .

ويمكن حمل أخبار الحساب على التقيّة والأولى الايمان بالحساب مجملاً ، فانّه من ضروريّات الدين ، والسكوت عمّا لا يعلم من التفاصيل .

والمراد بالروح الراحة والخلاص من أهوال القيامة وبسنّة النبيّ طريقته في ترك الدنيا والزهد فيها ، وترك طلب الفضول ، كما قال صلى الله عليه وآله : اللّهم ارزق محمّداً وآل محمّد العفاف والكفاف ، أو الأعمّ منها فانّ من صرف عمره في طلب فضول الدنيا لا يمكنه الاتيان بها .

« تطلبون ما يطغيكم » إشارة إلى قوله تعالى : « إنّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى » [1] .

---

(١) سورة العلق : ٧ .

﴿ باب ﴾

✿ (من يعيب الناس) ✿

١ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ وعدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، جميعاً عن ابن أبي نجران ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنَّ أسرع الخير ثواباً البرُّ ، وإنَّ أسرع الشرِّ عقوبة البغي ؛ وكفى

باب من يعيب الناس

يرجع حاصل أخبار هذا الباب إلى المنع من تتبّع عيوب الناس و تعييرهم وذمّهم .

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

والظاهر أنّ المراد بالبرّ الاحسان إلى الغير ، وقد يطلق على مطلق أعمال الخير ، وبالبغي الظلم والتطاول على الناس ، وقد يطلق على الزّنا ، والظاهر هنا الأوّل ، ويحتمل أن يكون المراد الخروج على الامام ، وسرعة الثواب والعقاب فيهما باعتبار أنّ نفع الأوّل وضرر الثاني يلحقهم في الدنيا ، وعيباً تميز وتعدية العمى بعن كأنّه لتضمين معنى التغافل والاعراض ، والتعدية بعلى كما في ساير الأخبار أظهر وأشهر كقوله تعالى : « فعمّيت عليهم الأنباء يومئذ »[1] وعلى ماهنا المستتر في يعمى راجع إلى المرء ، والبارز في عنه إلى الموصول ، وعلى ما في ساير الروايات بالعكس ، وكأنّ نسبة العمى إلى الأمر والنبأ من قبيل المجاز في الاسناد .

وقال الجوهري : العمى ذهاب البصر ، وقد عمي فهو أعمى ، وتعامى الرّجل أرى من نفسه ذلك ، وعمي عليه الأمر إذا التبس ، ومنه قوله : « فعمّيت عليهم الأنباء يومئذ » و رجل عمي القلب أي جاهل ، انتهى .

---

(١) سورة القصص : ٦٦ .

بالمرء عيباً أن يبصر من النّاس مايعمى عنه من نفسه أو يعيّر النّاس بما لايستطيع تركه أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

« أو يعيّر الناس » إعلم أنّ تعيير الغير من أعظم العيوب ، ويوجب ابتلائه بذلك العيب كما مرّ في الأخبار ، فينبغي أن يرجع إلى نفسه ، فان وجد فيها عيباً اشتغل به وباصلاحه ورفعه ، ولايترك نفسه ويذمّ غيره ، وإن عجز عن إصلاحه فينبغي أن يعذر غيره ، وإن لم يجد في نفسه عيباً فهو من أعظم عيوبه ، فانّ تبرئة النفس من العيب جهل ، وهو ينشأ من عمى القلب قال تعالى حاكياً عن يوسف الصديق : « وما أبرّء نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلاّ ما رحم ربّي » [1] .

ثمّ الظاهر أنّ المراد بما يعمى عنه من نفسه ومالايستطيع تركه أعمّ من أن يكون من جنس مافي الغير أولم يكن ، مع احتمال المماثلة و على التقديرين لاينبغي أن يعيب صاحبه لأنّ عيبه إمّا أن يكون مثل عيب صاحبه أو أكبر منه أو أصغر ، فان كان أحد الاوّلين فينبغي أن يكون له في عيبه لنفسه شغل عن عيب صاحبه ، و إن كان الاخير فيضيف إلى عيبه الأصغر عيباً آخر أكبر و هو التعيير و الغيبة ، و ما كان المراد بعدم الاستطاعة هنا ما يصعب عليه تركه ، و لذلك لا يتركه لا أنّه ليس له قدرة على الترك أصلا ، فانّه حينئذ لا يكون مكلّفاً به .

« أويؤذي جليسه بما لا يعنيه » أي لا يهمّه ولا ينفعه والضمير المنصوب إمّا راجع إلى المرء أو الجليس ، والأوّل أظهر أي يؤذيه بشيء لا فائدة له فيه ، فانّ هذا أشدّ وأقبح أو لا فائدة للجليس فيه ، فانّه إن كان لنفعه كالنهي عن المنكر أو الأمر بالخيرات فهوحسن ، ويحتمل أن يكون المراد كثرة الكلام بماليس فيه طائل فانّ ذلك يؤذي الجليس العاقل .

قال في النهاية : يقال هذا الامر لا يعنيني أي لايشغلني ويهمّني ، ومنه الحديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه أي ما لا يهمّه .

(١) سورة يوسف : ٥٣ .

٢ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن عليّ بن النعمان ، عن ابن مسكان . عن أبي حمزة قال : سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالمرء عيباً أن يبصر من النّاس ما يعمى عليه من نفسه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

٣ ـ محمّد بن يحيى ، عن الحسين بن إسحاق ، عن عليّ بن مهزيار ، عن حمّاد ابن عيسى ، عن الحسين بن مختار ، عن بعض أصحابه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كفى بالمرء عيباً أن يتعرّف من عيوب النّاس ما يعمى عليه من أمر نفسه أو يعيب على الناس أمراً هو فيه ، لا يستطيع التحوّل عنه إلى غيره ، أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه .

٤ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى . عن يونس ، عن أبي عبد الرّحمن الأعرج و عمر بن أبان عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر و عليّ بن الحسين صلوات الله عليهم قالا : إنّ أسرع الخير ثواباً البرُّ وأسرع الشرّ عقوبة البغي ؛ وكفى بالمرء عيباً أن ينظر في عيوب غيره ما يعمى عليه من عيب نفسه أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه أو ينهى الناس عمّا لا يستطيع تركه .

الحديث الثاني : صحيح .

الحديث الثالث : مرسل .

الحديث الرابع : صحيح وراويه هو راوي الحديثين الأوّلين .

﴿ باب ﴾

(أنه لا يؤاخذ المسلم بما عمل في الجاهلية)

١ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن جميل بن صالح ، عن أبي عبيدة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ ناساً أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما أسلموا فقالوا : يا رسول الله أيؤخذ الرّجل منّا بما كان عمل في الجاهليّة بعد

باب انه لا يؤاخذ المسلم بما عمل في الجاهلية (١)

الحديث الاول : صحيح .

والمراد بالاسلام الحسن أن يكون مقروناً بالاقرار بجميع أصول الدين ، ليخرج المخالفون وأضرابهم ، و بصحّة يقين الايمان أن لا يكون مشوباً بشكّ ونفاق ، وقال في المغرب : رجل سخف وفيه سخف ، وهو رقّة العقل من قولهم : ثوب سخيف إذا كان قليل الغزل ، وقد سخف سخافة ، انتهى .

وكأنّ المراد هنا ما كان مشوباً بشكّ ونفاق ، قال في النهاية : الجبّ القطع ومنه الحديث : انّ الاسلام يجبّ ما قبله ، والتوبة تجبّ ما قبلها ، أى يقطعان ويمحوان ما كان قبلهما من الكفر والمعاصي والذنوب ، انتهى .

فالاسلام الحسن يجبّ جميع ما وقع في أيّام الكفر من حقّ الله وحقّ البشر إلاّ ما خرج بدليل ، مثل مال المسلم الموجود في يده ، وقيل : الظاهر أنّ هذا حال الحربيّ الذى أسلم ، وأمّا الذمّي فلا يسقط إسلامه ما وجب من دم أو مال أو غيره لأنّ حكم الاسلام جار عليه على الظاهر ، والاسلام السخيف لايجبّ ما قبله ، لأنّه ليس باسلام حقيقة فيؤخذ بالكفر الأوّل والآخر ، والعمل فيهما .

وفيه دلالة على أنّ الكافر مكلّف بالفروع كما أنّه مكلّف بالاصول ، ويمكن

---

(١) هكذا عنوان المتن في نسخ الكافي ، لكن في نسخ مرآة العقول التي عندنا عنوان الباب هكذا : « باب وهو في جب الاسلام ما قبله و شرائطه » .

إسلامه ؟ فقال لهم رسول‌الله صلى الله عليه وآله : من حسن إسلامه و صحّ يقين إيمانه لم يأخذه الله تبارك و تعالى بما عمل في الجاهليّة و من سخف إسلامه ولم يصحّ يقين إيمانه أخذه الله تبارك و تعالى بالأوّل و الآخر .

٢ ـ عليُّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن محمّد الجوهري ، عن المنقري ، عن فضيل بن عياض قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرَّجل يحسن في الإسلام أيؤاخذ بما عمل في الجاهليّة و من أساء في الإسلام اُخذ بالأوّل و الآخر .

أن يراد بالاسلام الحسن الاسلام الثابت الذى لا يعقبه ارتداد ، و بالاسلام السخيف ما يعقبه إرتداد ، فاذا ارتدّ يؤخذ بكفره الاوّل والآخر .

ثمّ قال : وهذا التفسير لا يخلو من مناقشة ، لأنّ الاسلام قد جبّ الاوّل فكيف يؤخذ بعد الارتداد بالأوّل ويحكم بعود الزائل من غير سبب ، ويمكن أن يدفع بأن السّبب هوالارتداد لأنّه إذا ارتدّ حبطت أعماله ، ومن جملة أعماله إسلامه السّابق فاذا اُبطل إسلامه السابق بطل جبّه ، وإذا بطل جبّه يؤخذ بالكفرالاول أيضاً ، ضرورة أنّ المسبّب ينتفي بانتفاء سببه .

على أنّه يمكن أن يقال : الذى يجبّ ما قبله هو الاسلام بشرط الاستمرار فاذا قطع الاستمرار بالارتداد ، علم أنّ هذا الاسلام لم يجبّ ما قبله ، فلا يلزم عود الزائل ، بل اللازم ظهور عدم زواله بذلك الاسلام .

ومنهم من فسّر حسن الاسلام بالطّاعة بأن يكون معه أعمال صالحة ، والاسلام السخيف ما كان مع المخالفة ، وجعل قوله : وصحّ يقين ايمانه وصفاً آخر للاسلام ، ولا يخفى ضعفه ، لأنّه يوجب أن يكون جبّ الاسلام ما قبله موقوفاً على الطّاعة و العمل ، وليس الأمر كذلك إذ لا دليل عليه ولم يقل به أحد .

الحديث الثاني : ضعيف ومضمونه قريب من الاوّل .

وكأنّ المراد بالاسائة الاسائة المخرجة من الايمان كما عرفت .

﴿ باب ﴾

✿(أن الكفر مع التوبة لا يبطل العمل)✿

١ ـ عليٌّ بن إبراهيم ، عن أبيه، عن ابن محبوب وغيره، عن العلاء بن رزين عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : من كان مؤمناً فعمل خيراً في إيمانه ثمَّ أصابته فتنةٌ فكفر ثمَّ تاب بعد كفره كتب له و حسب بكلِّ شيء كان عمله في إيمانه ولا يبطله الكفر إذا تاب بعد كفره .

باب ان الكفر مع التوبة لا يبطل العمل (١)

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

وإطلاقه يدلُّ على انَّ توبة المرتدِّ مقبولة وإن كان فطريّاً ، وعلى المشهور مخصوصة بالمليِّ لبعض الروايات الدالّة على انَّ توبة الفطرى غير مقبولة وقد مرَّ تحقيقه .

---

(١) كذا عنوان المتن فى النسخة المصححة التى عندنا من الكافى لكن فى نسخة الشارح (ده) التى هى بخطه هكذا «باب وفيه بيان حال من آمن ثم ارتد ثم تاب » و فى النسخة المطبوعة والمنقول عن بعض نسخ المتن « باب توبة المرتد . . . » .

﴿ باب ﴾

﴿ [المعافين من البلاء] ﴾

١ ـ عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ؛ و عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً . عن ابن محبوب [و غيره] عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ لله عزّوجلّ ضنائن يضنّ بهم عن البلاء فيحييهم في عافية و يرزقهم في عافية و يميتهم في عافية و يبعثهم في عافية و يسكنهم الجنّة في عافية .

باب (١)

الحديث الاول : حسن كالصحيح .

وقال الشيخ البهائى (ره) في رواية الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالى نظر لا يخفى ، وقال الجرزى : في النهاية فيه أنّ لله ضنائن من خلقه يحييهم في عافية ، ويميتهم في عافيه ، الضنائن الخصائص واحدهم ضنينة، فعيلة بمعنى مفعولة ، من الضنّ وهو ما تختصّه وتضنّ به أي تبخل ، لمكانه منك وموقعه عندك ، يقال : فلان ضنّى من بين إخواني وضنتي أى اختصّ به وأضنّ بمودّته ، وقال الجوهرى : ضننت بالشيء أضنّ به ضنّاً وضنانة إذا بخلت وهو ضنين به . وقال الفراء : وضننت بالفتح أضنّ لغة ، وفلان ضنّى من بين إخواني وهو شبه الاختصاص ، وفي الحديث : انّ لله ضنّاً من خلقه، الخبر ، وقال الفيروزآبادى : الضنين البخيل يضنّ بالفتح و الكسر ضنانة وضنّاً بالكسر ، وهو ضنّى بالكسر أى خاصّ بى ، وضنائن الله خواصّ خلقه ، انتهى .

وقيل : المعنى يضنّ بالبلاء عنهم ، فانّ البلاء نعمة كأنّه يضنّ بهاعنهم ولا يخفى بعده .

---

(١) كذا في النسخ الموجودة عندنا من الشرح لكن في نسخة الكافي هكذا « باب المعافين من البلاء » .

۲ ـ عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمّد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن إسحاق بن عمّار ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً ضنّ بهم عن البلاء ، خلقهم في‌عافية ، و أحياهم في‌عافية ، و أماتهم في عافية، و أدخلهم الجنّة في عافية .

۳ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ و عدّة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، جميعاً عن جعفر بن محمّد ، عن ابن‌القدّاح ، عن‌أبي‌عبدالله عليه السلام قال : إنّ لله عزّ وجلّ ضنائن من خلقه يغذوهم بنعمته ، و يحبوهم بعافيته ، و يدخلهم الجنّة برحمته ، تمرّ بهم البلايا و الفتن لا تضرّهم شيئاً .

﴿ باب ﴾

✿(ما رفع عن الامة)✿

۱ ـ الحسين بن محمّد ، عن معلّى بن محمّد ، عن أبي داود المسترقّ قال : حدّثني عمرو بن مروان قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : رفع عن

الحديث الثاني : موثق .

الحديث الثالث : مجهول .

وفي‌القاموس حبافلاناً أعطاه بلاجزاء ولا منّ ، والاسم‌الحباء ككتاب والحبوة مثلّثة .

باب (ما رفع عن الامة) (۱)

وهو مشتمل على‌ما لا يؤاخذ الله هذه الامة به

الحديث الاول : ضعيف على المشهور .

« رفع عن امّتي » لعلّ المراد رفع المؤاخذة والعقاب ، ويحتمل أن يكون المراد في بعضها رفع أصله أو تأثيره أو حكمه التكليفيّ ولعلّ مفهوم قوله : عن امّتي

---

(۱) ليس هذا العنوان موجوداً في النسخ التي عندنا من الشرح بل الموجود فيها هكذا « باب وهو مشتمل على . . . » .

اُمّتي أُربع خصال : خطاؤها و نسيانها و ما اُكرهوا عليه و ما لم يطيقوا و ذلك

غير مراد في بعضها ، فالمراد اختصاص المجموع بهذه الأُمّة وان اشترك البعض بينها وبين غيرها ، فالخطاء كما إذا أراد رمي صيد فأصاب انساناً ، وكخطأ المفتي والطبيب والمراد هنا رفع الاثم ، فلا ينا في الضّمان في الدّنيا ، وإن كان ظاهره عدم الضّمان أيضاً ، وكذا رفع الاثم بالنسيان لا ينافي وجوب الاعادة عند نسيان الركن وسجدة السهو ، والتدارك عند نسيان بعض الأفعال .

وقيل : يفهم من الرّفع أنّهما يورثان الاثم و العقوبة ، ولكنّه تعالى تجاوز عنهما رحمة وتفضّلا ، والاكراه أعمّ من أن يكون في أُصول الدين أو فروعه ممّا يجوز فيه التقيّة ، لا فيما لا تقيّة فيه كالقتل .

« ومالم يطيقوا » أي التكاليف الشاقّة الّتي رفعت عن هذه الامّة .

ثمّ استشهد للخصال الاربع وعدم المؤاخذة بها بالآيات وهي قوله تعالى : « ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » قال في مجمع البيان : قيل فيه وجوه :

الاوّل : أنّ المراد بنسينا تركنا كقوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم »(١) أي تركوا إطاعة الله فتركهم من ثوابه ، والمراد بأخطأنا أذنبنا لأنّ المعاصي توصف بالخطاء من حيث أنّها ضدّ للصواب .

والثاني : أنّ معنى قوله : إن نسينا إن تعرّضنا لأسباب يقع عندها النسيان عن الأمر أو الغفلة عن الواجب ، أو أخطأنا أي تعرّضنا لأسباب يقع عندها الخطاء ويحسن الدّعاء بذلك كما يحسن الاعتذار منه .

والثالث : أنّ معناه لا تؤاخذنا إن نسينا أي إن لم نفعل فعلاً يجب فعله على سبيل السهو والغفلة «أو أخطأنا» أي فعلنا فعلاً يجب تركه من غير قصد ، ويحسن هذا في الدّعاء على سبيل الانقطاع إلى الله سبحانه ، وإظهار الفقر إلى مسائلته

(١) سورة التوبة : ٦٧ .

قول الله عزّوجلّ : « ربّنا لاتؤاخذنا إن نسينا أوأخطأنا ربّنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الّذين من قبلنا ، ربّنا ولا تحمّلنا ما لاطاقة لنابه »[1] و قوله : « إلاّ

والاستعانة به ، وإن كان مأموناً منه المؤاخذة بمثله ، ويجرى ذلك مجرى قوله فيما بعد : « ولا تحمّلنا » على أحد الاجوبة .

والرابع : ماروى عن ابن عبّاس وعطاء انّ معناه لاتعاقبنا إن عصيناك جاهلين أومتعمّدين .

وقوله : « ربّنا ولا تحمل علينا إصراً » قيل فيه وجهان : الاوّل : انّ معناه لا تحمل علينا عملاً نعجز عن القيام به ، وتعذّبنا بتركه ونقضه عن ابن عبّاس وغيره

والثاني : أنّ معناه لا تحمّل علينا ثقلاً يعني لا تشدّد الأمر علينا « كما حملته على الّذين من قبلنا » أي على الامم الماضية والقرون الخالية ، لأنّهم كانوا إذا ارتكبوا خطيئة عجّلت عليهم عقوبتها ، وحرّم عليهم بسببها ماأحلّ لهم من الطعام كما قال تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات أحلّت لهم »[2] وأخذ عليهم العهود والمواثيق وكلّفوا من أنواع التكاليف مالم تكلّف هذه الامّة تخفيفاً عنها.

« ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » قيل فيه وجوه : الاوّل : أنّ معناه ما يثقل علينا تحمّله من أنواع التكاليف والامتحان ، مثل قتل النفس عند التوبة ، وقد يقول الرّجل لأمر يصعب عليه : إنّي لا أطيقه ، والثاني : أنّ معناه ما لا طاقة لنا به من العذاب عاجلاً وآجلاً .

والثالث : أنّه على سبيل التعبّد وإن كان سبحانه لا يكلّف ولا يحمل أحداً ما لا يطيقه ، انتهى .

وقال بعضهم : فان قلت : الآية دلّت على المؤاخذة والاثم بالخطأ والنسيان ، وإلاّ فلا فائدة للدعاء بعدم المؤاخذة ، فكيف تكون دليلاً على الرفع المذكور ؟ قلت : أوّلاً قال بعض المحقّقين السؤال والدّعاء قد يكون للواقع والغرض منه بسط

(١) سورة البقرة : ٢٨٦ . (٢) سورة النساء : ١٦٠ .

من أكره و قلبه مطمئنٌّ بالإيمان »[1].

الكلام مع المحبوب ، وعرض الافتقار لديه ، كما قال خليل الرّحمان وابنه اسماعيل عليهما السلام : « ربّنا تقبل منّا » مع انّهما لا يفعلان غير المقبول ، و ثانياً أنّه قد صرح بعض المفسّرين بأنّ الآية دلّت على أنّ الخطأ والنسيان سببان للاثم والعقوبة ، ولا يمتنع عقلاً المؤاخذة بهما إذ الذّنب كالسمّ ، فكما أنّ السمّ يؤدّى إلى الهلاك و إن تناوله خطأ كذلك الذنب ، ولكنه عزّوجلّ وعد بالتجاوز عنه رحمة وتفضّلاً وهو المراد من الرّفع ، فيجوز أن يدعو الانسان به استدامة لها وإمتداداً بها .

وقال بعضهم معنى الآية : ربّنا لا تؤاخذنا بما أدّى بنا إلى خطاء أو نسيان من تقصير ، وقلّة مبالاة ، فانّ الخطأ والنسيان أغلب مايكونان من عدم الاعتناء بالشيء وهذا وإن كان رافعاً للايراد المذكور لكن فيه شيء لا يخفى على المتأمّل .

والأصر الذنب والعقوبة وأصله من الضيق والحبس ، يقال أصره يأصره إذا حبسه وضيّق عليه ، وقيل : المراد به الحمل الثقيل الذى يحبس صاحبه في مكانه ، والتكاليف الشاقّة مثل ماكلّف به بنواسرائيل من قتل الأنفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب ، وخمسين صلاة في اليوم واللّيلة ، وصرف ربع المال للزكاة أو ما أصابهم من الشدائد والمحن .

وقوله : « ربّنا ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به » تأكيد لما قبله ، وطلب للاعفاء من التكاليف الشاقّة الّتي كلّف بها الامم السابقة ، لا طلب للاعفاء عن تكليف ما لا يتعلّق به قدرة البشر أصلا ، فلا دلالة فيه على جواز التكليف بما لا يطاق ، الذى أنكره العدليّة وجوّزه الأشاعرة باعتبار أنّه لو لم يجز لم يطلبوا الاعفاء عنه .

وقوله : إلاّ من اكره وقلبه مطمئنّ بالايمان ، معناه إلاّ من اكره على قبيح مثل كلمة الكفر وغيرها « وقلبه مطمئنّ بالايمان » غيرمتغيّر عن اعتقاد الحقّ ، وفيه دلالة على أنّه لا إثم على المكره .

(١) سورة النحل : ١٩ .

٢ ـ الحسين بن محمّد ، عن محمّد بن أحمد النهدي ، رفعه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وضع عن اُمّتي تسع خصال : الخطاء و النسيان وما لا

لا يقال : الاستثناء من قوله تعالى «ومن كفر بالله من بعد ايمانه» ومن شرطيّة محذوفة الجزاء ، أي فهو مفتر للكذب لا على أنّه غير آثم ؟

لانّا نقول : المستثنى منه في معرض الذمّ والوعيد ، وهما منفيّان عن المكره بحكم الاستثناء ، فلا يكون المكره من أهل الذمّ والوعيد ، فلا يكون آثماً .

الحديث الثاني : مرفوع .

« وما لا يعلمون » ظاهره معذورية الجاهل مطلقاً ، ويدلّ عليه فحاوى كثير من الآيات والأخبار ، ولا يبعد العمل به إلّا فيما أخرجه الدليل لكن أكثر الاصحاب اقتصروا في العمل به على مواضع مخصوصة ، ذكروها في كتب الفروع كالصّلاة مع نجاسة الثوب و البدن ، أو موضع السّجود ، أو في الثوب والمكان المغصوبين ، أو ترك الجهر والاخفات في موضعهما ، والنكاح في العدّة وأمثالها ، ولو قيل : المراد عدم المؤاخذة لا عدم ترتّب الأحكام ، فمع عدم التقصير في التفحص ظاهره العموم في جميع الموارد ، لكن ظاهر الوضع والرفع عدم ترتّب الأحكام أيضاً .

«وما اضطرّوا إليه» سواءكان سبب الاضطرار من قبل الله تعالى كما في أكل الميتة في المخمصة ، وشرب الماء النجس عند الاضطرار ، والتداوي بالحرام للمريض عند انحصار الدواء ، أومن قبل نفسه أو من الغير كمن جرح نفسه أو جرحه غيره في شهر رمضان ، واضطرّ إلى الافطار ولكن في التداوي بالحرام لا سيّما الخمر أخبار كثيرة بالمنع ، وكذا في شرب النبيذ والخمر عند الاكراه ، وسيأتي القول فيها في محلّه إن شاء الله .

وقد عرفت إختلاف الأخبار في التقيّة في البراءة عن أهل البيت عليهم السلام ووجه الجمع بينها ، وأمّا الطيرة فقال الجوهري : الطيرة مثال العنبة هي ما يتشأم به من الفال الرديّ ، وفي الحديث أنّه كان يحبّ الفال ويكره الطيرة وقال في النهاية فيه:

يعلمون وما لا يطيقون وما اضطرّوا إليه وما استكرهوا عليه و الطيرة و الوسوسة

لا عدوى ولا طيرة بكسر الطاء وفتح الياء ، وقد تسكن هي التشأم بالشيء وهومصدر تطيّر يقال تطير طيرة وتخيّر خيرة ، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرها ، وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ، وكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه ، وأخبر أنّه ليس له تأثير في جلب نفع ودفع ضرّ .

وقد تكرّر ذكرها في الحديث إسماً وفعلا ، ومنه الحديث : ثلاث لا يسلم منها أحدالطيرة والحسد والظنّ ، قيل : فمانصنع ؟ قال : إذا تطيّرت فامض ، و إذا حسدت فلا تبغ ، وإذا ظننت فلا تحقّق ، ومنه الحديث الآخر : الطيرة شرك وما منا إلاّ ولكن الله يذهبه بالتوكّل .

هكذا جاء الحديث مقطوعاً ولم يذكر المستثنى أي إلاّ وقد يعتريه التطير وتسبق قلبه الكراهة ، فحذف إختصاراً واعتماداً على فهم السامع وإنّما جعل الطيرة من الشرك لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ التطيّر يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرّاً إذا عملوا بموجبه ، فكأنّهم أشركوه مع الله تعالى في ذلك .

وقوله : ولكن الله يذهبه بالتوكّل معناه أنّه إذا خطر له عارض التطيّر فتوكّل على الله تعالى وسلّم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله تعالى ، ولم يؤاخذه به .

وقال في المصباح : تطيّر من الشيء واطّيّر منه والاسم الطيرة وزان عنبة وهي التشاؤم ، وكانت العرب إذا أرادت المضيّ لمهمّ مرّت بمجاثم الطير وأثارتها لتستفيد هل تمضي أو ترجع ، فنهى الشارع عن ذلك وقال : لاهام ولا طيرة ، انتهى .

وأقول : إذا عرفت هذا فكون الطيرة موضوعة يحتمل وجوهاً :

الاوّل : وضع المؤاخذة والعقاب عن هذا الخطور ، فانّه لا يكاد يمكن رفعها عن النفس وكفّارته أن لايعمل بمقتضاها ويتوكّل على الله تعالى ، ولذا قال ﷺ

في التفكّر في الخلق و الحسد مالم يظهر بلسان أويد .

إذا تطيّرت فامض.

الثاني: رفع تأثيرها عن هذه الامّة ببركة ما وصل إليهم عن الرسول والائمّة عليهم السّلام من عدم الاعتناء به ، والتوكّل على الله والأدعية والأذكار الدافعة لذلك .

الثالث: أنّ المراد بوضعها رفعها والمنع عن العمل بها ، والزّجز عنها كما فهمه صاحب النهاية وغيره ، فلا يكون على سياق ساير الفقرات ، والأظهر في هذا الخبر المعنى الأوّل .

وأمّا تأثيرها فالأخبار مختلفة في ذلك ، والذى يقتضيه الجمع بينها أنّ مع تأثّر النفس بها قد يكون لها تأثير ومع عدم الاعتناء بها والتوكّل على الله فلا تأثير لها .

« والوسوسة في التفكّر » سيأتى إن شاء الله عن أبي عبدالله عليه السلام : ثلاث لم ينج منها نبيّ فمن دونه : التفكّر في الوسوسة في الخلق ، والطيرة والحسد إلاّ أنّ المؤمن لا يستعمل حسده .

وعلى التقديرين يحتمل هذه الفقرة وجوهاً :

الأوّل : أن يكون المراد وساوس الشيطان بسبب التفكّر في أحوال الخلق ، وسوء الظنّ بهم بما يشاهد منهم ، فانّ هذا شيء لا يمكن دفعه عن النفس ، لكن يجب عليه أن لايحكم بهذا الظنّ ، ولايظهره ولايعمل بموجبه بالقدح فيهم ، وردّ شهادتهم ونحوذلك ، ويؤيّده الخبر الذي رواه في النهاية ، حيث ذكرمكانها : الظنّ وقال : واذا ظننت فلا تحقّق أى لا تجزم .

وقال في النهاية أيضاً فيه : إيّاكم والظنّ ، فانّ الظنّ أكذب الحديث ، أراد الشك يعرض لك في شيء فتحقّقه وتحكم به ، وقيل : أراد إيّاكم وسوء الظن وتحقيقه دون مبادىالظنون الّتي لا تملك وخواطر القلوب الّتي لاتدفع ومنهالحديث

. . . .

وإذا ظننت فلا تحقّق .

الثاني : التفكّر في الوساوس التي تحدث في النفس في مبدء خلق الاشياء ، وأنّ الله سبحانه من خلقه وكيف وجد وأين هو ؟ ممّا لو تفوّه به لكان كفراً وشركاً ويؤيّده الاخبار الكثيرة الّتي مضت في باب الوسوسة ، و حديث النفس ، وقد روت العامّة في صحاحهم أنّه سئل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الوسوسة ؟ فقال : تلك محض الايمان و في رواية اخرى يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا و كذا حتّى يقول : من خلق ربّك ؟ فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته .

الثالث : أن يتفكّر في القضاء والقدر ، وخلق أعمال العباد والحكمة في خلق بعض الشرور في العالم ، كخلق ابليس والموذيات ، وفي تمكين الأشرار على الأخيار وخلق الكفّار وخلق جهنّم وتأبيد الكفّار فيها وغير ذلك ممّا لا يخلو أحد عنها وذلك كلّه معفوّ إذا لم يستقرّ في النّفس ، ولم يحصل بسببه شكّ في حكمة الخالق وعدله ، وكون العباد غير مجبورين فيما كلّفوا به أو بتركه ولعلّ الأوّل هنا أظهر وإن كان للثاني شواهد كثيرة .

وروى الصّدوق (ره) في الخصال والتوحيد بسند صحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : رفع عن امتي تسعة : الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ومالا يعلمون ومالا يطيقون وما اضطرّوا إليه والحسد والطيرة والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة ، والقيد بعدم النطق بالشفة لا ينافي شيئاً من المعاني ، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد يدلّ على أنّ الحسد ليس معصية مع عدم الاظهار وهو خلاف المشهور ، ويؤيده قوله عليه السلام في خبر الروضة: لم يخل منها نبيّ فمن دونه وهو أنسب بسعة رحمة الله ، ونفي الحرج في الدين ، فانّه قلّ من يخلو عن ذلك ، فما ورد في ذمّ الحسد وعقوباته يمكن حمله على ما إذا كان مع الاظهار ، ويمكن أن يكون متعلّقاً بالوسوسة أيضاً بل بالطيرة أيضاً ، ويؤيّده رواية الصدوق ، بل في

﴿ باب ﴾

﴿ ان الايمان لا يضر معه سيئة و الكفر لا ينفع معه حسنة ﴾

١ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن محمّد بن عيسى ، عن يونس ، عن يعقوب بن شعيب قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : هل لأحد على ما عمل ثوابٌ على الله موجبٌ إلاّ المؤمنين ؟ قال : لا .

رواية الصّدوق أيضاً يمكن تعلّقه بالثلاثة .

ثمّ اعلم أنّ التسع المذكورة في هذا الخبر لا ينافي الاربع في الخبر السابق فانّه عليه السلام اكتفى فيه بالأهمّ أو المراد بالاول ماورد في ظواهر الآيات رفعها ، مع أنّه يمكن إدخال ما لم يذكر فيه فيما لا يطيقون على ما فسّر به ، فانّ التحرّز عنها في غاية العسر والشدّة .

باب

ان الايمان لا يضر معه سيئة والكفر لاينفع معه حسنة (١)

الحديث الاول : صحيح .

« على الله بوجوب » كذا في أكثر النسخ ، والوجوب بمعنى اللّزوم لازم ، والأظهر « موجب » كما ينسب إلى بعض النسخ ، إلاّ أن يكون المفعول بمعنى الفاعل كما قيل في قوله تعالى : « حجاباً مستوراً »[٢] قيل : أي ساتراً نعم قال الفيروزآبادي : وجب عياله و فرسه عوّدهم أكلة واحدة ، و هو لا يناسب المقام إلاّ بتكلّف شديد ، لكنّه في كلام السائل ، والحاصل أنّه هل أوجب الله ثواباً على نفسه بمقتضى وعده إلاّ للمؤمنين فانّه لايجب على الله ثواب مع قطع النّظر عن الوعد كما مرّ تحقيقه خلافاً للمعتزلة و نادر من الاماميّة .

فقال عليه السلام لا ، لأنّ الله تعالى وعد على العمل بشرائطه الّتي ثواباً فاذا

---

(١) هذا العنوان غير موجود في النسخ الموجودة عندنا من كتاب مرآة العقول .

(٢) سورة الاسراء : ٤٥ .

۲ ـ عنه ، عن يونس ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال موسى للخضر عليه السلام قد تحرّمت بصحبتك فأوصني ، قال [له] : ألزم مالا يضرّك معه شيء كما لا ينفعك مع غيره شيء .

۳ ـ عنه، عن يونس، عن ابن بكير ، عن أبي اُميّة يوسف بن ثابت قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : لا يضرّ مع الايمان عملٌ ولا ينفع مع الكفر عمل ، ألا ترى أنّه قال : « و ما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلاّ أنّهم كفروا بالله و برسوله » .

تحقّق العمل مع شرائطه الّتي من جملتها الايمان لزم الثواب وثبت ، وهذا معنى الوجوب على الله لأنّ خلف الوعد منه قبيح خلافاً للاشاعرة، فانّهم ذهبوا إلى أنّه لا يجب على الله شيء ، وقالوا يجوز أن يعاقب المطيع ويثيب العاصي، وهذا القول يبطل الوعد والوعيد .

الحديث الثاني : مرسل .

وضمير عنه راجع إلى محمّد بن عيسى . وكذا في الخبر الآتي « قد تحرّمت بصحبتك » أي اكتسبت حرمة ، وحصلت لي بسبب مصاحبتك حرمة فلا تردّني عن جواب ما أسئلك عنه، ولا تمنعني نصيحتك .

في القاموس : تحرم منه بحرمة تمنّع وتحمّى بذمة ، وفي الصّحاح : الحرمة ما لا يحلّ انتهاكه وقد تحرم بصحبته .

« ألزم ما لا يضرّك معه شيء » أي من المعاصي وهو الايمان ، فالمراد بالضرّر ما يصير سبباً لدخول النار أو الخلود فيها « كما لا ينفعك » أي النفع الموجب لدخول الجنّة ، والمراد بالشيء هيهنا العمل الصالح فلا ينافي ما ورد في الاخبار من معاقبة المؤمنين بالاعمال القبيحة واثابة الكافرين في الدنيا بالعمل الصالح ، ويمكن تعميم نفي الضرر بحمل الايمان على ما كان مع الاتيان بالفرائض و ترك الكبائر ، فالمراد بعدم النفع عدم النفع الكامل .

الحديث الثالث : موثق كالصحيح .

« وما منعهم » الآية، وما قبلها في سورة التوبة هكذا : « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبّل منكم انّكم كنتم قوماً فاسقين ، وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم

و ماتوا وهم كافرون »[١]

٤ ـ محمّد بن يحيى ، عن أحمدبن محمّدبن عيسى ، عن ابن فضّال ، عن ثعلبة ، عن أبي اُميّة يوسف بن ثابت بن أبي سعدة ، عن أبي عبدالله عليه السلام [قال :] قال : الايمان لا يضرّ معه عمل و كذلك الكفر لا ينفع معه عمل .

٥ ـ أحمد بن محمّد ، عن الحسين بن سعيد ، عمّن ذكره ، عن عبيد بن زرارة ، عن محمّد بن مارد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : حديث روي لنا أنّك قلت : إذا عرفت فاعمل ما شئت؟ فقال : قد قلت ذلك، قال: قلت و إن زنوا أو سرقوا أو شربوا الخمر فقال لي : إنّا لله و إنّا إليه راجعون؛ والله ما أنصفونا أن نكون اُخذنا

إلاّ أنّهم كفروا بالله ورسوله ولا يأتون الصّلاة إلاّ وهم كسالى ولا ينفقون إلاّ وهم كارهون ، فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم إنّما يريد الله ليعذّبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » وقال بعد آيات كثيرة : « وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون » فلعلّها كانت في قرائتهم هكذا ونقل عليه السلام بالمعنى لكون الآيات في وصف جماعة واحدة ، ولعلّ فيما ذكره عليه السلام إشعاراً بأنّهم لو ماتوا على الايمان تقبل منهم نفقاتهم في حال الكفر .

الحديث الرابع : مجهول وأبوسعيد إن كان القمّاط فالخبر موثّق، وقد مرّ الكلام فيه .

الحديث الخامس : مرسل .

وقوله : حديث ، مبتدء و« روى » خبره ، وانّك بالفتح خبر محذوف أي هو أنّك « و إن زانوا » إن وصليّة بتقدير الاستفهام « إنّا لله » إشارة إلى أنّ هذا الافتراء علينا بفهم هذاالمعنى مصيبة عظيمة«أن نكون» أي في أن نكون، والحاصل أنّ التكليف لم يوضع عنّا فكيف وضع عنهم بسببنا أو انّا نخاف العقاب و نتوب ونتضرّع إلى الله تعالى وهم آملون بسبب ولايتنا أنّ هذا ليس بانصاف .

---

(١) سورة التوبة : ٥٤ .....

بالعمل و وضع عنهم ، إنّما قلت : إذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير و كثيره فانّه يقبل منك .

٦ ـ عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن محمّد بن الريّان بن الصلت، رفعه ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول في خطبته : يا أيّها الناس دينكم دينكم فإنّ السيّئة فيه خير من الحسنة في غيره و السيّئة فيه تغفر

ثمّ أفاد عليه السلام انّ غرضي من هذا الكلام اشتراط قبول العمل بالولاية لاسقوط التكليف أو العقاب رأساً عنهم .

الحديث السادس : مرفوع .

«دينكم» نصب على الاغراء اى ألزموا دينكم واحفظوه أوأكملوه والتكرير للتأكيد أو باعتبار اختلاف العامل « فانّ السيّئة فيه خير » لعلّ الخيرية باعتبار أنّ في السيئة إلتذاذاً دنيويّاً مع الغفران ، وفي الحسنة تعباً دنيويّاً مع الخسران، أو باعتبار أنّ الحسنة الّتي لا تقبل يعاقب عليها كالصّلاة بغير وضوء ، وقيل : كلمة في في قوله « فيه » و في غيره بمعنى مع ، أى المركّب من السّيّئة ودين الحقّ خير من المركب من الحسنة ودين أهل الضلال ، وقوله : والسّيّئة فيه تغفر ، للترقي وللاشارة إلى أنّ السيئة في دين الحقّ لو لم تكن مغفورة وكانت الحسنه في دين الباطل مقبولة لكان المركب من السّيّئة والدين الصحيح أفضل من المركّب من الحسنة والدين الباطل لأنّه لا سيّئة مثل الدين الباطل في العقاب ولا حسنة مثل الدين الحق في الثواب ، فكيف والسّيّئة في الدّين القويم مغفورة ، والحسنة في الدين الفاسد غير مقبولة ، وقيل : فيه إشارة إلى أنّ السيئة من حيث هي سيّئة ليست خيراً من الحسنة من حيث هي حسنة ، بل الخيريّة وعدمها باعتبار المغفرة وعدم القبول وما ذكرنا لعلّه أظهر .

واتّفق الفراغ من جمع هذه التعليقات مع كثرة الاشغال وهجوم الامراض وتشتّت

و الحسنة في غيره لا تقبل .

هذا آخر كتاب الايمان و الكفر و الطاعات و المعاصي من كتاب الكافي
و الحمدلله وحده و صلّى الله على محمّد و آله .

الاحوال بفضل الله تعالى في الثالث والعشرين من شهر صفر المظفر سنة ١١٠٩ والحمدلله أولا وآخراً ، والصلاة على سيّد المرسلين محمّد و عترته الأطهرين .

* * *

وقد اتّفق الفراغ من تصحيحه والتعليق عليه في شهر ذي حجة الحرام في ليلة العرفة من سنة ١٢٩٨ و يليه الجزء الثاني عشر انشاء الله تعالى و أوّله « كتاب الدعاء » والحمد لله اولا وآخراً .

وانا العبد الفاني
السيد هاشم الرسولي المحلاتي

الفهرست